ذخائر العرب
٢٥

الموازنة

بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي
- ٣٧٠ هـ

تحقيق
السيد أحمد صقر

الطبعة الرابعة



دار المعارف



الموازنة

بين شِعْرِ أبي تمّامْ والبُحتري

لأبي القاسمْ الحسَن بن بشر الآمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبوالقاسم: الحسنُ بن بِشْرِ بنِ يَحْيَى الآمِدِيُّ :

هذا ما حَثَثْتَ – أدام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد – [عليه وبعثتنى] [١] على تقديمه ، من الموازنة بين أبى تَمَّام: حبيبِ بن أَوْسٍ الطائىّ ، وأبى عُبادةَ : الوليدِ بن عبيد [٢] البُحْتُرِىّ فى شعريهما .

وقد رسمتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة ، وأحسن فى اعتماد الحق ، [وتحرى الصدق] [٣] وتَجَنُّب الهوى – المعونة بمنه [٤] ورحمته.

ووجدتُ – أطال الله بقاك [٥] – أكثر من شاهدتُه ورأيته من رواة أشعار [٦] المتأخرين ، يزعمون أن شعر أبى تمام : حبيب بن أوس الطائى لا يتعلّق بجيّده [٧] جيّد أمثاله ، ورديُّه مطَّرح [٨] مرذول ؛ فلهذا كان [٩] مختلفاً لا يتشابه ، وأن شعر الوليد بن عبيد البحترى صحيحُ السَّبْك ، حسن الدِّيباجة [١٠] ، ليس فيه سفْسافٌ ولا ردىّ ولا مطْروح [١١] ، ولهذا صار [١٢] مستوياً يشبه بعضُه بعضاً .

---

(١) الزيادة من « ك »
(٢) م ، ك « عبيد الله البحترى »
(٣) الزيادة من ك
(٤) ط « منه »
(٥) ط ، ك « عمرك »
(٦) ط « الأشعار »
(٧) م « بجيد »
(٨) ط « مطروح ومرذول »
(٩) م ، ك « ولهذا ما صار »
(١٠) ط « الديباج »
(١١) م « متطرح » و ك « مطرح »
(١٢) فى ك : « ماصار »

ووجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما ، وكثرة جيّدهما وبدائعهما ، ولم يتفقوا على أيِّهما أشعر ؟ كما لم يتفقوا على أحد ممن وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين ، وذلك لميل من[١] فضل البحتريَّ ، ونسبه إلى حلاوة اللفظ[٢] ، وحسن التخلص[٣] ، ووضْع الكلام فى مواضعه[٣] ، وصحة العبارة ، وقُرْب المأْتَى[٤] ، وانكشاف المعانى . وهم الكتابُ والأَعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة .

وميْلِ[٥] من فضَّل أبا تمام، ونسبه[٦] إلى غموض المعانى ودقَّتها ، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج . وهؤلاء أهلُ المعانى والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفىّ الكلام[٧] . وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقةً ، وذهب[٨] إلى المساواة بينهما ، وإنهما لمختلفان ؛ لأَن البحترى أَعرابىُّ الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأَوائل ، وما فارق عمُودَ الشعر المعروف ، وكان يتجنَّب التعقيد ومُستَكره الأَلفاظ[٩] ووحْشِىَّ الكلام ؛ فهو بأَن يُقَاس بأَشْجع السُّلمِى ومنصور [النَّمرى] وأَبى يعقوب المكفوف [الخريمى] وأَمثالهم من المطبوعين – أولى .

ولأَن أَبا تمامٍ شديدُ التكلف ، صاحبُ صنعةٍ ، ويستكرهُ[١٠] الأَلفاظ والمعانى ، وشعرهُ لا يشبه أَشعار الأَوائل ، ولا على طريقتهم ؛ لما فيه من

(١) فى ط ، م : « ذلك كن فضل »
(٢) فى ط ، م « النفس »
(٣) فى ك : « التلخيص »
(٤) ط « المآتى »
(٥) فى ط ، م « ومثل »
(٦) سقطت من ك
(٧) فى ك : « ولئن »
(٨) فى ك : « وذهب قوم »
(٩) م ، ك « اللفظ »
(١٠) ط « ومستكره »

الاستعارات البعيدة ، والمعانى المولَّدة ، فهو بأن يكون فى حيِّز مسلم بن الوليد ومن حذا حذْوه ـ أَحقُّ وأَشبه .

وعلى أنى لا أَجد من أَقرنه به ؛ لأَنه ينحطّ عن درجة « مسلم » ؛ لسلامة شعر « مسلم » وحسنِ سبكه ، وصحة معانيه . ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأُسلوب ؛ لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته .

* * *

ولست أُحبُّ أَن أطلق القول بأَيهما[١] أَشعر عندى ؟ لتباين الناس فى العلم ، واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، ولا أرى أَن يفعل ذلك فيستهدِفَ لذم أَحد الفريقين[٢] ؛ لأَن الناس لم يتفقوا على أى الأَربعة أشعر ؟ فى امرئ القيس والنابغة وزهير والأَعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأَخطل، ولا فى بشَّار ومرْوان [والسيد] ، ولا فى أَبى نُواس وأَبى العتاهية ومُسْلم [والعباس ابن الأَحنف] [٣] ؛ لاختلاف آراء الناس فى الشعر ، وتباين مذاهبهم فيه .

فإن كنتَ ـ أدام الله سلامتك[٤] ـ ممن يفضِّل سهْل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السَّبْك ، وحسنَ العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرَّونق ؛ فالبحترى أَشعر عندك ضرورة .

وإن كنتَ تميل إلى الصنعة ، والمعانى الغامضة التى تسْتَخرج بالغَوْص والفكرة ، ولا تَلْوِى على ما سوى[٥] ذلك ؛ فأَبو تمام عندك أَشعر لا محالة .

---

(١) فى ك : « فأقول أيهما »

(٢) م ، ك « إحدى الفرقتين »

(٣) م ، ك « والأحنف »

(٤) فى ك : « كرامتك »

(٥) ط « على غير »

فأما أنا فلست أُفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أوازن[١] بين قصيدة وقصيدة[٢] من شعرهما إذا اتَّفَقَتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول[٣] : أيهما أشعر فى تلك القصيدة ، وفى ذلك المعنى ؟ ثم احْكمْ أنت حينئذ [إن شئت] على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجيد والردىء .

* * *

وأنا أبتدئُ بذكر ما[٤] سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذَيْن الشاعرين على الفرقة الأُخرى ، عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر[٥] ، وما ينعاه بعْضٌ على بعضٍ ؛ لتتأمل ذلك ، وتَزْداد بَصِيرةً وقُوةً فى حكمك إن شئتَ أن تحكم ، واعتقادك فيما لعل أن تعتقده[٦] .

احتجاج الخصمين

١ ـ قال صاحب أبى تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول : إن البحترى أشعر من أبى تمام وعن أبى تمام أخذ ، وعلى حذوه احتذى ، ومن معانيه اشْتق ؟ وتتلمذ له[٧]! حتى قيل : الطائى الأكبر ، والطائى الأصغر ؛ واعترف البحترى بأن جيد أبى تمام خيرٌ من جيده ، على كثرة جيد أبى تمام ، فهو بهذه الخصال أن يكون أشعَرُ من البحترى أولى من أن يكون البحترى أشعر منه .

---

(١) فى ط ، م : « أقارن »
(٢) ط « بين قصيدتين »
(٣) ط « فأقول »
(٤) ط « بما »
(٥) فى ك « صاحبه »
(٦) ط « تعتقد احتجاج الخصمين به » ! ، وفى م : « لعلك تعتقده »
(٧) ط « وباراه » !

٢ ـ قال صاحب البحترى: أما الصحبة فما صحبه ولا تتلمذ له[١] ولا روى ذلك أحدٌ عنه[٢] ، ولا نَقَله ، ولا رأى[٣] قط. أنه محتاج إليه ، ودليل هذا [هو] الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبى سعيد : محمد بن يوسف الثَّغْرى وقد دخل إليه البحترى بقصيدته التى أولها :

* أأفاق صبٌّ مِنْ هوًى فَأُفِيقَا *[٤]

وأبو تمام حاضر ، فلما أنشدها علَّق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها ، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال : أيها الأمير ، ما ظننت أن[٥] أحدًا يُقدِم على أن يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم ، ثم اندفع ينشد ما حَفِظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة ، فبُهِتَ البحترى ، ورأى أبو تمام الإنكار فى وجه أبى سعيد : محمد بن يوسف ، فحينئذ قال أبو تمام : أيها الأمير ، والله ما الشعرُ إلّا لَهُ ، ولقد[٦] أحْسَنَ فيه الإحسانَ كلَّه ، وأقبل يُقَرظه ويصف معانيه ، ويذكر محاسنَه ، ثم جعل يفخر باليمن ، وأنهم ينْبُوع الشعر ، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف للبحترى الجائزة .

فهذا الخبر الشائع[٧] يُبطل ما ادعيتم ؛ إذ كان من يقول هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه ، وهو لا يعرف أبا تمام إلا أن يكون بالخبر ،

---

(١) ط ، ك « ولا تلمذ »
(٢) سقطت من م ، ك
(٣) ط « ولا أرى »
(٤) عجزه كما فى ديوانه ٧٢٢ « أم خان عهداً أم أطاع صديقا » وانظر أخبار بى تمام ١٠٥ والأغانى ١٨/١٦٩
(٥) سقطت من م
(٦) ط « وإنه أحسن الإحسان »
(٧) فى ط « الخبرالشنيع » وهو تحريف شنيع !

يستغنى عن أن يَصْحَبه أو يتلمذ له أو لغيره فى الشعر .

وقد[١]أخبرنى أنا رجُلٌ من أهل الجزيرة يكنى أبا الوضاح ــ وكان عالماً بشعر أبي تمام والبحترى وأخبارهما ــ أن القصيدة التى سمعها أبو تمام من البحترى عند محمد بن يوسف ــ وكان اجتماعهما وتعارفهما ــ القصيدةُ التى أولها :

فِيمَ ٱبْتِدَارُكما الْمَلَامَ وَلُوعَا [أَبكَيْتَ إِلَّا دِمْنَةً وربُوعَا] [٢]

وأنه لما بلغ إلى قوله :

فِى منْزِلٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعا[٣]

نهض إليه أبو تمام فقبَّل بين عينيه : سرورًا به ، وتَحَفِّياً[٤] بالطائية ، ثم قال : أبىٰ الله إلا أن يكون الشعر يَمنِيًّا .

قال صاحب البحترى[٥] : إلا أنَّا ــ مع هذا ــ لا نُنْكِرُ[٦] أن يكون قد استعار بعض معانى أبي تمام ؛ لقرب البلدين ، وكثرة ما كان يطرُق سمع البحترى من شعر أبى تمام فَيُعَلَّق شيئاً من معانيه ، معتمِدًا للأخذ أو غير معتمد .

---

(١) سقطت من م ، ك

(٢) ديوانه ٢٥٧

(٣) فى ك والديوان ص ٢٥٩ « فى معرك ضنك »

(٤) فى ك : « وتحققا »

(٥) فى ط «صاحب أبي تمام » وعلق عليها الشيخ محمدمحيى الدين بقوله: « فىالمطبوعات كلها : صاحب البحترى ، وليس بذاك » !

وأدنى تأمل يدل على أن تغييره لما اتفقت عليه النسخ هو الذى ليس بذاك ، فإن كلام صاحب البحترى لم ينته بعد ، وإنما قال الآمدى : قال صاحب البحترى لأنه ذكر رواية أخرى لم يروها صاحب البحترى وهى التى بدأها بقوله : وقد أخبرنى أنا ، ولما فرغ منها رجع إلى سرد بقية الكلام الأول وأشار إلى ذلك بقوله : قال صاحب البحترى

(٦) ط « إلا أنه . . . . لا ينكر »

وليس[١] ذلك بمانع من أن يكون البحتريُّ أشعَرَ منه ؛ فهذا[٢] كُثَيِّر قد أخذ عن جميل ، وتَلْمذ له ، واسْتَقَى من معانيه ، فما رأينا أحدًا[٣] أطلق على كُثَير أن جميلاً أشعر منه ، بل هو — عند أهل العلم بالشعر والرواية — أشعر من جميل .

وهذا ابنُ سلَّام الْجُمحِيُّ ذكره فى كتابِ « الطبقات » فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام[٤] وجعله مع الْبعِيث والْقُطَامى ، وذكر[٥] أنه عند أهل الحجاز خاصةً أشعرُ من جرير والفرزدق والأَخطل ، وجعل جَميلاً فى الطبقة السادسة مع عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّاتِ والأَحْوص ونُصَيْب[٦] ، إلا أنه قال : إن جميلا يتَقَدَّمه فى النسيب[٧] .

وهذا غير مقبول منه ؛ لأنه إنما يحكيه عن نفسه ، وأهلُ الحجاز إنما قدموا كُثَيرًا من أجل نَسيبه ، وحُسْن تَصرفه فيه . و [قد] حكى عن جرير فى بعض الروايات أنه قال : كُثَير أنْسبُنا .

---

(١) الكلام فى جميع النسخ متصل من قول صاحب البحترى ، ولكن الشيخ محيى الدين حذف واو « وليس » وزاد قبلها قال صاحب البحترى ، وصدرها برقم ٤ ليصح له تغييره السابق للنص فهو وهم على وهم !

(٢) فى ك . « هذا »

(٣) فى ط ، م : « أن أحدا »

(٤) راجع طبقات الشعراء ٤٥٢

(٥) م ، ك « وحكى »

(٦) طبقات الشعراء ٥٣٩

(٧) نص عبارة ابن سلام فى الطبقات ٤٦١ « وكان لكثير فى التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً فى النسيب ، وله فى فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثير يتقول ولم يكن عاشقاً »

ويدلّ على تقدمه فى النسيب قولُ أبى تمام فى قصيدة يمدح بها أبا سعيد الكاتبى[١] أولها :

* مِنْ سَجَايَا الطُّلول أنْ لاَ تُجِيبا[٢] *

لوْ يُفَاجِي ذِكْرُ الْمدِيحِ كَثِيرًا ... بمعانيه خَالَهُنَّ نَسيبا[٣]

طَاب فِيهِ الْمدِيحُ والْتَذَّ حتَّى ... فَاقَ وصْفَ الدِّيَارِ والتَّشْبِيبا[٤]

أراد أن كُثَيرا لو فاجأه هذا المديحُ – على حُسْن نسيبه – لخاله نسيباً [من حسنه]

وخصَّ كُثَيرًا [بهذا] لشهرته [بحسن] النسيب وبراعته [فيه] ، فاحتمل ضرورة الشعر ، وردَّ كُثَيِّرًا إلى التكبير فقال : كَثِيرًا ؛ ولم يقل جَميلاً ولا جريرًا ولا غيرهما ، مما لا ضرورة فى اسمه .

وعلى أن «كُثَيِّرًا» [قد][٥] ذكر اسمه [فى شعره] مكبرًا : إما[٦] ضرورة ، وإما اعتمادًا لتفخيم اسمه وأن لا يأتى به مُحقَّرًا ، فقال :

وقَال لِي الْوَاشُونَ : ويْحَكَ ! إنّهَا ... بغَيْرِكَ حقًّا يا كَثِيرُ تَهِيمُ

وقد ذكر أبو تمام كُثَيِّرًا فى مواضع أخَر ، فجاء به مكبرًا فى قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصفه بالبلاغة ، وذلك قوله[٧] :

---

(١) م ، ك «الصامتى» وأبوسعيد هو محمد بن يوسف الثغرى راجع ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ١٦٤/١ وأخبار أبى تمام ٢٢٧ وهبة الأيام ٢٨٨

(٢) عجزه كما فى ديوانه بشرح التبريزى ١٦٤/١ «فصواب من مقلة أن تصوبا» قال التبريزى: «تصوب : من صاب السحاب إذا جاء بالمطر»

(٣) فى ديوانه «ذكر» كما فى م وفى ط والتبريزى «ركن» والهاء فى معانيه راجعة على الممدوح . والبيت فى الديوان مؤخر عن تاليه

(٤) قال التبريزى : «لأن أطيب الشعر ما كان تشبيباً ، وقد صار مدحه ألذ وأطيب» .

(٥) الزيادة من ك

(٦) فى ك : «فإما»

(٧) ط «وهو»

فَكأَنَّ قُسًّا فِى عُكاظٍ يَخطُبُ[١]   وكَثِيرَ عزَّةَ يَوْمَ بَيْنٍ يَنْسِبُ[٢]

وذلك لعلم أبى تمام بتقدُّم كُثَيِّر فى النسيب على غيره ، وشهرته بالتجويد فيه ، على[٣] أن جميلاً لا شعر له مما يُعتدُّ به إلا فى النسيب والْغزَل .

فقد علمتم الآن أن هذه خلَّة[٤] لا توجب لكم تفضيل أبى تمام على البحترى من أجل أنه أخذ شيئاً من معانيه .

وأما قول البحترى : « جيِّدُه خير من جَيِدِى ورديئى خير من رديئه »[٥] فهذا الخبر – إن كان صحيحاً – فهو للبحترى ، لا عليه ؛ لأن قوله هذا يدلُّ على أن شعر أبى تمام شديد الاختلاف ، وشعره شديدُ الاستواء ، والمستوى الشعر أولىٰ بالتقدمة من المختلف الشعر ، وقد أجمعنا[٦] – نحن وأنتم – على أن أبا تمام يعلو علوًّا حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً ، وأن البحترىّ يعلو ويتوسط[٧] ، ولا يسقط ، ومن لا يسقط ولا يُسَفْسِفُ أَفْضلُ ممن يسقط ويسفسف .

* * *

والذى أرويه[٨] عن أبى على : محمد بن العلاء السجستانى – وكان

---

(١) هذا صدر بيت عجزه : « وكأن ليلى الأخيلية تندب »

(٢) وهذا صدر البيت الذى يليه وعجزه : « وابن المقفع فى اليتيمة يسهب » راجع ديوانه بشرح التبريزى ١٤٢/١ و ص ٤٠ بيروت

(٣) فى ك : « هذا على »

(٤) ط « حالة »

(٥) قال ذلك للحسين بن على الياقطانى وقد سأله : أيما أشعر أنت أو أبو تمام ، كما رواه الصولى فى أخبار أبى تمام ٦٧ وقد عقب عليه بقوله : « وقد صدق البحترى فى هذا ، جيد أبى تمام لا يتعلق به أحد فى زمانه ، وربما اختل لفظه قليلا لا معناه ، والبحترى لا يختل » وانظر الأغانى ١٦٨/١٨ .

(٦) ط « اجتمعنا »

(٧) ط « يتوسط »

(٨) ط « نروية » ، ك : « أرويه أنا » .

صديق البحترى ــ أنه قال ، سُئل البحترىُّ عن نفسه وعن أبى تمام ، فقال : كان[١] أغوص على المعانى [منى] ، وأنا أقومُ بعَمُود الشعر [منه] . وهذا الخبر هو الذى يعرفه الشاميون ، دون غيره .

وسمعت أبا علىٍّ : محمدَ بن العلاء أيضاً يقول : كان البحترىُّ عند نفسه أشعر من أبى تمام و [من] [٢] سائر الشعراء المحدَثِين [أو أكثر الشعراء المحدثين] .

وقد ذكر أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجرّاح فى كتابه الذى ذكر فيه أخبارَ الشعراء نحوًا من ذلك[٣].

قال أبو على : محمد بن العلاء : كان البحترى إذا شرِب وأنس أنشد شعره[٤] وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟ قال : وكان ــ مع هذا ــ [من] أحسن الناس أدب نفس ، لا يُذكر [له] شاعر محسن أو غيرُ محسن إلا قرَّظَه ، ومدحه ، وذكر أحسن ما فيه .

قال أبو على : ولِمَ لا يفعل ذلك ؟ وقد أسقط فى أيامه أكثر من خمسمائة شاعر ، وذهب بخبزهم[٥] ، وانفرد بأخذِ جوائز الخلفاء والملوك[٦] دونهم . فلو لم يفعل ذلك إلا استِكْفَافاً [لهم] [٧] وحذَرا من بيت واحد يندر فيبقى على الزمان ــ لكان من الحظ له أن يفعله .

---

(١) ط « هو »
(٢) الزيادة من ك
(٣) وهو غير كتاب « الورقة » ، على ما نعتقد
(٤) فى ك : « شعر نفسه »
(٥) ط « بخيرهم »
(٦) ليست فى ك .
(٧) الزيادة من ك

[قال] : وكذلك كان أبو على : دِعْبِلُ بن على الخزاعى يهجو الملوك والخلفاء ولا [يكاد] يعرض لشاعر[١] إلا ضرورة ، وقد حذَّر فى أول كتابه الذى ألفه فى الشعراء من التعرض للشاعر ، ولو كان من أدْوَن الناس طبقة[٢] فى الشعر ، وقال : رُبَّ بيت جرى على لسان مُفْحَم قيل فيه : «رُبَّ رميةٍ من غير رامٍ»[٣] فسارت به الركبان ، ولذلك يقول فى بعض شعره :

لاَ تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لِامْرِئٍ طَبِن ... ماراضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِى الشَّفَةِ[٤]

فَرُبَّ قَافِيةٍ بالْمزْحِ جارِيَةٍ ... مشْئُومةٍ لَمْ يُرَدْ إِنْماؤُها نَمتِ

* * *

ثم نرجع إلى قول الخصمين :

* * *

٣ ــ قال صاحب أبى تمام : فأبو تمام انفرد بمذهب اخترعه ، وصار فيه أولا وإماماً متبوعاً ، وشُهِر به حتى قيل : مذهب أبى تمام[٥] ، وطريقة أبى تمام ، وسَلك الناسُ نَهْجَه ، واقْتَفَوْا أَثَرَهُ . وهذه فضيلة عَرِىَ عن[٦] مثلها البحترى .

* * *

٤ ــ قال صاحب البحترى : ليس الأمر فى اختراعه لهذا المذهب على ما

---

(١) ط «لشاعرهم»

(٢) ط «الشاعر . . . صنعة»

(٣) مثل يضرب للمخطئ يصيب أحياناً ، راجع جمهرة الأمثال ١١٠ ومجمع الأمثال ١/٣١٠

(٤) الموشح ٣٨٠ والعمدة ١/٦١ وذيل أمالى القالى ١١٢ والكامل ١/٣٥٤ وأمالى المرتضى ٢/٢٧٠ وديوان دعبل ١٣٧

(٥) فى ط ، م : «هذا مذهب أبى تمام»

(٦) فى ك : «من»

وصفتم[١] ولا هو بأول فيه ، ولا سابق إليه ، بل سلك فى ذلك سبيل مُسْلم ، [بن الوليد] [٢] ، واحتذى حذْوه ، وأفرط وأسرف وزال عن النَّهْج المعروف ، والسَّنن المألوف ، وعلى أن مسلماً أيضاً غيرُ مبتدِع لهذا المذهب ، ولا هو أولُ فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسمُ البديع – وهى : الاستعارة ، والطِّباق ، والتجنيس – منشورة[٣] متفرقة فى أشعار المتقدمين ، فقصدها ، وأكثر فى شعره منها ، وهى فى كتاب الله عز وجل [أيضاً] موجودة ، قال الله تعالى : ﴿وَٱشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾[٤] وقال تبارك وتعالى : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾[٥] وقال : ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[٦] فهذا من الاستعارة التى هى [مجاز] فى القرآن .

* * *

وقال امروْ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطى بِجوْزِهِ … وأَرْدف أَعْجازًا ونَاءَ بِكَلْكَل[٧]

فجعل الليل يتمطَّى ، وجعل له أردافاً[٨] وكلْكَلاً .

وقال زهير :

صَحا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمى وأَقْصَرَ باطِلُهْ … وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ[٩]

(١) ط « لاختراعة . . . ما وصفته »

(٢) من ك

(٣) ط « منشورة »

(٤) سورة مريم : ٣ والبديع ١٩ وإعجاز القرآن ١٠١ والصناعتين ٢٧٢ .

(٥) سورة يس : ٣٧ والبديع ١٩ وإعجاز القرآن ٤٠٤ والصناعتين ٢٧٣ .

(٦) سورة الإسراء : ٢٤ والبديع وإعجاز القرآن ١٠١ .

(٧) البديع ٢٥ والصناعتين ٢٨٣ ونقد الشعر ٦٧ والعمدة ١ / ٢٤٥ والموشح ٣١ ودلائل الإعجاز ٦٢ وطبقات الشعراء ٧١ وديوانه ١٠٠ وسر الفصاحة ١١٣ وإعجاز القرآن ١١٢ وقراضة الذهب ١٥ . وفى ك : « تمطى بصلبه »

(٨) فى ك : « أردافا »

(٩) البديع ٢٦ وديوانه ٢٤ وسر الفصاحة ١١٥ وإعجاز القرآن ١١٣ والوساطة ٣٣ ، ٢٠٦ والصناعتين ٢٨٢ وقراضة الذهب ١٦ ومعاهد التنصيص ٢ / ١٧١ وأسرار البلاغة ٢٦ ، ٤٥ والمصباح ٦٣

فجعل للصبا[١] أفراساً ورَواحل .

[وقال طفيل الغنوى :

وجعلت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل[٢]

فجعل الرحل يقتات السنام] .

وقال لَبيدٌ الجعفرى[٣] :

وغَداةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وقِرَّةٍ إذْ أَصْبحتْ بِيدِ الشَّمالِ زِمَامُهَا[٤]

فجعل للشَّمال يدًا ، وللغداة زماماً .

فهذه كلها استعارات .

* * *

وقال عز وجل فى الجناس[٥] : ﴿وأَسْلَمْتُ مع سُلَيْمَانَ للهِ ربِّ الْعالَمِين﴾[٦]

[وقال] : ﴿فأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِم﴾[٧] .

وقال النبي عليه السلام : «عُصيَّةُ عَصَتِ الله ورسُولَهُ ، وغِفَارٌ غَفَرَ الله لها ، وأَسْلَمُ سَالمها الله»[٨] .

وقال القُطَامِىُّ :

فلمَّا ردَّها فى الشَّولِ شَالَتْ بِذَيَّالٍ يكُونُ لَها لفاعَا[٩]

---

(١) ط «الهوى»

(٢) البديع ٣٠ وديوانه ص ٦٢ ونقد الشعر ٦٧ والصناعتين ٢٨٣ وسر الفصاحة ١١٣ واللسان ٢/٣٧٩ والعمدة ١/٢٤٤ وأسرار البلاغة ٤٣

(٣) فى ط «الجنى» وهو تحريف

(٤) البديع ٣٣ وشرح القصائد العشر ١٥٨ والعمدة ١/٢٣٩ والوساطة ٣٣ والصناعتين ٢٨٥ وأسرار البلاغة ٤٣ . وفى ط «الغداة يدا وللشمال زماماً» وهو خطأ واضح .

(٥) ط ، ك «التجنيس»

(٦) سورة النمل: ٤٤ والبديع ٥٥ وإعجاز القرآن ١٢٧ والصناعتين ٣٢٢

(٧) سورة الروم : ٤٣ والبديع ٥٦ والصناعتين ٣٢٢ وإعجاز القرآن ١٢٧

(٨) البديع ٥٦ والصناعتين ٣٢٣ وعجاز القرآن ١٢٧ وإمتاع الأسماع ١/١٧٢ — ١٧٣

(٩) البديع ٥٦ وديوانه ٤٣ والصناعتين ٣٢٨ وإعجاز القرآن ١٣٠ . والشول : طروقة الفحل. ردها : لأنه ظن أنها لم تحمل فشالت بذنبها لأنها لاقح . وذيال : ذنب طويل ولفاع : ثوب تلتفع به

وقال أيضاً :

كنيّةِ الحيّ مِنْ ذِى القَيْظَةِ احْتَملُوا مُسْتَحْقِبِينَ فؤادًا مالَه فادِ[١]

وقال جرير :

وما زَال معقُولاً عقَالٌ عنِ النّدى ومازَال مَحْبُوساً عَنِ الخيرِ حابِسُ[٢]

وقال ذو الرمة :

كأنَّ البُرَى والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ على عُشَرٍ نَهَّى بهِ السَّيْل أبْطَحُ[٣]

وقال امرؤ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّماحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِه لِيُلْبِسَنى مِنْ دَائِهِ ما تَلَبَّسا[٤]

وقال الفرزدق :

خُفَافٌ أخفَّ اللهُ عنْهُ سَحَابَهُ وأَوْسَعهُ مِنْ كلِّ سافٍ وحَاصِبِ[٥]

ذكر ذلك كله أبو العباس : عبدُ الله بن المعتز فى « كتاب البديع » .

وقال : ومن الطباق قولُ الله تعالى :﴿ ولَكُمْ فى القِصَاصِ حياةٌ ﴾[٦] .

---

(١) ديوانه ٨ وسر الفصاحة ١٨٤ والشعر والشعراء ٢/٧٠٣ وفى ط « القيظ فاحتملوا » وفى ديوانه ٨ « من ذى الغضبة . . . أسيراً ماله » احتملوا من مرعى تعذر عليهم حتى نزلوا فى مكان غيره ، كنية الحى ، يقول : ما للكواعب ودعتنى كما ودعنى حتى كنت كلفاً بهم فظعنوا واستحقبوا فؤادى وهو الأسير الذى لا يفديه أحد . أراد : ماله من يفديه . ويروى من ذى الغيضة ، وهو مكان »

(٢) ديوانه ٣٢٦ « عن العلى » البديع ٥٦ « عن المجد حابس » سر الفصاحة ١٨٤ وأخبار أبى تمام ٢٦٤ والصناعتين ٣٢٨ وفى زهر الآداب ٢/٣٦٩ عقال بن محمد ، جد الفرزدق وحابس بن عقال ، أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفة قلوبهم .

(٣) البديع ٥٧ نقد الشعر ٦١ العمدة ١/٢٩٣ والصناعتين ٣٢٧ والكامل ٢/٦٩٢ وفى ديوانه ٨١ « البرى : الخلاخيل . والعاج : أسورة تتخذها نساء الأعراب من العاج ، وواحد البرى : برة ، وكل حلقة تسميها العرب برة . عيجت : لويت على العشر . والعشر : شجر ناعم لين ، شبه سوقها وسواعدها به فى استوائه ولينه . نهى به السيل أبطح ، يقول : ينهى الأبطح السيل بالعشر إلى مكان ينبت فيه . والأبطح : بطن الوادى

(٤) البديع ٥٩ والصناعتين ٣٢٥ والكامل ٢/٧٤٠

(٥) البديع ٥٩ ونقد الشعر ٦١ والصناعتين ٣٢٥ ديوانه ١/٢٩ « جفاف أجف »

(٦) سورة البقرة : ١٧٩ والبديع ٧٤ والصناعتين ١٧٥ وإعجاز القرآن ١٢٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم [للأنصار] [١] «إنَّكُم لتكثُرُونَ عِند الْفَزَعِ ، وتَقِلُّونَ عِند الطَّمعِ » [٢].

وقال زهير :

لَيْثٌ بِعَثَّر يَصْطَادُ الرِّجال إذا ما اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرانه صَدَقَا [٣]

فطابق بين الصدق والكذب .

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِىُّ :

بِسَاهِم الْوجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَباجِلُهُ يُصَانُ وهْو لِيوْمِ الرَّوْعِ مبْذُولُ [٤]

فطابق بين قوله « يصان » وبين قوله « مبذول » .

فتتبع مسلمُ بن الوليد هذه الأنواع واعتمدها [٥] ، ووشَّح شعره بها ، ووضعها فى مواضعها [٦] ، ثم لم يَسْلم مع ذلك من الطعن ، حتى قيل : إنه أول من أفسد الشعر ، روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، قال : حدثنى محمد بن قاسم بن مهرويه ، قال : سمعت أبى يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه ، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلك

---

(١) من ك

(٢) البديع ٧٤ البيان والتبيين ٢/١٦ والصناعتين ٣٠٩ و إعجاز القرآن ١٢٣

(٣) ديوانه ٥٤ والبديع ٧٨ ونقد الشعر ٢٣ والعمدة ٢/٦ كذب : لم يصدق فى الحملة ، والقرن : الكفء فى القتال ، وعثّر : جبل بتبالة أو من ديار مذحج أو واد بالعقيق ؛ كما فى معجم البكرى : ٩٢١/٣ .

(٤) البديع ٧٩ والصناعتين ٣١٢ والعمدة ٢ / ٦ وديوانه ٣٣ . بساهم الوجه : أى قليل لحم الوجه لطول غزوه ولعتقه . والأبجل : عرق فى الرجل ، لم تقطع أباجله : لم يفصده البيطار لداء أصابه .

(٥) ط « واعتدها »

(٦) فى ط ، م : « موضعها »

طريقاً وعرًا ، واستكره الألفاظ والمعانى ، ففسد شعره ، وذهبت طَلاوته ، ونشف ماؤه .

وقد حكى عبد الله بن المعتز فى هذا الكتاب الذى لقبه [بكتاب] البديع[١] أن بشارًا وأبا نُواس ومُسلم بن الوليد ومنْ تَقَيَّلهم لم يسْبِقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم . ثم إن الطائى تفرّع فيه ، وأكثر منه ، فأحسن فى بعض ذلك ، وأساء فى بعض ، وتلك عُقْبَى الإفراط ، وثمرة الإسراف .

قال : وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدةِ ، وربما قرئ من شعر أحدهم قصائدُ من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع، وكان يُسْتَحسن ذلك منهم إذا أتى نادرًا ، ويزداد حُظْوة بين الكلام المرسل . وقد كان بعضهم يشبه الطائى فى البديع بصالح بن عبد القدوس فى الأمثال . ويقول : لو أن صالحاً[٢] نشر أمثاله فى تضاعيف شعره وجعل بينها فصولاً من أبياته ، لسبق أهل زمانه وغلب على ميدانه . قال ابن المعتز : وهذا أعدل كلام سمعته .

* * *

قال صاحب البحترى : فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تمام لهذا المذهب وسبقه إليه ، وصار استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه ، وحصل للبحترى أنه مافارق عمود الشعر وطريقته المعهودة، مع مانجده كثيرًا فى شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفرد بحسن العبارة ،

---

(١) راجع ص ١٥ – ١٦

(٢) ط « كان صالح »

وحلاوة الألفاظ[١] ، وصحة المعانى . حتى[٢] وقع الإجماع على استحسان شعره واستجادته ، وروى شعره واستحسنه سائرُ الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ؛ فمن نَفَق على الناس جميعاً أَوْلى بالفضل[٣] ، وأحقُّ بالتقدمة .

* * *

٥ ـ قال صاحب أبي تمام : إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه ؛ لدقة معانيه ، وقصور علمه عنه ، وفهمته العلماء وأهل النَّفَاذ[٤] فى علم الشعر ، وإذا عَرَفَتْ هذه الطبقةُ فضله لم يضرّه[٥] طعنُ من طعن بعدها عليه .

٦ ـ قال صاحب البحترى : فابنُ الأعرابيّ وأحمد بن يحيى الشيبانى ـ وقبلهما دِعْبِل بن عليٍّ الخُزاعى ـ قد كانوا علماءَ بالشعر وبكلام العرب ، وقد عرفتم مذاهبهم فى أبى تمام وإرذالهم لشعره[٦] وطعْن دعبل عليه ، وقوله[٧] : إن ثلث شعره محال ، وثلثه مسروق ، وثلثه صالح . رواه[٨] أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء ، عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل .

[وحكى أيضاً] عن دعبل أنه قال : ما جعله الله من الشعراء ، بل شعره بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالشعر . ولم يُدْخله فى كتابه المؤلَّف فى الشعراء .

---

(١) فى ك : « اللفظ»

(٢) ط « وحيث »

(٣) فى ط ، م : « بالفضيلة »

(٤) ط « فهمه عنه وفهمه العلماء والنقاد »

(٥) فى ك : « لم يضرره »

(٦) ط « وازدراءهم بشعره »

(٧) ط « وقولهم »

(٨) ط « وروى »

وقال ابن الأعرابى فى شعر أبى تمام : إن كان هذا شعرًا فكلام العرب باطل ، روى[١] ذلك أبو عبد الله : محمد بن داود ، عن البحترى ، عن ابن الأعرابى .

وحكى محمد بن دواد أيضاً عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة ابن محمد ــ وكان عالماً بالشعر ــ أنه قال : أبو تمام يريد البديع فيخرُج إلى المحال .

وروى [أيضاً] عنه أنه قال : دخل إسحاق بن إبراهيم الْمَوْصِلى علَى الحسن بن وهب وأبو تمام يُنْشِده ، فقال له إسحاق : يا هذا لقد شَدّدْتَ على نفسك . وذكر أيضاً ذلك أبو العباس : عبدُ الله بن المعتز بالله فى كتاب البديع[٢] .

وغير هؤلاء العلماء ممن أسقط[٣] شعره كثيرٌ : منهم أبو سعيد الضرير ، وأبو العَمَيْثل الأعرابى صاحبا[٤] عبد الله بن طاهر [والقيمان بأمر خزانة الحكمة] بخراسان ، وكانا من أعلم الناس بالشعر ، وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امتَحناه وعرض عليهما[٥] شعره ورضياه ، فقصدهما أبو تمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر وأولها :

هُنَّ عوادِى يُوسُفٍ وصَوَاحِبُهْ ... فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ الثَّأر طالِبُه[٦]

---

(١) م « وروى كذلك »
(٢) ص ١٠٣ وانظر الوساطة ٧٠ والصناعتين ٤٦
(٣) ط « أفسدوا »
(٤) ط « صاحب »
(٥) ط « وأنشدهما »
(٦) ط ، ك « النجح » وديوانه بشرح التبريزى ١/٢٢٣ « أدرك السؤل » وهما روايتان . وانظر أخبار أبى تمام ١١٥ وهامشها .

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه ، وأسقطا القصيدة ، حتى عاتبهما أبو تمام ، وسألهما [استمام] النظر فيها . فلولا أنهما مرا[1] ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة علَى عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة – لكان[2] قد افتضح وخابت سَفْرته ، وخسرت صفْقته . والبيتان :

وركْبٍ كَأَطْرافِ الأَسِنَّةِ عرَّسُوا عَلَى مِثْلِهـا واللَّيْلُ تَسطُو غَياهِبُهْ

لِأَمْرٍ علَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْس علَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عواقِبُهْ[3]

أخذ معنى البيت الأول من قول الْبَعيث :

أطافَتْ بِشُعْثٍ كالأَسِنَّةِ هُجَّدٍ بِخاشِعةِ الْأَصْوَاء غُبْرٍ صُحُونُها[4]

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر :

غُلَامُ وغًى تَقحَّمَها فأَبْلَى فَخَانَ بلاَءَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ[5]

فَكَانَ على الفَتَى الْإِقْدامُ فِيها ولَيْس علَيْهِ ما جنَتِ الْمنُونُ[6]

ولما أوصلا إليه الجائزة قالا له : لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال لهما : لم لا تفهمان ما يقال ؟ فكان بهذا مما استحسن من جوابه .

وهذا أبو العباس : محمدُ بن يزيد المبردُ [كان معرضاً عنه] ، وما

---

(١) ط « ظفرا »

(٢) م ، ك « كان » .

(٣) ذكر أبو هلال فى ديوان المعانى ١/ ١٤٠ وقال : ليس فى المضاء والعزيمة أجود منهما » .

(٤) م ، ك « أطاف » ،م : « الأصوات » أى ساكنة الأصوات ومنه قوله تعالى: «وخشعت الأصوات للرحمن» ، أى سكنت والأصواء والصوى : أعلام من حجارة منصوبة فى القياف المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها . ومعنى غبر صحونها : لا يهتدى للسير فى أوساطها . وفى ك فوق صحونها : « متونها »

وانظر أخبار أبى تمام ١١٧ .

(٥) اللسان ١٧/ ٣٠٤ وديوان المعانى ١/ ١٤٠ وأخبار أبى تمام ٥٣ ، ١١٨ وفى م ، ك « بلاءه الزمن » والصناعتين ٢٠٦

(٦) فى اللسان « قال ابن برى : المنون : يريد بها الدهور بدليل قوله فى البيت قبله : فخان بلاءه الدهر الخئون » .

علمناه دَوَّن(١) له كبير شيء؛ وهذه كتبه وأماليه وإنشاداته تَدُلُّ على ذلك ، وكان يفضل البحترى ، ويستجيد شعره ، ويكثر إنشاده ، ولا يُمليه ؛ لأن البحترى كان باقياً فى زمانه .

وأخبرنا أبو الحسن الأخفش رحمه الله قال : سمعت أبا العباس : محمد بن يزيدَ المبرد يقول :ما رأيت أشعر من هذا الرجل — يعنى البحترى— ولولا أنه ينشدنى كما ينشدكم(٢) لملأتُ كتبى وأمالىّ من شعره .

قال صاحب البحترى(٣) : فقد بطل احتجاجكم بالعلماء ، وتفضيلهم لشعره(٤) .

* * *

٧– [قال صاحب أبى تمام : أما احتجاجكم بدعبل فغير مقبول ولا معوّل(٥)] عليه ؛ لأن دِعْبِلاً كان يشْنأ أبا تمام ويحسُده ، وذلك مشهور معلوم منه ؛ فلا يقبل قول شاعر فى شاعر .

وأما ابن الأعرابى فكان شديد التعصُّب عليه ؛ لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يَرِد عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه ، فكان إذا سُئل عن شىء منها يأنف أن يقول : لا أدرى ؛ فيعدل إلى الطعن عليه .

والدليل على ذلك أنه أُنْشِد يوماً أبياتاً من شعره وهو لا يعرف(٦) قائلها ، فاستحسنها وأمر بكَتْبها ، فلما عرف أنه قائلها قال : خَرِّقوا .

---

(١) م ، ك « روى »

(٢) ط « لما أنشدكم »

(٣) ط « صاحب أبى تمام » وهو خطأ بين !

(٤) ط « وتفضيلكم شعره عليه ، لأن دعبلا »

(٥) فى ك : « معمول »

(٦) ط « لا يعلم »

والأبيات من أرجوزته التى أولها :

وعاذِلٍ عَذَلْتُـــهُ فِى عذْلِهِ فَظَنَّ أَنِّى جاهِلٌ مِنْ جهْلِهِ[١]

و [إذا] كان ابنُ الأعرابى – مع علمه وتقدُّمه – قد حمل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر ، فما تُنكرون أن تكون حالُ سائر من ذكرتموه أيضاً كحاله[٢] ؟

* * *

٨ – قال صاحب البحترى : لا يلزم ابن الأعرابى من الظلم والتعصب ما ادَّعيتم ، ولا يلحقه نقصٌ فى قصور فهمه عن معانى [شعر] شاعر عَدَل فى شعره عن مذاهب العرب [المألوفة] إلى الاستعارات البعيدة المُخرِجة للكلام إلى الخطإ أو الإحالة ، بل العيبُ والنقص فى ذلك يلحقان أبا تمام ؛ إذ عدل عن المحجَّة إلى طريقة يجهلها ابنُ الأعرابى وأمثاله .

وأما ما استحسنه ابن الأعرابى من شعر أبى تمام [على أنه لأعرابى] وأمر بكَتْبه[٣] ، ثم بتخريقه لمّا علم أنه قائله – فذلك غير مُنكَر ، ولا مُدْخِل[٤] ابن الأعرابى فى التعصُّب ولا الظلم ؛ لأن الذى يورده الأعرابى – وهو محتذٍ على غير مثال – أحلى فى النفوس ، وأشهى إلى الأسماع ، وأحق بالرواية[٥] والاستجادة مما يورده المتحذى على الأمثلة وعُذرُ ابن الأعرابى فى هذا واضح[٦] ، وقد سبقه الأصمعى وذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى أنشد الأصمعى :

---

(١) ديوانه ٥٠٤ وأخبار أبى تمام ١٧٥ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢/٤ والجليس والأنيس (مخطوط) ومروج الذهب ٧٣/٤

(٢) ط « أيضاً أن تكون . . . مثل حاله »

(٣) م « بكتبته »

(٤) ط « ولا يدخل »

(٥) ط « بالزيادة »

(٦) ط « فى هذا إذا قد صح »

هلْ إلَى نَظْرَةٍ إلَيْكِ سبيلُ   فيُرَوَّى الصَّدَى و يُشفَى الغَليلُ
إنَّ ما قَلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِي   وكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَليلُ

فقال له [الأصمعى] : لمن تنشدنى ؟ فقال : لبعض الأعراب ، قال : والله هذا هو الدِّيباجُ الخسروانى ، قال : فإنهما لليلتهما ، فقال : لا جرم والله إن أثر الصنعة والتكلُّف بيِّنٌ عليهما[1] .

حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن علىُّ بن سليمانَ الأخفشُ النحوىُّ ، قال: حدثنا أبو الحسن المهرانى[2] ، قال : حدثنى أبو خالد : يزيد بن محمد المهلبى ، قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، قال : أنشدت الأصمعى ، إلا أنه ذكر عن إسحاق أنه [لما] قال له : فإنهما لليلتهما ، قال الأصمعى : أفسدتهما [علىَّ][3].

فالأصمعى فى هذا غيرُ ظالم : لأن إسحاق ــ مع علمه بالشعر ، وكثرة روايته ــ لا ينكر له أن يُورِد مثل هذا ؛ لأنه يقوم فى النفس أنه قد احتذاه على مثال ، وأخذه من[4] متقدِّم ، وإنما يُستَطْرف مثله من الأعرابى الذى لا يعوِّل إلا على طبعه وسليقته .

وابن الأعرابى فى أبى تمام أعذَرُ من الأصمعى فى إسحاق ؛ لأن أبا تمام كان مُغْرَماً مشغوفاً بالشعر ، وانفرد به ، وجعله وُكْدَه ، وألَّف فيه كتباً ، واقتصر من كل علم عليه ، فإذا أورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك [منه]

---

(١) راجع تاريخ بغداد ٣٤٢/٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٢٤/٢ وأخبار أبى تمام ١٧٥ – ١٧٦ والوساطة ٤٩ وأمالى القالى ١٩٦/١ وسمط اللآلى ٤١٠/١ ، ٤٧٢ والأغانى ٧٥/٥ – ٧٦ ومعجم الأدباء ٤٠/٦ والصناعتين ٣٩٥

(٢) ط « البهرانى »

(٣) من ك

(٤) فى ط ، م : « عن »

ببدْع[١] ؛ لأنه يأخذ المعانى ويحتذيها ، فليست له[٢] فى النفوس حلاوة ما يورده الأعرابى [القح] .

* * *

٩ ــ قال صاحب أبى تمام : فقد أقررتم لأبى تمام بالعلم بالشعر[٣] والرواية ، ولا محالة أن العلم فى شعره أظهر منه فى شعر البحترى ، والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم .

* * *

١٠ ــ قال صاحب البحترى : قد[٤] كان الخليل بن أحمد عالماً شاعرًا ، وكان الأصمعى عالماً شاعرًا ، وكان الكسائى كذلك ، وكان خَلَفُ بن حيّان الأحمرُ أشْعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقةَ منْ كان فى زمانهم من الشعراء غير العلماء ؛ فقد صار[٥] التجويد فى الشعر ليست علتُه العلم ، ولو كانت علته العلم لكان منْ يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم .

فقد سقط فضل أبى تمام من هذا الوجه على البحترى ، وصار [البحترى] أولى بالفضل[٦] ؛ إذ كان معلوماً شائعاً أن شعر العلماء دون شعر الشعراء .

ومع ذلك فإن أبا تمام تعمد[٧] أن يدُلَّ فى شعره على علمه باللغة وبكلام العرب ؛ فتعمد إدخال[٨] ألفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره ، وذلك نحو قوله :

---

(١) ط « ببدع له »
(٢) « فليس لها »
(٣) ط « والشعر »
(٤) ط « فقد »
(٥) ط « كان »
(٦) ط « أفضل وأولى بالسبق »
(٧) ط « يعمل [على] أن »
(٨) ط « فيعمد لإدخال »

هُـنَّ البجـارى يا بُجيرُ أَهْدَى لَهَا الأَبْؤُسَ الْغُوَيْرُ[١]

قوله :

* قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الْغَلْوَاءِ[٢] *

وقوله :

* أَقَرْمَ بكْر تُبارى أَيُّهَا الْحَفَضُ[٣] *

وهذا فى شعره كثير موجود ، والبحترى لم يقصد هذا ولا اعتمده ، ولا كان له عنده فضيلة ، ولا رأى أنه علم ؛ لأنه نشأ ببادية مَنْبج ، وكان يتعمَّد[٤] حذف الغريب والوحْشِىِّ من شعره ليقربه على فهم من يمدحه[٥] ، إلا أن يأتيه طبْعه باللفظة بعد اللفظة فى موضعها من غير طلب لها ، ويرى أن ذلك أنفق له ، فَنَفَق ، وبلغ المراد والغرض ، ويدلك على ذلك أنه كان يُكنى أبا عُبادة ، ولما دخل العراق تكنَّى بأبى الحسن ؛ ليزيل العنجهية والأعرابية ، ويساوى فى مذاهبه أهل الحاضرة ، ويتقرب[٦] بهذه الكنية إلى أهل النباهة[٧] والكتَّاب من الشيعة .

---

(١) الوساطة ٢٢

والابؤس : جمع بأس ، والغوير غار ، يشير إلى المثل المشهور « عسى الغوير أبؤسا » وهو يضرب للرجل يخبر بالشىء فيتهم فيه . راجع جمهرة الأمثال ١٤٣

(٢) ديوانه بشرح التبريزى ٢٢ — ٢٥ والموشح ٣٠٥ والصناعتين ٤٣٥

وعجزه : « كم تعذلون وأنتم سجرائى » ومعنى قدك : حسبك واتئب : استحى ، مأخوذ من الإبة هى الحياء ، والمراد بالغلواء : الزيادة فى اللوم ، وقد خرج بقوله : كم تعذلون ، من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع . والسجراء الأصدقاء . يقول : كم تعذلوننى وأنتم أصحابى وخلطائى وتعلمون ما بى .

(٣) عجزه فى ديوانه ١٨٠ « ونجمها أيهذا الهالك الحرض » وهو مطلع قصيدة يمدح بها خالد ابن يزيد الشيبانى ويهجو رجلا فاخره فى المجلس . وفى هامش م « خ : تباهى » والقرم : السيد العظيم وتبارى : تفاخر ، والحفض : الضعيف القليل الشأن . والحرض : السافل الذى لا يرجى خيره ولا يخاف شره .

(٤) فى ك : « يتحمل » وهو تصحيف

(٥) « من فهم من يمتدحه »

(٦) ط « ويقرب »

(٧) م « التناية »

وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن ، وأنه لما اتصل بالمتوكِّل وعرف مذهبه [فى التعصب][1] عدل إلى أبى عُبادة . والأول أثبتُ .

وقد حكى أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح [فى كتاب الشعراء] أن « أبا عُبادة » كنية البحترى القديمة .

فشتَّان ماهما[2] مِنْ حضَرِىٍّ تشبَّه بأهل البدو فلم ينفق فى البادية ولا عند أكثر الحاضرة ، وبدوِىٍّ تحضَّر فنفق فى البدو والحضر .

* * *

١١ ــ قال صاحب أبى تمام : فقد عرَّفناكم أن أبا تمام أتى فى شعره بمعانٍ فلسفية ، وألفاظٍ عربية[3] ، فإذا سمع بعضَ شعره الأعرابىُّ لم يفهمه ، وإذا[4] فسِّر له فهمه واستحسنه .

* * *

١٢ ــ قال صاحب البحترى : هذه دعاوٍ منكم على الأعراب فى استحسان شعر صاحبكم إذا فهموه ، ولا يصح ذلك إلا بالامتحان[5] ، ولكنكم معترفون ومُجمعون مع من هو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحساناً وإساءة[6] ، وأن الإحسان للبحترى دون الإساءة ، ومَنْ أحسنَ ولم يسئْ أفضلُ ممن أحسن وأساء .

* * *

(١) يريد تعصبه على آل البيت ، راجع مقاتل الطالبيين ٥٩٧ .

(٢) ط « ما بينهما » وهما سواء ، وإن كان الأصمعى قد أبى شتان ما بينهما ، راجع اللسان ٢/٣٥٣ – ٣٥٤

(٣) ط « غريبة »

(٤) ط « فإذا »

(٥) فى ك : « إلا بامتحان »

(٦) ط « إحسانات وإساءات »

١٣ ـ قال صاحب أبي تمام : ما أجمعنا معكم [على] [١] أن صاحبكم لم يسئ ، بل هو [٢] قد أساء فى قوله :

يُخْفِي الزُّجاجَةَ لَوْنُها فَكَأَنَّها فِي الْكَفِّ قائمةٌ بِغَيْرِ إناء [٣]

وهذا وصف للإناء ، لا للشراب ؛ لأنه لو ملئ [٤] الإناء دِبساً لكان هذا وصفه [٥] .

وقال :

ضَحِكاتٌ فِي إثْرِهِنَّ الْعَطايا وَبُرُوقُ السَّحابِ قَبْلَ رُعُودِهْ [٦]

فأقام البرقَ مقام الضحك ، والرعدَ مقام العطايا ، وإنما كان يجب أن يُقيم الغيثَ مُقام العطايا ، لا الرعد . وله لُحُون فى شعره معروفة منها قوله :

* ونَصَبْتَهُ عَلَماً بِسامُرَّاء * [٧]

وقوله :

* نبرات مَعْبَدَ فى الثَّقِيل الأَوَّلِ * [٨]

---

(١) من ك

(٢) ليست فى ك

(٣) ديوانه ٧٤٥

(٤) ط « ملأ »

(٥) فى م ، ط : « صفته »

(٦) ديوانه ٥٧٦ والموشح ٣٤٢

(٧) صدره كما فى ديوانه ٧٤٦ « أخليت منه البذ وهى قراره » والضمير فى منه يعود على بابك المذكور فى الأبيات السابقة . والبذ : حصن بابك بأذربيجان أو بينها وبين أران ؛ على ما فى معجم البكرى ١/٢٣٥ والقاموس ١/٣٥٠

(٨) صدره كما فى ديوانه ٧٣٢ ، ٣/١٧٤٨ « هزج الصهيل كأن فى نغماته » والهزج : صوت مطرب ، والصهيل : صوت الفرس

وانظر ديوان المعانى ٢/١٦٦ وزهر الآداب ١/٣٠٨ ونهاية الأرب ٥/٥١

وقد ذكر أبو العلاء هذا البيت فى عبث الوليد ٨٧ وعقب عليه بقوله : « الذى يوجبه رأى أهل البصرة كسر الدال فى معبد ، ويجوز الفتح على مذهب أهل الكوفة . . . »

[وقوله :

عَرِّجْ بِذِى سَلمٍ فَثَمَّ المنزِلُ ليقولَ صَبٌّ ما يشاءُ ويفْعلُ] (١)

وقوله :

عَرِّجْ عَلَى حَلَبٍ [فَحَيٌّ مَحلَّةً مَأْنوسَةً فيها لِعَلْوَةَ مَنزِلُ] (٢)

وأشباه لهذا كثيرة ؛ فقد تساويا فى الغلط .

* * *

١٤ ـ قال صاحب البحترى : ما نَعَيْنا على أبى تمام اللحن ـ وهو فى شعره أكثر وأشنع (٣) ـ فتنعوا مثلة على البحترى ؛ لأن اللحن لا يكاد يَعْرَى منه أحد من الشعراء المحدَثين ، ولا سلم منه شاعر من شعراء الإسلاميين (٤) ، وقد جاء فى أشعار المتقدمين ما علمتم من [الإقواء وغير الإقواء] (٥) مما لا يقوم العذرُ فيه إلا بالتأْويلات البعيدة .

وعلى أنه ليس شىء مما عبتم به البحترى [من اللحن] (٦) خارجًا عن مقاييس العربية ولا بعيدًا من الصواب ، بل قد جاء مثلُه كثيرًا (٧) فى أشعار القدماء والأعراب والفصحاء ، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه .

ونحن لو رُمْنَا أن نُخْرج ما فى شعر أبى تمام من اللحون (٨) لكثر ذلك

---

(١) الذى فى ديوانه ٣/١٥٧ ، ٢٤ بيروت :

لولا تعنفنى لقلت المـــنزل معنى تبينـــه ومعنى مشكل
وبوقفة يشفى غليـــل صبـــابة ويقول صب ما أراد ويفعل

ولا وجود للشطر الأول فيهما . وفيه طبع المعارف ٣/١٧٧٥ « مغنى . . . ومغنى »

(٢) لم يرد هذا البيت فى م ، ك وورد فى ط « وقوله : عرج على حلب » وقد أكملت البيت من ديوانه ٢٣ بيروت ومصر ٢/١٥٦

(٣) ط « كثير لو تتبع »

(٤) ط « ولا يسلم . . . من الشعراء »

(٥) ط « من الألفاظ مما »

(٦) من ك

(٧) ط « كثير »

(٨) ط « اللحن »

واتسع ، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأوِّلُ له مخرجاً منه إلا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد[١] ، وذلك نحو قوله :

ثَانِيهِ فى كَبِدِ السَّماء ، ولَم يكُن لِاثْنَيْنِ ثان إذْ هُما فِى الْغارِ[٢]

معنى هذا البيت أنَّ بابَكَ صار فى الصَّلْب جارًا لمازيَّار ، وهو ثانيه فى كبد السماء ، ولم يكن ثانياً لاثنين إذ هما فى الغار : أى هو ثانى اثنين فى الصَّلب الذى[٣] هو رذيلة ، وليس هو ثانياً [لاثنين] فى الغار ؛ لأن تلك فضيلة[٤] ؛ فكان يجب أن يقول فى البيت[٥] : «ولم يكن لاثنين ثانياً» لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها ؛ فليس إلى غير النصب سبيل فى البيت ، وإلا بطل المعنى وفسد ، وفسادُهُ أنك إن[٦] أخليت «يكن» من ضمير بابك وجعلت قوله «ثانى» اسمها كان ذلك خطأً ظاهرًا قبيحاً : لأنك إذا قلت : كان زيد وعمرو اثنين ، ولم يكن لهما ثان ، كنت مخطئاً ؛ لأن الاثنين[٧] أحدهما ثان للآخر ، وكذلك إذا قلت : كانوا ثلاثةً ، ولم يكن لهم ثالث ، كنت مخطئاً ؛ لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم ، وإنما تكون مصيباً إذا قلت : كانا اثنين ، ولم يكن لهما ثالث ، [أو كانوا][٨] ثلاثةً ، ولم يكن لهم رابع .

وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة ألبتة ؛ لأنه كان

---

(١) م ، ك «والتمحل والشدة»

(٢) ديوان أبى تمام ١٥٤ ودلائل الإعجاز ٦٦ ، وقبله :

ولقد شفى الأحشاء من برحائها أن صار بابك جـار مازيار

(٣) م ط «لمازيار الذى»

(٤) ط «لأن هذه»

(٥) م «وكان يجب أن يقول لاثنين»

(٦) ط «إذا»

(٧) ط «اثنين»

(٨) ط «ثالث وثلاثة»

يكون المعنى حينئذ أن بابك ثانى ما زيّار [فى كبد السماء ، ولم يكن للاثنين اللذين كانا فى الغار ثان] ، فأىُّ فائدة فى هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش؟ وأىُّ تعلق لهذا المعنى بما قبله فى البيت ؟

وقال فى آخر قصيدة[١] :

شَامتْ بُرُوقَكَ آمالِى بِمِصْر ، ولَوْ أَضْحتْ على الطُّوسِ لم تَسْتَبْعِدِ الطوسا[٢]

فأدخل فى طوس الألف واللام ، وهى اسم بلدة معرفة[٣].

وقال :

* إحْدى بنِى بكْرِ بْنِ عبْدِ منَاهِ[٤] *

وإنما هى منَاة [بالتاء] فى الإدراج ، كما قال الله عز وجل : ﴿ ومنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾[٥] وإنما تكون هاءً فى الوقف ، لا مع[٦] الحركة والدَّرْجِ .

* * *

وقال فى هذه القصيدة :

* لَوْلَا صِفَاتٌ فِى كِتَابِ الْباهِ[٧] *

وإنما هى الباءة يا هذا[٨] فى تقدير الباعة ، وإن كان قد حكى الباه فى بعض اللغات الرديئة ، والردىء لا يُقْتَدى به[٩].

---

(١) م م « فى قصيدته » وفى ك : « وفى قصيدة »

(٢) فى ديوان أبى تمام ١٧٢ « أضحت بطوس لما قصرت عن طوسا» وفى ك : « أستبعد »

(٣) ط « معرفة »

(٤) عجزه كما فى ديوانه ٣٤١ « بين الكثيب الفرد فالأمواه »

(٥) سورة النجم : ٢٠

(٦) ط « بالهاء . . . لا فى »

(٧) صدره « لم يجتمع أمثالها فى موطن » وفى م « حتى صفات »

(٨) ط « الباءة بالمد فى تقدير »

(٩) ط « لا يعتد به »

وقال :

فكَمْ لِي مِنْ هَوَاءِ فِيكِ صافٍ غَذِيٌّ جوُّهُ وَهَوًى وَبِيّ[١]

فشدد « غذى » وهو مخفف[٢].

وقال فى قصيدة[٣] :

* على الأعادِىَّ مِيكالٌ وجِبْرِيلُ *

فأوقع الإعراب على [الياء من] الأعادى ، وذلك غير جائز لمتأخر .

وقال :

تسعين ألفاً وتسعيناً ومِثْلُهما كَتائِبُ الْخَيْلِ تَحمِيها الأَراجِيلُ[٤]

فنوَّنَ النون من « تسعين »[٥] وهذا لا يُسَوِّغُه محدثٌ . ونحو هذا مما ليست بنا حاجة إلى ذكره ؛ لأنا لم نتتبعه ولا عبناه به ؛ لما وصفناه به[٦] فى باب اللحن وكثرته فى أشعار المتأخرين ، وإنما عبناه بخطائه فى معانيه . وإحالاته وبعد[٧] استعاراته ، وكثرة ما يورده من الساقط والغث البارد ، مع سوء سَبْكه ، ورداءة طبعه ، وسخافة لفظه ، مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم .

* * *

وأما ما عِيبَ البحترى به فى قوله :

يُخْفِى الزُّجاجةَ لَوْنُها فكأنَّها فى الكفِّ قائمةٌ بِغيرِ إناءِ

(١) ديوان أبى تمام ٣٤٣ « فى هواء »
(٢) ط « فلقل : غذى وهو غذ بالتخفيف »
(٣) م « فى قصيدته »
(٤) ط « ستين ألفاً وسبعيناً »
(٥) ط « « سبعين »
(٦) ط « وصفنا فى باب »
(٧) ط « وإحالته فى استعارات »

فما زالت الرواةُ وشيوخُ أهل العلم والأدب يستحسنون[١] هذا البيت ويستجيدونه له ، وذكَرهُ عبد الله بن المعتز- وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر- فى باب ما اختاره من التشبيه فى كتابه الذى نسبه إلى البديع[٢] ، ولكنكم تأولتم فى إنشاده ، ثم أعظمتم[٣] وأكبرتم أن تَنْعَوْا على شاعر مُحْسن [مكثر] بيتاً واحدًا ، فما زلتم تبحثون[٤] وتتحملون حتى وجدتم له ثانياً يحتمل من التأويل ما احتمل[٥] الأول ، وهو قوله :

ضَحِكاتٌ فى إثرِهنَّ الْعطَايا ... وبُروقُ السّحابِ قَبل رُعُودِهْ[٦]

وكلا البيتين إلى الصواب أقرب ، ومن الخطإ أبعد .

وأما قوله :

يُخْفِى الزُّجاجةَ لوْنُها فكأَنَّها ... فى الْكفِّ قائِمةٌ بِغيرِ إناءِ

فإنما قصد إلى وصف هيئة الشراب فى الإناء ، ولم يقصد وصف الشراب خاصة ، ولا الإناء[٧] ، كما ادعيتم ، ولو أراد وصف الإناء لكان مصيباً ؛ لأن الزجاجة أيضاً توصف كما يوصف ما[٨] فيها ، وتقع المبالغة فى نعتها ، وقد جاء فى أوصاف[٩] أوانى الشراب ما جاء ، ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جُريج الرومى يصف قدحاً :

(١) م « يسحسن »

(٢) البديع ٧٣ - أوربا ، ١٢٩ مصر وانظر ما سبق ص ٢٦ - ٢٧

(٣) ط « ولكنكم أبيتم إلا إفساده ، ثم أجلبتم وأكثرتم »

(٤) ط « تتمنون » !

(٥) ط « وجدتم أبياتا تحتمل . . . ما يحتمله »

(٦) ديوان البحترى ٥٧٦

(٧) ط « ولم يقصد إلى وصف . . . ولا إلى الإناء »

(٨) ط « يوصف ما فيها » وفى م : « توصف بما فيها »

(٩) ط « فى وصف »

تنفُذُ العينُ فيه حتى تراها　　أخطأَتْهُ من رقة الْمُسْتَشَفٌّ[١]

كهواء بلا هَبَاء مشُوبٍ　　بضياء ، أرقّ بذاك وأصْفِ

وَسَطَ القَدْر ، لم يُكبَّر لِجرْعٍ　　مُتَوالٍ ، ولم يُصَغَّر لرَشْفِ

لا عجول على العقول جهول　　بل حليمٌ عنهنَّ فى غير ضَعْفِ[٢]

[ما رأى الناظرون قدًّا وشكلا　　فارساً مثله على بطن كفّ] [٣]

فالزجاجة إذا صفَت ورقت وسلمت من الكدر اشتدَّ صفاؤها[٤] وبريقها ، فإذا وقع فيها الشراب الرقيقُ اتصل الشعاعان ، وامتزج الضياءان[٥] ، فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر ، ولو صببنا[٦] دِبْساً أو عسلًا أو لبناً أو ماء كَدِرًا فى إناء هذه صفته[٧] فى الرقة لما خفى الإناء على الناظر ؛ لأن هذه الأشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الإناء وضوئه .

وقد سبقه إلى هذا المعنى علىُّ بن جبلَةَ فقال :

كأنَّ يد النَّدِيم تُدِيرُ مِنْهَا　　شُعاعاً لا تُحِيطُ علَيْهِ كاسُ

وقال الآخر — أنشدناه[٨] أبو الحسن : علىُّ بن سليمان الأخفشُ — :

فإذا ما مُزِجتْ فى كأْسِهَا　　فَهْى والْكأْسُ معاً شَىْءٌ أحدْ[٩]

فأنتم فى هذه المعارضة بالخطإ أجْدرُ ، وبالعيب أحْرى .

---

(١) ديوانه ٣٣ وأمالى القالى ١/٢٨٠ وزهر الآداب ٢/٨٦٧

(٢) ط « من غير »

(٣) هذا البيت من ك

(٤) م ، ك « صقالها »

(٥) ط « الضوءان »

(٦) ط « ولو جعلها »

(٧) م ، ك « هذا وصفه »

(٨) ط « آخر أنشده » م « أنشدناه على »

(٩) ط « وإذا »

وأما[١] قوله :

* وبُرُوقُ السَّحابِ قَبْل رُعُودِهْ *

فإنه أقام الرعد مُقام الغيث ؛ لأنه مقدّمة له ، وعلَم من أعْلاَمه ، ودليل من أقوى دلائله ، ألا ترى أن برْق الْخُلَّب لا رعْد [معه ، فإذا كان البرق ذا رعد فقلَّما يخلف] ؛ وقد قال الأعشى :

والشِّعْرُ يسْتَنزِلُ الْكَرِيم كما اْسْ　　تَنْزَل رعْدُ السَّحابةِ السَّبلاَ[٢]

فجعل الرعدَ هو الذى يستنزل المطر .

وقال الكميت :

وأنْتَ فى الشَّتْوةِ الجمادُ إذَا　　أخْلَف مِنْ أنجُم رواعِدُها

وإذا كان البرق ذا رعْد فقلَّما يُخلف .

ومثل هذا فى كلام العرب ــ عما ينُوب [فيه][٣] الشيء عن الشيء ، إذا كان متصلاً به ، أو سبباً من أسبابه ، أو مجاورًا له ــ كثيرٌ ؛ فمن ذلك قولهم للمطر : سماء ، وقولهم[٤] : ما زلنا نطأ السماءَ حتى أتيناكم[٥] ، قال الشاعر :

إذا سقط السَّماءُ بِأَرْض قَوْمٍ　　رعيْنَاهُ وإنْ كانُوا غِضَابا[٦]

---

(١) ط « فأما »

(٢) ديوانه ١٥٧ والسبل : المطر بين السحاب والأرض

(٣) فى ك : « كثير »

(٤) ط « ومنه »

(٥) الأمالى ١/١٨١

(٦) ط « إذا نزل » البيت لمعود الحكماء من قصيدة له فى المفضليات ٣٥٩ وهو له فى معجم الشعراء ٣٩١ والاقتضاب ٣٢٠ واللسان ١٩/١٢٣ والخزانة ٤/١٧٤ ، وهو غير منسوب فى مشكل القرآن ١٠٢ والأمالى ١/١٨١ ومقاييس اللغة ٣/٩٨ والصناعتين ٢٧٦ ، وصدره كذلك فى الصاحبى ٦٣ ونسبه ابن رشيق لجرير فى العمدة ١/٢٣٧ .

أراد إذا سقط المطرُ رعيناه ، أى[1] رعينا النَّبْتَ الذى يكون عنه ، ولهذا ما سمَّوْا[2] النبت نَدًى ؛ لأنه عن الندى يكون .

وقالوا : ما به طِرْقٌ ، أى ما به قوة ، والطِّرْقُ : الشحم ، فوضعوه موضع القوة ؛ لأن القوة عنه تكون .

وقولُهم للمزَادة : راوية ، وإنما الراوية : البعيرُ الذى يستقى[3] عليه فسميت باسم البعير لأنه يحملها[4] .

ومن ذلك الحفَضُ متاعُ البيتِ ، فسمى البعير الذى يَحمله حفَضاً .

ومن ذلك قول المسيَّبِ بن علَس :

* وتَمُدُّ ثِنْىَ جديلها بِشِراعِ[5] *

أراد بدَقَل ، فقال : بشراع ؛ لأن الشراع عليه يكون .

وهذا باب واسع ، وأشهر[6] من أن يحتاج إلى استقصائه .

* * *

وبعد ، فلو كان هذان البيتان خطأ — كما [زعمتم و] ادعيتم وأخذتم على هذا الشاعر المجمع على إحسانه ، غلطاً فى غيرهما من[7] شعره — لما كان بذلك داخلاً فى جملة المسيئين ، ولا الخاطئين[8] فى الشعر ؛ لجودة

---

(١) ط « يريد إذا . . . يريد رعينا »

(٢) ط « ولهذا سمى »

(٣) فى ط ، م : « يستق عليه الماء »

(٤) فى ط ، م : « فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه » والكلمة الأخيرة سقطت من م .

(٥) صدره ، كما فى ديوانه ٣٥٤ « وكأن غاربها رباوة مخرم » والمفضليات ٦٢ والصناعتين ٧١ والوساطة ١٢ وفى الشعر والشعراء ١ / ١٣٠ « أراد تمد جديلها بعنق طويلة ، والجديل : الزمام . وأراد أن يشبه العنق بالدقل فشبهها بالشراع . قال ابن الأعرابى : لم يعرف الشراع من الدقل . وليس هذا عندى غلطا ، والشراع يكون على الدقل ، فسمى باسمه ، والعرب تسمى الشىء باسم غيره إذا كان معه و بسببه . . . »

(٦) فى ط ، م : « وأيسر »

(٧) ط « المجتمع . . . من غيرهما فى »

(٨) فى ك : « الخطائين »

نظمه ، واستواء نَسْجِه ، ووقوع لفظه فى مواقعه ، ولأن معانيه تصحُّ فى النقد[١] ، وتخلُص على [السبرو] السبك ، وأبو تمام يتبهرجُ شعره عند التفتيش والبحث ، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح .

١٥ – قال صاحب أبى تمام : لئن أسرفتم فى الذمّ ، وبالغتم على صاحبنا فى الطعن ، وتجاوزتم الحدَّ الذى يقف عنده المحتجُّ المناظر ، إلى مذهب المتسقِّط المغالط ، والمتعصِّب المتحامل – فلسنا ندفع[٢] أن يكون صاحبُنا قد أوهم فى بعض[٣] شعره ، وعدل[٤] عن الوجه الأوضح فى كثير من معانيه. وغيرُ منكرٍ لفكرٍ نَتَج من المحاسن [مثل][٥] ما نَتَج ، وولَّد من البدائع [مثل] ما ولَّد – أن يلحقه الكلال فى الأوقات ، والزلل فى الأحيان ، بل من الواجب لمن أحسن إحسانَه أن يسامح فى سهره ، ويُتَجاوز له عن زلله ، فما رأينا أحدًا من شعراء الجاهلية [والإسلام] سلم من الطعن ، ولا مِن أخذ الرواة عليه الغلط والعيب ، هذا الأصمعى قد عاب امرأ القيس بقوله:

وأرْكَبُ فِى الرَّوْعِ خَيْفَانَةً   كَسا وجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ[٦]

وقال : شبه شَعَرَ الناصية بسعف النخلة ، والشَّعَر إذا غطَّى العين لم يكن الفرس كريماً ، وذلك هو الغَمَم ، والذى يُحمد من الناصية الجَثْلةُ ، وهى[٧] التى لم تفرط فى الكثرة فتكونَ الفرسُ غَمّاء ، والغَمَم مكروه ، ولم

(١) ط « بالنقد »

(٢) م « فلسنا » ط « نمنع »

(٣) فى ك : « بعض من شعره »

(٤) ط « قدوهم . . . وعدا »

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٨٠ واللسان ١٠/٤٥١ والوساطة ١٠ والموشح ٣٥ ، ٨٩ وعيار الشعر ٩٩ وصبح الأعشى ٢/١٩٩

والخيفانة : الجرادة ، ويقال : فرس خيفانة على التشبيه لها بالجرادة لخفتها وضمورها .

(٧) سقطت من م

تفرط فى الخِفة فتكونَ الفرس سَفْواء ، والسفاء أيضاً مكروه فى الخيل ، والجيِّدُ ما قال عبيد [بن الأَبرص][1]

مُضَبَّرٌ خَلْقُهــا تَضْـــبِيرًا يَنْشَقُّ عن وجْهِهَا السَّبِيبُ[2]

روَى ذلك عنه أبو حاتم : سهْل بن محمد السِّجِسْتَانى .

وقال أيضاً : سمعت الأَصمعى يقول : أخطأَ امرؤُ القيس فى قوله :

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَــاتَا كما أَكَبَّ على سَاعِدِيهِ النَّمِرْ[3]

لأَن المتن لا يوصف بكثرة اللحم يُستحب منه التَّعريق ، وكذلك الوجه كما قال طُفَيل الغنوى[4] :

* مُعرَّقَةُ الأَلْحِي تَلُوحُ مُتُونُها[5] *

وأُخِذَ عليه[6] قوله فى وصف الفرس :

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ولِلسَّاقِ دِرَّةٌ ولِلزَّجْرِ مِنْهُ وقْعُ أَخْرجَ مُهْذِبِ[7]

---

(١) من ك

(٢) ديوانه ٩ وشرح المعلقات العشر ٣١٠ وجمهرة أشعار العرب ١٠١ والموشح ٣٥ ويقال : فرس مضبر الخلق : أى موثق الخلق مدمج والسبيب : شعر الناصية

(٣) ديوانه ٨١ واللسان ١٧/٢٨٤ والمتْن : الظهر وفيه لغة أخرى وهى المتنة ، ويذكر يؤنث. والخاظى : الكثير اللحم ، انظر مذهب الكسائى والفراء واختلاف العلماء فى أصل قوله : خظاتا فى اللسان ١٨/٢٥٤ — ٢٥٥

(٤) ليست فى م ولا فى ط

(٥) عجزه كما فى ديوانه ١٥ «تثير القطا فى منقل بعد مقرب»

ويروى : «فى منهل» وهى رواية اللسان ٢/١٦٢ حيث ذكره شاهداً على أن المقرب : سير الليل . وفى الديوان : معرقة الألحى : قليلة لحم الوجوه ، وليس على متونها لحم فكأن موضع اللحم يلوح . أراد أنها ملحوبة الظهور ؛ لأن الفرس إذا كثر لحم متنه فهو هجين . والمنقل : الطريق فى الجبل . والمقرب الطريق يختصر لقربه .

(٦) ط «عليه فى قوله»

(٧) م «مذهب» ديوانه ٣٨ وقد «أهوج منعب» وهى رواية اللسان ٢/٢٦٢ وانظر الصناعتين ٧٤ واللسان ٢/٢٤١ ، ٢٨١ والموشح ٢٩ ، ٨٧ وعيار الشعر ٩٦ وصبح الأعشى ٢/٩٩ والمعانى الكبير ١/٨١ .

والهوب : يعنى جريه حين زجره ، وللساق درة : أى إذا غمز در بالجرى. والأخرج : الظليم ، وهو ذكر النعام. ومهذب : أى مسرع فى سيره. يقول : إذا ضرب بالسياط التهب فى جريه ، وإذا مرى بالساق در .

وقالوا[١] : هذه فرس بطيئة ؛ لأنها تُحْوِجُ إلى السوط ، وإلى أن تُركض بالرجل وتزجر .

ويقال : إن أول من عابه بهذا البيت زوجته لمَّا احتكم إليها هو وعَلْقمة الفَحْل ، فغلَّبت علقمة [عليه][٢] ، فطلقها[٣] .

وقد أُخِذَ أيضاً عليه قولُه :

أَغَرَّكِ مِنِّى أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِى   [وأنك مهما تأمرى القلب يفعل][٤]

وقالوا : إذا لم يغُرها[٥] هذا فأَىُّ شىء يغر ؟

* * *

وعِيب زهير بن أَبِى سُلْمَى بقوله[٦] :

يَخْرُجْن مِنْ شَرَبَاتٍ ماؤُهَا طَحِلٌ   عَلَى الْجُذُوعِ يَخَفْنَ الْغَمْرَ والْغَرَقَا

وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء خوف الغَمْر والغرق ، وإنما ذلك[٧] لأنها تَبيض فى الشطوط[٨] .

* * *

وعِيب على كعب ابنِهِ قولُه :

---

(١) ط « وقال »

(٢) من ك

(٣) راجع الأغانى ٢١/١٧٤

(٤) ديوانه ١٢٨ شرح المعلقات العشر ٢٢ والصناعتين ٧٣ والبصائر والذخائر ٢٦ والموشح ٣٦ والعقد ٥/٣٥٧ وما بين القوسين من ك

(٥) ط « وقال إذا لم يغرى »

(٦) فى ك : « وعيب على زهير قوله »

(٧) ديوان زهير ٤٠ والشعر والشعراء ١/١٠١ وصبح الأعشى ٢/١٩٨ والوساطة ١٠ واللسان ١/٤٧٢ ، ١٣/٤٢٤ والعمدة ٢/٢٣٩ والصناعتين ٧٢ والموشح ٤٧ — ٤٨ والعقد ٥/٣٥٨ وفى ط « الغم » وهى كذلك فى المزهر ٢/٥٠٢ . يخرجن : أى الضفادع المذكورة فى البيت السابق والشربات : الأحواض التى تحفر حول جذوع النخيل ، طحل : كدر

(٨) هذا النص منقول من الشعر والشعراء ١/١٠١ .

* ضَخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها *[١]

وقالوا : إنما توصف النجائب بدقة[٢] المذْبح .

* * *

وأخِذ على النابغة قولُه يصف عُنُق المرأة بالطول :

إذَا ٱرْتَعَشَتْ خاف الْجبانُ رِعاثَها ‏ ‏ ‏ ومنْ يتَعلَّقْ حيْثُ عُلِّق يَفْرَقِ[٣]

[فجعل القرط يخاف ويفرق] .

وهذا قريب من قول أبى نُوَاس :

[وأخفت أهل الشرك حتى إنه] ‏ ‏ ‏ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِى لَمْ تُخْلَقِ[٤]

بل أبو نُواس أعذَرُ ؛ لأن قوله[٥] « لتخافك » يريد لتكاد تخافك ، والشعراءُ تُسقط « تكاد » فى الشعر وهى تريدها .

وجاء فى القرآن مثل ذلك ، قال تعالى : ﴿ وإنْ كَانَ مكْرُهمْ لتَزُول مِنهُ الْجِبالُ ﴾[٦] [أى لتكاد تزول !] .

---

(١) عجزه : « فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل » ديوانه ١٠ وشرح بانت سعاد لابن هشام ١٢٢ والعمدة ٢/٢٣٦ والشعر والشعراء ١/١٠٢ وقال الأصمعى فى قوله : ضخم مقلدها : هذا خطأ من الصفة ، لأنه قال : هى غليظة الرقبة ، وخير النجائب ما يدق مذبحه ويعرض منحره ، وفعم مقيدها : ممتلىء رسغها . وبنات الفحل : يعنى بها النوق ، أى لها فضل عليهن فى عظم خلقها وفى م « مقبلها » وهو تحريف

(٢) ط « برقة » وما فى م يوافق ما فى الشعر والشعراء الذى نقل عنه المؤلف هذا التعليق

(٣) الشعر والشعراء ١/١٢٣ وديوانه ٧٦ بيروت
وارتعشت المرأة : تحلت بالرعاث ، وهو القرط ، ويفرق : يخاف

(٤) ديوانه ٦٢ والوساطة ٦٠ ، ٤٤١ ونقد الشعر ١٨ والموشح ٧٨ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩ والعمدة ٢/٥٩ وعيار الشعر ٤٨ والشعر والشعراء ٢/٧٧٦ والعقد ١/٤٥ ، ٥/٣٣٤ وما بين القوسين من ك

(٥) ط « لقوله »

(٦) سورة إبراهيم : ٤٦ وانظر مشكل القرآن ١٣٠ والصناعتين ٣٥٧ وقد قرأ على وابن عباس وابن مسعود : « وإن كاد » كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه ٦٩ .

وقال الشاعر :

يتَقَارضُونَ إذا الْتَقَوْا فِى موْطِنٍ نظَرًا يُزِيلُ مواطئَ الأَقْدامِ[1]

[2]أى : نظرًا يكاد يُزيل[2] ، فأضمر يكاد ، واللام إذا جاءت كانت أدلّ عليها ، قال تعالى : ﴿وبلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحناجِرَ﴾[3] أى : كادت .

* * *

وأُخِذَ على النابغة قوله :

أَلِكْنِى يا عُيَيْنَ إلَيْكَ قَوْلاً ستَحْمِلُهُ الرُّواةُ إلَيكَ عنِّى[4]

وقالوا : قوله ألكنى ، أى كُنْ لى رسولا ، فكيف يكون ألكنى [إليك قولا أى كن رسولى إلى نفسك ، ثم يقول ستحمله الرواة] إليك عنى ؟ فاعتذر له الأصمعى ، وقال : هذا مما حملته الرواة على النابغة ! كأنه يدفع أن يكون قاله .

* * *

وأُخذ على المسيب قوله :

وقَد أتَنَاسى الْهمَّ عِنْد ٱحتِضَارِهِ بِنَاجٍ علَيْهِ الصَّيْعرِيَّةُ مُكْدَمِ[5]

وقالوا : الصيعرية سمةُ[6] للنوق ، لا للفحول ، فسمعه طَرَفَةُ بن العبد

(١) البيت غير منسوب فى مشكل القرآن ١٣٠ واللسان ٩/٨٣ ، ١٢/١٠ ، والبيان والتبيين ١/١١ والصناعتين ٣٥٧ وعجزه كذلك فى مقاييس اللغة ٣/٢١ وشرح الحماسة للمرزوقى ١/٢٢١

(٢) ما بين الرقمين ساقط من م

(٣) سورة الأحزاب : ١٠ وانظر مشكل القرآن ١٣٠ والصناعتين ٣٥٧

(٤) الصناعتين ٧٧ وفى ديوانه ١٠٨ ، ١١٣ مصر « سأهديه إليك إليك عنى » .

(٥) البيت للمسيب فى ديوانه ٣٥٩ واللسان ٦/١٢٧ ، ١٢/٢٤١ وعيار الشعر ٩٦ والموشح ٧٦ ، ٨٧ ونسبه أبو هلال فى الصناعتين ٨٥ للمتلمس ، ولكنه قال بعد ذكر قصته مع طرفه ٨٦ : « وروى هذا الحديث له مع المسيب بن علس » ونسبه ابن قتيبة للمتلمس فى الشعر والشعراء ١/١٣٥ وكذلك أبو الفرج فى الأغانى ٢١/٢٠٣ نقلا عن المفضل الضبى ثم عاد فنقل عن ابن السكيت روايتين تنسب أولاهما البيت إلى المتلمس ، وتنسبه الثانية إلى المسيب

(٦) ط « قال . . . صفة » .

– وهو صبي – فقال : استَنْوق الجملُ ، وضحك منه [فذهبت مثلا] [١] .

ويقال : إن المسيب قال [له] : أَخْرِجْ لسانك يا فتى ، فأَخرجَهُ ، فقال : ويْلٌ لهذا من هذا ، يعني رأسه من لسانه .

* * *

وأَخذ على المرقَّش [الأَصغر] قوله :

صَحَا قَلْبُهُ عنْهَا سِوى أَنَّ ذِكْرَةً ... إذا خَطَرَتْ دَارَتْبِهِ الأَرْضُ قائمَا [٢]

وقالوا : مَنْ إذا ذُكِرَت له [٣] دارت به الأَرضُ ، ليس بصاح .

* * *

وأُخذ على عديّ بن زيد قوله :

* يَبُذُّ الجياد فَارِهاً مُتَتابِعاً * [٤]

وقالوا : لا يقال للفرس فاره ، وإنما يقال له : جواد ، وكريم . والفارهُ : للبغل وللحمار .

وأُخذ عليه أَيضاً قولُه في صفة الخمر :

والْمُشْرِفُ الهنديّ يُسقَى به ... أَخْضَر مطموثاً بماء الحريضْ [٥]

---

(١) جمهرة الأمثال ١٤ والبيت فيها للمتلمس .

(٢) الأغاني ٥/١٩٤ والشعر والشعراء ١/١٦٧ ، ١٦٩ والصناعتين ٧٣ وصبح الأعشى ٢/١٧٩ وفي م « منها » و ط « ذكره » !

(٣) ط « ذكر دارت » !

(٤) صدره : « فصاف يفرى جله عن سراته » أي صاف هذا الفرس يكاد يشق جلده عما تحته من السمن ، لسان ١١/٢٠ ، ١٧/ ٤١٧ وانظر الشعر والشعراء ١/١٨٢ وشعراء النصرانية ٤٧٢ والعقد ٥/٣٦٠ وفي م ، ط « متتابعاً » والتصويب من اللسان ، ومعنى متتابعا : مسرعاً .

(٥) المشرف : قدح لهم كانوا يشربون فيه ، ويروى : « والمشرف المصقول » ، « المشمول » أي الطيب ، ويقصد بأخضر : شراباً أخضر ، وهو أجود الخمر ، والمطموث : الممزوج ورواية العقد ٥/٦٣٠ واللسان ٨/٢٨٩ والمعاني الكبير ١/٤٤٩ والشعر والشعراء ١/١٨٢ « بماء الخريص» ورواه ابن الأعرابي « كماء الخريص» والخريص : الخليج ، وماء خريص : أي بارد وفي الصناعتين ٩٦ : « كماء الحريص»

وكان صدر البيت سليما في المطبوعة التي طبع عنها الشيخ محمد محيي الدين ، ولكنه غيره إلى « المشرف الهيدب يسعى به » وشرح الهيدب بأنه «الذي عليه أهداب تتذبذب من بجاد ونحوه» ثم قال :=

الحريص : سحابة تحرص وجه الأَرض : أى تَقْشره لشدتها ، ويقال : الحريص اسم نهر بناحية الحِيرة ، فوصف الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك أحد غيره .

* * *

وأُخذ على الأَعشى قولُه :

وقَد غَدوتُ إلى الْحانُوتِ يتْبعُنى شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ[1]

وقالوا : هذه الأَلفاظ كلُّها التى بعد «شاوٍ» متقاربة فى المعنى[2].

* * *

وقرئ على الأَصمعى قول أَبى ذؤيب الهذلى :

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشُرِّج لَحْمُها بِالنَّىِّ فَهْىَ تَثُوخُ فِيها الإِصْبعُ[3]

= وكان فى أصول هذا الكتاب « والمشرف الهندى يسق به » وهو تحريف من عدة وجوه، ووقع على الصواب فى الصناعتين »!

والصواب الذى رآه الشيخ واقعاً فى الصناعتين هو الخطأ المحض كشرحه للهيدب الذى يفسد به المعنى . وقد أخطأ ناشرا الصناعتين كذلك فى شرح الهيدب بأنه : « سحاب يقرب من الأرض كأنه مستدل يكاد يمسكه من قام براحته » ومصدر خطأ الأساتذة هو تعليق المرحوم محمد أمين الخانجى على هذه اللفظة فى طبعته لكتاب الصناعتين ص ٧١ فقد شرحها بثلاثة شروح ، نقل الأول ناشر الموازنة ،ونقل الثانى ناشرا الصناعتين ، والشرح الثالث خطأ كذلك فقد قال : الهيدب : العبام من الأقوام الفدم » وإنما نصصت عليه لئلا يأتى ناشر آخر فينقله دون تبصر ولا إدراك .

(١) ديوانه ٤٥ واللسان ١٣ /٣٨٥ والخزانة ٣/٥٤٧ والشعر والشعراء ١/١٦ ، ٢٢٠ والتبيان ٣/ ١٧٦وشرح المعلقات العشر ٢٧٩ والصناعتين ٣٣٥ والعقد ٥/ ٣٦٠ وإعجاز القرآن ٣٢٦ والمعانى الكبير ١ / ٣٧٩ وفيه : الشاوى : الشواء ، والمشل : السائق السريع السوق ، والشلول : المسرع والشلشل : الخفيف ، وشول : خفيف أيضاً ، ويروى : شمل : أى طيب النفس والريح »

(٢) فى اللسان ٣/٣٨٥ « والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة »

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٦ وجمهرة أشعار العرب ١٣٢ والمفضليات ٤٢٧ - ٤٢٨ والشعر والشعراء ٢ / ٦٣٧ واللسان ٣ / ٤٨٨ ، ٢٠ / ٢٢٤ والصناعتين ٧٨ والفصول والغايات ٤٧٢ والوساطة ١١

ومعنى قصر : حبس اللبن للفرس ، شرج لحمها : أى صار شرجين شحما ولحماً ، والنى : الشحم ، وتثوخ : تغيب ، مثل تسوخ . والمعنى : لو أدخلت فيه إصبع من كثرة لحمها لدخلت .

تَأْبَى بِدِرَّتِها إذا ما استُكْرِهتْ   إلاَّ الحمِيم فإنَّهُ يتَبضَّعُ[1]

فقال : هذه الفرس [لا] تُساوى دِرْهمين ؛ لأَنه جعلها كثيرة اللحم ، رِخْوَةً تدخل فيها الإِصبعُ ، حرُونا ، إذا حُرِّكت قامت ، إلا العرق فإنه يسيل .

* * *

وقرئ على الأَصمعى [أَيضاً][2] قول أَبى النجم :

* يسبحُ أخراه ويطْفُوا أَوَّلهْ *[3]

فقال : حِمار الكَسَّاح ـ إذًا ـ أَفْرَهُ منه .

* * *

وعاب الأَصمعىُّ ذا الرمة فى قوله :

حتَّى إذا دَوَّمَتْ فِى الأَرْضِ أَدْرَكَه   كِبْرٌ ولَوْ شاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ[4]

وقال : الفصحاء لا يقولون دَوَّمَ فى الأَرض[5] ، وإنما يقولون : دَوَّمَ فى

---

(١) البيت فى اللسان ١٥/٤٥ ، وفيه ٩ / ٣٦٢ « إذا ما استغضبت » « يتبضع : يتفتح بالعرق ويسيل متقطعاً » ، وكان أبو ذؤيب لا يجيد فى وصف الخيل ، وظن أن هذا مما توصف به . قال ابن برى : تأبى هذه الفرس أن تدر لك بما عندها من جرى إذا استغضبتها ؛ لأن الفرس الجواد إذا أعطاك ما عنده من الجرى عفوا فأكرهته على الزيادة — حملته عزة النفس على ترك العدو . يقول : هذه تأبى عند إكراهها ولا تأبى العرق»

(٢) من ك

(٣) الشعر والشعراء ٢/٥٨٦ والوساطة ١١ والعقد الفريد ٥/٣٦٦ والمعانى الكبير ١/٣٠ والأغانى ٩/٨٣ وكلها توافق رواية المخطوطة ومطبوعة الجوائب ١٨ ولكن الشيخ محيى الدين غيرها إلى « يسبح أولاده ويطفو آخره » من غير أن يشير إلى ما فعل ليوافق ما فى الصناعتين ! ومن العجب أن البيت على هذه الصورة المغيرة يخلو من العيب الذى أخذه عليه الأصمعى ؛ فإن الجواد إنما يوصف بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه ، ولا يوصف بأنه تسبح أخراه ، لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكساح أسرع منه على حد عبارة الأصمعى .

(٤) ديوانه ٢٤ « راجعه كبر » وكذلك جمهرة أشعار العرب ١٨٤ واللسان ١٥/١٠٥ حديث ذكره شاهدا على أن دومت الكلاب : أمعنت فى السير ، والشعر والشعراء ١/٥١٨ وهو مصدر الآمدى فى هذا النص .

(٥) راجع نقد على بن حمزة لرأى الأصمعى هذا فى اللسان ١٥/١٠٥

السَّماءِ[1] ، إذا حلَّق ، ودوَّى فى الأَرض ، إذا ذهب .

وكان الأَصمعى أَيضاً يعِيبه فى قوله :

* ونَقْرِى عبيطَ الشَّحْمِ والماءُ جامِسُ *[2]

ويقول : إنما يقال للماءِ : جامد ، وللسمن وما أشبهه[3] : جامس . وروى ذلك عنه أبو حاتم .

* * *

وحكى أبو نصر عن الأَصمعى قال : كنا نظن الطِّرِمَّاحَ شيئًا حتى قال :

وَأَكْرَهُ أَنْ يَعِيبَ علَيَّ قَوْمِى هِجَائِى الْأَرْذَلِينَ ذَوِى الْحِناتِ[4]

لأَنها إِحْنَةٌ وإِحَنٌ ، ولا يقال حنات .

* * *

وأُخذ على الآخر قوله :

فَمَا رقَد الوِلْدَانُ حتَّى رأَيتُهُ على البَكْرِ يَمْرِيهِ بساقٍ وحافرِ[5]

فسمَّى رجْلَ الإِنسان حافرًا ، وهذه استعارةٌ فى نهاية القبح .

وكذلك قول الآخر :

قَد أَفْنَى أَنامِلَهُ عضُّهُ فأَمسى يَعَضُّ علَيَّ الْوَظيفا[6]

---

(١) م « وإنما دوم » ط « فى الهواء »

(٤) صدره : « نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى » ديوانه ٣٢٣ « ونقرى سديف » وكذلك فى حماسة ابن الشجرى ٥٤ والمختار من شعر بشار ٢٢٣ ورواية المخطوطة توافق رواية اللسان ٣٤١/٧ والصناعتين ١١٠ والسديف : شحم السنام ، والعبيط من اللحم : ما كان سليما من الآفات .

(٣) ط : « وقال . . . للجامد من السمن وما أشبهه »

(٤) ديوانه ١٣٤

(٥) البيت لجبيهاء الأشجعى من قصيدة فى حماسة ابن الشجرى ٢٨٥ واللسان ٢٨٣/٥ وهو غير منسوب فى مشكل القرآن ١١٦ والصناعتين ٣٠١ والموشح ٩١ ونقد الشعر ٦٧ وسر الفصاحة ١٥١ وفى عيار الشعر ١٠٣ لمزرداى الزنج (؟)

(٦) قاله صخر الغى ، كما فى ديوان الهذليين ٧٣/٢ « أنامله أزمه » أفنى أنامله ، يقول : يعض على يديه من الغيظ ، والأزم : العض ، والوظيف : الذراع . وهو غير منسوب فى الصناعتين ٣٠١ فى ط ، ك « فأضحى » .

فجعل له وظيفا مكان الرِّجْل .

وكذلك قول الآخر :

سأَمْنَعُها أو سَوْفَ أَجْعلُ أَمْرَها إِلَى مَلكٍ أَظْلافُهُ لَمْ تُشَقَّقِ[١]

وقال الحُطيئة :

قَرَوْا جارَكَ الْعَيْمَانَ لَمَّا جفَوْتَهُ وقَلَّص عن برْدِ الشَّرَاب مشافِرُهْ[٢]

* * *

وعيب على أيمن[٣] بن خُرَيم قوله يمدح بشر بن مروان :

فإِنَّا قَدْ وجدْنا أُمَّ بِشْرٍ كأُمِّ الْأُسْدِ مِذْكارًا ولُودًا[٤]

وقالوا : أَخطأَ فى أَنْ جعل أُم الأَسد ولُوداً ؛ لأَن الحيوانات الكريمة عسرة نَزْرَة النَّتاج .

والصوابُ قول الآخر[٥] :

بُغَاثُ الطَّير أَكْثَرُها فِراخاً وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[٦]

وقال جرير :

صارتْ حنِيفَةُ أَثْلاثاً فَثُلْثُهُمُ مِن الْعَبِيدِ وثُلْث مِنْ مَواليها[٧]

---

(١) قاله عقفان بن قيس بن عاصم ، اللسان ١١/١٣٤ وسمط اللآلى ٢/٧٤٦ وهو غير منسوب فى الصناعتين ٣٠١ وأبواب مختارة ٣٨ وأمالى القالى ٢/١٢٠ ومشكل القرآن ١١٦

(٢) ديوانه ١٢ « لما تركته » وعيار الشعر ١٠٣ والموشح ٩١ والصناعتين ٣٠١ ومشكل القرآن ١١٧ والعيمة : شهوة اللبن ، والعطش

(٣) ترجمته فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/١٨٧ – ١٨٩

(٤) الموشح ٢٢٣ ونقد الشعر ٧٢ والصناعتين ١٠٠

(٥) ط « قول كثير »

(٦) البيت فى اللسان ٢/٣٧٧ لكثير أو غيره ، ٤٢٣ لعباس بن مرداس ، وكذلك حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٣/١١٥ ونسبه أبو عبيد البكرى فى اللآلى ١/١٩٠ لمعود الحكماء ، والحصرى فى زهر الآداب ١/٣٥٥ لكثير ، وهو فى ديوانه ٢٠٣ وغير منسوب فى العقد ١/٣٢٤ ونقد الشعر ٧٣ والصناعتين ١٠٠ والموشح ٢٢٣

(٧) ديوانه ٣٠٠ ونقد الشعر ٧٧ وسر الفصاحة ٢٢٥ والموشح ٨٤ ، ١٢٦ والصناعتين ٣٤٣

فقيل لرجل من بنى حنيفة : من أى الأثلاث أنت ؟ فقال : من الثلث الملْغَى .

وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجرير :

لَمَّا تذكَّرتُ بالدَّيرَيْنِ أَرَّقنِى ... صوتُ الدجاجِ وقَرْعٌ بالنَّواقيسِ[1]

فقال : أخطأَ واللهِ أبوك ، التأْذينُ لايكون [إلاَّ] فى أول الليل ، وقال من طلب العذر لجرير : أراد[2] [أرقنى][3] انتظار صوت الدجاج .

* * *

وعاب الأخطل الفرزدق فى قوله :

أَبنِى غدانَةَ إنَّنِى حرَّرْتُكُمْ ... فَوهبْتُكُمْ لِعطِيَّةَ بن جَعالِ[4]

لوْلاَ عطِيَّةُ لاجتدعتُ أُنوفَكُم ... مِن بينِ أَلْأَمِ أَعْيُنٍ وسِبالِ[5]

قال : وكيف يهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء ؟ وقال عطية حين بلغه الشعر : ما أسرع ما رجع أخى فى هبته[6] !

ومدح الفرزدق الحجاج ـ وقد دخل عليه ـ ببيت واحد ، فقال :

ومنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ ـ والطَّيْرُ تَتَّقِى ... عُقُوبتَهُ ـ إلَّا ضَعيفُ الْعزَائِمِ[7]

فقال له الحجاج : الطير تتَّقى الثوبَ ، وتتقى الصبى ، ما جئت بشىء ! وإنما أراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يدٌ .

* * *

(١) ديوانه ٣٢١ والصناعتين ١١٠

(٢) ليست فى ط

(٣) من ك

(٤) ديوان الفرزدق ٧٢٦ والأغانى ٢٩٥/٨ (دار الكتب) ، ٥٠/١٩ بولاق والعمدة ٢٢٨/٢ وقد أخطأ أبو هلال العسكرى فى الصناعتين ٨٨ فنسبه إلى جرير

(٥) فى ديوانه والأغانى وغيرهما : « آنف وسبال »

(٦) نقل المؤلف هذا النص من الشعر والشعراء ٤٥٣/١

(٧) الموشح ١١٢ والصناعتين ١٠١

وعِيب على الأخطل قوله فى عبد الملك بن مروان[١] :

وقَدْ جعل اللهُ الْخِلاَفَةَ مِنْهُمُ ... لِأَبْيَضَ لا عَارِى الْخِوانِ ولا جَدْبِ[٢]

وقالوا : هذا لا يُمْدح به خليفة .

وأراد أن يمدح رجلاً[٣] من بنى أسد كان أجاره ، فهجاه ؛ وكان يقال لقوم الرجل : الْقُيُون ، يُعَيَّرُون بذلك ، فقال :

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْنا وأُنْبَؤُهُ ... فالْيوْم طُيِّر عن أثْوابِهِ الشَّرر[٤]

أى : فاليوم نفى ذلك عن نفسه ، فما زاد على أن نبَّه عليه ، وقد كان له فى المادح مُتَّسعٌ .

وأراد أن يهجو سُويْد بن منْجُوفٍ [السدوسى] [٥] فمدحه ، وذلك قوله :

فَما جِذْعُ سُوءٍ خَرَّب السُّوسُ وسْطَهُ ... لِمَا حمَّلَتْه وائِلٌ بِمُطِيقِ[٦]

[فقيل له : والله ما يرضى قومه أن يحملوه أمرهم ، فكيف وائل كلها ؟]

* * *

وأُخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبى سود[٧] :

إذا الْتَقتِ الأبْطالُ أبْصَرْتَ لونه ... مُضِيئاً ، وأعْنَاقُ الْكُماةِ خُضُوعُ[٨]

---

(١) ط ، ك « وأخذ » م « قوله فى المدح »

(٢) ديوانه ٢١ « فيكم بأبيض » والموشح ١٤١ « لأزهر » والصناعتين ٧٥ « لأبلج » والشعر والشعراء ١/٤٦٠ ، وفى ك : « فيهم »

(٣) هو سماك بن مخرمة ، راجع الأغانى ٧/١٨٤ وديوانه ٢٢٢

(٤) م « الشررا » والبيت فى ديوانه ٢٢٣ والشعر والشعراء ١/٤٦٠ والموشح ١٣٤ والصناعتين ٨٦ وطبقات فحول الشعراء ٤٠٤

(٥) من ك

(٦) ديوانه ١٩٥ « السوس أصله » ، ط « فما جذع » والشعر والشعراء ١/٤٦١ والصناعتين ٨٦ والأغانى ٧/١٨٤ والموشح ١٣٥

(٧) م « ابن أبى أسود » ط « ابن أبى سويد » وقد رثاه الفرزدق بقوله :

لقد رزئت حزما وحلما ونـائلا ... تميم بن مر يـوم مات وكيع

(٨) ط وديوانه ٥٠٩ « أبصرت وجهه » ونسبه فى الصناعتين ٣٤٣ خطأ لجرير

فقالوا : أساءَ القِسْمة ، وأخطأَ الترتيب ؛ وإنما كان يجب [١] أن يقول : أبصرته سامياً وأعناق الكماة[٢] خضوع ، أو أبصرت لونه مضيئاً وألوان الكماة كاسفة .

* * *

ومن خطأ الشعر قول عَدِى بن الرِّقاع يذكر الله تبارك اسمه :

وكَفُّكَ سبْطَةٌ ونَداكَ سحٌّ وأَنْتَ الْمرْءُ تَفْعلُ ما تَقُولُ[٣]

فجعل ربه مرْءًا .

وعابه الأَصمعى فى قوله :

لَهُمْ رايةٌ تَهدِى الجموع كأَنَّها إذا خَطَرت فى ثَعْلبِ الرُّمحِ طائرُ[٤]

وقال : الراية لا تخطر ، إنما الخَطَران للرمح .

* * *

ومن فاسد اللفظ وقبيحه قولُ ذى الرمَّة :

فأَضْحَتْ مبادِيها قِفارًا رُسُومُها كأَنْ لَمْ ـ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الْوحْشِ ـ تُؤْهَلِ[٥]

أَراد : كأَن لم تُؤْهَلْ سوى أَهل من الوحش .

* * *

ومن خطإِ المدح قولُ الكميت يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فى ط ، م : « ينبغى »

(٢) ط « الملوك » وفى م : « الرجال »

(٣) ط « بسطه » م « سمح » والصناعتين ١٠١ « ونداك غمر »

(٤) ط والصناعتين ٩٦ «لهم» وفى اللسان ١/٢٣١ « والثعلب: طرف الرمح الداخل فى جبة السنان » .

(٥) ديوانه ٥٠٦ « قفارا بلادها » وتأويل مشكل القرآن ١٦٠ وهو الذى غفل عنه المؤلف ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣٣ والخزانة ٣/٦٢٦ « فأضحت معانيها » ومباديها : حيث يبدون فى الربيع ، والبلاد : جمع بلدة ، وهى القطعة من الأرض ، وتؤهل : تعمر بأهلها

إلَى السِّراجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدَ لاَ تَعْدِلُنى رَغْبَةٌ ولا رَهَب[١]

عَنهُ إلَى غَيرِهِ ولَو رَفَعَ النَّ اسُ إلىَّ العُيُونَ وارْتَقبُوا

وقِيل : أَفْرَطْتَ ، بل قَصَدْتُ ،ولَو عَنَّفَنِى الْقائلُونَ أَو ثَلَبُوا

لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ ولَو أُكْثِرَ فِيكَ الضَّجَاجُ واللَّجَبُ

فمن [ذا][٢] يعنّفه ويؤنبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكثر عليه فيه الضَّجاج واللجب ؟ وهذا لو كان قاله بين المشركين وفى صدر الإسلام لعل العذر كان يتَّسع له فيه ، وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بأَن قال : إنه[٣] لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم خاصةً بهذا الخطاب ، وإنما أَراد أَهل بيته ؛ لأَنه قال فيهم من الشعر ما قد قال ولأَن بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم ، وتنكر أَشد النكير على من يتحقق بهم[٤] ويُغْرِق فى الثناء عليهم والوصفِ لهم .

وعيب أَيضاً الكميت بأَن جمع بين[٥] كلمتين لا تُشْبِه إحداهما الأخرى ، وذلك قوله :

وقَدْ رأَيْنَا بهَا خَوْدًا مُنَعَّمةً رُودًا تكامَلَ فيهَا الدَّلُّ والشَّنَبُ[٦]

وقالوا : [الدَّلُّ لا يكون مع الشنب] إنما يكون مع الغَنَج أَو نحوه ،

---

(١) الهاشميات ٥٨ – ٥٩ وشرح شواهد الشافية ٣١١ وتفسير الطبرى ١/٣٨٣ – ٣٨٤ والعمدة ٢/١٣٥ – ١٣٦ ومجمع البيان ١/١٨٢ وأمالى المرتضى ٢/٨٠ والحيوان ٥/١٧٠

(٢) من ك

(٣) من ك

(٤) ط « أشد الإنكار على من يتخونهم »

(٥) من ك

(٦) الموشح ١٩٣ « منعمة بيضا » ورودا : ممشوقة حسنة الشباب . والشنب : برد الفم الأسنان .

والشَّنبُ إنما يكون مع اللَّعس أَو ما يجرى مجراه من أَوصاف الثغر والفم [والشفة] ؛ والجيِّدُ ما قاله ذو الرمة :

لَمْياءُ فِى شَفَتيها حوَّةٌ لَعسٌ وفِى اللِّثاتِ وفِى أَنْيابها شَنَبُ(١)

ولو استقصينا هذا الباب لطال جداً ، وإنما أَوردنا ههنا منه مثالاً لتعلموا أَن فحول الشعراء ـ الذين غلبوا عليه ، وافتتحوا معانيه ، وصاروا قُدوةً [فيه] ، واتبعهم الشعراء ، واحتذوْا على حذْوهم ، وبَنَوْا على أصولهم ـ ما عُصموا من الزلَل ، ولا سلموا من الغلط .

هذا فى المعانى التى هى المقصد والمرْمى والغرض .

وأَما ما بوَّبه النحويون من عيوب الشعر فى الإقواء والإكفاء والسِّناد ، وغير ذلك مما هو عيْبٌ فى اللفظ دون المعنى ـ فليست بنا حاجة إلى ذكره ؛ لكثرته وشهرته .

وكذلك ما أَخذَتْه الرواة على المتأَخرين ـ من الغلط والخطإ واللحون ـ فاش(٢) أَيضاً وأَكثر من أَن يحتاج إلى أَن نبرهنه أَو ندل عليه(٣) ؛ فلم يكن أَحد من متقدِّمٍ ولا متأَخر فى خطئه ولا سَهوه ولا غلطه بمجهول الحق ، ولا مجحود الفضل بل عفَّى عندكم إحسانه على إساءته ، وغطى(٤) تجويده على تقصيره ، فكيف خصصتم أَبا تمام دون غيره بالطعن ، وعبتموه دون منْ سواه بالزلل والوهم(٥) ؟ ولم يك فى ذلك بِدْعاً ، ولا به منفردًا ، ولا إليه

(١) ديوانه ٥ واللسان ٤٨٨/١ ، ٩١/٨ ، ٢٢٦/١٨ وفى م « بيضاء فى » واللعس : سواد يعلو شفة المرأة البيضاء ، والحوة : سمرة الشفة .

(٢) ط « واللحن أشهر أيضاً »

(٣) ط « على ذلك »

(٤) ط « وعلا »

(٥) ط « والوهن »

سابقًا ؛ وبخستموه[١] حق الإحسان الذى انتشر فى الآفاق ، وسارتِ به الركبان . وتمثل به المتمثل ،وتأدَّب بحفظه وإنشاده المتأدب ،مما إنْ ذكرناه لم تنكروه ، وأقررتم بفضيلته ، وأجمعتم [معنا] على استجادته ،واستحسانه فهل الظلم المستقبحُ والتعصُّبُ المستبشع[٢] إلا ما أنتم مُرتكبوه وخابطون فيه؟

* * *

١٦ ـ قال صاحب البحترى : أما أخذ السهوِ والغلطِ على من أخذ عليه[٣] من المتقدمين والمتأخرين فى البيت الواحد والبيتين والثلاثة ، وربما سَلِم الشاعر المكثِرُ من ذلك ألبتة ، وتعرَّى[٤] منه حتى لا تؤخذ عليه لفظة ، وأبو تمام لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عِدَّة أبيات يكون فيها مخطئاً ، أو مُحيلا ، أو عن الغرض عادلا ، أو مستعيرًا اسعارة قبيحة ، أو مفسدًا للمعنى الذى يقْصده بطَلب الطِّباق والتَّجنيس ، أو مُبهما [له][٥] بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم . ولا يوجد له مخرج ، مما لو عددناه لما أتى عليه الإحصاء كثرة فكيف يكون ما أخذ على الشعراء من الوهم وقليل الغلط عذرًا لمن لا تُحصى معايبُه ومواقعُ الخطإ فى شعره ؟ وعلى أن أكثر ما عَدَدْتُمُوه ــ مما أخذته الرواة على الشعراءِ ــ صحيح ، والسهو فيه إنما دخل على الرواة ، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه .

* * *

١٧ ـ قال صاحب أبى تمام : فَبِم تدفعون[٦] قول البحترى يرثى أبا تمام ودِعبِلاً ويذمُّ منْ بقى بعدهما من الشعراء[٧] :

(١) ط « فبخستم حق »
(٢) ط « المستهجن » و م « فهذا الظلم . . . غير ما أنتم »
(٣) م « أخذ من »
(٤) م « وربما الشاعر . . . بتة وبعرى »
(٥) من ك
(٦) ط « تدافعون » ، وفى ك : « فبماذا تدفعون »
(٧) فى ك بعد هذا : حيث يقول

قَدْ زاد فى كَلفِى وأوقَد لَوْعَتى مثْوى حَبِيبٍ يوم ماتَ ودِعْبلِ[١]
وبقاءُ ضَرْبِ الخثعمِىِّ وشِبْهِهِ من كل مُضْطَرِبِ القريحةِ مُجْبِلِ[٢]
أَهلِ المعانى المستحيلةِ – إن هُمُ طلبوا البراعة – والكلامِ المقفَلِ[٣]
أَخَوَىَّ لا تَزَلِ السَّماءُ مُخِيلَةً تَغشا كُما بحيا السَّحابِ الْمُسْبلِ[٤]
جدثٌ لَدى الأَهْوازِ يبْعُدُ دُونهُ مسْرى النَّعِىِّ ورِمَّةٌ بالْمَوْصِلِ[٥]

فمحال أَن يرثى البحترى أَبا تمام ويذكر مَنْ بَعْده من الشعراء بأَن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده أَن أبا تمام تلك صفته ، فلم تنكرون فضل من يَعترف البحترى بفضله ، ويشهد فى الشعر له به ، وتنسبون العيبَ إليه وهو ينفيه عنه[٦] ، وتلحقونه به وهو يبرئه منه ؟ !

* * *

١٨ – قال صاحب البحترى : ولِمَ لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وأبو تمام بعْد اجتماعهما وتعارفهما متصافييْن[٧] على القرب والبعد ، ومتحابَّيْنِ متلائمين على الدنو والشَّحط ، يجمعها النسب والطلب والمكتَسَب ، ولم يكن [أيضاً] [٨] فى زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجْتَدِى بالشعر وينتسب

(١) الأبيات فى ديوانه ٣/١٧٩٠ وأخبار أبى تمام ٢٧٤ والأول فى شذرات الذهب ٢/١١٢ وهو مع الرابع والخامس فى هبة الأيام ٥٠ ومعاهد التنصيص ٢/٢٠٦
وفى ط « زاد فى حزنى »

(٢) ط « مخبل » وأخبار أبى تمام « مهمل » والخثعمى هو أحمد بن محمد الخثعمى قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٤/٤٣٨ كنيته أبو عبيد الله ويقال : أبو العباس ، كان يتشيع ويهاجى البحترى

(٣) فى أخبار أبى تمام « المعضل » وفى ك : « البداعة »

(٤) فى أخبار أبى تمام « بحيا مقيم مسبل » وفى هبة الأيام « بسماء مزن »

(٥) فيهما : « على الأهواز » والمدفون بها دعبل ، وبالموصل أبو تمام

(٦) ط « وهذه صفته عنده »

(٧) م « متصافيين يجمعهما النسب والطلب والمكتسب »

(٨) من ك

إلى طيِّ سواهما ، فليس بمنكَر أن يشهد أحدهما بالفضل لصاحبه ، ويصفه بأَحسن ما فيه ، وينْحله ما ليس له ، وخاصةً فى الشعر ؛ ولا سيما[١] تأْبين الميت ؛ فإن العادة جرت بأَن يُعطَى من التقريظ والوصف وجميل[٢] الذكر أضعاف ما كان يستحقه [حيا][٣] ، فلا تَدفعُوا العِيان فلن يمحو وصفُ[٤] البحترى أبا تمام فى حياته وتأْبينُه إياه بعد وفاته — ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره .

* * *

١٩ — قال صاحب أَبى تمام : فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرًا من العلماء بالشعر يقولون : جيد أَبى تمام لا يتعلق به[٥] جيد أَمثاله ، وإذا كان كل جيد دون جيده لم يضره ما يؤْثَرُ من رديئه .

* * *

٢٠ — قال صاحب البحترى : إنما صار جيد أَبى تمام موصوفاً لأَنه يأْتى فى تضاعيف الردىء الساقط ، فيجىء رائعاً لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالإضافة ، ولهذا ، ما قال له أَبو هِفَّان : إذا طَرحتَ دُرَّةً فى بحر خُرْءٍ فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك؟

والمطبوعُ الذى هو مستوِى الشعر قليلُ السقط لا يبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة ، ومن أَجل ذلك صار جيد [شعر][٦] أَبى تمام معلوماً وعددُهُ[٧] محصورًا .

---

(١) فى ط ، م : «ثم فى تأبين الميت»
(٢) م «والجميل من الذكر»
(٣) من ك
(٤) ط «يمحق»
(٥) م ، ك «به وإذا»
(٦) من ك
(٧) م ، ك «وعدداً»

وهذا عندى – أنا – هو الصحيح ؛ لأنى نظرت فى شعر أبى تمام والبحترى [فى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، واخترت جيدهما] وتلقَّطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الأوقات ؛ فما من مرة إلا وأنا ألحِق فى اختيار شعر البحترى ما لم أكن اخترته من قبل ، وما علمت أنى زدتُ فى اختيار شعر أبى تمام ثلاثين بيتاً على ما كنت اخترته قديماً .

* * *

٢١ – قال صاحب أبى تمام : أفتنكرون كثرة ما أخذَه البحترى من أبى تمام ، وإغراقه فى الاستعارة من معانيه ؟ فأيُّما[1] أَولى بالتقدمة : المستعيرُ ، أم المستعارُ منه ؟

* * *

٢٢ – [قال صاحب البحترى] : قد ابتدأنا بالجواب عن هذا فى صدر كلامنا ، ونحن نُتِمُّه[2] فى هذا الموضع إن شاء الله تعالى .

أما ادِّعاؤكم كثرةَ الأخذ منه فقد قلنا : إنه غير منكَر أن يكون أخذ منه لكثرة[3] ما كان يرد على سمع البحترى من شعر أبى تمام فيعتلق[4] معناه : قاصدًا للأخذ ، أو غيرَ قاصدٍ ، ولكن ليس كما ادعيتم وادعاه أبو الضياء بشر بن يحيى[5] فى كتابه ؛ لأنا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه ، وتجرى طباع الشعراء عليه ، فجعله مسروقاً ، وإنما السَّرَق يكون فى البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك ، فما كان من هذا الباب فهو الذى

(١) فى م ، ط : « فأيهما »
(٢) فى ك : « نتممه »
(٣) ط « من كثرة »
(٤) فى ط ، م : « فيتعلق »
(٥) ط « ابن تميم »

أخذه البحترى من أبى تمام ، لا ما كَثَّر فيه[1] أبو الضياء وحَشَا به كتابه .

وأنا أذكر هذين البابين[2] فى موضعهما من [هذا] الكتاب[3] ، وأبين ما أخذه البحترى من أبى تمام على الصحة ، دون ما اشتركا فيه ؛ إذ كان غير منكر لشاعرين [مكثرين] متناسبين ومن أهل بلدين متقاربين أن يتفقا فى[4] كثير من المعانى ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد فى الأشعار ذكره ، وجرى فى الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله .

وبعد :

فينبغى أن تتأملوا محاسن البحترى ، ومختار شعره ، والبارعَ من معانيه ، والفاخِرَ من كلامه؛ فإنكم لا تجدون فيه على غَزْره وكثرته حرفاً واحدًا مما أخذه عن أبى تمام ، وإذا كان ذلك إنما يوجد فى المتوسط. من شعره فقد قام الدليل على أنه لم يعتمد أخذه ، وأنه إنما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده .

تَمَّ احتجاج الخصمين بحمد الله .

---

(١) ط « لا ما ذكره »

(٢) ط « هذين الشيئين »

(٣) فى ك : « هذه الرسالة »

(٤) فى ط ، م : « على »

منهج الآمدى فى الكتاب

وأنا أبتدئ بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم [بذكر][1] محاسنهما.

وأذكر طَرَفاً من سرقات أبى تمام ، وإحالاته ، وغَلَطه ، وساقط شعره ، ومساوى البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلطه فى بعض معانيه .

ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة[2] إذا اتفقنا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنًى ومعنًى ؛ فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك [وتنكشف] .

ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوَّده[3] من معنًى سلكه ولم يسلكه صاحبه .

وأفرد باباً لما وقع فى شعريهما من التشبيه ، وباباً للأمثال ، أختم بهما الرسالة .

ثم أتبع[4] ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم ؛ ليقرب تناوله[5] ، ويسهل حفظه ، وتقع الإحاطة به ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) من ك

(٢) ط « بين قصيدتين »

(٣) م « بجودة »

(٤) ط « وأضع ذلك » وهو تحريف

(٥) ط « متناوله »

سرقات أبي تمام

كان أبو تمام مُستَهْتَرًا[١] بالشعر، مشغوفاً به، مشغولا مدةَ عمره بتبحره[٢] ودراسته، وله كتبُ اختيارات [مؤلفة] فيه مشهورة معروفة.

فمنها «الاختيار القبائليّ الأكبر» اختار فيه من كل [قبيلة] قصيدة، وقد مر على يَدَىَّ هذا الاختيار.

ومنها اختيار آخر ترجمتُه[٣] القبائلى اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل، ولم يوردْ فيه كبيرَ شىء [للشعراء] المشهورين.

ومنها الاختيار الذى تلقط فيه محاسنَ شعراء[٤] الجاهلية والإسلام، فأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هَرْمَة، وهو اختيار مشهور معروف [يعرف] باختيار شعراء الفحول.

ومنها اختيار تلقَّط فيه أشياء من [أشعار] المقلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين، وبَوَّبه أبواباً، وصدره بما قيل فى الشجاعة وهو أشهر اختياراته، وأكثرها فى أيدى الناس، ويُلقب بالحماسة.

ومنها اختيار المقطعات، وهو مُبَوَّب على ترتيب[٥] الحماسة، إلا أنه ذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين، وصَدَّره بذكر الغزل، وقد قرأتُ هذا[٦] الاختيار، وتلقطت منه نُتَفاً وأبياتاً كثيرة، وليس بمشهور شهرة غيرهِ.

---

(١) مستهترا: مولعا به، وفى م، ط: «مشتهرا» وهو تحريف

(٢) ط «بتخيره»

(٣) م «ترجمته اختار قطعاً»

(٤) سقطت من م وفى ط «شعر»

(٥) فى ك: «تأليف»

(٦) م «فى هذا الكتاب وهذا الاختيار منه نتفاً»

ومنها اختيار مجرد فى [١]أشعار المحدثين ، وهو موجود فى أيدى الناس . فهذه الاختبارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه اشتغل به ، وجعله وُكْدَه [وغرضه] [٢] ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، وإنه ما فاته كبير شيء[٣] من شعر جاهلى ولا إسلامى ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه[٤] ، ولهذا ما أقول : إن الذى خفى من سرقاته أكثرُ مما ظهر منها[٥] ، على كثرتها .

وأنا أذكر ما وقع إلى فى كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها واستخرجته ؛ فإن ظهرتُ بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها ، إن شاء الله .

١ ـ قال الكميت الأكبر ، وهو الكميت بن ثعلبة :

فلا تُكْثِروا فيها الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَاقَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا[٦]

أخذه الطائى فقال :

* السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ[٧] *

وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يَفْتَح عَمورية ، وراسلته الروم : إنا نجد فى كُتُبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح إلا فى وقت

---

(١) فى ط ، م : « من »

(٢) من ك

(٣) ط « فإنه ما شيء كبير » وفى م « مافاته كثير من »

(٤) ط ، ك « واطلع عليه »

(٥) ط « مما قام »

(٦) ذكره المؤلف فى المؤتلف والمختلف ١٧٠ والمرزبانى فى معجم الشعراء ٣٤٧ وابن قتيبة فى الشعر والشعراء أثناء ترجمة سالم بن دارة ١/٣٦٣ والبحترى فى حماسته ١٥ . وفى ط « ولا . . اللجاج » والضجاج : المجادلة والمشاغبة . وفى ط « فيه »

(٧) ديوانه ٧ وأخبار أبى تمام ٣٠

إدراك التين والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعك من المُقام فيها البردُ والثلج . فأبى أن ينصرف ، وأكبَّ عليها حتى فتحها فأبطل ما قالوه ، فلذلك قال الطائى :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فى حَدّه الحدُّ بيْن الجدّ واللَّعِبِ

وهو أحسن ابتداءاته .

٢ ـ وقال النابغة يصف يوم حرب :

تَبْدُو كَوَاكِبُه وَالشَّمْسُ طالِعَةٌ ... لا النُّورُ نُورٌ وَلا الإظْلامُ إظْلام[١]

أخذه الطائى ، وذكرَ ضوءَ النهار وظلمة الدخَان فى الحريق الذى وصفه فقال[٢] :

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْماءُ عاكِفَةٌ ... وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فى ضُحًى شَحِبِ

فالشَّمْسُ طالِعَةٌ مِنْ ذا ، وقَدْ أَفَلَتْ ... وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذا ، وَلَمْ تَجِبِ

٣ ـ وقال الأعشى :

وإنَّ صُدُورَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ... ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ[٣]

أخذه الطائى فقال :

مِنَ الْقِلاصِ اللَّوَاتى فى حَقَائبها ... بِضاعَةٌ غَيْرُ مُزْجاةٍ مِنَ الْكَلِم[٤]

٤ ـ وقال مسلم بن الوليد فى وصف الخمر :

قُتِلَتْ وعاجلها المديرُ فلم تُقَدْ ... فإذا به قد صَيَّرَتْهُ قتيلا[٥]

---

(١) ديوانه ٦١ وأمالى المرتضى ١/٥٢ والصناعتين ١٩٧

(٢) م « وصفه فقال »

(٣) ديوانه ١٤٩ « وإن عتاق »

(٤) ديوانه ٢٦٨ والقلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة ، وغير مزجاة أى جيدة كاملة

(٥) ط « ولم يقد » ديوانه ٤٨ « فلم تفظ » يقول : قتلت بالمزاج ، وعاجلها المدير بالشرب ولم تفظ بعد ، فإذا به قد صيرته قتيلا ، أى قد أسكرته .

أخذه الطائى فأحسن الأخذ ، فقال :

إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بِوِتْرٍ تَوَقَّرَتْ ... عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ[١]

فإن كان أخذه[٢] من دِيك الجنّ فلا إحسان له [فيه] ؛ لأنه أتى بالمعنى بعينه ، قال ديك الجن :

تظــل بأيدينا تَتَعْتَعُ روحُهَا ... وتأْخذ من أقدامنا الراحُ ثارَها[٣]

كذا وجدته فيما نقلت ، وليس ينبغى أن نقْطَع على أيهما أخذ من صاحبه ؟ لأنهما كانا فى عصر واحد .

* * *

٥ ـ وقال الأعشى :

وَأَرَى الْغَوَانِيَ لا يُوَاصِلْنَ امْرَأً ... فَقَدَ الشَّبابَ وقدويَصِلْنَ الأَمْرَدَا[٤]

فأخذ الطائى المعنى وألطفه[٥] ، فقال :

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقعاً ... مَنْ كانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا[٦]

٦ ـ وقال البَعِيث [الحنفى] :

وَإنَّا لَنُعْطِى الْمَشْرَفِيَّةَ حَقَّها ... فَتَقْطَعُ فى أَيْمَانِنَا وَتُقَطَّعُ[٧]

فقال الطائى :

فَمَا كُنْتُ إلا السَّيْفَ لَاقَى ضَريبَةً ... فَقَطَّعَها ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَا[٨]

---

(١) ديوانه ٤٢٠ وم « توفرت . . . من الدحل » وهو تحريف

(٢) ط « وإن . . . أخذه »

(٣) التشبيهات ١٨١ وفى م « نظل » و ط « تقمقع »

(٤) ديوانه ١٥٠

(٥) ط « والصفة »

(٦) ديوانه ٨٨ وقال الشريف المرتضى فى الشهاب ١٠ « ولعمرى إن بين البيتين تشابهاً ، إلا أن أبا تمام زاد على الأعشى بقوله : من كان أشبههم بهن خدوداً ، فعلل ميل النساء إلى المرد ، والأعشى أطلق من غير تعليل »

(٧) الوساطة ٣٢٩ وأخبار أبى تمام ١٠٠

(٨) ديوانه ٣٧٥ وأخبار أبى تمام ٩٨ ومروج الذهب ٧٢/٤

٧ ــ وقال الطائى :

وركْبٍ كأَطرَاف الأَسِنَّة عَرَّسُوا عَلَى مِثلهَا والليْلُ تَسْطُو غَياهِبُهْ[١]
لأَمْرٍ عليهمْ أن تَتِمَّ صُدُورُهُ وليس عليهِمْ أن تَتِمَّ عوَاقِبُــهْ

أخذ صدر البيت الأول من قول كُثَير :

وركْب كأَطْرافِ الأَسِنَّةِ عَــرَّجُوا قَلاَئِصَ فى أصْــلابهِنَّ نُحُولُ[٢]

ويشبه قول البَعيث :

أطافَتْ بشُعْثٍ كالأَسِــنَّةِ هُجَّدٍ بِخاشِعــةِ الأَصْواءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا[٣]

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر :

غُــلامُ وغًى تقَحَّمَها فَأَبْلَى فَخَــانَ بَلاءَهُ الزمنُ الْخَؤونُ[٤]
فكانَ عَلَى الْفَتَى الإِقدَامُ فِيهَا وليس عليهِ ما جَنتِ الْمَنُونُ

٨ ــ وقال جِرَانُ الْعَوْد يصف الخيال :

سَقْياً لِزَوْدِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عنهُ وهْوَ مَشغُولُ[٥]

فذكر العلة فى طروق الخيال ، وهو السابق إلى هذا[٦] المعنى ، فأَخذه العباس بن الأَحنف فقال :

خَيالُكِ حينَ أَرْقُدُ نُصْب عينى إلى وقْتِ انتباهِى ما يَزُولُ[٧]

---

(١) راجع ص ٢١
(٢) ديوانه ٧ وفى ظ « عرسوا »
(٣) راجع ص ٢١
(٤) راجع ص ٢١
(٥) ديوانه ٥٥ وحماسة ابن الشجرى ١٧٧
(٦) فى م ، ط : « لهذا »
(٧) أمالى القالى ١/٢٢٩

وليس يَزُورُنى صِلةً ، ولـكنْ حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكِ بهِ الْوَصُولُ[١]

فتبعه الطائى فقال :

زَارَ الْخَيالُ لَها ، لا ، بَلْ أَزارَكَهُ فِكْرٌ إذا نامَ فِكْرُ الناس لم يَنَمِ[٢]

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

نَمْ فَمَا زارَكَ الْخَيالُ وَلٰكِنَّـ ـكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيالِ[٣]

٩ ـ وقال أبو تمام الطائى :

أَمَّا الْهِجاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمدْحُ عنك، كَما عَلِمْتَ ،جَلِيلُ[٤]

فاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

أَخذه من قول [أبى] هشام المعروف بالخلق[٥] ، أحد الشعراء البصريين ، يهجو بشار بن برد :

بِذِلَّة وَالِديْكَ كَسَبْتَ عِزًّا وَبِاللُّؤْمِ اجْتَرأْتَ عَلَى الجَوَابِ[٦]

(١) ط « هو الوصول »

(٢) ديوانه ٢٦٨ « فكر الخلق » وفى ط « فكر الخلو » وأمالى المرتضى ١/٥٤٢ وأمالى القالى ١/٢٢٩ وحماسة ابن الشجرى ١٧٦

(٣) ديوانه ٤٥٩

(٤) ليسا فى ديوانه ، وقد أوردهما البديعى فى هبة الأيام ١٦٠ ضمن أهاجى أبى تمام لأبى المغيث موسى ، وقبلهما :

أمويس قل لى : أين أنت من الورى لا أنت معـلوم ولا مجهـول

ثم قال : « والبيتان الأخيران ينسبان لغير أبى تمام » والأبيات فى ديوان المعانى ١/١٧٨ لمسلم ابن الوليد وهى له فى هجاء دعبل ، كما قال أبو الفرج فى ترجمة مسلم المنقولة من الأغانى فى آخر ديوانه ١٦٤ (طبع الهند) وأغرب المبرد فنسبهما لدعبل فى الكامل ٢/٧٩٨ – ٧٩٩ ونسبهما الشريف المرتضى لمسلم ١/٤٨٨ وفى ط « والمديح فيك » وهو خطأ

(٥) ط « بالحلو » وفى هامش ك : « ع قال لى أبو عبيد المرزبانى : هذا أبو هشام : عمرو الظالمى الباهلى يعرف بابن الحليق . والخلق هو أبو مسلم . كان فى أيام المأمون

وفى معجم الشعراء للمرزبانى ٢١٦ عمرو بن عبد الرحمن بن الخلق أبو هشام الباهلى الظالمى شاعر مكثر ، كان على عهد المنصور والمهدى والرشيد . هاجى بشارا الأعمى فانتصف منه

(٦) البيت لأبى هشام فى أخبار أبى تمام ٤٢ ونسبه الثعالبى خطأ للبحترى فى المنتحل ١٤٤ وليس فى ديوانه . وفى ديوان المعانى ١/١٧٩ من غير نسبة . وفى معجم الشعراء للمرزبانى ٢١٦

وأخذه إبراهيم بن العباس فقال وأجاد وأحسن[1] :

نَجَا بكَ عِرْضُكَ مَنْجَى الذُّبابِ حَمَتْهُ مَقَــاذِيرُهُ أَنْ يُنَالا[2]

١٠ – وقال الطائى :

وَالشَّيْبُ إِنْ طَرَدَ الشَّبابَ بَياضُهُ كالصُّبْحِ أَحْــدَثَ لِلظَّلَامِ أُفُولا

أراد قول الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهضُ فِى الشَّبابِ كَأَنَّه لَيْــلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ[3]

فقَصَّر عنه .

١١ – وقال قيس بن ذَرِيح :

بَلِيغٌ إذا يَشْكُو إِلَى غَيْرِها الْهَوَى وَإِنْ هُوَ لاقاها فَغَــيْرُ بَلِيغِ

أخذه الطائى فقال :

لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَبَلُّدِى وَبَرَاعَةُ الْمُشْتَاقِ أَنْ يَتَبَلَّدَا[4]

١٢ – وقال الحطيئة :

إِذَا هَمَّ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا لُؤْلُؤٌ وَشُنُوفُ[5]

---

(١) ط « فأجاد »

(٢) ط ، ك « مقاذره » وهو فى الطرائف ١٦٣ وآمالى المرتضى ١/٤٨٨ وديوان المعانى ١/١٧٩ والمنتحل ١٣٢ وأخبار أبى تمام ٤٣ ومعاهد التنصيص ٤/٥٣

(٣) ديوانه ٤٦٧ « فى السواد » وهو فى الصناعتين ٢٥٤ ، ٣١٤ والأغانى ١٩/١٦ والموشح ١٠٣ وإعجاز القرآن ١٢٥ والكامل ١/١٨ والاقتضاب ١٤٦ واللسان ٧/٩٧ ، ١٤/١٣٠ والشعر والشعراء ١/١٣ ووفيات الأعيان ٦/٢٤٤ ومعاهد التنصيص ١/١٩ وأساس البلاغة ٢/٣٦ ، ٤٨٥ وطبقات فحول الشعراء ٣١٢ وديوان المعانى ٢/٨٧ ونثار الأزهار ٦٥ والعمدة ١/٢٣٧ وحماسة البحترى ١٨٣ ودلائل الإعجاز ٧٥

(٤) ديوانه ١٢٥

(٥) ديوانه ٤١ « كعاب عليها » . وفى م ، ك « لؤلؤ وزبرجد » وهو خطأ ، وفى هامش ك تعليقاً عليها فى شعره وشنوف . وأول القصيدة :

أمن أجل دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشئون وكيف

فأخذه كُثَيِّر فقال :

إذا ما أراد الغزوَ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا نظمُ دُرٍّ يَزِينُهَا[1]

وأخذه الطائى فخلط ؛ لقصده إلى مجانسة اللفظ [والمطابقة] ؛ فقال :

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغورِ الْمُسْتَضامَة عَنْ بَرْدِ الثُّغور، وعَنْ سَلْسالِهَا الْحَصِبِ[2]

١٢ - وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بها فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فى كلِّ مُرْتَحَلِ[3]

أخذه الطائى فقال :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَان أَعْلامِهِ ضُحًى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فى الدِّماء نَوَاهِلِ[4]

أَقَامتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّها مِنَ الْجَيْشِ إلَّا أَنَّها لَمْ تقَاتِلِ

فأتى فى المعنى بزيادةٍ ، وفى قوله : « إلا أنها لم تُقاتل » وجاء به فى بيتين . [وأخطأ أيضاً فى المعنى بقوله : « فى الدماء نواهل » والنهل : هو الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى والعقبان لا تشرب الدماء ، وإنما

(١) ط « إذا هم بالأعداء . . . عليها عقد » والبيت فى ديوانه ٢/٣٤ وأمالى القالى ١/١٣ والأغانى ٨/٣٥ وطبقات فحول الشعراء ٤٦٠ والعقد ٤/٤٠٧

(٢) ديوانه ١٠ و ط « الخصب » وفى شرح التبريزى ١/٦٨ « عداك : صرفك ، والثغور : جمع ثغر ، وهو موضع مخافة العدو ، والمستضامة : التى ضامها العدو وأذلها .
والثغور الثانية : جمع ثغر وهو الفم . والمراد بالسلسال هنا : الريق ، والحصب : الذى فيه الحصباء ، وهى صغار الحصى - وجعله الريق حصبا لأن فيه الأسنان يقول : صرفك عن برد هذا الريق فى ثغور الحسان - ما فى قلبك من أمر الثغور التى أبيحت وتمكن العدو منها وفى هذا البيت مطابقة بين الحر والبرد ، ومجانسة بين الثغور والثغور .

(٣) ديوانه ١٠ والصناعتين ٢٢٦ والشعر والشعراء ٢/٨١١ وهبة الأيام ١٩٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/٤٢٩ والإبانة والذخيرة ١/٢٤٢ والصبح المنبى ٣٧ وأخبار أبى نواس ١٦٤ ومعاهد التنصيص ٣/٥٩ .

(٤) ديوانه ٢٤٨ وأخبار أبى تمام ١٦٤ والوساطة ٢٧١ والصبح المنبى ٣٧ والإبانة . . . والخزانة ٢/١٩٦ والذخيرة ١/٢٤٢

تأكل اللحم][1] .

وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى ؛ فأولُ من سبق إليه الأَفْوَه الأَوْدِيّ ، وذلك قوله :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثارِنا رَأْىَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارْ[2]

فتبعه النابغة فقال :

إذا مَا غزَا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ[3]
جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إذا ما الْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

فأخذه حُمَيد بن ثَوْر فقال يصف الذئب :

إِذَا مَا غَـدَا يَوْماً رَأَيْتَ غَيَـايَةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِى هُوَصَانِعُ[4]

---

(١) الزيادة من م ويقول الجرجانى فى الوساطة ٢٧١ « زعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : « إلا أنها لم تقاتل » فهو المتقدم ، وأحسن من هذه الزيادة عندى قوله : « فى الدماء نواهل » وإقامتها مقام الرايات ، وبذلك يتم حسن قوله : إلا أنها تقاتل »

(٢) الطرائف ١٣ والوساطة ، ٢٧٠ والصناعتين ٢٢٥ وهبة الأيام ١٨٨ والذخيرة ١/٢٤٢

(٣) ديوانه ٤٣ وفى ط وهامش ك « ما غزوا » وانظر الخزانة ٢/١٩٦ وأخبار أبى نواس ١٦٤ ودلائل الإعجاز ٣٨٤ وهبة الأيام ١٩٠ والصناعتين ٢٢٥ والصبح المنبى ٣٧ والشعر والشعراء ١/١٢١ وفيه أن العلماء أخذوا عليه أنه « جعل الطير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين ، والطير قد تتبع العساكر للقتلى ، ولكنها لا تعلم أيها يغلب » والذخيرة لابن بسام ١/٣٤٢ — ٣٤٣ وفيه أن ابن شهيد يرى أن كل هؤلاء الشعراء « قصر عن النابغة ؛ لأنه زاد فى المعنى ودل على أن الطير إنما أكلت أعداء الممدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر ، وإن كان أبو تمام قد زاد فى المعنى » ويقول الصولى فى أخبار أبى تمام ١٦٥ : « ولا أعلم أحداً قال فى هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة ، وهو أولى بالمعنى ، وإن كان قد سبق إليه لأنه جاء به أحسن » ويرى القاضى الجرجانى فى الوساطة ٢٧١ « أن الأفوه الأودى قد فضل الجماعة بأمور : منها السبق ، وهى الفضيلة العظمى ، والآخر قوله : « رأى عين » فخبر عن قربها ؛ لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وإنما يكون قربها متوقعاً للفريسة . وهذا يؤيد المعنى ، ثم قال : « ثقة أن ستمار » فجعلها واثقة بالميرة ، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره ، وأما أبو نواس فإنه نقل اللفظ ولم يزد فيفضل »

(٤) يصف ذئباً يتبع الجيش طمعاً فى أن يتخلف رجل يثب عليه ؛ لأنه من بين السباع لا يرغب فى القتلى ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه . والغيابة : كل شىء أظل الإنسان مثل السحابة والغبرة والظل . والبيت فى الوساطة ٢٧١ والخزانة ٢/١٩٧ وأخبار أبى نواس ١/١٦٤ وهبة الأيام ١٨٨ وقد خرجه الميمنى من مصادر كثيرة — ليست هذه من بينها — فى تعليقه على الديوان ١٠٦

وقال أبو نُوَاس :

تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غُــدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ[١]

[تتأيّا] أى : تتعمد وتقصد .

* * *

١٤ ــ وقال منصور النَّمَرِىُّ فى مدح الرشيد :

وَعَيْنٍ مُحِيطٍ بِالْبرِيَّةِ طَرْفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُها وَبَعِيدُها

أخذه أبو تمام فقال :

أَطَلَّ على كُــلَى الآفاقِ حتى كَأَنَّ الأَرْضَ فِى عَيْنَيْهِ دَارُ[٢]

[ويروى طلى] . عجز هذا البيت حَسَن جداًّ ، وبيت النمرى أَحبُّ إلىَّ ؛ لأَن معناه أشرح .

١٥ ــ وقال مسلم بن الوليد

فَلَمَّا انْتَضَى اللَّيْلُ الصَّباحَ وَصَلْتَهُ بحَاشِيَةٍ مِنْ لَــوْنِهِ الْمُتَوَرِّدِ[٣]

أخذه أبو تمام فقال :

حُطَّتْ إلى قبَّةِ الإِسْلامِ أَرْحُلهُ وَالشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْساً على الْأُصُلِ[٤]

[أَو أَخذه من قول النمرى :

أَجَدَّ ولمّا يجمعِ الليلُ شملَه فما حلَّ إلا وهْو وَرْدُ المغاربِ]

(١) ط « غزوته » وما فى م يوافق ما فى الديوان ٦٩ والصناعتين ٢٢٦ والذخيرة ٢٤٢/١ وفى أخبار أبي نواس « تتأتى الطير » وفى الصبح المنبى ٣٧ وهبة الأيام « يتوفى الطير » وفى الوساطة ٢٧١ « تتأبى » وشرحها الناشران بقولهما « تتأبى تتعمد » ! وهو خطأ . ومعنى من جزره : أى من قتل الممدوح

(٢) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٥/٢ « كلى : جمع كلية ، واستعارها للآفاق ، لأن من اطلع على كلية الشيء فقد خبر أمره ، إذ كانت الكلية لا تكون إلا فى الباطن »

(٣) م « وصلته » وفى ديوانه ٦٢ « من فجره » انتضى : أظهر والمتورد : الأحمر ، يعنى الصبح يريد أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار .

(٤) ديوانه ٢٥٠ « إلى عمدة »

هذا ما ذكره ابن المنجم ، والذى أظن أنه أخذه من قول الآخر :

* وَالشَّمْسُ صَفْرَاءُ كَلَوْنِ الْوَرْسِ *

١٦ – وقال المرار[١] الْفَقْعَسِىُّ فى وصف الأثافِىّ :

أَثَرُ الْوُقودِ عَلَى جَوَانبها بِخدُودِهِنَّ كأَنَّهُ لَطْمُ[٢]

فأخذه أبو تمام فقال :

أَثافٍ كالْخدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً وَنؤْىٌ مِثْلُ ما انْفَصمَ السِّوَارُ[٣]

أوردَ المعنى فى مصراع ، وأتى فى المصراع الثانى بمعنى آخر يليق به فأجاد ، إلا أن بيت المرار أشرح وأظهر معنًى ؛ لقوله : « أثر الوقود[٤] على جوانبها » فأبان المعنى الذى من أجله أشبهت الخدود[٥] الملطومة .

١٧ – وقا أبو نُوَاس :

فالْخَمْرُ ياقوتَةٌ وَالْكأْسُ لُؤْلؤَةٌ مِنْ كَفِّ لُؤْلُوَةٍ مَمْشوقَةِ الْقَدِّ[٦]

أخذه أبو تمام فقال وأساء :

أَوْ دُرَّةٌ بَيْضاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ حَبَــلًا على ياقوتةٍ حَمْراء[٧]

لأن قوله : « [أطبقت] حبلا » كلام مستكره [قبيح] جدًّا .

---

(١) سقطت من الخطية

(٢) البيت له فى أمالى المرتضى ٢/٣٤

(٣) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٣ « وقال المرزوقى : شبه الأثافى فى أن أعلاها سواد فى حمرة بخدود حمر لطمت حتى اسودت ، وشبه النؤى لتثلمه ودروس بعض منه وبقاء بعض منه بسوار متكسر » وانظر الوساطة ٢٤٦ وأمالى المرتضى ٢/٤٣ .

(٤) ط « وأوضح معنى . . . أثر الورود » !

(٥) ط « أشبه الخدود » وفى م « شبهت بالخدود »

(٦) ديوانه ٢٦٥ « كف جارية »

(٧) ديوانه ٣ وشرح التبريزى ١/٣٧ « شبه الكأس بدرة لم تثقب والخمر بياقوتة حمراء ، فكأنها حمل فى جوفها وهى حبلى بها »

١٨ ـ وقال أبو تمام :

نَقِّل فؤادَكَ حَيث شِئتَ من الهوَى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأَوَّل[١]

أخذه من قول كُثَيِّر :

إذا وصلَتْنا خُلَّةٌ كَيْ تُزيلَها أَبَيْنا ، وقُلنا : الحاجِبِيَّةُ أَوَّلُ[٢]

وذكر محمد بن داود بن الجرّاح فى كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن الطَّثْرِيَّةِ إذ يقول :

أتانى هَواها قبل أن أَعرِفَ الهوَى فصادفَ قَلباً فارِغاً فتمَكَّنا[٣]

وهذا أجود ما قيل فى هذا المعنى ؛ لأَنه ذكر العلة .

١٩ ـ وقال أبو تمام :

وما سافَرْتُ فى الآفاقِ إلاَّ ومِن جدْواكَ راحِلَتِى وزادِى[٤]

مُقيمُ الظَّنِّ عِندكَ والأَمانى وإن قلِقتْ رِكابى فى البلاد

أخذه من قول أبى نُواس :

وإن جرَت الأَلفاظ يوْماً بمِدْحةٍ لِغَيرِكَ إنساناً فأَنتَ الذى نَعنى[٥]

---

(١) ديوانه ٤٥٧ وأخبار أبى تمام ٢٦٣ والصناعتين ٢٠٤ ، ٤١٨ والبيان والتبيين ٣١٣/٣ والحيوان ١٦٩/١ والأغانى ١٤٦/١٧ والعقد ٤٧٠/٣ ، ١٠٢/٦ غير منسوب ودلائل الإعجاز ٣٧ ومعاهد التنصيص ٢٢٩/١

وانظر تخريج المستشرق ويتر لهذا البيت فى أسرار البلاغة ١٠٨

(٢) الخزانة ٢٨٢/٢ والشعر والشعراء ٤٨٨/١ ودلائل الإعجاز ٢٧٩ وديوانه ٣١/٢ « إذا أرادت خلة أن تزيلنا » وفى أخبار أبى تمام ٢٧٤ « لتزيلها »

(٣) البيت له فى حماسة ابن الشجرى ١٤٥ وأخبار أبى تمام ٢٦٤ والزهرة ٢٢ ويعقب عليه داود الأصفهانى بقوله : « ولعمرى إن هذا من نفيس الكلام ، غير أن فى البيت ضعفاً ، وذلك أنه جعل سبب تمكن الهوى من قلبه أنه صادفه خالياً لم يسبقه إليه غيره ، وليست هذه أحوال أهل التمام إذ كل من صادف محلا لا يدافع عنه لم يتعذر عليه طريق التمكن منه » وقد نسبه الجاحظ فى البيان والتبيين ٤٢/٢ والحيوان ١٦٩/١ لمجنون بنى عامر

(٤) ديوانه ٨٩ وشرح التبريزى ٣٧٨/١ وأخبار أبى تمام ١٤١ والوساطة ٢٤٥

(٥) ديوانه ٦٦ وأخبار أبى تمام ١٤٢ والوساطة ٢٤٤

وقد كان ابن أبي دُؤاد سأله عن هذا المعنى حين أنشده القصيدة ، فقال : أهو مما اخترعته ؟ فقال : [هو ما اخترعته ، فقال : بل][1] أخذته من قول [الحسن] ابن هانى :

* وإن جَرَت الألفاظُ يوماً بمِدْحةٍ *

٢٠ – وقال ابن الخياط فى قصيدة يمدح بها المهدى – فأجازه جائزة فرّقها فى الدار ، فبلغه فأضعفَ له الجائزة – :

لَمستُ بِكَفّى كفّه أبْتَغِى الغِنَى ولم أدْر أنَّ الجُودَ مِن كَفِّه يُعْدِى[2]

أخذه أبو تمام فقال :

عَلَّمنِى جُـودُكَ السَّماحَ فما أبقَيتُ شَيئاً لَدىَّ مِن صِلتِكْ[3]

وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود .

٢١ – وقال [أبو على][4] دِعْبَل بن على :

وإنَّ امرأً أسْدَى إلىَّ بِشافعٍ لَدَىَّ يُرَجِّى الشكرَ مِنّى لأَحمقُ[5]

شَفِيعَكَ فَاشكرْ فِى الْحَوائِجِ ، إنَّه يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يخلقُ

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ :

فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطـائِهِ وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَىَّ مُرَّ سُؤالِهِ[6]

---

(١) الزيادة من م .

(٢) الأغانى ١٨/٩٤ وأخبار أبى تمام ١٥٩ والوساطة ٢١٦ والصناعتين ٢٠٠ وأمالى المرتضى ١/٥٢٢ . وأحكام القرآن ١/٤٦ وآداب الشافعى ١٤٠ ، ٣٣١ والبيت فى الأغانى ٣/١٥٠ طبع الدار لبشار ضمن حكاية .

(٣) البيت له فى الأغانى ١٥/١٠٤ ، والوساطة ٢١٦ وأخبار أبى تمام ١٥٨ والصناعتين ٢٠٠

(٤) من ك

(٥) الصناعتين ٢١٣ وأخبار أبى تمام ٦٤ والأغانى ١٥/١٠١ وفيها « إليه ويرجو »

(٦) ديوانه ٢٤٠ ويقال : إن رجلا سأل دعبلا عن شاهد يؤيد ما كان يدعيه من أن أبا تمام كان يتبع معانيه فيأخذها فأنشده هذا الشعر ، وإن الرجل قال له : لئن كان أخذ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك ، فغضب دعبل ، راجع الأغانى ١٥/١٠١ وأخبار أبى تمام ٦٣

وَإذا امْرُؤٌ أسدى إلَيْكَ صَنِيعَةً   مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّها مِنْ مَالِهِ

٢٢ – وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب ، فأخطأ فى المعنى :

كَذلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِى تَحَجُّبِهِ   حَتَّى يُرَى مُسْفِرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

أخذه أبو تمام فقال :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ منكَ لِى أمَلاً   إنْ السَّماءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ(١)

إلا أن لبيت أبى تمام وجهاً من الصواب ، قد ذكرته فى باب من هذا الكتاب مع ما أُخذ على مسلم بن الوليد فى بيته من العيب .

٢٣ – وقال النابغة الجعدى :

وَتَسْتَلِبُ الدُّهْمَ الَّتِى كانَ رَبُّهَا   ضَنِيناً بِهَا ، وَالْحَرْبُ فِيهَا الْحَرائِبُ(٢)

فأخذه أبو تمام فقال وقصر عنه :

لَمَّا رَأى الْحَرْبَ رَأْىَ الْعَيْنِ توفَلِسٌ
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ(٣)

أو أخذه من قول إبراهيم بن المهدى :

ومُسْعِرُو الحَرْبِ وَاسْمُ الْحَرْبِ قَد عَلِمُوا
لَوْ يَنْفَعُ العِلْمُ – مُشْتَقٌ مِنَ الحَرَبِ(٤)

---

(١) ديوانه ٢٢ وديوان المعانى ١/١٦١ وأخبار أبى تمام ٢٢٢

(٢) ديوانه ١٣٠ وأخبار أبى تمام ٥٥ وفى ديوان المعانى ٢/٦٦ « وتستلب المال » والبيت فى التحذير من الحرب .

(٣) شرح التبريزى ١/٧٠ وديوانه ١٠ و ط « نوفلس » وجواب لما مذكور فى البيت التالى هو :

غدا يصرف بالأموال جريتهـا   فعـزه البحر ذو التيار والحدب

الحدب : ارتفاع الماء تارة وانخفاضه أخرى . يقول : لما رأى توفلس الحرب تجرى إليه بالرجال كما تجرى السيول – بذل للمعتصم أموالا ليرجع عنه فعزه ، أى غلبه ، يريد المعتصم وجيشه »

(٤) فى أخبار أبى تمام ٥٥ « هم هيجوا الحرب »

٢٤ – وقالت مريم بنْت طارق ترثى أخاها فى أبيات أنشدناها ابن الأَنبارى[١] فى أماليه :

كنَّا كَأَنْجُم لَيْـلٍ بيننا قمرٌ ... يَجْلُو الدُّجَى ،فهوى مِنْ بيننا القَمَرُ[٢]

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى [جميعاً] ، فقال :

كأَن بَنِى نبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ ... نجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا البَدْرُ[٣]

أو أخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبتهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنها القَمَرُ[٤]

ولست أدرى أَيُّهما أخذ من صاحبه ؟ أمريمُ أَخذت من جرير ؟ أم جرير أخذ منها ؟

وروى دِعْبلِ بن على الخزاعى لأَبى سُلْمى المزنى – من ولد زهير ، واسمه مكنفٌ – الذى يهجو بَنِى القَعْقاع آلَ ذُفافة العبسيين[٥] فيقول :

إنَّ الضُّرَاطَ بِهِ تَعَاظَمَ مَجْدُكمْ ... فَتَعَاظَـمُوا ضَرِطاً بَنِى القَعْقَاعِ[٦]

قال دعبل : فلما مات ذُفافة رثاه أبو سُلْمَى فقال :

أَبَعْدَ أَبِى العَبَّاس يُستَعْتَبُ الدَّهْرُ ... ومَا بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ عُتْبَى ولا عُذْرُ[٧]

[إذا ما أَبو العبـاسِ خَلَّى مكانَه ... فلا حملت أنثى ولا مسّها طُهْرُ]

---

(١) م « أنشدنا إياها إبراهيم الأنبارى »

(٢) البيت لصفية الباهلية فى عيون الأخبار ٣/٦٦ وحماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٢/٩٤٩ وديوان المعانى ١/١٧ وأخبار أبى تمام ١٣٣ وفى العقد ٣/٢٧٨ لأعرابية . وروى للخنساء فى بعض نسخ ديوانها ١٣٤

(٣) ديوانه ٣٦٩ وعيون الأخبار ٣/٦٦

(٤) ديوانه ٢٩٧ وأخبار أبى تمام ١٣٤

(٥) ط « العبسى »

(٦) فى الأغانى ١٥/١٠٦ وأخبار أبى تمام ٢٠٠ « تصاعد جدكم »

(٧) الموشح ٣٢٨ والأغانى ١٥/١٠٧ والوساطة ١٨٨ وأخبار أبى تمام ٢٠٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/٢٥ وبين هذه المصادر اختلاف كثير فى ألفاظ القصيدة .

أَلاَ أَيُّهَا النَّاعِي ذُفافَةَ ذا النَّدَى تَعِسْتَ وَشَلَّتْ مِنْ أَنَامِلِكَ العَشْرُ
وَلاَ مَطَرَتْ أَرْضاً سَمَاءٌ ، وَلاَ جَرَتْ نجُومٌ ، وَلاَ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا الْخَمْرُ
كَأَنَّ بَنِى القَعْقاعِ يوم وَفاتِهِ نجُومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَينِها البَدْرُ[1]
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْـدَ وفاته فأَصْبحَ فى شُغْلٍ عَنِ السَّفرِ السَّفرُ[2]
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعزَّى بِهِ العُلَا وَيَبْكِى عَلَيْهِ البَأْسُ والمجْدُ وَالشِّعْرُ[3]
وما كانَ إلاَّ مالَ مَنْ قَلَّ مـالُهُ وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذخْرُ

قال أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجرّاح ؛ قال أبو محمد اليزيدى : أنشدنى دِعْبِلٌ هذه القصيدة ، وجعل يعجّبنى من الطائى فى ادعائه إياها ، وتغييره بعضَ أبياتها .

٢٥ ــ وقال مسلم بن الوليد يرثى :

فاذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوادِى مُزْنةٍ أَثْنَى عَلَيها السَّهْلُ والأَوْعارُ[4]

أخذ أبو تمام المعنى وقصّر فى العبارة ، فقال :

وَقَفْنا فقلْنا بعدَ أَنْ أُفْرِدَ الثَّرَى بِهِ ما يُقالُ فِى السَّحابةِ تُقْلِعُ[5]

وتقصيرُه عن مسلم أن مسلماً قال : « أَثْنى عليها السهل والأَوعار » فأَراد أن هذه السحابة عمّت بنفعها .

وفى قول أبى تمام : «ما يقال فى السحابة تقلع » إبهام ، لأَنه لم يُفْصح بالثناء عليها وأنها نفعت ، وقد يقال فى السحابة إذا أَقْلَعَتْ ما هو غير

---

(١) ط ، ك والوساطة « بعد وفاته »
(٢) فى أخبار أبى تمام والأغانى « يوم وفاته » وفى ط وبقية المصادر « بعد ذفافة »
(٣) هذا البيت والذى يليه ليسا فى الأغانى ولا فى أخبار أبى تمام
(٤) ديوانه ٢٣٨ وحماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٩٤٥/٢ وأمالى القالى ٢٧٦/١ وزهر الآداب ٦٦٥/٢ وفى ط « السهل والأجبال » وهو تحريف
(٥) ديونه ٣٧٣ « وقمنا فقلنا بعد أن أفراد الندى »

المدح والثناء ، إذا أتت[١] فى غير حِينها ، وفى غير وقت الحاجة إليها ، وكثيرًا ما يضرُّ المطر إذا كانت هذه حالَه .

وإن كان أبو تمام لم يُرد هذا القِسْم ، وإنما أراد القسم الآخر فقد قصّر[٢] فى العبارة والشرح ، ألا ترى إلى قول الشاعر الأوَّل ما أحْسَنَ ما شَرَط ! وهو طَرَفَةُ :

فَسَقَى دِيارَكِ غَيرَ مُفْسِدِها ... صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى[٣]

قال : « غير مفسدها » لما دعا لها بالسُّقْيا التى تدوم .

وقال البحترى :

أَلَحَّ جُودًا فَلم تَضْرُرْ سَحائِبُهُ ... وَرُبَّما ضَرَّ عِنْدَ الْحَاجَةِ الْمَطَرُ[٤]

وقول أبى تمام : « ما يقال فى السحابة تقلع » يحتاج إلى تفسير مع سَرِقته [المعنى][٥] .

٢٦ ـ وقال العباس بن الأحنف :

سأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا ... وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا[٦]

أخذه الطَّائى فقال :

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ ، كم افْتِرَاقٍ ... أَظلَّ فكانَ داعِيَةَ اجْتِماعِ[٧]

وبيت الأعرابى ـ وهو عُرْوة بن الوَرْد ـ أَجْوَدُ من بيتيْهما [ومنه أخذا] :

---

(١) ط « نزلت »

(٢) ط « الآخر فقط ، فقصر » !

(٣) ديوانه ٦٢ « فسقى بلادك » ومعاهد التنصيص ١/٣٦٢

(٤) ديوانه ٢/٩٥٦

(٥) من ك

(٦) البيت للعباس فى دلائل الإعجاز ٢٠٧ ومعاهد التنصيص ١/٥١ والوساطة ٢٢٩ وصبح الأعشى ٢/٢٥٨ وهو غير منسوب فى الكامل ١/١٧٣ وفى ك : « قيل عمرو بن لجأ »

(٧) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزى ٢/٣٣٦ والوساطة ٢٢٩ والصبح المنبى ١٥١ والكامل ١/١٧٤ وعيون الأخبار ١/٢٣٤ والصناعتين ٢٢٠ وأمالى المرتضى ٢/٢٥٦

تقولُ سُلَيْمى : لوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنا ولم تَدْرِ أَنِّى لِلْمُقام أُطَوِّفُ[١]

٢٧ ـ وقال أبو تمام :

أُسَرْبِلُ هُجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذًا لَهَجَانِى عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِى[٢]

أخذ المعنى من قول بعض الخوارج[٣] وسَامَه قَطَرِىُّ بن الْفجَاءَة قِتالَ الحجاج فأَبَى ؛ لأن الحجاج كان مَنّ عليه ، فقال :

أَأُقاتِلُ الْحَجَّاجَ عنْ سُلْطانِهِ بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ[٤]

إِنِّى إِذًا لَأَخُو الدَّنَاءَةِ وَالذِى عَفَّتْ على إِحْسَانِهِ جَهَلَاتُهُ

ماذا أَقُولُ إِذا وقفتُ إِزاءَهُ فى الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلاتُه

أَأَقُولُ : جارَ عَلَىَّ ؟ لا ، إِنِّى إِذًا لَأَحَقُّ مَنْ جَارتْ عليهِ وُلاتُهُ

وَيُحَدِّثَ الأَقْوَامُ أَنَّ صَنائِعاً غُرِسَتْ لَدَىَّ فَحَنْظَلَتْ نَخَلاتُهُ

٢٨ ـ وقال قيس بن الخَطِيم :

قَضَى لها اللهُ حِينَ صوَّرَهَا الْ خالِقُ أَن لا يُكِنَّها سَدَفُ[٥]

أخذه أبو تمام فقال :

فنَعِمْتُ من شَمْسٍ إذا حُجِبتْ بَدَتْ منْ نُورِها فكَأَنَّها لَمْ تُحجَبِ[٦]

---

(١) ديوان عروة ٩٣ والكامل ١/١٧٣ والوساطة ٢٢٩ والأغانى ٢/١٩٤ وغير منسوب فى عيون الأخبار ١/٢٣٤ والصناعتين ٢٢٠ ومعاهد التنصيص ١/٥٢ وفى الأغانى والديوان ، ك : « لو أقمت لسرنا »

(٢) ديوانه ١٢٩ وشرح التبريزى ٢/١١٦ « أألبس » وأخبار أبى تمام ٢٠٤ ودلائل الإعجاز ٣٨٣ ومعاهد التنصيص ١/٣٦ وزهر الآداب ٢/٨٥٥

(٣) هو عامر بن حطان الشارى ، كما فى إعتاب الكتاب ٢٦ وغرر الخصائص ٢٣٩

(٤) زهر الآداب ٢/٨٥٥ لعمران بن حطان ، وغير منسوبة فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/٦٧ وأخبار أبى تمام ٢٠٥ والأول والثالث كذلك فى الصناعتين ٢١٥ ودلائل الإعجاز ٣٨٣ وانظر بقية القصيدة فى غرر الخصائص

(٥) ديوانه ١٧ والأصمعيات ٢٢٧ والأغانى ٢/١٦٨ والمختار من شعر بشار ١٤٢ ومجموعة المعانى ٢١٣ والصناعتين ١٩٨ والوساطة ٢٩٧

(٦) ديوانه ١٢ وفى شرح التبريزى ١/١٠١ « أى نعمت من جارية كالشمس فى حسن وجهها ونوره إلا أنها إذا حجبت خرق نور وجهها الحجاب فبدت ، والشمس بخلاف ذلك »

أو أخذه من قول أبي نواس :

تَرَى ضَوْءها من ظاهرِ الكأْسِ ظاهرًا عليْكَ ، وَلَوْ غَطَّيْتَها بِغِطَاءِ[١]

٢٩ ـ وقال مسلم بن الوليد :

يُصِيبُ منكَ ، معَ الآمالِ ، طالِبُها حِلْماً وعِلْماً وَمَعْرُوفاً وَإِسْلامَا[٢]

أخذه أبو تمام فقال وأبرّ[٣] عليه وإن كان بيت مسلم أَجْمَعَ للمعنى :

تَرمى بِأَشْباحِنا إِلَى ملكٍ نَأْخُذُ من مالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ[٤]

٣٠ ـ وقال أبو نُوَاس :

تَبْكى البدورُ لضحكِهِ وَالسَّيفُ يَضْحكُ إِنْ عَبَسْ[٥]

أراد بالبدور [ههنا] جمع بَدْرة . أخذه أبو تمام وقصر عنه فقال :

كلُّ يومٍ لهُ وكلّ أَوَانٍ خُلقٌ ضاحكٌ وَمالٌ كَئِيبُ[٦]

فبإزاء هذا البيت قولُ أبي نواس : «تبكى البدور لضحكه» وقوله :

« والسيف يضحك إن عبس » فَضْلٌ .

٣١ ـ وقال جرير :

* وهُنَّ أَضعفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانا *[٧]

أخذه أبو تمام فجعله فى [وصف][٨] الخمر ، فقال :

---

(١) ديوانه ٥٤ ط الحلبى ، والوساطة ٢٩٧ وفى هامش ك « فى شعره : ساطعاً عليه »

(٢) ديوانه ٥٦

(٣) ط « وبرز »

(٤) ديوانه ٥٢ وشرح الصولى ١/٢٧٦ والموشح ٣٢٦ وأخبار أبي تمام ١٧٧

(٥) شرح التبريزى ١/٢٩٩ ولم يرد فى ديوانه

(٦) ديوانه ٥٨ وشرح التبريزى ١/٢٩٩

(٧) صدره : « يصرعن ذا اللب حتى لا صراع به » ديوانه ٥٩٥ وشرح التبريزى ١/٣٤ والشعر والشعراء ١/١٢

(٨) من ك

وَضَعِيفةٍ فَإِذا أصابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ ، كَذلكَ قُدْرَةُ الضُّعَفاءِ

٣٢ ـ وقال رجل من بنى أسد ، وكان أبو عبد الله الحرشى (١) أحد شعراء الشاميين أنشدنيه لبعض شعراءِ بنى أسد :

تَغَيَّبتُ كى لا تَجْتَوِينى دِيارُكُم ولو لم تَغِب شمسُ النهارِ لَمُلَّتِ (٢)

[وظننته مصنوعاً حتى وجدت عبد الله بن المعتز بالله ، ذكر فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراءِ عجز هذا البيت [وهو] (٣) : * ولو لم تغب شمس النهار لملت * للكميت ابن زيد] (٤)

أخذه الطائى فقال :

فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ (٥)

فأما قول القائل (٦) :

فإنى رأيتُ القَطْرَ يُسْأَمُ دَائباً ويُسْأَلُ بالأَيدى إذا هو أمسكا (٧)

فمن أبى تمام أخذه ، لأنه متأخر بعده .

٣٣ ـ وقال مسلم بن الوليد :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجلٌ يَسْعَى إلى أَملِ (٨)

---

(١) ط « الجرشى » و م « الحوشى »

(٢) ط « لا تحتوينى »

(٣) من ك

(٤) الشطر للكميت فى ديوان المعانى ٢/٢٣٩

(٥) روضة العقلاء ٩٧ وفى ط وديوانه ١٠١ وشرح التبريزى ٢/٢٣ « إلى الناس » وكذلك فى أخبار أبى تمام ٦١ والموشى ٢٨ ونهاية الأرب ١/٤٢ وديوان المعانى ٢/١٩٠ وأسرار البلاغة ١١٢ وفى ط ، م : « إلى الخلق »

(٦) ط « قول الإيادى »

(٧) غير منسوب فى الموشى ٢٨ وروضة العقلاء ٩٧ وديوان المعانى ٢/٢٣٩ وفى م « دائماً » وفى ك « ويطلب » وقبله :

عليك بإقلال الزيـارة إنهـا تكون متى دامت إلى الهجر مسلكا

(٨) ط « على نهج » وفى ديوانه ٩ « واليوم ذو » يقول : هو موف على مهج يوفى عليها بالقتل فى يوم ذى رهج ، أى غبار من الحرب ، يعمل فى الناس عمل الأجل فى الأمل .

فأخذه الطائى فقال وقصّر :

رَآهُ الْعِلْــجُ مُقتحِماً عليه　　كما اقْتَحَم الفناءُ على الْخُلُود[١]

٣٤ ــ وقال قَطَرِىّ بن الفُجاءَة :

ثُمَّ انْثَنَيْتُ وقد أَصبتُ ولم أُصَبْ　　جَذعَ البصيرةِ قارِحَ الإقدامِ[٢]

أخذه أبو تمام فقال ــ [وكأنه عكس المعنى وكلاهماجيد حسن] ــ :

ومُجَرِّبون سقاهُم من بأْسِهِ　　فإذا لُقُوا فَكأَنَّهمْ أَغْمارُ[٣]

وقد كرر هذا المعنى فى بيت آخر فقال :

كَهلُ الأَناةِ فتَى الشَّذاةِ ، إذا غَدا　　للحرب كان الماجدَ الغِطْرِيفا[٤]

٣٥ ــ وقال الآخر :

يَبيعُ ويَشترى لهمُ سواهمْ　　ولكنْ بالطِّعانِ هُمُ تجِارُ

أخذه[٥] الطائى فقال وقصَّر وغير المعنى وجاءَ بغرض آخر :

لُفُظٌ لِأَخلاقِ التِّجَارِ ، وإنهم　　لِغَدٍ بِما ادَّخروا له لَتِجَارُ[٦]

---

(١) ديوانه ١٠٥ وشرحه ٢/٣٧

(٢) من أبيات فى حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ١/١٣٨

(٣) ديوانه ١٤٨ وفى شرح التبريزى ٢/١٨٧ « كسر الراء أبلغ من فتحها . سقاهم من بأسه : أى ركب فيهم من طبعه من النجدة والثبات فإذا لقوا فى الحرب فكأنهم أغمار ، أى لم يجربوا الأمور »

(٤) ديوانه ٢٠٧ وشرح التبريزى ٢/٣٨٢ « كان القشعم» والقشعم : المسن . والشذاة : بأس الرجل ونفاذه . والغطريف : الحدث . يقول : يتأنى فى الأمور تأنى الشيخ ، ويعجل إلى البأس عجلة الشاب ، فهو مسن حدث فى الحالين » .

(٥) ط « ويروى بالرماح أخذه . . . »

(٦) لقد كتب تحتها فى « خ : لفدا » كما فى ط . وهما روايتان .

ويروى : « لغدا بكسب الصالحات » وفى ديوانه ١٤٨ « وإنهم بكثير ما فضلوا به لنجار »

وقد شرح الشيخ « محمد محيي الدين » البيت على رواية الأصل فأخطأ فى شرحه إذ يقول : « يعنى أنهم يتركون أخلاق التجار لدناءتها ، ولكنهم لكثرة ما أحرزوا من المحامد والمكرمات ولكثرة ما اكتسبوا بها من ثناء وحمد ، يشبهون التجار فقد اشتروا حمد الناس وثناءهم عليهم بكريم سجاياهم ، فكانوا الرابحين » والصواب ما قاله التبريزى فى شرحه ٢/١٧٨ « أى يلفظون أخلاق التجار فى الدناءة وتدقيق=

٣٦ ـ وقال أبو نُوَاس يمدح الخصيب :

فما جازهُ جودٌ ، ولا حلَّ دونهُ ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ[١]

أخذه أبو تمام فقال [يمدح بن أبي دؤاد ، فقصر عنه] :

إليك تناهَى المَجْدُ من كلِّ وِجهةٍ يصيرُ فما يَعْدُوكَ حيثُ تصيرُ[٢]

٣٧ ـ وقال جرير يهجو الأخطل :

مازِلتَ تَحْسَبُ كُلّ شيءٍ بعدهم خَيلاً تكُرُّ عليكمُ ورجالاَ[٣]

أخذه أبو تمام فقال :

حَيرانَ يَحْسِبُ سِجْفَ النَّقْعِ من دَهَشٍ سِمْفاً يُحاذِرُ أن ينقضَّ أوجُرُفَا[٤]

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوّ ﴾[٥]

٣٨ ـ وقال مسلم بن الوليد يرثي :

سلكَتْ بِك العربُ السبيلَ إلى العُلى حتى إذا سبقَ الرَّدى بِك حاروا[٦]

= النظر فيما يتعلق بمنافع الدنيا ، لكنهم مع ذلك تجار بالأعمال الصالحات لترجحهم عند الله سبحانه» وفى هامش ك « ع ، سماعى : لغدا بكسب الصالحات تجار » وهى نص فى المعنى الذى ذهب إليه التبريزى .

(١) ديوانه ٩٩ والوساطة ٢٨٤ وفى ط « يسير . . . يسير »

(٢) ديوانه ١٦٠ وفى شرح التبريزى ٢١٨/٢ « تقديره : يصير حين تصير فما يعدوك »

(٣) ديوانه ٤٥١ ونقائض جرير والأخطل ١٨٩ والمختار من شعر بشار ٩ والحيوان ٢٤٠/٥ وشرح شواهد الشافية ١٢٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٢٧ وهو غير منسوب فى الصناعتين ٢٢١ وحماسة البحترى ٢٦١ ومشكل القرآن ٧ وديوان المعانى ١٩٥/١ ونهاية الأرب ٣٥٦/٣ . وفى ك : « عليهم »

(٤) ط : « نقى بجازد » وفى ديوانه ٢٠٢ وشرح التبريزى و ك ٣٦٩/٢ « طوداً » وفيه : « السجف : بمعنى الستر ، والنقع : الغبار ، والطود : الجبل . يقول : هذا المنهزم من خوفه يحسب أن ستر الغبار طود يريد أن ينقض عليه أو جرف واد ، لأنه الجرفة من شأنها أن تنهار »

(٥) سورة المنافقين : ٤ وقد أخذ المؤلف فكرة أخذ جرير لمعنى الآية من ابن قتيبة فى مشكل القرآن ٦

(٦) ترجمته من كتاب الأغانى الملحقة بآخر الديوان ٢٣٨ « حى إذا بلغ المدى » ويروى : « سبق المدى » وفى ط « داروا » وانظر الشعر والشعراء ٨١٧/١ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٩٤٥/٢ ـ ٩٤٦

نفضتْ بِكَ الأَحلاسَ نفضَ إِقامةٍ   واسترجعتْ نُزَّاعَها الأَمصارُ[١]

[أخذه[٢] مسلم من قول النابغة :

وإن يَهلكِ النعمانُ تعر مطيةٌ   وتُخبأُ فى جوفِ العُبابِ قُطوعُها] [٣]

أَخذه أَبو تمام فقال :

تُوُفِّيَتِ الآمالُ بعدَ مُحمَّدٍ   فأَصبح فى شغل عن السَّفرِ السَّفْرُ[٤]

أَو أَخذ ذلك من [قول] أَبى سُلْمى يرثى ذُفافةَ العبسى كما ذكر دِعْبِلٌ[٥]

٣٩ ـ وقال توبة بن الحميِّر :

يقولُ أُناسٌ : لا يضيرك نأْيُها   بلى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُها[٦]

أَخذه أَبو تمام فقال وزاد فيه :

لا شَىْءَ ضائرُ عاشِقٍ ، فإِذا نَأَى   عنه الحبيبُ فكُلُّ شَىْءٍ ضائِرُهْ[٧]

٤٠ ـ وقال عنترة :

فشكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصمِّ ثِيابُه   ليس الكريمُ عَلَى القنا بِمُحرَّمِ[٨]

---

(١) النزاع : جمع نازع ، وهو البعيد والغريب . يعنى أن المقيم موضعه رفض الترحال بعد موته ، والمسافر عاد إلى مقره يأساً من كسب المال .

وفى هامش ك فى قال ع : فى كتابى : « نفضت بك الأيام أحلاس المنى » .

(٢) فى « لا ليس هذا أخذه »

(٣) ديوانه ٧٣ « ويلق إلى جنب الفناء قطوعها » والقطوع : جمع قطع ، وهى الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفى البعير . يقول : إن هلك النعمان ترك كل وافد الرحلة ولم يستعمل مطيته ورمى بأدواتها إلى جنب الفنار استغناء عنها . وما بين القوسين من م

(٤) ديوانه ٣٦٨

(٥) راجع ص ٦٩ ـ ٧٠

(٦) أمالى القالى ١/٨٨ والشعر والشعراء ١/٤١٣ وفى ط « لا يضرك »

(٧) ديوانه ١٥٥ وشرح التبريزى ٢/٢١٠

(٨) شرح القصائد العشر ١٩٦ وفى ط « الرمح الطويل » وهما روايتان .

أخذه أبو تمام فقال :

يَحْمِلنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ، سُمْرُ القنا   بإهابه   أولى من السِّربال[١]

قال ذلك لأنه ظن أن عنترة أراد الثياب نفسها ، وإنما أراد عنترة بقوله « ثيابه » نفسَه .

٤١ – وقال مسلم بن الوليد :

يكسو السيوفَ نفوس النَّاكِثِينَ به   ويجعلُ الهامَ تِيجانَ القنا الذُّبُلِ[٢]

أخذه أبو تمام – وأساء الأخذ وتعسف اللفظ – فقال :

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهةِ مِن   قَنــا الظُّهُورِ قَنا الخَطِّيِّ مُدَّعَما[٣]

أو أخذا المعنى جميعاً من قول جرير :

كأَن رُؤُوسَ القوم فوق رماحِنا   غداةَ الوغَى تِيجانُ كسرى وقيصرا[٤]

٤٢ – وقال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إليها بعدَما نَام أهلُها   سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حالاً على حالِ[٥]

أخذه أبو تمام ، وعدل به إلى وجه المديح ، فقال :

سَمَا لِلْعُلا من جــانبَيها كلَيهما   سُمُوَّ عُبابِ الماءِ جاشت غواربُهْ[٦]

---

(١) ديوانه ٢٦١

(٢) ديوانه ١٠ « دماء الناكثين » وعجزه في ديوان المعاني ٢/٧١ . يريد بقوته يكسو السيوف دماء الناكثين به ، أي يطلبها بدمائهم ، فجعل تلك الدماء كسوة لسيفه ، ومن روى يكسو السيوف رؤوس الناكثين ، أي يحمل السيوف على رؤوس الناكثين ، ويحمل الهام تيجان القنا الذبل : أي يجعل الرؤوس في أسنة الرماح .

(٣) ديوانه ٣٠٣ وفي الوساطة ٢٢٤ « وقد عد هذا من سرقات أبي تمام ولست أراه كذلك ؛ لأنه ليس فيه أكثر من رفع الرؤوس على القنا ، وهذا مشترك لا يسرق ، فأما إبدال القنا بقنا فلم يعرض له مسلم ولا جرير ، وهي ملاحظة بعيدة . وأقرب من ذلك إليه قول أبي تمام :

من كل ذي لمة غطت ضفائرها   صدر القناة فقد كادت ترى علما »

(٤) الوساطة ٢٢٣ وعجزه في ديوان المعاني ٢/٧١

(٥) ديوانه ١٤٠ والشعر والشعراء ٢/٨٥

(٦) ديوانه ٤٥ وشرح التبريزي ٢٣٤

وما قيل فى إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرئ القيس هذا .

٤٣ – وقال الفرزدق يهجو جريرًا :

أنْتم قَرارةُ كُلِّ مَدْفعِ سَوْءَةٍ ولكُلِّ سائلةٍ تَسِيرُ قرارُ[١]

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعاً فقال :

وكانت لـوعةً ثم اطمأَنَّتْ كَذَاكَ لِكُلِّ سائلةٍ قرارُ[٢]

٤٤ – وقال محمد بن بشير الخارجى – من خارجة عَدْوانَ – :

وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه لم تَدرِ أيُّهما ذَوو الأَرحامِ[٣]

فأخذه أبو تمام فقال :

فلوْ أبصَرْتَهم والزَّائرِيهِمْ لَما مِزْتَ البعيدَ مِن الحميمِ[٤]

فقصَّر عن الأول .

٤٥ – وقال بعض الأعراب يصف المصلوبَ[٥] ، أنشده ثعلب :

قامَ ولمَّا يَستعِنْ بِساقهِ آلَفَ مَثْواه على فِراقِه[٦]

* كأنَّما يَضحكُ فى أشْداقه[٧] *

---

(١) ديوانه ٢/٤٦٨ « دافعة تسير » وفى ديوان المعانى ١/١٧٥ « كل معدن ... تسيل قرار »

(٢) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٣ وفى ديوان المعانى « وكانت زفرة »

(٣) من أبيات له فى أمالى الزجاج ٨٩ ومعجم الشعراء ٤١٢ وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٣/٨٠٩ ورويت لعمر بن عمير فى معجم الشعراء ٢٤٥ ولابن هرمة فى البيان والتبيين ١/١٦٨ ، ٢/٢٣٣٢

(٤) ديوانه ٢٨٩ وفى ط « الحميم من البعيد »

(٥) فى الكامل ٢/٧٦٢ « وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيد المهلبى » وفى التشبيهات ٢٤ لابن الرومى

(٦) بعده فى التشبيهات :

كأنه فى الجذع [illegible] رأى حبيبا هم باعتناقه

(٧) فى الكامل : « أراد بياض الشريط فى فيه » وفى ط « فى إشراقه »

فأخذ أبو تمام قوله : « آلف مثواه على فراقه » فقال :

لا يَبرحون ومَن رَآهم خالَهم   أَبَدًا على سَفَرٍ منَ الأَسفارِ[١]

٤٦ – وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سُبِقَ إليه :

لا يَستطيعُ يزيدُ مِن طَبِيعتِه   عن المُرُوءَةِ والمَعروفِ إحْجاما[٢]

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاده ، فقال :

تَعوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتى لوَ انَّهُ   دَعاها لِقَبضٍ لم تُجِبه أنامِلُه[٣]

٤٧ – وقال ذو الرمة :

ولَيلٍ كَجِلبابِ العَروسِ ادَّرعْتُه   بِأَرْبعةٍ والشخصُ فى العَيْنِ واحِدُ[٤]

أَحَمُّ عِلافِىٌّ ، وأَبيَضُ صارِمٌ   وأَعْيَسُ مَهْرِىٌّ ، وأَرْوَعُ ماجِدُ

أخذه أبو تمام [فقال] وقصّر وليس هو المعنى بعينه :

البِيدُ والعِيسُ والليْلُ التَّمَامُ مَعاً   ثلاثةٌ أبدًا يُقْرَنَّ فى قَرَنِ[٥]

والذى تبع ذا الرمة فأحسن الاتباع [الوليد بن عبيد] البحترىُّ فى قوله :

---

(١) ديوانه ١٥٤ وفى شرح التبريزى ٢/٢٠٨ « لسواد وجوههم وتشمرهم »

(٢) ديوانه ٥٥ يمدح يزيد بن مزيد الشيبانى ، وفيه : « عن المنية » أى لا يستطيع يزيد من طبيعته انصرافاً عن التقحم للمنية فى الحرب ، لا عدولا عن العطاء

(٣) ديوانه ، ك ٢٣٢ « ثناها . . . لم تطعه »

(٤) مجموعة المعانى ١٩٠ ونثار الأزهار ١٥ ، ١٩ وديوان المعانى ١/٣٤٢ والصناعتين ٢٣٣ ، ٢٤٧ وأمالى المرتضى ١/٤٨ وأخبار أبى تمام ٨٣ والعمدة ١/٢٦٧ واللسان ٧/١٦٢ والحيوان ٣/٢٥٠

شبه سواد الليل بجلباب العروس وهو أخضر ، والخضرة الشديدة راجعة إلى السواد ولذلك تجمع العرب بينه وبين الخضرة . وجاء فى ديوانه : « جبت الليل بأربعة » ثم فسر الأربعة فقال : أحم : أسود ، يعنى الرحل . علافى : منسوب إلى علاف حى من العرب يعملون الرحال . والأبيض : سيف صارم قاطع . والأعيس : الأبيض ، يعنى بعيره . وأشعث يعنى نفسه . والماجد : الكثير المفاخر ، هذه الأربعة شخصها فى العين واحد لاجتماعها فى سواد الليل والمهرى من الإبل : منسوب إلى مهرة حى من عرب اليمن . والأروع : الذى يروعك بجماله وهيبته .

(٥) الصناعتين ٢٣٣ وأخبار أبى تمام ٨٢ وفى ديوانه ٣٣٤ « العيس والهم والليل »

يا خَلِيلَىَّ بِالسَّوَاجِيرِ مِن وُدْ دِ بْنِ مَعْنٍ وبُحتُر بنِ عُتود[١]
أُطلُبـــا ثالِثاً سِوايَ فإنِّى رابعُ العِيسِ والدُّجَى والبِيدِ[٢]

٤٨ ـ وقال النابغة الذبيانى ، وكان الأصمعى يتعجب من جَودَته :

وعَيَّرَتْنى بَنو ذُبْيانَ رهبتَه وهلْ علىَّ بأَنْ أَخْشاكَ مِن عارِ[٣]

أخذه أبو تمام فقال وزاد [فيه] ذِكر الموت :

خَضعوا لِصوْلَتِكَ التى هى عِندهمْ كالموْتِ يَأْتى لَيس فيه عارُ[٤]

٤٩ ـ وقال كعب بن زهير يمدح قريشاً :

لا يَقعُ الطعنُ إلا فى نُحورِهمُ وما لَهم عن حِياضِ المَوت تَهليلُ[٥]

أَخذه أبو تمام ـ على ما ذكر[٦] بعض الرواة ـ فقال يرثى بنى حُمَيد :

لوْ خَرَّ سَيفٌ مِن الجوزَاءِ مُنْصَلِتٌ ما كانَ إلا على هاماتِهم يَقَعُ[٧]

ويروى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى ، فقال : أخذته من قول نادبة : لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ .

فأما قول كعب : « لا يقع الطعن إلا فى نحورهم » فإنه [إنما][٨] أراد أنهم لا يولون الدبر ، وليس من معنى أبى تمام فى شىء .

---

(١) ديوانه ٦٩٢
(٢) الصناعتين ٢٣٤ وأخبار أبى تمام ٨٣
(٣) ديوانه ٥٨ وفى ط ، ك « خشيته » وهما روايتان .
(٤) ديوانه ١٤٦ وشرح التبريزى ٢/١٧٠ وفيهما « خشعوا » وأخبار أبى تمام ٩٩
(٥) ديوانه ٢٥ « ما إن لهم » قال السكرى : « يقال : هلل الرجل : إذا جبن فى حملته . قال الأصمعى : لا يفرون ولا ينهزمون فيقع الطعن فى نحورهم . وقال غيره هلل الرجال : إذا هرب . وإنما أراد أنهم يواجهون القتال » وفى ك : « ليس لهم »
(٦) ط « كما قال لى بعض »
(٧) فى الموشح ٣٢٣ وأخبار أبى تمام و ط و ك : « من العيوق منصلتا » وفى ديوانه ٣٧١ « منصلت »
(٨) من ك

٥٠ ـ وقال [أبو تمام] يصف الراية :

تَخفِقُ أَثْنـاؤها على مَلِكٍ   يرَى طِرادَ الأَبطالِ مِن طَرَدِهْ[1]

أخذه من قول أبي نواس :

* تعُدُّ عينَ الوَحشِ مِن أَقواتِها *[2]

وأخذه أبو نواس من قول أبي النجم :

* تعدُّ عاناتِ اللوَى مِن مالِها *[3]

٥١ ـ وقال أبو تمام يستهدى نبيذًا :

وَهْىَ نَزْرٌ لوَ انّها مِن دُموعِ الصَّـ   ـبِّ لم تَشْفِ مِنه حَرَّ الغَليلِ[4]

أخذه من قول الآخر أو أخذه الآخر منه ، والمعنيان متشابهان :

لوْ كانَ ما أَهْدَيْتَهُ إِثمِدًا   لم يَكفِ إلاَّ مُقْلةً واحِدهْ[5]

٥٢ ـ وقال يصف [غناء][6] مغنية تغنى بالفارسية :

ولم أَفْهمْ مَعانِيهَا ، ولكِنْ   وَرتْ كَبِدى فلم أَجْهَل شَجاها[7]

أخذه من قول الحسين بن الضحاك [الخليع] على ما فى قول الخليع من المناقضة :

---

(١) ديوانه ٩٣ أثناؤه أى أعطافه . وفى شرح التبريزى ١/٤٤١ « تخفق أفياؤه » قال المرزوقى : أى أفياء هذا العلم ، فقاتلة الشجعان عنده صيد »

(٢) الشعر والشعراء ٢/٥٨٧ وديوانه المعانى ٢/١٠٩ « عير الوحش » وديوانه ٢٠٩ وقبله : « بأكلب تمرح فى قداتها »

(٣) الشعر والشعراء ٢/٥٨٧

(٤) ديوانه ٤٠٧ وأخبار أبى تمام ١٨٥

(٥) البيت لأبى مالك الرسعنى ، كما فى أخبار أبى تمام ١٨٦

(٦) من ك

(٧) ديوانه ٤٦٧ الكامل ٣/٨٥٢ وديوان المعانى ١/٣٢٥ وأخبار أبى تمام ٢١٤ وزهر الآداب ١/١٥٢ وفى ط « شجت كبدى »

وما أفهمُ ما يَعنِى مُغَنِّينا إذا غَنَّى[1]
سِوَى أَنِّىَ مِن حُبِّى لَه أَستَحْسِنُ المَعنَى

لأنه قال : « وما أفهم ما يعنى [مغنينا] » ثم قال : « أستحسن المعنى » وإنما أراد بالمعنى اللحنَ ، لا معنى القول .

وأجود من ذلك كله قول حُمَيد بن ثَوْر يصف الحمامة :

ولم أرَ مِثلى شاقَه صوتُ مِثلِها ولا عَربيًّا شاقه صوْتُ أعجَما[2]

٥٣ ـ وقال الفرزدق يرثى امرأة كانت[3] حاملا :

وجَفْنِ سلاحٍ قد رُزِئتُ فلم أَنُحْ عليه ولم أَبعَثْ عليهِ البَواكيا[4]
وفى بَطنِه من دارِمٍ ذُو حفيظةٍ لوَ انَّ المَنايا أمهَلَته لياليا

أخذه أبو تمام فأجاد الأخذ وأحسن اللفظ[5] وأصاب فى التمثيل ، فقال [يرثى ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر][6] :

لَهَفِى على تِلكَ المَخايلِ فيهما لوْ أُمهِلَتْ حتى تكونَ شمائلا[7]
إنَّ الهلالَ إذا رأيتَ نموَّه أيقَنْتَ أنْ سيَكونُ بَدرًا كاملا

٥٤ ـ وقال أبو تمام :

صَلتان أعداؤه حيثُ حَلُّوا فى حَديثٍ مِن ذِكرِه مُستَفاضٍ[8]

---

(١) أخبار أبى تمام ٢١٥

(٢) ديوانه ٢٧ وانظر تخريجه هناك وفى أخبار أبى تمام ٢١٥ والحيوان ٣/١٩٧

(٣) ط ، ك « امرأة له ماتت »

(٤) ديوانه ٨٩٤ « وغمد سلاح » و « وجوفه من . . . أنسأته لياليا » وفى م « وفى طيه » وانظر تخريجه فى أخبار أبى تمام ٢٢٠

(٥) ط « فقال . . . وأجاد اللفظ وأحسن الأخذ »

(٦) الزيادة من ط

(٧) ديوانه ٣٨٠ « تلك الشواهد » و « أن سيعود بدراً » وانظر تخريجه فى هامش أخبار أبى تمام ٢١٨ وأسرار البلاغة ١٢٢ طبع ريتر

(٨) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزى ٢/٣١١ « من عزمه » وصلتان : ماض فى أمره وفى ط «حيث كانوا » وهما روايتان .

فأخطأ فى قوله : «مستفاض» وإنما هو مستفيض . وقد احتجّ له محتج بأن قال : أراد مستفاض فيه ، وإنما جعلهم يُفيضون فى ذكره لأنهم أبدًا على حال وَجَلٍ واحتراس من إيقاعه بهم ؛ فهم لا يقطعون ذِكرَه لشدة الخوف منه ، ألا تراه قال : «حيث حلوا» أى : هم بهذه الحال قريباً كانت دارهم منه أو بعيدة ؟

وأخذ هذا المعنى من قول [الأعشى] أعشى باهِلةَ يرثى أخاه لأمه المنتشر :

لا يأْمنُ القومُ مُمساهُ ومُصْبَحَه فى كلِّ فَجٍّ وإنْ لم يَغزُ يُنتَظَرُ[(١)]

أو من قول عُرْوة الصّعاليكِ :

وإن بَعُدوا لا يَأْمَنونَ اقْترابَه تَشَوُّفَ أهلِ الغائبِ المُتَنَظَّرِ[(٢)]

وهذان البيتان جميعاً أوضحُ[(٣)] وأشرحُ وأجودُ من بيت أبى تمام .

وقد قيل : إنه أراد أن أعداءه يُقرُّون بفضله، ويُفيضون فى ذكر مناقبه. وذلك محتمل ، والمعنى الأول أقوى [وأقيس] وأفشى فى كلامهم .

٥٥ ــ وقال بشار بن بُرد :

شربْنا منْ فؤادِ الدَّنِّ حتى تَركنا الدَّنَّ ليسَ لهُ فؤادُ[(٤)]

أخذه أبو تمام فقصّرَ عنه ، فقال :

غَدتْ وهْىَ أوْلى مِن فؤادِى بِعَزْمَتى
ورُحْتُ بما فى الدَّنِّ أوْلى مِن الدَّنِّ[(٥)]

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١٧٥ والكامل ٣/ ١٢٣٠ وجمهرة أشعار العرب ١٤٧ والأصمعيات ٩٢ والمكاثرة ١٤ وأمالى اليزيدى ١٧ وأمالى المرتضى ٢/ ٢٣ ومختارات ابن الشجرى ١٠

(٢) ديوانه ٨٠ وفى طبعة مصر ٩٣ «تشوق»

(٣) م «أصح»

(٤) ديوانه ٣/ ٥٢ وفيه : «من بنات الدن»

(٥) ديوانه ٣٣٩

[وقال أبو نواس :

ما زلتُ آخذُ روحَ الزِّقِّ فى لطفٍ وأستبيحُ دمًا من غيرمجروح[١]

حتى غدوتُ ولى رُوحانِ فى بدنى والدَّنُّ مطَّرَحٌ جسمٌ بلا روح] [٢]

٥٦ ـ وقال الأخطل :

تَدِبُّ دَبيباً فى العِظامِ كأنه دبيبُ نِمالٍ فى نقاً يتَهيَّلُ[٣]

أخذه أبو تمام فأفسد المعنى ، فقال :

إذا الرَّاحُ دبّتْ فيهِ تَحسِبُ جِسمَهُ لِمَا دَبَّ فيهِ قريةً من قُرى النَّملِ[٤]

٥٧ ـ وقال أبو دُؤاد الإيادى :

لا أَعُــدُّ الإقتار عُدمًا ولكنْ فَقْدُ مَنْ قدْ رُزئته الإعْدَامُ[٥]

أخذ أبو تمام صدر [هذا] البيت ، فقال :

لا يَحسَبُ الْإقلال عُدْماً بلْ يَرى أَنَّ المُقِلَّ مِنَ المُرُوءَةِ مُعْدِمُ[٦]

٥٨ ـ وقال أبو الهندى :

وتَرى سُهيْلًا فى السماءِ كأَنَّهُ ثوْرٌ وعَارَضَهُ هِجانُ الرَّبرَبِ[٧]

أخذه أبو تمام فقال :

أُراعِى من كوَاكِبِه هِجاناً سَواماً لا تَرِيعُ إلى المُسِيمِ[٨]

---

(١) ديوانه طبع الحلبى ٢٣٣ « روح الدن . . . وأستقى دمه من جوف مجروح »

(٢) فى ديوانه : « انثنيت ... فى جسد . . . جسما »

(٣) فى ديوانه ٤ وغير منسوب فى ديوان المعانى ١/٣١٣ وفى ط « كأنها »

(٤) فى ديوانه ٤٢٠ « إذا هى دبت فى الفتى خال جسمه »

(٥) الأصمعيات ٢١٥ والشعر والشعراء ١/١٩١ والأغانى ١٥/٩٤ والخزانة ٤/١٩٠ ، ١٩١

(٦) ديوانه ٢٨٤

(٧) الأغانى ٢١/٢٧٦ « كأنه نور » وفى ط « يعارضه » وفى اللسان ١/٣٩٤ « الربرب : القطيع من بقر الوحش »

(٨) ديوانه ٢٨٨ والهجان هنا : البيضاء . والسوام : الإبل الذاهبة على وجهها حيث شاءت فى المرعى . لاتريع : لا ترجع إلى راعيها وهو المسيم . فشبه بها الكواكب التى يراعيها فى ليله الطويل

٥٩ — وقال أبو نواس :

شُقِقْتُ مِنَ الصِّبا وَاشْتُقَّ منِّى ... كما اشْتُقَّتْ مِنَ الكرْمِ الْكرُومُ [١]

أخذه أبو تمام فقال :

أَلَذُّ مُصافاةً منَ الظِّلِّ فى الضُّحى ... وأَكرَمُ فى اللأْواء عُودًا منَ الْكرْمِ [٢]

٦٠ — وقال مسلم بن الوليد :

تَمْضِى المَنايا كما تمضِى أَسِنَّتُهُ ... كأَنَّ فى سَرْجِه بدْرًا وضِرغامًا [٣]

أخذه أبو تمام فقال :

فتًى منْ يَدَيْهِ الْبأْسُ يَضْحَكُ والنَّدَى ... وفى سَرْجِه بدرٌ ولَيثٌ غَضَنْفرُ [٤]

٦١ — وقال ابن هَرْمة :

اسْتَبْقِ عيْنَيْكَ لا يُودِ البُكا بهِما ... واكْفُفْ بَوادِرَ منْ عيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ [٥]

لَيْسَ الشُّؤونُ وإنْ جادَتْ ببَاقيةٍ ... ولاَ الجُفونُ على هذَا ولا الْحَدَقُ

أخذه أبو تمام فقال [٦] :

فما يبقَى على إدْمانِ هذَا ... ولاهذا ، الْعُيُونُ ولا القُلوبُ [٧]

٦٢ — وقال أبو تمام يهجو السرَّاجَ :

يا ابْنَ الْخَبِيثَةِ لِمْ تُعرِّضُ صخْرَةً ... صمَّاءَ منْ مَجْدِى بعِرْضِ زُجاجِ ؟ [٨]

---

(١) ديوانه ٣٠٧ ط الحلبى

(٢) ديوانه ٤١١ وفى م « وألزم » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٥٤ والكامل ٢/٧٦١

(٤) ديوانه ١٥٩ وشرح التبريزى ٢/٢١٥

(٥) فى ط بعد هذا البيت : « أخذه أبو تمام فقال » ! وفى ك : « استبق دمعك »

(٦) فى ط بدل هذه العبارة « وقال أيضاً »

(٧) ط « ولا يبقى »

(٨) ط « بعرض » ديوانه ٣٢٩

أخذه من قول الآخر وأظنه بشارًا :

ارْفُقْ بعَمْرٍو إذا حرَّكْتَ نسبتَهُ فإنَّهُ عَرَبِيٌّ منْ قَواريرِ (١)

٦٣ ـ وقال [العديل بن الفرج] :

مهَامِهُ أَشْباهٌ كأَنَّ سَرَابَها مُلاءٌ بكف الْغاسلاتِ رحيضُ (٢)

أخذه أبو تمام فقال :

وبِساطٍ كأَنَّما الآلُ فيهِ وعَليْهِ سَحْلُ المُلاء الرَّحيضُ (٣)

٦٤ ـ وقال أبو تمام :

فاشْمَعَلُّوا يُلَجْلِجُونَ دُءُوباً مُضَغاً لِلكلاَل فِيها أَنيضُ (٤)

أخذه من قول زهير :

تُلجلجُ مُضْغةً فيها أنيضٌ أَصلَّتْ فَهْيَ تحْتَ الكَشْحِ داءُ (٥)

٦٥ ـ وقال أبو نُواس :

سَنَّ للنَّاس النَّدَى فَنَدُوا فكَأَنَّ البُخْلَ لم يكُنِ

---

(١) فى العقد ٦/١٣٧ « أرفق بنسبة عمرو حين تنسبه »

(٢) الشعر والشعراء ١/٣٧٥ « بأيدى » وحماسة ابن الشجرى ١٩٩ والبيان ١/٣٩١ والخزانة ٢/٣٦٨ « الغانيات » والأغانى ٢٠/١٢ « الراحضات » والمختار من شعر بشار ٢٩٢ « الناصحات »

(٣) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزى ٢/٢٩٠ والبساط : الأرض الواسعة ، والسحل : ثوب أبيض . وفى ط « سحق » والسحق : ثوب أبيض . والرحيض : المغسول

(٤) ديوانه ١٨٢ وقد فسره ناشر الديوان محيى الدين الخياط بقوله : اشمعلوا : ساروا متفرقين مرحاً . يلجلجون : يضجون . دءوباً : جادين الكلال التعب ، الأنيض : الخفقان »

وقد نقل هذا الشرح الخاطىء الشيخ « محمد محيى الدين» فى هامش ط ٧٥ .

والصواب ما جاء فى شرح التبريزى وما نقله ناشره عن الآمدى والخارزنجى ٣٩١ . وهو: اشمعلوا: أسرعوا وجدوا . ومضغا : جمع مضغة وهو ما يمضغ ، ولجلج المضغة فى فيه : إذا أدارها ولم يسغها ، واستعار اللجلجة ها هنا للدءوب . والأنيض : اللحم الذى لم ينضج وتقدير الكلام : مضغاً للكلال فيها لحم أنيض ، على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامة . يعنى أن الركب يلجلجون أى يديرون من الإبل أنفسا قد صارت مضغا ، أى أقطاعاً من لحم للكلال الذى نالهن .

(٥) ديوانه ٨٢ . الأنيض هنا : الفساد والتغير ، وأصلت : أنتنت ، والكشح : الجنب . يقول : أخذت هذا المال فأنت لا تأخذه ولا ترده ، كما يلجلج الرجل المضغة فلا يبتلعها ولا يلقيها . فإن حبسته فقد انطويت على داء .

أخذه أبو تمام فقال :

مَضوْا وكأَنَّ المكْرُماتِ لدَيهِمُ لكَثْرةِ مَا أَوصَوْا بهِنَّ شرائعُ[١]

٦٦ ـ وقال فى الغزَل :

مُسْتَحيلٌ أَنْ تحتَوِيكَ الظُّنونُ كَيْفَ يُحْوَى مالا تَراهُ العُيُونُ
غَيْرَ أَنَّا نقُولُ : إِنَّكَ خَلْقٌ حــركاتٌ موصولةٌ وسكونُ[٢]

أخذه من قول أَبى نواس وقصَّر عنه :

سُبْحَانَ مَنْ خلَقَ الْخلْقَ مِنْ ضَعيفٍ مَهينِ[٣]
يَسُوقُهُ مَنْ قَــرَارٍ إلى قرَارٍ مَكِين[٤]
حتى بدَتْ حَركاتٌ مخْلوقةٌ منْ سكُونِ

٦٧ ـ وقال أبو العتاهية :

كم نِعْمَةٍ لا نُسْتقِلُّ بشُكْرِها لله فى طىِّ المكاره كامِنهْ[٥]

أخذه الطائى فقال وأحسن ؛ لأنه جاءَ بالزيادة التى هى عكس المعنى[٦] الأول :

قدْ يَنْعِمُ اللهُ بالْبلوَى وإِنْ عَظُمَتْ ويَبْتَلِى اللهُ بعْضَ الْقوْمِ بالنِّعَم[٧]

---

(١) ديوانه ٤٧٩ و م «ما وصلوا»

(٢) ط «مفعولة»

(٣) ديوانه ١٩٩

(٤) فى الديوان «من هواء» وبعده :

فى الحجب شيئاً فشيئاً يحــور دون العيــون

(٥) ط ، ك «لا يستقل . . . لله فى طى المكاره» ديوانه ص ٦٥٠ جامعة دمشق والصناعتين ٢٢٧ وعيون الأخبار ٣/٥٢

(٦) ط «الشىء»

(٧) ديوانه ٣١٦

٦٨ ـ [وقال آخر :

ليستْ تكونُ المــكرُما تُ بغير إنفاقِ الدراهمْ

فأخذ الطائى فقال :

ولم يجتمعْ شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ولا المجدُ فى كف امرئٍ والدراهمُ] [١]

٦٩ ـ وقال آخر ـ ولست أدرى أهو قبل الطائى أم فى أيامه ؟ ـ :

ما كنتُ أَحسِب أَنَّ بَحْرًا زاخِرًا عَمَّ الْبرِيَّةَ كُلَّها إِرْوَاء [٢]

أَضحَى دَفِيناً فى ذِرَاعٍ وَاحِدٍ مِنْ بعدِ ما مَلَكَ [٣] الفَضاء فَضاء

[من قولهم : ضاءت الشمس وأضاءت]

فقال الطائى وأبرَّ عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى :

وكيفَ احتمالى لِلسحابِ صَنيعَةً بإِسْقائها قَبْرًا وفى لَحْدِهِ الْبَحْرُ [٤]

٧٠ ـ وقال آخر :

نُؤْىٌ كما نقَصَ الهلالَ مُحاقهُ أَوْ مِثْلَ ما فَصَمَ السِّوارَ الْمِعْصمُ [٥]

أخذه أبو تمام فقال :

* ونُؤْىٌ مِثلما انفَصَمَ السِّوارُ * [٦]

٧١ ـ وقال آخرُ فى السحاب :

كَأَنَّ صَبِيَّيْن باتا طُولَ لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرانِ على غُدارنه الْمُقَلا [٧]

---

(١) ديوانه ٢٨٦

(٢) م « الإرواء »

(٣) ك : « ملأ »

(٤) ديوانه ٣٧٠ « للغيوث صنيعة » و م « بإسقائه »

(٥) أمالى المرتضى ٢/ ٣٤ ، وشرح ديوان المتنبى المنسوب للعكبرى ٢/ ١٤٢ .

(٦) سبق أنه أخذه من المرار الفقعسى : ص ٦٤ — ٦٥

(٧) ط « كأن عينين »

فقال الطائى وحوَّل المعنى وأجاد :

كَأَنَّ الْغَمامَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تحتَها حَبِيباً فما تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ[١]

٧٢ـ وقال الطائى :

وَلَيْسَتْ بالْعَوَانِ العَنْسِ عِندى ولا هِىَ مِنكَ بالبِكْرِ الكَعَابِ[٢]

أخذه من قول الفرزدق :

وَعِندَ زِيادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطاءَهُمْ رِجالٌ كَثِيرٌ قدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرا[٣]

قُعُودٌ لدَى الأَبوابِ طلاب حاجةٍ عَوانٍ من الحاجاتِ أَوْ حاجةً بِكْرَا[٤]

٧٣ـ وقال آخر وهو منقذ الهلالى[٥] :

أَىُّ عيشٍ عيْشِى إذا كُنْتُ منهُ بَينَ حِلٍّ وبَيْن وشك الرَّحيلِ ؟[٦]

كلُّ فجٍّ مِنَ البــلادِ كَأَنِّى طالبٌ بعضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ

فقال الطائى :

كأَنَّ له دَيْناً على كلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الأَرْضِ أَوْ تارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبِ[٧]

٧٤ـ وقال آخر ، وأنشده ابن أَبى طاهر والأَخفش للأَرقط بن زُغَيْل[٨] :

نَهْنِهْ دُمُوعَكَ مِنْ سحٍّ وتَسْجامِ اَلْبينُ أَكْثَرُ من شَوْقى وأَسقامِى

وما أَظُنُّ دُموعَ العَينِ راضِيةً حتَّى تَسُحَّ دَماً هطْلًا بِتَسْجامِ

---

(١) ديوانه ٤٧٨ « كأن السحاب »

(٢) ديوانه ٥٦ ، وشرح التبريزى ١/٢٩٠

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، والأغانى ١٩/٣١

(٤) م «قعود على» ط «طالب»

(٥) ط « الآخر وهو معبد » و م : « الهذلى » قال المرزبانى فى معجم الشعر ٤٠٤ : منقذ ابن عبد الرحمن بن زياد الهلالى بصرى خليع ماجن متهم فى دينه يرمى بالزندقة كان فى صدر الدولة العباسية .

(٦) ط « وبين وقت »

(٧) ديوانه ٢٤ وشرح التبريزى ١/١٥٩ وفى ط « كأن لها » و م « ثأرا على »

(٨) ط « ابن دعبل » وفى ك « وقال الأرقط بن زغيل »

أخذ الطائى معنى البيتين ولفظهما ، فقال :

ما اليومُ أوّلَ توديعى ولا الثانى البَيْنُ أكْثرُ مِن شوقى وأحْزانى[١]

وما أظنُّ النَّوَى ترْضَى بما صنعَتْ حتى تُبلِّغَنِى أقصى خُراسانِ[٢]

٧٥ ـ وأنشدنى ابنُ أبى طاهر لدعبل :

إن جـاءَهُ مُرْتَغِباً سـائِلٌ آلَتْ إليه رَغْبَـةُ السَّائِلِ[٣]

أخذه أبو تمام فقال :

وإنّى لأرْجُو عاجِلاً أنْ تَرُدَّنِى مواهِبُهُ بَحْرًا تُرَجَّى مَوَاهِبِى[٤]

٧٦ ـ وقال دِعْبِلُ بن على :

وأسمَرٌ فى رأسِـهِ أزْرَقٌ مِثلُ لِسانِ الحيَّةِ الصَّادِى[٥]

أخذه الطائى فقال :

مُثقّفاتٌ سَلَبْنَ الرُّومَ زُرْقتَهَـا والْعُرْبَ سمرتها ، والعاشِقَ الْقَضَفا[٦]

فزاد [فى][٧] المعنى بأن شبّه زُرْقَتَها بزرقة الروم ، وسمرتها بسمرة العرب [وبذكر القضف] . ولكن قول دِعْبِل : « مثل لسان الحية الصادى » معنى ما[٨] لحسنه نهاية .

٧٧ ـ وقال أبو نواس :

وأطْعَمَ حتى ما بِمـكّةَ آكِلٌ وأعطَى عَطايا لمْ تكنْ بِضَمار[٩]

---

(١) ديوانه ٣٢٣

(٢) فى الديوان ، ك « حتى تشافه بى » و م « تبلغ بى »

(٣) ط « آلت عليه »

(٤) ديوانه ٤٣ وشرح التبريزى ١/٢٢٢

(٥) عيون الأخبار ١/١٣٠ ونهاية الأرب ٦/٢٢١ والتشبيهات ١٤٧

(٦) ديوانه ٢٠٣ وشرح التبريزى ٢/٣٧١ وفى م « والعرب ألوانها » و ط « أدمتها » وهى روايات . والقضف : الدقة والنحافة

(٧) من ك

(٨) ط « الصاوى ليس »

(٩) ط « عطاء لم يكن بضمان »

أخذ الطائى معنى صدْر البيت ، فقال :

فَنَوَّلَ حتى لم يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وحارَبَ حتى لمْ يَجِدْ مَنْ يُحارِبُهْ[١]

٧٨ – وقال أبو نواس فى أرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح قوماً :

بِشْرُهُمُ قبلَ النَّوالِ اللّاحِقِ كالبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جوْدٍ دَافِقِ

والْغيثُ يَخْفَى وقْعُهُ لِلرَّامِقِ إنْ لمْ تَجِدْهُ بِدَلِيلِ الْبارِقِ[٢]

أخذ المعنى أبو تمام فقال :

يَسْتَنْزِلُ الأَمَلَ البَعيدَ بِبِشْرِهِ بُشْرَى الْخَميلَةِ بالرَّبيعِ المُغْدِقِ[٣]

وكذا السَّحائِبُ قَلَّما تَدْعُو إلى مَعْرُوفِهَا الرُّوَّاد ما لمْ تَبْرُقِ[٤]

٧٨ – وقال أبو العتاهية :

وإنَّا إذا ما تَرَكْنا النَّوا لَ فلمْ نَبْغِهِ فيه يَبْتَدِينا[٥]

وإنْ نحنُ لم نبْغِ معرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أبدًا يَبتغينا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت أبي العتاهية الأول :

أخٌ لى يُعطِينِى إذا ما سأَلْتُهُ ولوْ لمْ أُعَرِّضْ بالسُّؤَالِ ٱبْتَدانيا

وأخذ أبو تمام معنى [هذا][٦] البيت ومعنى بيت[٧] أبي العتاهية الأول ، فقال :

---

(١) ديوانه ٤٥ وشرح المرزوقى ١/٢٣٤

(٢) ط « يجده »

(٣) ديوانه ١٢٣ و ط « بشر » وشرح التبريزى ٢/٤١٨ وفيه : قال المعرى : « الخميلة : الأرض السهلة . والربيع : المطر الذى يجىء فى الربيع . والمغدق : الذى يجىء بالغدق وهو الماء الكثير . ويروى : بشرى المخيلة . أى كما تبشر السحابة التى قد أخالت بالمطر . والخميلة هى الرواية » .

(٤) فى الديوان والشرح « إن لم »

(٥) ط « السؤال منه فلم نبغه يبتدينا » وفى الوساطة ٧٤ : « السؤال فلم نبغ نائله يبتدينا »

(٦) من ك

(٧) م « أبو تمام هذا المعنى فى هذا البيت وبيت »

ورأيتَنى فسألْتَ نفسَكَ سَيبَها   لِى ثمَّ جُدْتَ وما انتظَرْتَ سُؤالى[1]

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رَأَيْتُ المُصْطفى هارون يُعْطى   عطاء ليسَ يَنْتظِرُ السُّؤالا

وأجود من هذا كله قولُ سَلْم الخاسر :

أعطاكَ قبلَ سُؤالِهِ   فكفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤال

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبى العتاهية الثانى ، فقال :

كالغيث إنْ جِئْتَهُ وافاكَ رَيِّقُهُ   وإنْ تَحَمَّلْتَ عنهُ جدَّ فى الطَّلب[2]

٨٠ – وقال مسلم :

وما كانَ مِثْلِى يعتريكَ رَجاؤهُ   ولكنْ أَسَاءتْ شيمَةٌ من فتًى محْضِ[3]

أخذه أبو تمام وزاد زيادة حسنةً[4] فقال :

فإنْ كانَ ذنْبِى أنَّ أحسَنَ مَطلبِى   أساءَ ففى سُوءِ القَضَاءِ لِىَ العُذْرُ[5]

٨١ – وأنشد أبو تمام فى الحماسة[6] :

تَرِدُ السِّباعُ معِى فأُلْـ   فَى كالمُدلِّ مِنَ السِّباعِ

فأخذ المعنى[7] فقال :

أَبَنَّ مع السباعِ الماءَ حتى   لخَالَتْه السِّباعُ مِن السباعِ[8]

---

(١) ديوانه ٢٤٧

(٢) ديوانه ١٦ « وإن ترحلت عنه لج » وك : « كان فى الطلب » وفى شرح التبريزى ١/١١٩ « ريقه : أوله وهو فيعل من راق يروق . يقول : هو جواد كالغيث ، إن قصدت ناحيته وافاك أول مائه ، وإن حلت عنه تبعك وجد فى طلبك ، أى يجود عليك حيث كنت »

(٣) ديوانه ٢١٨

(٤) م « أبو تمام فقال »

(٥) ديوانه ٤٧٥ وأخبار أبى تمام ٥١

(٦) يريد بها الوحشيات ، والبيت فيها آخر قصيدة لعبد الله بن ثعلبة اليشكرى الأزدى

(٧) ط « المعنى من فيه فقال »

(٨) شرح التبريزى ٢/٣٣٧ وفى الديوان « السباع الغيل » ويروى : « السباع القفر »

٨٢ – وقال النظار بن هاشم الأسدى[١] :

يَعِفُّ المرْءُ ما استَحْيا ويَبْقَى　　نَباتُ العُودِ ما بَقِىَ اللِّحاءُ
وما فى أَنْ يعيشَ المرْءُ خَيرٌ　　إذا ما المرْءُ زايَلَه الحَياءُ

أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكثَرَ لفظهما ، فقال :

يعيشُ المرْءُ ما اسْتحيا بِخَيْرٍ　　ويَبقَى العُودُ ما بقِىَ اللِّحاءُ[٢]
فلا واللهِ ما فى العَيشِ خَيرٌ　　ولا الدُّنيا إذا ذَهَب الحَياءُ

٨٣ – وقال أبو نُواس :

أَبِنْ لى كَيفَ صِرْتُ إلى حريمى　　ونَجمُ الليلِ مُكْتحِلٌ بِقارِ[٣]

أخذه أبو تمام فقال :

إليْكَ هَتكْنا جُنْحَ لَيلٍ كأنَّهُ　　قدِ اكتحلَتْ منه البِلادُ بإِثْمِدِ[٤]

٨٤ – وسمع أبا نواس قال[٥] :

يَبكى فيُذْرِى الدرَّ مِنْ نَرْجِسٍ　　ويَلطِمُ الوَرْدَ بِعُنـــابِ[٦]

فقال – وأساءَ كل الإساءَة [وقصر] وقبَّح [فى][٧] صدر البيت – :

مَلْطومةٌ بالوَردِ أُطلِقَ طَرْفُها　　فى الخَلقِ فهْوَ من المَنونِ مُحكَّمُ[٨]

---

(١) فى ط « الأزدى » وهو تحريف ، قال البكرى فى شرح الأمالى ٨٢٦/٢ « النظار بن هشام . . . من بنى أسد ، شاعر إسلامى »

(٢) ديوانه ٤٨٥ وجاء فى مجموعة المعانى ٢٨ « وقال أبو تمام ووجدتها فى مجموع شعره ، وقد أورد منها بيتين فى حماسته ولم يسم قائلهما . . . » وهما فى روضة العقلاء ٤٣ من غير نسبة .

(٣) الصناعتين ٢٢٢ « وجنح الليل » والتشبيهات ١٩

(٤) ديوانه ١٠٣ والصناعتين ٢٢٢ والتشبيهات ١٩ وشرح التبريزى ٣٠/٢

(٥) ط « وسمع أبو نواس يقول »

(٦) ديوانه طبع الحلبى ٣٥٠ والصناعتين ٢٠١ والوساطة ٣٢٢ ونهاية الأرب ٤٦/٧

(٧) من ك

(٨) ديوانه ٢٨٤ « مظلومة الورد » وهو تحريف . وقد عقب القاضى الجرجانى على التبيين فى الوساطة ٣٧ فقال : « فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان ، وحصل هو على نقص السرق والتقصير ، لكنه أحسن فى بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص »

٨٥ ـ وقال أبو تمام :

ومما كانتِ الحُكماءُ قالتْ : لِسانُ المَرْءِ منْ خَدَمِ الفُؤادِ[١]

أخذه من الجعد بن ضمام : أحد بنى عامر بن شيبان ، وذكره أبو تمام فى اختيار[٢] القبائل :

إنَّ البَيانَ مع الفؤادِ ، وإنما جُعل اللسانُ بِما يَقول رسُولا

٨٦ ـ وقال طريح الثقفى يرثى قوماً :

فلِلَّهِ عَيــنَا مَن رَأَى قَطُّ حادِثاً
كفَرْسِ الكِلابِ الأُسْدَ يومَ المُشَلَّلِ[٣]

أخذه أبو تمام فأجاد الأخذ ، فقال :

من لم يُعاينْ أَبَا نَصرٍ وقاتِلَه فما رأى ضَبُعاً فى شِدقهِ سَبُعُ[٤]

وهذا معنى مُتداوَل ، وقد يجوز أن يكون الطائى أخذه من غير هذا الموضع .

٨٧ ـ وقال مروان بن أبى حَفْصة :

ما ضَرَّنى حَسَدُ اللِّئامِ ، ولم يَزَلْ ذُو الفَضْلِ يَحسدُهُ ذَوُو التقْصِير[٥]

---

(١) ديوانه ٨٠ وشرح التبريزى ١/٣٧٩

(٢) ط « ابن حمام . . . بن سنان . . . فى اختيارات »

(٣) الفرس : القتل .

(٤) ديوانه ٣٧٢ « فى شدقها »

وقال الشيخ « محمد محيى الدين عبد الحميد » فى تعليقه عليه ص ٨٢ « وأنشده الشربينى ١/١١٦ مع بيت تال له ، وذكر أنه أخذه من بيتين ليزيد المهلبى يرثى فيهما المتوكل »

وقد عجبت من قول الشربينى إن أبا تمام أخذ معنى بيته من قول المهلبى فى رثاء المتوكل المقتول فى سنة ٢٤٧ فى حين أن أبا تمام مات سنة ٢٣٢ . وقد زال عجبى عندما رجعت إلى الشربينى وألفيته يقول : « وقال يزيد المهلبى يرثى المتوكل :

علتك أسياف من لا دونــه أحــد وليس فوقك إلا الواحد الصمد
وأصبح النــاس فوضى يعجبــون به لبثــا صريعاً تندى حوله النقد

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب : من لم يعاين . . . » وفى ك « شوقها »

(٥) الوساطة ٢٤٢

أخذه أبو تمام فقال :

* وذُو النَّقصِ فى الدُّنْيا بِذِى الفَضْلِ مُولَعُ[١] *

٨٨ – وقال أبو دَهْبَل الجُمَحِى :

مَا زِلْتَ فى العَفْوِ للذُّنُوبِ وَإِطْ لَاقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ[٢]
حتى تَمَنَّى الْبُرَاةُ أَنَّهُمُ عنْدَكَ أَمْسَوْا فى القِدِّ وَالْحَلَقِ[٣]

أخذه أبو تمام فقال :

وَتَكَفَّلَ الْأَيْتَامَ عنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ[٤]

٨٩ – وقال زيد الخيل الطائى :

وَأَسْمَرَ مَرْبُوعٌ يَرَى مَا أَرَيْتَهُ بَصِيرٌ – إذا صوَّبْتَه – بالْمَقاتِلِ[٥]

أخذه أبو تمام فقال :

مِنْ كُلِّ أَسْمَرَ نَظَّارٍ بلاَ نَظَر إلى الْمَقَاتِلِ مَا فى مَتْنِهِ أَوَدُ[٦]

٩٠ – وقال أبو نُخَيْلة [السعدى][٧] فى مَسْلمة بن عبد الملك :

وَنَوَّهْتَ لى باسمى ، وَمَا كانَ خَامِلاً
وَلكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِن بَعْضِ[٨]

---

(١) صدره : « لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف » ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزى ٢/٢٣٥

(٢) حماسة أبي تمام بشرح المرزوق ٤/١٦٢٠ والصناعتين ٢٠٥ والعانى : الأسير . والغلق : المتروك لا يفك

(٣) فى م ، ك « البراء » .

(٤) شرح الحماسة للمرزوق ٤/١٦٢٠ والصناعتين ٢٠٥ وديوانه ٢٨٠

(٥) ط « ما رأيته »

(٦) ديوانه ٩٩ وشرح التبريزى ٢/١٨ « من كل أزرق »

(٧) من ك

(٨) أمالى القالى ١/٣٠ وزهر الآداب ٢/٩٢٥ ورواه المؤلف فى المؤتلف والمختلف ١٩٣ « وأحييت لى ذكرا » وهو فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/٣١٨ والجليس والأنيس . . . والمستطرف ١/٢٨٠ وعيون الأخبار ٣/١٦٥ وفى ط « ونوهت من ذى ذكرى » وحماسة ابن الشجرى ١١٧

أخذه أبو تمام فقال :

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضاحِي ٱمْتِدَادًا ، ولمْ أَكُن
بَهِيماً ، وَلا أَرْضِي مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلاَ[1]

ولٰكِنْ أَيادٍ صَادَفَتْنِي جِسَامُهَا   أَغَرَّ فَخَلَّتْنِي أَغَرَّ مُحَجَّلاَ[2]

٩١ — وقال المسيب بن عَلَس :

هُمُ الرَّبيع عَلى مَنْ كَانَ خِلَّهُمُ   وَفى الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشائيمُ[3]

وقال عِلاقة بن عُركيّ التَّيمى[4] يرثى قوماً :

وَكُنْتُمْ قَدِيماً فى الحُرُوبِ وَغَيْرِهَا   مَيَامِينَ فى الأَدْنى لأَعْدَائكُمْ نُكْدَا[5]

ومثله قول كعب بن الأَجْذَم[6] :

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشائيم لِلْعِدَى   مَيَامِينُ لِلْمَوْلَى وَلِلْمُتَحَرِّمِ[7]

أخذ الطائى هذا المعنى ، فقال فى مدح أبى سعيد :

إذا مـــا دَعَوْناهُ بِأَجْلَحَ أَيْمنٍ   دَعَاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بِأَصْلَعَ أَنْكَدِ[8]

٩٢ — وقال دُكَيْن الراجز :

* عَارِي الحَصَى يَدْرُس ما لَمْ يُلْبَسِ *

---

(١) ديوانه ٢٥٢ والأوضاح : جمع وضح وهو : الضوء والبياض من كل شىء . والبهيم : المجهول الذى لا يعرف . والمجهل : التى لا يهتدى فيها لانعدام الأعلام والجبال بها

(٢) ط « فوافت بى » وديوانه ٢٥٢ « فألفت بى » ورواه البكرى فى اللآلى ١/١٣٥ « فأوفت بى » كما فى ك والأغر : الشريف . والمراد بالأغر المحجل : السيد المشهور

(٣) ديوانه ٣٥٩ وفى الوساطة ٢٩٩ « من ضاف أرحلهم »

(٤) ط « غلافة . . . التميمى » وفى الوساطة ٢٩٩ « علاثة بن عربى »

(٥) ط « للأدنى »

(٦) ط « ابن الجزم » وهو تحريف وفى معجم الشعراء ٣٤٤ « الأجدم »

(٧) الوساطة ٣٠٠

(٨) ديوانه ١٠١ وشرح التبريزى ٢/٢٤ « الجلح : انحسار الشعر عن مقدم الرأس ، وهو محمود ، والصلع مذموم . يقول: ندعوه نحن بالسعادة واليمن ويدعوه عدوه بابك بأنكد لأن أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى كان نكداً على بابك الخرمى وقد رماه بقاصمة الأصلاب » .

أخذه الطائى فقال :

تُجَدَّدُ كُلَّما لُبِسَتْ ، وتَبْقَى إذا ٱبتُذِلَتْ ، وتَخْلُقُ فى الحِجَابِ[١]

أو أخذه من قول الآخر[٢] [يصف طريقاً] :

عَوْدٌ على عَوْدٍ منَ القُدْمِ الأُوَلْ يُميتُهُ التَّرْكُ ويُحييهِ العَمَلْ[٣]

٩٣ ـ وقال تميم بن أبى بن مُقْبِل :

قَدْ كُنْتُ رَاعِيَ أَبْكارٍ مُنَعَّمَةٍ فَالْيَومَ أَصْبَحْتُ أَرْعَى جِلَّةً شُرُفَا[٤]

يريد عجائز[٥] .

أخذه الطائى فقال ـ وعَدَل بشطر المعنى[٦] إلى وجه آخر فأحسن ـ :

كُنْتُ أَرعَىَ الخُدُودَ ، حتّى إذاما فارَقونى أمسيت أَرْعَى النُّجُوما[٧]

٩٤ ـ وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

والمالُ يَغْشَى رجالاً لا طَباخَ بهم كالسيل يغشى أصول الدِّندِنِ البالى[٨]

---

(١) ديوانه ٥٦ وشرح التبريزى ١/٢٩٠ « يقول : كلما ذكرت هذه النعم التى لك على وأظهرت تجدد ذكرها واستجرت مثلها ، وإذا سترت وحجبت أخلقت » وفى م ، ك « وتبلى » وتخلق وجنتاها فى النقاب » والشطر الثانى هو عجز البيت التالى فى الديوان وروايته :

إذا ما أبرزت زادت ضيــاء وتشحب وجنتاها فى النقاب

(٢) ط « قول الراجز »

(٣) قاله بشير بن النكث ، كما فى اللسان ٤/٣١٧ : « لأقوام أول ، العود الأول : الجمل المسن ، والعود الثانى : الطريق القديم ، وهكذا الطريق يموت إذا ترك ويحيا إذا سلك » .

وجاء فى ط بعد البيت : « يعنى طريقاً »

(٤) البيت له فى ديوانه ص ١٨٥ و منتهى الطلب .

(٥) فى هامش م « أى مسنة »

(٦) ط « بشطر البيت »

(٧) ديوانه ٢٩٠ « أرعى البدور » و ط « بقيت أرعى »

(٨) ديوانه ٣٢٧ واللسان ٤/٦ « لا طباخ بهم : لا عقل لهم . والدندن : ما بلى وعفن من أصول الشجر ، وقد جاء هذا البيت فى شعر لحية بن خلف الطائى . . . »

أخذه الطائى فقال :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الكريمِ منَ الغنَى فالسَّيْلُ حَربٌ لِلْمكانِ العَالِى[١]

٩٥ – وقال أبو تمام فى وصف الشِّعر :

ولٰكِنَّهُ صَوبُ العقُول : إذا انجلَتْ سَحَائبُ منْهُ أُعْقبتْ بسَحائبِ[٢]

أخذه من قول أَوْسٍ :

أقولُ بما صَبَّتْ علىّ غمامَتى ودَهْرِىَ فى حَبْلِ العشِيرة أَحْطِبُ[٣]

٩٦ – وقال أمية بن أبى الصَّلْتِ :

عَطاؤُكَ زَينٌ لِامْرئٍ إن حَبَوتَهُ بخَيْر ، وما كلُّ العطاء يَزِينُ[٤]

أخذه الطائى فقال :

ما زلْتُ مُنْتَظِرًا أعجُوبةً زَمَناً حتَّى رأَيتُ سُؤَالاً يجْتنى شَرَفا[٥]

٩٧ – وقال كثير :

ونازَعنِى إلى مَدْحِ ابْنِ لَيلى قوَافيها مُنَازَعةَ الطِّرَابِ[٦]

---

(١) ديوانه ٢٤٦

(٢) ديوانه ٤٣ وشرح التبريزى ١/٢٢٢ وزهر الآداب ١/١٠٨

(٣) أخبار أبى تمام وزهر الآداب ١/١٠٩ وفى المعانى الكبير ٢/٧٩٨ « على عمايتى » يقول بما جربت وما علمت مما مضى من دهرى ، وهو مثل » وعمايته : همه وشجنه .

(٤) الأغانى ٨/٣ « حبوته ببذل » وهو فى طبقات فحول الشعراء ٢٢٢ والوساطة ٣١٥ وديوان المعانى ١/٤٦ والصناعتين ٤١ والمثل السائر ٢/٣٨١ وصبح الأعشى ٢/١٨٦ ودلائل الإعجاز ٣٧٨

(٥) ديوانه ٢٠١ وشرح التبريزى ٢/٣٦٦ « أعجوبة عننا » مصدر عن يعن بمعنى ظهر . وهما روايتان . والأولى فى المثل السائر ، والثانية فى دلائل الإعجاز ، وقد فسرها « محمد رشيد رضا » بقوله : « عننا : أى معترضة تأتى بلا سبب » وهو خطأ .

(٦) ابن ليلى ممدوح كثير : هو عمر بن عبد العزيز . وفى ط « منازعة الغراب » والطراب : جمع طرب ، وهو المشوق .

أخذه الطائى فقال :

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فيه إذْ سَهِرتُ لهُ حتَّى ظَنَنْتُ قوافيهِ سَتَقْتَتِلُ[١]

٩٨ ـ وقالت محياة بنت طليق من بنى تَيْم الله بن ثعْلبة :

نَعى ابْنَىَّ مُحِلٌ صوتُ ناعٍ أَصَمَّنى فَلا آبَ مَحْبُورًا بَرِيدٌ نَعاهما[٢]

وقال سفيان بن عبد يَغُوثَ النَّصْرى[٣] :

صَمَّتْ لهُ أُذُنَاىَ حِين نعيتهُ ووَجَدْتُ حُزْناً [دائماً] لَمْ يَذْهَب

أخذه الطائى فقال :

أَصمَّ بكَ النَّاعى وإنْ كانَ أَسْمَعا وَأَصْبَحَ مَغْنَى الجُودِ بعْدَكَ بَلْقعا[٤]

ونحوه قول الحارث بن نَهِيك الدارمى :

وفَقَّأَ عَيَنىَّ تَبْــكاؤُهُ وأَوْرَثَ فى السَّمْعِ منِّى صَمَمْ

٩٩ ـ وقال شقران بن عِرْباض القشيرى[٥] :

فَما السَّائلُ المَحْرُومُ يَرْجِعُ خائباً ولٰكِنْ بَخيلُ الأَغْنياءِ يخيبُ

وقال آخر وهو الشجاع الهاتف[٦] فى خبر عن ابن الكلبى ورواه ابن دريد :

لاتَزْهدَنْ فى اصْطِناعِ العُرْفِ مِنْ أحدٍ إنَّ الَّذِى يُحْرَمُ المعرُوفَ مَحْرُومُ

أخذه أبو تمام فقال :

فإنِّىَ ما حُورِفْتُ فى طَلَبِ الغِنَى ولكِنَّكم حُورِفْتُمْ فى المكارِمِ[٧]

---

(١) ديوانه ٢٢٧ وفى م « قوافيها »

(٢) ط « ابنى مجل . . . آب محمودا »

(٣) م « البصرى »

(٤) ديوانه ٣٧٤

(٥) ط « سعران . . . القسرى »

(٦) ط « الفائق »

(٧) ط « وإنى . . . ولكنما » ك والديوان ٣/٢٢٠ طلب العلا

١٠٠ ــ وقال عنترة :

* والطَّعنُ مِنِّى سابِقُ الآجَال[1] *

وإنما أراد : والآجال سابقة طعنى ؛ يريد لشدة خوفه إذا سدَّد سنانه للطعن .

فأخذه الطائى ، وغيره تغييرًا حسناً ، فقال :

يَكادُ حينَ يُلاقِى القِرْنَ منْ حَنَقٍ   قَبْلَ السِّنَانِ على حَوْبائهِ يَرِدُ[2]

١٠١ ــ وقال عدىٌّ بن الرِّقاع يمدح بعض بنى مروان :

وإذا رأيْتَ جمَاعة هوَ فِيهم   بَيِنْتَ سُؤْدَدَهُ وإن لَمْ تَسْأَلِ[3]

أخذه الطائى فقال :

يَحْمِيــهِ لَأْلاؤُهُ أَوْ لوْذَعِيَّتُــهُ   منْ أن يُذَالَ بمَنْ أو مِمَّنِ الرَّجُلُ[4]

فقصَّر عدىٌّ بالممدوح[5] ؛ إذ جعله إذا كان فى جماعة لا يُعْرف حتى تنبئ عنه شمائله ، وتبعه أبو تمام فى التقصير .

١٠٢ ــ وقال أبو تمام :

طَلَبُ المَجْدِ يُورِثُ المَرْءَ خَبْلًا   وهمُوماً تُقَضْقِضُ الحَيْزُوما[6]

فَــتَرَاهُ وهْوَ الخَلِىُّ شَجِيًّا   وتَراهُ وهُو الصَّحيحُ سَقِيما

أخذ [معنى] قوله: « وهموماً تقضقض الحيزوما » من قول لَقيط الإيادى :

(١) صدره « وأنا المنية حين تشتجر القنا » ديوانه ١٢٩ والوساطة ٢٩٢

(٢) ديوانه ٩٧ وشرح التبريزى ١٤/٢

(٣) ط « نبنت »

(٤) ديوانه ٢٢٨ و ط « ولوذعيته عن »

(٥) م « بالمدح »

(٦) ديوانه ٢٩٢

لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلاَّ رَيْثَ يُفْزِعُه هَمٌّ يَكادُ سناه يَحْطِمُ الضِّلَعَا[١]

وأخذ معنى قوله :

ولَّهَتْهُ العُلَى فَلَيْسَ يَعُدُّ الـ بُؤْسَ بُؤْساً . ولاَ النَّعِيمَ نعِيما[٢]

من قول لقيط أيضاً :

لاَ مُتْرَفاً إنْ رخاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مكْرُوهٌ بهِ خَشَعَا[٣]

١٠٣ ـ وقال أبو العارم الطائى :

غبىٌّ العين أَو فَهِمٌ تَغَابَى عن الشدَّات والفِكَرِ القَوَاصى[٤]

أخذه أبو تمام ، فقال وزاد عليه وأحسن :

لَيْسَ الغَبِىُّ بِسَيِّدٍ فى قَومِهِ لكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتغَابِى[٥]

أو أخذه من قول دِعْبِل :

تُخَالُ أَحْيَاناً بهِ غَفْـلةٌ منْ كَرَمِ النَّفْسِ ، ومَا أَغْلَمَهْ !

١٠٤ ـ وتمثلَتْ فاطمة الزهراء عليها السلام ، عند وفاة النبى عليه الصلاة والسلام ـ فيما رُوِى عنها ولا أعرف صحته :

صُبَّتْ علىَّ مَصَائبُ لَوْ أَنَّها صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيا

ومثله قول الطائى :

عادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسْوَدَّةً حتى تُوُهِّمَ أَنَّهُنَّ لَيالِى[٦]

---

(١) مختارات ابن الشجرى ٥ « يبعثه . . . سناه يقصم » وفى ط « يبعثه . . . حشاه يحطم »

(٢) ديوانه ٣٩٣ « تيمته العلى »

(٣) مختارات ابن الشجرى ٥

(٤) م « عن الشذان والعكر »

(٥) ديوانه ٢٠ وشرح التبريزى ١/٩٣

(٦) ديوانه ٢٤٦ وفى م « حتى تبين »

١٠٥ ـ وقال ابن أُذَينة :

أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِى تَطَلُّبُهُ ولَوْ قَعَدْتُ أَتَانى لا يُعَنِّينِى[1]

أخذه الطائى فقال :

الرِّزْقُ لاَ تَكْمَدْ عَلَيْهِ فإنَّهُ يَأْتِى ولَمْ تَبْعَثْ إليهِ رَسُولا[2]

١٠٦ ـ وقال الطائى :

وَجَّهَ العِيسَ وَهْىَ عِيسٌ إلى اللهِ فآبَتْ مِنَ الهوَاجِرِ شيمَا[3]

أخذه من قول ابن هرْمَةَ :

بدأْنا عَلَيْهَا وهْىَ عِيسٌ فأَصْبَحَتْ مِنَ السَّيْرِ جُوناً دامياتِ الغَوَارِبِ[4]

١٠٧ ـ وأنشد الأُشْنَانْدَانىُّ فى « المعانى » يذكر الإبل :

رَدَّتْ عَوارِىً غِيطَانِ الفَلاَ ، ونَجَتْ بِمثْلِ إيبَالَةٍ مِنْ حائلِ العُشَرِ[5]

---

(١) البيت لعروة بن أذينة ، كما ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٥٤ وقبله :

لقد علمت وما الإسراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

وهو فى الأغانى ٢١/١٦٢ والعقد ٣/٢٠٥ ، ٥/٢٨٩ والشعر والشعراء ٢/٥٦٠ وأمالى المرتضى ١/٤٠٨

(٢) ديوانه ٢٤٣ « لا تحرص عليه »

(٣) ط « فآضت » أى صارت ، وفى ديوانه ٢٩٢ « فآلت مثل القسى حطيما » والشيم : الإبل السوداء .

(٤) ط « بدأت . . . لاحقات الغوارب » والعيس : الإبل البيضاء يخالط بياضها شىء من الشقرة . والجون : جمع جون ، وهو الأسود . ولاحقات : ضامرات . والغوارب : جمع غارب . وهو أعلى مقدم السنام .

(٥) فى معانى الشعر للأشناندانى ٥١ « يريد أنها كانت رعت الغيطان فسمنت ، فلما سافر عليها ضمرت . فكأنها ردت على الغيطان ما استعارت منها من لحمها وشحمها . والإيبالة : الحزمة من الحطب . والحائل : الذى أتى عليه الحول . والعشر : ضرب من الشجر . يقول : نجت الناقة وقد صارت مثل الإيبالة [illegible] وهو غير منسوب فى شرح المقامات للشريشى ١/١٢٤ وشرح ديوان أبى تمام للتبريزى ١/٢٣١

أخذه أبو تمام فقال :

فكَم جزْعَ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غارِبٍ وبالأمس كانت أتْمَكتْهُ مذانِبُه[١]

١٠٨ ـ وقال أبو تمام :

لو أَصَخْنا مِن بعدها لسمِعْنا لِقُلوبِ الأيام منكَ وَجِيبا[٢]

أخذه من قول أبى نواس :

حتىَّ الذى فى الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صورة لِفُؤادِهِ مِنْ خوفهِ خفقانُ[٣]

١٠٩ ـ وقال آخر :

يا حبَّذا ريحُ الجنُوبِ إذا غدتْ بالفجرِ وهْى ضَعيفةُ الأنفــاسِ

قد حُمِّلتْ بَرْدَ الثَّرَى وتحمَّلتْ عَبَقاً من الجَثْجَاث والبَسْبَاسِ[٤]

أخذه الطائى فقال :

أَرْسِى بنَاديكَ النَّدَى وتنفَّستْ نَفَساً بعَقْوَتِكَ الرِّياحُ ضعيفا[٥]

١١٠ ـ وقال نُصَيب :

وقدْ عادَ ماءُ الأَرْضِ بحرًا فزادَنى على ظَمَئِى أن أَبحَرَ المشربُ العذبُ[٦]

---

(١) ديوانه ٤٤ وشرح المقامات للشريشى ١/٢٢٤ وشرح التبريزى ١/٢٣٠ « جزع الوادى: منعطفه. وجب : قطع . والذروة : أعلى الشىء . وأتمكته : أسمنته وأطالته . والمذانب : مسايل الماء فى الأودية . وفى م ، ك « ومن قبل كانت »

(٢) ديوانه ٢٧ وشرح التبريزى ١/١٧٤ « من بعدها أى من بعد الضربة ، أو هذه الحرب . والإصاخة : إمالة الأذن للسمع . والوجيب : صوت حركة القلب »

(٣) ديوانه طبع الحلبى ٥٢ وفى ط والوساطة ٦٠ « لم يك نطفة »

(٤) الجثجاث : شجر أصفر الزهر ، طيب الريح . وفى اللسان ٧/٣٢٧ « قال أبو حنيفة : البسباس ، من النبات الطيب الريح »

(٥) شرح التبريزى ٢/٣٧٧ « أرسى : أقام . يدعو للمنزل بالخصب وتنسيم الرياح ؛ لأن النسيم ينفع ولا يضر ، وربما ضرت الريح القوم » ويروى « نفساً بعرصتك » وعقوة الدار : ساحتها ، وكذلك عرصتها »

(٦) فى اللسان ٥/١٠٣ « ملحاً فزادنى على مرضى » وماء بحر : ملح . وأبحر : صار ملحاً

أخذه أبو تمام فقال :

كانتْ مُجاوَرةُ الطُّلولِ وأهلِهَا زَمَناً عذابَ الورْدِ فهْى بحَارُ[١]

١١١ – وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرساً :

نَهْد كَتيْس أقبّ مُعتدِل كأنّما فى صهيلِهِ جرَس[٢]

أخذه أبو تمام فقال :

صَهْصَلِقٌ فى الصَّهيلِ تحْسِبهُ أشْرِجَ حُلقومُهُ على جَرَس[٣]

١١٢ – وقال الفرزدق :

قِياماً يَنظرُون إلى سعيــدٍ كأنَّهُمُ يرَوْنَ بهِ هلالا[٤]

أخذه أبو تمام فقال :

رَمَقُوا أعالِىَ جِذعِهِ فكأنّمَا رمقوا الهلالَ عشيَّةَ الإفطارِ[٥]

١١٣ – وقال ابن مناذر فى البرامكة :

إذا ورَدُوا بطحاءَ مكةَ أشرقتْ بيحْيى وبالفضلِ بن يحيى وجعفر[٦]

لهمْ رِحلَةٌ فى كلِّ عام إلى العِدَى وأخرى إلى البيت العتيقِ المُشَهَّر[٧]

---

(١) ديوانه ١٤٥ وشرح التبريزى ٢/١٦٦ «أى كانت عذاباً لنا بحضورهم، فلما رحلوا عنها صارت مجاورة الطلول بعدهم بحار الورد، أى ملاحه

(٢) النهد: الضخم القوى. والأقب: الدقيق الخصر الضامر البطن.

(٣) ديوانه ١٧٠ وشرح التبريزى ٢/٢٣٩ «صهصلق: شديد الصوت. وأشرج: شد. أى هو مع شدة صوته طيب الصهيل. وهذا يستحب لأنه دال على سعة جوفه»

(٤) ديوانه ٦١٨ وهو فى مدح سعيد بن العاص. وفى ط «قيام»

(٥) ديوانه ١٥٣ وشرح التبريزى ٢/٢٠٤ وأخبار أبى تمام ٩٥ «وجدوا الهلال» والبيت فى شأن صلب بابك الخرمى

(٦) لمحمد بن مناذر فى معجم الأدباء ١٩/٥٧ وقبله :

ستظلم بغداد ويجلو لنا الدجى بمكة ما عشنا ثلاثة أبحر

(٧) ط «يوم إلى»

أخذه أبو تمام فقال :

حين عَفَّى مقام إبليس سامى بالمطايا مقــامَ إبْراهيما[١]

١١٤ - وقال أبو تمام :

تَحَيَّوْا بالأَسنَّة ثُمَّ ثَنَّوْا مُصَافَحَةً بأَطْرافِ الرِّماحِ[٢]

أخذ قوله : « تحيوا بالأسنَّة » من قول مسلم بن الوليد :

تَحَيَّوْا بأَطْرافِ الْقَنَا وَتَعَانَقُوا مُعَانَقَةَ الْبَغْضاءِ غَيْرِ التَّوَدُّدِ[٣]

وأخذ قوله : « مصافحة بأطراف الرماح »[٤] من قول أبي اللحام التغلبي[٥] :

دَلَفْتُ لَهُ بأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلسَّلامِ[٦]

١١٥ - وقال جرير في يزيد بن معاوية :

الْحَزْمُ والجُودُ وَالإِيمانُ قَدْ نَزَلُوا عَلَى يَزِيدَ أَمينِ اللهِ فَاخْتَلَفُوا

ألم به أبو تمام فقال :

مَنِ البَأْسُ وَالمَعْرُوفُ والْجُودُ وَالتُّقَى عِيالٌ عَلَيْهِ ، رِزْقُهُنَّ شَمائِلُه[٧]

فقال : « عيال عليه » . وهو نحو قول جرير : « نزلوا على يزيد » . أو لعل أبا تمام أخذه من قول دعبل :

تَنَافَسَ فيهِ الْبَأْسُ والحزمُ والتُّقى وَبَذلُ النَّدَى حَتَّى اصْطَحَبْنَ ضَرَائِرَا[٨]

---

(١) ديوانه ٢٩٢

(٢) ط « فحيوا » وفي م ، ك « بأطراف الصفاح »

(٣) ديوانه ٦٦ وفي ط « فحيوا »

(٤) م ، ك « الصفاح »

(٥) ط « أبي إسحاق » وانظر معجم الشعراء ٥١٥

(٦) ط « دنوت له »

(٧) ديوانه ٢٣٠

(٨) ط « اللهى حتى اصطبحن »

١١٦ ـ وقال الكميت يصف الخيل :

يَفْقَهْنَ عَنْهُمْ إذا قالُوا ، ويَفْقَهُهُمْ مُسْتَطْعِمٌ صاهِلٌ منها ومُنْتَحِمُ[١]

أخذه أبو تمام فقال :

وهْوَ إذا ما نَاجَاهُ فارِسُهُ يَفْهَمُ عَنْهُ مَا تَفْهَمُ الإِنْسُ[٢]

١١٧ ـ وقال الكميت[٣] أيضاً :

وأَدْنَيْنَ البُرُودَ عَلَى خُدُود يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالأَسِيلِ[٤]

الفداغم : الوجوه[٥] اللَّحِيمَةَ .

فقال أبو تمام :

وثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الخُدودِ صِيانَةً وَشْيَ البُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ[٦]

١١٨ ـ وقال الأُبَيْرِدُ الرِّياحيُّ[٧] :

وَكُنْتُ أَرَى هَجْرًا فِرَاقَكَ ساعةً أَلَا ،لا ،بَل المَوْتُ التَّفَرُّقُ وَالهَجْرُ[٨]

أخذه أبو تمام فقال :

المَوْتُ عِنْدِي وَالفِرا قُ كِلاهُما مالا يُطَاقُ[٩]

---

(١) م « وتفقههم » و ط « صاهل منهم » والنحيم : صوت من صدر الفرس .

(٢) ديوانه ١٦٧ وشرح التبريزى ٢/٢٢٧ وفى م : « ما ناجاه قائده »

(٣) ليست فى م

(٤) ط « وألقين »

(٥) ط « يريد بالفداغم الرخوة اللحيمة »

(٦) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢/٤٧ ، وشى الخدود : حمرتها وبياضها . والمسجف : المسبل

(٧) فى ك : « اليربوعى » وكلاهما صحيح قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ٢٤ : هو الأبيرد اليربوعى . وهو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع . شاعر مشهور مقل محسن

(٨) أمالى اليزيدى ٢٦ وذيل أمالى القالى ٢ وانظر سمط اللآلى ٣/٤

(٩) ديوانه ٤٥٣

١١٩ ـ وأنشد أبو العباس المبرد للعُتْبِيّ :

أَضْحَت بِخَدِّى للدُّموع رُسُومُ أَسَفاً عليْك.وفى الفُؤادِ كُلومُ[١]
وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فى المَواطِنِ كلِّها إِلَّا عليك ؛ فإنَّه مَذْمومُ

قال : وأخذه الطائى فقال فى إدريس بن بَدر السامى[٢] :

دُمُوعٌ أَجابَتْ دَاعِىَ الحُزْنِ هُمَّعُ تُوصِّلُ مِنَّا عَن قُلوبٍ تَقَطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعى لابِسُ الصَّبْرِ حَازِماً فأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِماً حِينَ يَجْزَعُ[٣]

قال : وجاء به الطائى فى موضع آخر ، فقال :

الصَّبْرُ أَجْمَلُ غيْرَ أَنَّ تَلدُّدًا فى الحُبِّ أَحْرَى أن يكونَ جَميلا[٤]

١٢٠ ـ وقال الراجز ، أنشده يعقوبُ بن السِّكيت :

قدْ أَصْبحَتِ العقْدةُ صلْعاءَ اللِّمَمْ وأَصبَحَ الأَسْوَدُ مَخْضوباً بدَمْ[٥]

العقدة : موضع ذو شجر لا ينتقى فيذهب . وصلعاء اللمم واللمم : الجمام[٦] ، وهو جمع لِمَّة ، فجعله مثلاً لرؤوس النبت أَكَلَتْه الإبل فصارت لمُه صُلْعاً ، والأَسود : الحية تطؤه الإبل فتقتله .

فظفر بهذا [المعنى] أبو تمام ، فقال :

حتى تعمَّمَ صُلْعُ هاماتِ الرُّبَى من نَوْرِه وتأَزَّرَ الأَهضامُ[٧]

(١) فى الكامل ١/٢٨٦ وقال العتبى محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات . . . » ثم قال : « وأحسب أن حبيباً الطائى سمع هذا فاسترقه فى بيتين : أحدهما قوله فى إدريس بن بدر الشامى : دموع ... والآخر . . . الصبر أجمل . . . . »

(٢) فى الكامل وأصول الموازنة المخطوطة والمطبوعة « الشامى » وفى ديوانه ٣٧٢ « السامى من ولد سامة بن لؤى »

(٣) بين هذا البيت وسابقه تسعة أبيات فى الديوان

(٤) فى ط « تلذذى » والديوان « تلذذا » وهو تصحيف فيهما

(٥) منسوب لبعض الأعراب فى الوساطة ٢٠٥ وفى ط : « قد أضحت »

(٦) ط « شجر لا يفنى فيذهب وصلعاء اللمم : الجماجم » وهو تحريف عجيب

(٧) ديوانه ٢٧٩ وفى الوساطة « من دونه »

والأَهضام : ما انخفض من الأَرض .

* * *

ووجدت ابن أَبي طاهر [قد] خرّج سرقاتِ أَبي تمام ، فأَصاب فى بعضها ، وأَخطأَ فى البعض ؛ لأَنه خَلَط الخاصَّ من المعانى بالمشترك بين الناس : مما لا يكون مثله مسروقاً .

١ – فمن السَّرَق [الصحيح] قولُ أَبى تمام :

كما كادَ يُنْسى عهدُ عَمياءَ بِاللِّوى ولٰكنْ أَمَلَّتْهُ عَليهِ الحمائِمُ[١]

أَخذه من قول العتَّابى :

بَكى فاسْتملَّ الشَّوقَ من ذى حَمامَةٍ أَبَتْ فى غُصونِ الأَيكِ إلاَّ تَرَنُّما[٢]

[أَظن أَن قوله من ذى حمامة] أَراد[٣] من صوت حمامة ، دعته إليه الضرورة ، وليس هذا موضع «ذى»[٤] .

وقوله : «أملته» من قول العتابى : «فاستمَلّ» . وقد جاءَ مثله فى أَشعارهم .

* * *

٢ – وقال : أَخذ قوله :

لا تَنْشِجنَّ لَها فإن بكاءَها ضَحِكٌ . وإنَّ بكاءَك اسْتِغرامُ[٥]

(١) ديوانه ٢٨٥ وفى الوساطة «وقد كاد»

(٢) ط «واستمل . . . من فى . . . إلا الترنما»

(٣) ط «أظن قوله فى حمامة أراد» وما بين القوسين من ك

(٤) ط «موضع فى»

(٥) ديوانه ٢٧٩ «لا تشجين» وما فى م يوافق ما فى الزهرة ٢٤٢/١

من قول الآخر .

وإنى إن بكيتُ بكيتُ حقًّا　　وإنَّكِ فى بكائِكِ تكْذِبينَا[١]

* * *

٣ – وقال أبو تمام[٢] :

* فَنَوَّلَ حتى لَمْ يَجِدْ مَن يُنيلُه *

أخذه من قول على بن جَبَلة :

أعطيْتَ حتى لَمْ تَجِدْ لكَ سائِلاً　　وبَدأتَ إذْ قَطعَ العفَاةُ سُؤالهَا

وقد ذكرتُ أخذهُ هذا المعنى – فيما تقدم – من غير ابن جَبَلة[٣] .

* * *

٤ – وقال : [أخذ قوله] :

إنِّى لأَعْجَبُ ممنْ فى حَقيبتِه　　منَ المَنِىِّ بُحورٌ كَيفَ لا يَلِدُ[٤]

من قول مروان :

لو كانَ يَحمِلُ مِنْ هٰذَا الوَرَى أحدٌ　　لكُنتَ أوّلَ خلْقٍ جاءَ بالوَلدِ[٥]

ومن قوله أيضاً :

لوْ كانَ يُخْلَقُ فى بَطْنِ امْرِئٍ ولَدٌ　　لأَصْبحَ البَطنُ مِنهُ ضَامناً ولدَا

* * * *

(١) فى الزهرة ١/٢٤٢ من أبيات لنبهان العبشمى :

غلبتك فى البكاء بأن ليلى　　أواصله وأنك تهجعينا
وأنى أشتكى فأقول حقا　　وأنك تشتكين فتكذبينا

(٢) من ك

(٣) راجع ص ٩٤

(٤) ديوانه ٣٤٣ يهجو عتبة بن أبى عاصم

(٥) ط « كان يحمل . . . الورى ذكر . . . خلق الله »

٥ ـ وقال أبو تمام[١] :

يَحميـــهِ لَألاؤُهُ أو لوْذَعِيَّتُهُ عن أن يُذَالَ بمَنْ أو مِمَّنِ الرَّجُلُ[٢]

أخذه من قول حسان :

إذَا مَا تَرَعْرَعَ فِينا الغُلا مُ فما إن يُقالُ لَهُ : مَنْ هُوَهْ ؟[٣]

وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى ـ فيما تقدم ـ من غير حسان[٤] .

* * *

٦ ـ وقال أبو تمام[٥] :

فلاَ تَطْلُبُوا أَسْيافَهُم فى جُفُونِهــا فَقَدْأسكِنَتْبَيْنَالطُّلَىوالجَمَاجِمِ[٦]

أخذه من قول عنترة :

ولم يَعلَم جَرِيَّةُ أَنْ نَبْلِي يكونُ جَفيرَها البطَلُ النَّجِيدُ[٧]

* * *

٧ ـ وقال أبو تمام :

يتَجَنَّبُ الآثامُ ثمّ يَخافُها فكأَنَّما حَسَناتُهُ آثامُ[٨]

---

(١) من ك

(٢) سبق ص ١٠٤

(٣) ديوانه ٤٢٢

(٤) راجع ص ١٠٤

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٣٨٧ والطلى : الأعناق .

(٧) ديوانه ٤٩ « هل يدرى جرية » و م « ولم تعلم جوية » وجرية : رجل من بنى عمرو بن الهجيم كان له مع عنترة قصة والنبل : السهام . والجفير : الكنانة الجعبة التى تجعل فيها السهام . والنجيد : الشجاع الشديد البأس السريع الإجابة إلى ما دعى إليه

وقد شرح الشيخ «محمد محيى الدين عبد الحميد» البيت بما يلى : « الجفير : جعبة من جلود لا خشب فيها ، أو جعبة من خشب لا جلود فيها . يريد أن مكان سيفى وغمده الذى أضعه فيه هو البطل النجيد » .

ولست أدرى كيف فسر الشيخ كلمة « نبلى » بسيفى ؟ !

(٨) ديوانه ٢٨٠ بمدح المأمون

أخذه من قول أبي العتاهية :

لم يَنْتَقِصْنى إذْ أَسَأْتُ وزادنى حتَّى كَأَنَّ إسَاءَتى إحْسَان[١]

* * *

٨ ـ وقال الطائى :

ألا أَيُّها الرَّبْعُ الْذى خَفَّ آهِــلُهْ لَقَدْ أَدْرَكَتْ فيكَ النَّوَى ماتُحاوِلُهْ[٢]

[أخذه من قول العرجى :

ألا أيها الربع الذى بان آهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله] [٣]

* * *

٩ ـ وقال :

لا تُذِيلَنْ مَصُونَ هَمِّــك وانْظُرْ كَمْ بِذِى الأَيْكِ دَوْحَةً مِن قَضِيبِ[٤]

أخذه من قول الأشهب [بن رميلة] :

عَلَّ بَنِىَّ يَشُدُّ اللهُ أَزْرَهُمُ والدَّوْحُ يُنْبتُ عِيداناً فيَكْتَهِلُ

* * *

١٠ ـ وقال أبو تمام :

أَظَلَّهُ البَيْنُ حتى إنَّهُ رَجُلٌ لوْ ماتَ مِن شُغْلِهِ بالبَيْنِ ماعَلِمَا[٥]

أخذه من قول أبي الشِّيص :

فكَمْ مِن مَيْتَةٍ قَدْ مُتُّ فيهِ ولٰكِنْ كانَ ذاك ومَا شَعَرْتُ[٦]

---

(١) ط « تنتقصنى . . . وزدتنى »

(٢) ديوانه ٢٢٩ « أجل أيها . . . الذى بان »

(٣) فى ديوان العرجى ٢٠

ألا أيها الربع الذى خف أهله وأمسى خلاء موحشا غير آهل

(٤) ديوانه ١/١٢٧ وشرح التبريزى ١٢/٧١ « بذى الأثل » . والمعنى : لا تذيلن صغير همك ، أى لا تهمل نظرك فيه فإن كان خيراً فإنه يثمر وتعظم المنفعة به ، وإن كان مما يحذر فإنه لا يؤمن أن يغلب ويتفاقم ، وهذا المعنى قصده نهشل بن حرى فى قوله :

قال الأقارب : لا يغررك كثرتنا وأغن شأنك عنا أيها الرجل

عل بنى . . . ويكتهل . فهذا مثل قوله : كم بذى الأثل دوحة من قضيب »

(٥) ديوانه ٣٠٢

(٦) ط « وكم »

[وبيت أبي تمام أجود] .

* * *

١١ – وقال في وصف الرماح :

كَأَنَّها – وهْيَ في الأَكْبادِ والغَةٌ وفي الكُلَى –تَجِدُ الغَيْظَ الذي تَجِدُ[1]

أخذه من قول النَّمَرِيِّ :

وَمُصْلَتَاتٍ كأَنَّ حِقْدًا مِنْها على الْهَامِ وَالرِّقاب[2]

* * *

١٢ – وقال :

إذا ماأَغَارُوا فاحتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ أَغارَتْ عَلَيْهِمْ فاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ[3]

أخذه من قول الآخر :

إذا أَسْلَفَتْهُنَّ المَلَاحِمُ مَغْنَماً دَعَاهُنَّ مِنْ كَسْبِ المَكَارِمِ مَغْرَمُ[4]

* * *

١٣ – وقال أبو تمام :

وَرَكْبٍ كأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا على مِثْلِها وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَياهِبُهْ

[أخذه من قول كثير :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا قلائص في أصلابهن نُحولُ]

وقد ذكرتُ أَخذه هذا المعنى – فيم تقدم – من [غير] كُثَيِّر[5] .

* * *

١٤ – وقال أبو تمام .

تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْدُ مُحَمَّدٍ فَأَصْبَحَ مَشْغُولاً عَنِ السَّفرِ السَّفرُ

(١) ديوانه ٩٩ وشرح التبريزى ١٧/٢ « فى الأوداج والغة »

(٢) فى الوساطة ٢٤٣ « حقداً بها »

(٣) ديوانه ٤٨٠

(٤) غير منسوب فى الوساطة ٣٠٢

(٥) راجع ص ٦١ – ٦٢

أَخذه من قول عصابة الجَرْجرَانى : (١)

أَلاَ فى سَبِيلِ اللهِ آمالُكَ التى تُوُفِّينَ لمَّا اغْتالكَ الْحَدَثانُ (٢)

وقد تقدم [أَيضاً] ذكر هذا وأَخذه [إِياه] من موضع آخر (٣) .

* * *

١٥ ــ وقالَ أَبو تمام :

* تَعْلِيقُها الإِسْرَاجُ وَالإِلْجَامُ (٤) *

أَخذه من قول جرير :

حَرَاجِيجُ يُعْلَفْن الذَّمِيل كأَنَّها معاطِفُ نَبْع أَو حَنِيُّ الشَّرَاجعِ (٥)

* * *

١٦ ــ وقال :

ذاكَ الذِى كانَ لَوْ أَنَّ الأَنامَ لهُ نَسْلٌ لَما رَاضَهُمْ جُبْنٌ وَلابَخَلُ (٦)

أَخذه من قول أَبي السِّمْط (٧) :

---

(١) ط « عصام الجرجانى» وهو تحريف . وأخبار عصابة فى معجم البلدان ٣/٨٠ وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٩٩ – ٤٠١

(٢) فى هامش ك : ع : « آمالى »

(٣) راجع ص ٧٢ – ٧٣ و ٨٠

(٤) صدره : « بسواهم لحق الأياطل شزب » ديوانه ٢٨١ والعلوق : ما تعلقه الإبل ، أى ترعاه ، يقال : ما فى الأرض علاق ، أى ما فيها مرتع ، قال الأعشى :

وفــلاة كأنها ظهر ترس ليس إلا الرجيع فيها علاق

الرجيع الجرة . يقول : لا تجد الإبل فيها علاقاً إلا ما ترده من جرتها ، وفى ط « تعليفها » والديوان كالمخطوطة « تعليقها » ويرى الشيخ محيي الدين ناشر ط أن ما فيها هو الصواب !

(٥) ديوانه ٣٦٠ والحراجيج : جمع حرجوج ، وهى الناقة الضامرة الجادة القلب ، والذميل : ضرب من السير السريع اللين . والشراجع : جمع شرجع ، وهو النعش

(٦) ديوانه ٢٢٨ وفى ط « لما عابهم »

(٧) ط « أبى الشميط » وهو تحريف . وأبو السمط هو مروان بن أبى حفصة

لَوْ كانَ جَدُّ كُمُ شريكٌ وَالِدًا لِلناسِ لم تَلِدِ النِّسَاءُ بخيلاَ

* * *

١٧ ـ وقال :

حَمراء مِنْ حَلَبِ الْعَصِير كَسَوْتُها بَيْضَاء مِنْ حَلَبِ الْغَمامِ الرَّقْرَقِ

أخذه من قول مسلم :

صَفْرَاءُ مِنْ حَلَبِ الكُرُومِ كَسَوتُها بَيْضَاءَ مِنْ حَلَبِ الْغُيُومِ الْبُجَّسِ [١]

* * *

١٨ ـ وقال : أخذ قوله :

* بَيَاضُ الْعَطايا فى سَوَادِ المَطالِبِ * [٢]

[من قول بعض العرب :

همامٌ عطاياهُ بدورٌ طوالعٌ على آمِليه فى سوادِ المطالبِ] [٣]

[و] من قول الأخطل :

رَأَيْنَ بَياضاً فى سَوَادٍ كأَنَّهُ بَياضُ الْعَطايا فى سَوَادِ المَطَالِبِ

* * *

١٩ ـ [وقال] : أخذ قوله :

نادَمْتُ ذِكْرَكَ والظَّلمَاءُ عاكِفَةٌ فكَانَ يا سَيِّدِى أَحْلَى مِنَ الشَّهدِ [٤]

من قول ابن أبى أمية :

كَمْ لَيْلَةٍ نادَمَنِى ذِكرُهُ يُسْعِدُنِى المثلثُ والزيرُ

* * *

(١) ديوانه ١٠٨ « من صوب الغيوم » وفى ط « من حلب العصير كسوتها »

(٢) صدره « وأحسن من نور تفتحه الصبا » ديوانه ٤٢ وشرح التبريزى ١ /٢١٢

(٣) ما بين القوسين ليس فى ك

(٤) ط « ناجيت »

٢٠ ـ وأخذ قوله :

* وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمانُ غُلامُ[١] *

من قول الأخطل :

سَعَيْتَ شَبابَ الدَّهْرِ لَمْ تَسْتَطِعْهُمُ　　أفالْآنَ لما أَصْبَحَ الدَّهْرُ فانِيا ؟[٢]

* * *

٢١ ـ و [قال] : أخذ قوله :

ذَاكَ الذِى أحصى الشُّهُورَ وَعَدَّها　　طَمعاً لِيَنتِجَ سَقْبَةً من حائِلِ[٣]

من قول أعرابى :

إنَّا وَجَدْنا طَرَدَ الهَوَامِلِ　　خيرًا من التَّأْنانِ والمَسَائلِ[٤]

وعدةِ العــامِ وعامٍ قابِلِ　　ملْقُوحةً فى بطْنِ نابٍ حائلِ[٥]

* * *

٢٢ ـ وأخذ قوله :

يُخْشَونَ حتى ما يَشُكُّ عَدُوُّهُمْ　　أنَّ المنايا الْحُمْرَ حىٌّ منْهُمُ[٦]

---

(١) صدره : « ولقد أراك فهل أراك بغبطة » ديوانه ٢٧٩

(٢) ديوانه ٦٦

(٣) ديوانه ٥٠٢ وقبله :

ما خلقت حواء أحمق لحية　　من سائل يرجو الغنى من سائل

والسقب : ولد الناقة ، والأنثى سقبة . من حائل : غير حامل

(٤) ط « التاتان والمسائل » وهو تحريف وفى م « طرد الحوامل »

وقد استشهد بهما فى اللسان ١٦/١٦٨ على أن التأنان وهو صفة واقع موقع المصدر الذى هو الأنين وقد ذكر أولهما أيضاً ١٤/١٣٥ وقال « وابل هوامل : مسيبة لاراعى لها . أراد أنا وجدنا طرد الإبل المهملة وسوقها سلا وسرقة ، أهون علينا من مسألة الناس والتباكى إليهم » وفى هامش اللسان ١٦/١٦٨ أن الصاغانى صوب زيادة مشطور بين المشطورين وهو : « بين الرسيسين وبين عاقل »

(٥) فى اللسان « ملقوحة : بمعنى ملقحة ، والمعنى أنها عدة لا تصح لأن بطن الحائل لا يكون فيه سقب ملقحة »

(٦) ديوانه ٢٨٥ و ط « يعلون » ومعناها : يظهرون على أعدائهم

من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ أَنَّ قَوْماً يُخْلقُونَ منِيَّــةً   مِنْ بـأْسِهِمْ كانُوا بنى جِبـرِيلا[١]

* * *

٢٣ ـ وأخذ قوله :

لَوْ كان فى الدُّنْيا قَبِيلٌ آخَرٌ   بإزائِـهِمْ ما كانَ فِيها مُعْدِمُ

من قول بشار :

لَوْ كانَ مِثلكَ آخَرٌ   ما كانَ فى الدُّنيَا فَقِيرٌ[٢]

* * *

٢٤ ـ وقال فى قوله :

رمنا الصُّدودَ فلَمَّا اقتاد أَرْسُنَنَا   حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنا الرَّحِمُ[٣]

من قول الأَسود بن يَعْفُر :

سَمَا بصَرى لمَّا عَرَفْتُ مكانَهُ   وَأَطَّتْ إلىَّ الْوَاشجَاتُ أَطيطَا[٤]

٢٥ ـ و [قال] : أَخذ قوله :

صَفْرَاءُ صُفْرةَ صِحَّة قَدْ رَكَّبَتْ   جُثْمَانَهُ فى ثَوْبِ سُقْمٍ أَصفرِ[٥]

من قول على بن أَديم[٦] الكوفى :

---

(١) ديوانه ٥٠ ، ٣٦ (طبع الهند)

(٢) البيت له فى الأغانى ٣٩/٣ فى مدح عقبة بن مسلم ؛ وقبله :

يا واحــد العرب الــذى   أمسى وليس لــه نظــير

وقد عاد صاحب الأغانى فذكر ٩٠/٣ أن البيتين لابن المولى فى مدح يزيد بن حاتم .

(٣) ديوانه ١٠ ؛ وفى اللسان ٤٥٤/١٣ « العجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها الثكلى لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعاً »

(٤) أطت : أنت حنيناً . والمراد بالواشجات : القرابات المشتبكة المتصلة

(٥) ديوانه ١٣٩٦

(٦) فى معجم الشعراء ٢٨٣ « على بن أديم الكوفى البزاز ، كان فى صدر الدولة العباسية ..» وفى ط « على بن رزين » وفى المعجم ٢٨٣ « على بن رزين الخزاعى ، هو أبو دعبل بن على الشاعر » وفى جمهرة الأنساب ٢٢٩ « على بن رزين بن على بن رزين ابن أخى دعبل.»

بَيْضَـــاءُ رُعْبُوبَةٌ صفْرَاءُ مِنْ غَيْرِ [داءِ]

* * *

٢٦ ــ وقال فى قوله :

* لمْ تَكْمَدِى فَظَنَنْتِ أَنْ لَمْ يَكْمَدِ(١) *

من قول بعضهم :

لا تُنْكِرِى جَزَع المُحِبِّ ؛ فإنَّهُ يطْوِى على الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حشَاكِ

[وأخذه من قول مسلم :

قـــد أَوْلعَتْهُ بطول الهجرِ غِرَّتُه لو كان يعرف طعم الهجر ماهَجَرا](٢)

* * *

٢٧ ــ وقال فى قوله :

سقى الغَيثُ غَيثاً وَارَتِ الأَرْضُ شَخْصَهُ

وَإِنْ لمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلا قَطْرُ(٣)

من قول شقيق بن سُلَيْك العامرى(٤)

* سَقاكَ الْغيثُ إنك كُنْتَ غَيثَا *

* * *

٢٨ ــ وقال قوله :

أَمِنْ بَعْدِ طَىِّ الْحادِثاتِ مُحَمَّدًا يكُونُ لِأَثْوابِ الندى أَبَدًا نَشْرُ ؟(٥)

---

(١) صدره : « كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى » ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٤٣/٢ لم تكمدى أى لم تعشقى فظننت بى مثل ذلك . يقول : قد باح السر ، فإن شئت فلومى وإن شئت فذرى » .

(٢) ديوانه طبع الهند ١٢٠ « طول الهجر» الغرة : الغفلة عن تجربة الأمور . يقول : تذيقنى العذاب بهجرها وتأتى ذلك بجهل عما ألاقى ، فلو عرفت ذلك ما هجرتنى » وما بين القوسين ليس فى ك

(٣) ديوانه ٣٧٠

(٤) هذا يوافق ما فى عيون الأخبار ٦٢/٤ وفى ط « عقيق بن سليك » وفى م ، ك « شقيق بن سليل الغاضرى » وجاء فى قصيدة لمهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليباً :

سقاك الغيث إنك كنت غيثا ويسراً حـين يلتمس اليسار

(٥) ديوا ٣٦٩ وهبة الأيام ١٤٦ و ط « لأثواب العلى »

من قول أبي نواس :

طَوَى المَوْتُ ما بَيْني وبَيْنَ مُحَمَّد وَلَيْس لِمَا تَطْوِى المَنِيَّةُ ناشِرُ[١]

* * *

٢٩ ـ وقال فى قوله[٢] :

* وَمِنَ الْعَجَائبِ ناصحٌ لا يُشْفِقُ[٣] *

من قول المخبَّل :

لن يَعْدَمَ الْغاوى على الْغَىِّ لائماً وَإِنْ هُوَ لمْ يُشْفِقْ عليهِ يلُومُ[٤]

* * *

٣٠ ـ وقال فى قوله[٥] :

مَنْ شَرَّدَ الإِعْدَامَ عنْ أَوْطانه بالبذل حتّى اسْتُطْرِفَ الإِعدامُ[٦]

من قول الأعشى :

هُمْ يَطْرُدُونَ الفَقْرَ عَنْ جَارِهِمْ حَتَّى يُرَى كالْغُصُنِ النَّاضِرِ[٧]

وفى بيت أبى تمام زيادةٌ حسنة ، وهى قوله : «حتّى استطرف الإعدام » .

* * *

(١) ديوانه ١٢٩ و ١٠٨ طبع الحلبى وأخبار أبى نواس ١/٧٠ والنقد ٣/٢٥٤

(٢) ط « وقوله أيضاً »

(٣) فى ديوانه ٤٩٩

عمرى لقد نصح الزمان وإنــه لمن العجائب ناصح لا يشفق

(٤) حماسة البحترى ٢٣٦ و ط « ولا يعدم »

(٥) ط « وأخذ قوله »

(٦) ديوانه ٢٨٠

(٧) ديوانه . . .

٣١ ـ وقال فى قوله :

حَلَفْتَ ، إنْ لمْ تَثَبَّتْ ، أنَّ حَافِرَهُ
مِنْ صخْرِ تَدْمُرَ أَوْ مِنْ وجْهِ عُثْمانِ[١]

من قول الآخر :

لَوْ أنَّ حَافِرَ بِرْذَوْنِى كَأَوْجُهِكُمْ بنَى بُديلٍ لَما أنْعَلْتُهُ أَبدًا[٢]

[باب]

ومما نسبه ابن أبى طاهر فيه إلى السَّرَق وليس بمسروق ؛ لأنه مما يشترك الناسُ فيه من المعانى ، ويجرى على ألسنتهم .

ومنه ما نسبه إلى السَّرَق والمعنيان مختلفان .

٣٢ ـ [فمما نسبه إلى السرق وليس بمسروق] قول أبى تمام :

أَلَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ الْجُودِ من زَمَنٍ فقَالَ لى: لمْ يَمُتْ مَنْ لمْ يَمُتْ كَرَمُهُ[٣]

وقال : أخذه من [قول] العتَّابى :

رَدَّتْ صَنائِعُه إلَيْهِ حَياتَهُ فَكأَنَّهُ مِنْ نَشْرِها مَنْشُورُ[٤]

ومثل هذا لا يقال فيه مسروق ؛ لأنه قد جَرَى فى عادات الناس ـ إذا مات الرجل من أهل الفضل والخير ، وأُثنى عليه بالجميل ـ أن يقولوا : ما مات مَنْ خلَّف مثل هذا الثناء ، ولا من ذُكر بمثل هذا الذكر . وذلك شائع فى كل أمة ، وفى كل لسان[٥] :

---

(١) ديوانه ٢٠١ طبع مصر والصناعتين ٣٩٩ والعمدة ٣٨/٢ ودوان المعانى ١٩٨/١ وزهر الآداب ١٠١٥/٢ ومعجم الأدباء ٢٥٠/١٩ وأبار أبى تمام ٦٨ وإعجاز القرآن ١٥٨ ويريد بعثمان : عثمان بن إدريس السامى .

(٢) ط « لو كان »

(٣) ديوانه ٣٨٧ و ط « مذ زمن »

(٤) فى الكامل ١١٩٧/٣ من أبيات لقطرب فيما يرى الأخفش .

(٥) م « كل إنسان »

٣٣ – وقول أبى تمام :

إذا عُنِيتُ بِشَىءٍ خِلْتُ أَنِّىَ قَدْ أَدْرَكْتُهُ ، أَدْرَكَتْنِى حِرْفَةُ الأَدَبِ[١]

قال : أَخذه من قول الخُرَيْمىّ :

أَدْرَكَتْنِى – وذاك أول دأْبى – بِسِجِسْتَانَ ، حِرْفَةُ الآدَابِ[٢]

و « حرفة الآداب » لفظة قد اشترك فيها الناسُ ، وكثرت على الأَفواه ، حتى سقط أن [نظن أن] واحدًا يستعملها من آخر .

هذا قول ابن أَبى طاهر ، ولم يقل أَبو تمام : « أَدركتنى حرفة الأَدب » ؛ إنما قال : « أَدركتنى حرفة العرب » . وقد ذكرتُ غلطه فى هذه اللفظة عند ذكر البيت فى الموازنة .

* * *

٣٤ – وقال فى قوله :

لَوْ يَعْلَمُ الْعافُونَ كَمْ لَكَ فى النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أو فرحةٍ ، لَمْ تُحْمَدِ[٣]

أَخذه من قول بشار :

لَيْسَ يُعْطِيكَ للرَّجاءِ وَلاَ الخَوْ فِ ، وَلٰكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطاءِ[٤]

وما إخاله احْتَذَى فى هذا البيت[٥] على قول بشار : لأَن بشارًا قال : [إنه] ليس يعطيك رغبة فى جزاء يرجوه ولا خيفة من مكروه ، ولكن لالتذاذه العطيةَ .

---

(١) ديوانه ٤٧١ « عنيت لشأو »

(٢) ط « بذاك أولى دائى »

(٣) شرح التبريزى ٢/٥٢١ وهامش ك « لذة وقريحة » وفى ديوانه ١١٣ « من فرحة وقريحة لم تخمد » بالخاء المعجمة ، وهو تحريف ، وإن خرجه الشيخ محيى الدين ناشر ط «على أن هذه الجملة صفة لقريحة » !

(٤) ديوانه ١/١١١ والأغانى ٣/٤٤ والمختار من شعر بشار ٩٣

وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه للندى لم يحمدوه . فالمعنيان إنما اتفقا من طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط . وهذا ليس من بديع المعانى التى يختص بها شاعر [دون غيره] ، فيقال : إن واحدًا أخذه من الآخر ؛ لأن العادة جارية بأن يقال : فلان لا يعطى متكارهاً ولا متكلِّفاً ؛ بل يُعْطى عن نية صادقة ، ومحبة لبذل المعروف تامة . ونحو هذا من القول .

* * *

٣٥ ـ وقال فى قوله :

* لَوْ كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحَيِّ فى فحَمٍ[٢] *

من قول الأغلب :

قَدْ قاتَلُوا لوْ يَنْفُخُونَ فى فَحَمْ   ما جَبُنُوا ولا تَولَّوْا منْ أَمَمْ[٢]

وهذا معنى شائع من معانى كلام[٣] العرب ، وجارٍ فى الأمثال أن يقولوا : قد فعلت كذا ، واجتهدت فى كذا لو كنت أنفخ فى فحمٍ ؛ لأن النفخ فى الفحَم يُحيي النار ويشعلها ، والنفخ فى حطب ـ ليس بفحم[٤] ولا أَخذَتِ النار فيه ـ لا يُورِى نارًا .

* * *

٣٦ ـ وقال فى قوله :

* وَالمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤال سَؤُولِ

---

(١) ليست فى م

(٢) صدره « لم يألكم مالك صفحاً ومغفرة » ديوانه ٢٦٩

(٣) فى اللسان ١٥/٣٤٤ « وفى المثل : لو كنت أنفخ فى فحم ، أى لو كنت أعمل فى عائدة ، قال الأغلب العجلى : هل غير غار هد غاراً فانهدم * قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم *وصبروا لو صبروا على أمم * يقول : لوكان قتالهم يغنى شيئاً ، ولكنه لا يغنى ، فكان كالذى ينفخ ناراً ولا فحم ولاحطب ، فلا تتقد النار . يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لايجدى عليه » وانظر مجمع الأمثال ٢/١٨٦ وإصلاح المنطق ١١٠

(٤) من ك

(٥) ط « بفحم إذا أخذت » وهو تحريف يفسد المعنى .

من قول محمود[١] :

فارْغَبْ إلى مَلكِ المُلوكِ ، ولَا تَكُنْ
بادِى الضَّرَاعةِ طَالباً مِنْ طالِبِ

ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأَنه جار على الأَلسن أن يقال : وقع سائل على سائل ، ومُجْتَدٍ على مجتد[٢] ، ووقع البائس على الفقير ، وأمثال هذا.

* * *

٣٧ - وقال فى قوله :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ آلِفٌ لِلحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ[٣]

من قول أعرابى :

هِمَّتُهُ قَدْ عَلَتْ وقُدْرَتُهُ فى اللَّحْدِ بَيْنَ الثَّرَى مَعَ الكَفَنِ[٤]

وهذا أيضاً من المعانى المشتركة الجارية فى العادة أن يقولوا : همته فى عَلاءٍ وجده فى سَفال ، وهمته ناطقة وجَدُّه أخرس ، وهمة ذات حِرَاك وجَدٌّ ساكن ، وهمة فلان ترفعه وجَدُّه يَضَعه ، وأشباه هذا .

* * *

٣٨ - [ومما نسبه إلى السرق والمعنيان مختلفان قوله] :

تُقَبِّلُ الرُّكْنَ رُكْنَ الْبَيْتِ نافِلَةً وظَهْرُ كفِّكَ مَعْمُورٌ مِنَ القُبَلِ[٥]

[وزعم أنه] من قول عبد الله بن طاهر :

أَعْلَتْ لَهُ ذِكْرَهُ فكافأَها بِأَنْ توالت فى ظَهْرِها القبَلُ[٦]

---

(١) هو محمود الوراق .

(٢) فى الطبعة الثانية من ط « ومجتهد على مجتهد » وهو تحريف واضح الفساد .

(٣) ديوانه ١٨١ وشرح التبريزى ٢/٢٨٩ والصناعتين ٢٢٦ وأخبار أبى تمام ٨٧ والموشح ٣٣٢ وديوان المعانى ١/١٠٩ والوساطة ٣٥٠

(٤) البيت غير منسوب فى شرح التبريزى ٢/٢٨٩

(٥) ديوانه ٢٥١

(٦) ط « مكافأة بأن توالى »

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر قُبَل الكف . وهذا ليس من المعانى المبتدَعَة ؛ لأن الناس أبدًا يقولون : ما خُلق وجههُ إلا للتحية وكَفّه إلا للتقبيل [١] .

كما قال دِعْبِل :

فَبَاطِنُهـــا لِلنَّدَى وَظَاهِرُها للقُبَلْ [٢]

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرًا ؛ فلا يكون عندى مسروقاً [٣]

* * *

٣٩ ـ وقال فى قوله :

نَظَرَتْ فالْتَفَتُّ مِنْها إلى أَحْـ لَى سَوَادٍ رَأَيتُه فى بَيَاضِ [٤]

من قول كُثَير :

وَعَنْ نَجْلاءَ تَدْمَعُ فى بَيَاضٍ إذا دَمَعَتْ وتَنْظُرُ فى سَوَادِ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر البياض والسواد ، والألفاظ غير محظورة . وأبو تمام إنما [٥] قال : « فالتفت منها إلى أحلى سواد » يعنى حدقتها ، « فى بياض » يعنى شَحْمة عينها . [وهذا هو الصحيح ، وقد قيل : سواد عينها] [٦] فى بياض وجهها ، وكُثَير أراد أن عينها تدمع فى بياض إذا دمعت ، يريد خَدّها ، وتنظر فى سواد ، يريد حدقتها . وهذا المعنى [٧] غير ذاك .

---

(١) ط « للقبل »

(٢) البيت لإبراهيم بن العباس الصولى فى الأغانى ٩/٢٩ وديوان المعانى ٢/٢١٥ والصناعتين ٢٢٤ وحماسة ابن الشجرى ١١٥ وزهر الآداب ١/٣٠١ ونهاية الأرب ٢/٩٤

(٣) م « فلا تكون مسروقة »

(٤) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزى ٢/٣٠٩

(٥) ليست فى م

(٦) الزيادة من ط

(٧) ليست فى م

* * *

٤٠ – وقال فى قوله :

كَمْ مِنْ يَدٍ لوْلا ما أُخَفِّفُها ... بهِ منَ الشُّكْرِ لم تُحْمَلْ ولم تُطَقِ [١]

باللهِ أَدْفَعُ عَنِّى ثِقْلَ فادحِها ... فإنَّنى خائفٌ منها على عُنُقى [٢]

من قول أبى نواس [٣] :

لا تُسْدِيَنَّ إلىَّ عارفَةً ... حتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفا [٤]

[والمعنيان مختلفان : لأَن أبا نواس قال] :

أَنْتَ امرؤٌ جَلَّلْتَنِى نِعَماً ... أوهَتْ قُوَى شُكرِى فقَدْ ضَعُفَا [٥]

فذكر أن نِعَم الممدوح قد غلبت الشكر ، فاستعفاه [٦] من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر السالفة .

وأبو تمام قال : لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها ، ثم أحسن وألطف فى قوله : « فإننى خائف منها على عنقى » .

ومعنى أبى نواس أجود وأبرع .

* * *

٤١ – وقال فى قوله [ويدخل فى الباب الأول] :

أَعْمِلِ التَّنْفَ والطِّلاء وقِدْماً ... كانَ صَعْباً أَن تُشْعَبَ القَارُورَهْ [٧]

---

(١) ديوانه ٢٠٩ وشرح التبريزى ٢/٤٠١ « يامنة لك »

(٢) ويروى « حق فادحها » قال الصولى : « وهذا البيت من الغاية التى لم يسبق إليها »

(٣) ط « أبى نواس والمعنيان مختلفان لأن أبا نواس قال » وهو اضطراب فى نسق الكلام .

(٤) ديوانه ٧١ وقبله :

قد قلت للعباس معتذراً ... من ضعف شكريه ومعترفا

والأبيات فى ديوان المعانى ١/١٢٧ وعلق عليها أبو هلال بقوله : « وهو أول من أتى بهذا المعنى ، إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء الكلام فضل ألفاظه على معانيه » وانظر زهر الآداب ١/٣٢٢ والصناعتين ٢١٥ وشرح المقامات للشريشى ١/٢٦٨

(٥) ط « فقد »

(٦) فى م ، ط : فاستعفى

(٧) ط « وقديماً »

من قول الأعشى :

كَصدْعِ الزُّجاجَة لا تَستَطيـ ... ـعُ كَفُّ الصَّناعِ لها أن تُحيرَا[1]

وهذا معنى [مبتذل] متداول مشهور من معانيهم فى الزجاج ، قد نطق به الناس . وأكثروا فيه ، حتى سقط أن يقال : إن أبا تمام أخذه من الأعشى ، وقد تقدم فيه المسيَّب بن عَلَس ، فقال :

بانَتْ وصَدْعٌ فى الفؤاد لها ... صَدعَ الزُّجاجَةِ لَيْسَ يَتَّفقُ[2]

[وقال آخر :

* كصدع الزجاجة لا يلتئمْ *

وقال آخر :

* مثل صدع الزجاجةِ أعْيَا الصَّنَاعا *

وكما قال الآخر :

وتَفَرّقَتْ نِيَّاتُهُمْ فَتَصَدَّعُوا ... صَدْعَ الزُّجاجَةِ ما لَها تَيفاقُ

ومثله كَثِير .

* * *

٤٢ – وقال فى قوله :

إذا سَيْفُهُ أَضْحَى على الْهَامِ حاكماً ... غَدا العَفْوُ مِنْهُ وهْوَ فى السَّيْفِ حاكمُ[3]

من قول مسلم بن الوليد :

يَغْدُو عَدُوُّكَ خائفاً ؛ فإذا رأى ... أنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى العِقَابِ رجاكا[4]

(١) ديوانه ٦٧ « ما تستطيع » وفى ط بعد البيت : « قلت : وقد وقع فى شعر الأعشى أيضاً قوله :

فبانت وفى الصدر صدع لها ... كصدع الزجاجة لا يلتئم

وهى زيادة كاتب على الكتاب أدخلها الناسخ والطابع فى صلبه . وفى ديوان الأعشى ٢٨ « صدع بها »

(٢) فى ط ، م « وصدع القلب كان لها » والبيت فى الشعر والشعراء ١ / ١٣٠

(٣) ديوانه ٢٨٧

(٤) ط « يعدو » و م « على العفاف »

والمعنيان مختلفان : لأَن أبا تمام قال : إذا حكم سيفُ[1] الممدوح على الهام حكم عفوه على السيف .

ومسلم قال : إن عدوَّ الممدوح يخافه ؛ فإذا رأَى أَن قد قدر على العقاب رجاه ؛ فليس هذا المعنى[2] من ذلك فى شىء .

* * *

٤٣ ـ وقال فى قوله :

فإنْ هَزَئْتُمْ سَلَلْنَاهَا وقَدْ غَنِيَتْ   دَهْرًا وهَامُ بَنِى بَكْرٍ لها غِمْدُ[3]

من قول سعد بن ناشب[4] :

فإن أَسْيَافَنَا بيض مُهَنَّدَةٌ   عُتُقٌ ، وآثارُها فى هامكم جُدُدُ[5]

والمعنيان مختلفان ؛ لأَن أبا تمام قال : « وهام بنى بكر لها غمد » ؛ وهذا قال : « وآثارها فى هامكم جدد » فهذا غير ذاك .

[وقال فى قوله :

رُمْنَا الصُّدودَ فلما اختار أُلْفَتَنَا   حنَّت حنين عَجُول بيننا الرَّحِمُ

من قول الأَسود بن يَعْفُر :

سما بصرى لمّا عرفت مكانَه   وأَطَتْ إلىَّ الوَاشِجَاتُ أَطِيطا

فهذا قال : إنه لما عرفه أَطت إليه الواشجات أَى الحقوق والقرابة والرحم ؛

---

(١) م « السيف »

(٢) ليست فى م

(٣) م « فإن هربتم . . فقد » وفى ديوان المعانى ٢ / ٥١ :

وإن هربتم سللناها فما غمدت   إلا وهام بنى بكر لها غمد

(٤) م « ابن ثابت » وهو على الصواب فى ديوان المعانى ٢ / ٥١

(٥) م « فإن . . بيضا » و ط « فى هامهم »

أى حنت إليه . وأبو تمام قال : لما صددنا وفارقنا الألفة حنت بيننا الرحم فهذا كقول قيس بن الخَطِيم فى حربهم :

لمـــا بدت نحـــونا جباهُهُم حنَّت إلينا الأَرْحَامُ والصُّحُفُ

أى لما صافّونا للحرب حنت إلينا الرحم والصحف . يريد العهود ، والله أعلم] [1]

* * *

٤٤ – وقال فى قوله :

فَلو كانتِ الأَرْزَاقُ تَجرِى على الحِجَى هَلَكْنَ إذًا مِن جَهْلِهِنَّ البَهائمُ [2]

من قول أبى العتاهية :

إنَّما النَّاسُ كالبَهائمُ فى الرِّزْ قِ ، سَواءٌ جَهُولهُمْ والحَليمُ [3]

وبين المعنيين خلاف ؛ لأن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأتيها جاهلةً كانت أو حليمة [4] كما يأتى البهائم ، وهذا قائم فى الفطر والعقول ؛ تتفق [5] الخواطر فى مثله .

وأبو تمام قال : إن الرزق لو جرى على قَدْر العقل [6] لهلكت البهائم [من جهلها] . وهذه زيادة فى المعنى حسنة ، وإن كان إلى معنى [7] أبى العتاهية يؤول .

* * *

(١) ما بين القوسين من ك

(٢) ديوانه ٢٨٦ « كانت الأقسام » وفى م « الأقدار »

(٣) ديوانه ص ٣٤٠ . جامعة دمشق

(٤) ط « أو عالمة » !

(٥) ط « فتتفق »

(٦) ط « قدر أهله »

(٧) ط « إلى مذهب »

٤٥ ـ وقال فى قوله :

وأَشْجَيْتُ أَيَّامى بِصَبرٍ حلَوْنَ لى عَواقبُه ، والصَّبرُ مُرٌّ عواقبهْ

[كذا رواه ابن أَبى طاهر][١] .

من قول أَبى الشِّيص :

يُصَبِّرنى قومٌ بَرَاءٌ من الهوَى وللصَّبرُ تارَاتٍ أَمرٌّ مِن الصَّبرِ

فقول[٢] الناس : الصبر مر ، والصبر كاسمه صبر . وقولهم : الصبر محمود العاقبة ، وإن كان مرًّا . لا يكون [مثل هذا][٣] مسروقاً[٤] فيقال : إن واحدًا أَخذه من آخر ، فقال أَبو الشيص[٥] : إن للصبر تارات يكون فيها أَمرَّ من الصبر ، أَى : له تارات يكون فيها شديدَ المرارة . وقال أَبو تمام[٦] : أَشجيت أيامى بصبر حلت لى عواقبه ، ثم قال : والصبر مر عواقبه ، يريد فى الحلق [أى] او جرعتهُ لكان مقطعه شديدَ المرارة ؛ وإنما قال هذا ليجمع[٧] فى البيت[٨] حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه .

هذا تفسيره على ما رواه ابن أَبى طاهر ، ولم يقل أَبو تمام : والصبر مر عواقبه ، وإنما قال : «والصبر مثل اسمه صبر[٩] » .

* * *

---

(١) بعد هذا فى هامش ك : ع كذا رواه ابن أبى طاهر وهو فى شعره : «والصبر مثل اسمه صبر »

(٢) م « فيقول »

(٣) من ك

(٤) م « لا يكون مثل هذا مسروقاً »

(٥) ط « وقول أبى الشيص »

(٦) ط « وقول أبى تمام » وفى ك : وقال أبو تمام : إنى أشجيت

(٧) ط « ليجتمع له »

(٨) من ك

(٩) ديوانه ٤٧٥

٤٦ ـ وقال فى قوله :

لئن ذَمَّتِ الأَعداءُ سُوءَ صَباحِها فلَيْسَ يؤدِّى شكْرها الذِّئْبُ والنَّسْرُ(١)

من قول مسلم [بن الوليد] :

لَوْ حاكَمْتكَ فَطالَبَتْكَ بذَحْلِها شَهِدَتْ عَلَيكَ ثَعالِبُ ونُسُورُ(٢)

وذِكْرُ وقوعِ الذئاب وغيرها والنسور وما(٣) سواها من الطير على القَتْلَى ـ مَعْنًى متداول ومعروف ، وهو فى بيت أبى تمام غيره فى بيت مسلم ؛ لأن مسلماً قال لممدوحه : لو حاكمتك ـ يريد الفِرْقة أو العُصَب التى لقيتْكَ ـ فى مطالبتك بمَنْ قتلتَ منها ، لشهدَتْ عليك الثعالب والنسور .

وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء : لئن ذَمَّتِ الأَعداءُ سوءَ صباحها ، فليس يؤدِّى الذئب والنسر شكرها ؛ لكثرة ما أَكلا منها . وهذا المعنى(٤) غير ذاك(٥) ، والله أعلم .

---

(١) ديوانه ٤٧٧

(٢) ديوانه ١٢٥ . « عليك ملاحم » وفى م « مطالعتك بذحلها »

(٣) م « وبما »

(٤) م « من أكلا . . فهذا معنى »

(٥) جاء فى ك بعد ذلك : « تم الجزء الأول من الموازنة ، على ما جزأه مؤلفه ، والحمد لله كثيراً ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، وسلم تسليما »

الجزء الثاني

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

[قال أبو القاسم : الحسنُ بن بشرِ بن يَحيى الآمِدِيُّ عفا الله عنه] [1] :

قد ذكرتُ فى الجزء الأول احتجاجَ كل فرقة من أصحاب أبى تمام [2] والبُحْتُرِى على الأُخرى فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وقلت : إنى أبتدئُ – بعد هذا [3] – بذكر معايبهما ؛ لأَختم الكتاب بوصف محاسنهما ؛ فأتبعت ذلك بما خَرَّجْته من سَرِقات أبى تمام وبَيَّضت آخر الجزءِ لأُلحق به ما وجدته منها فى دواوين الشعراء فعلَّمت عليه ، وما [لعلى] أجده بعد ذلك ؛ فإنه كثير السرق [جدًّا] .

وقد سمعت أبا على : محمدَ بن العلاء السجستانى يقول : إنه ليس له معنًى انفرد [به] واختَرَعَه إلا ثلاثة معان ، وهى قوله :

تـأْبَى عَلَى التَّصْرِيدِ إلا نَائلاً ... إلا يَكُنْ ماءً قُرَاحاً يُمْذَقِ [4]

نَزْرًا كما اسْتَكْرَهْتَ عائرَ نَفْحَةٍ ... من فأْرَةِ الْمِسكِ التى لم تُفْتَقِ [5]

---

(١) الزيادة من ط

(٢) ط ، ك « تمام حبيب بن أوس الطائى وأبى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى »

(٣) ط « هذا الباب »

(٤) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزى ٢/٤٠٧ والتصريه : قطع الشرب وتنغيصه . والقراح من الماء الخالص الذى لا يمازجه غيره . « يقول : تأبى هذه المرأة المحبوبة مع تقليلها النوال ، إلا نيلا ممنوقاً غير خالص ، ووصلا مشوباً بالامتناع ، فلا تصافى الرجال ولا تترك الإطماع ، فيكون حبيبها أبداً معذباً من جهتها » ويروى « باتت على التصريد » وفى م ، ك « إلا يكن محضاً قراحاً يمذق »

(٥) قال التبريزى : « أى نيلها عندى قليل كأنه عائر من ريح فأرة المسك . والعائر : أصله فى الخيل والسهام ، يقال : فرس عائر : إذا ذهب على وجهه فى الأرض . ويروى : « نزراً كما استنهكت » أى عطاء نزراً لا غناء فيه كالرائحة التى تفلت من فأرة مسك لم تفتق ، أى بعد نائلها كشمة من هذه الفأرة ، ولا تغنى هذه الشمة غناء ، فكذلك نائلها »

وقوله :

بَنِى مالِكٍ قَدْ نَبَّهَتْ خاملَ الثَّرَى قُبُورٌلكمْ مُسْتَشْرِفاتُ المَعالِمِ[١]

رَواكِدُ قِيسَ الْكَفِّ منْ مُتناوِلٍ وَفيها عُلًى لا تُرْتَقى بالسَّلالِمِ[٢]

وقوله :

وَإذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ[٣]

لَوْلا اشتعالُ النَّارِ فيما جاوَرَتْ ما كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو على ، بل أرى أن له ـ على كثرة ما أخذه من أشعار الناس ومعانيهم ـ مُخْتَرَعاتٍ كثيرةً ، وبدائع مشهورة ، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه بإذن الله .

[وأما هذان المعنيان فقد رأيت مثلهما فى أشعار الناس ولعلى أن أخرجهما فيما أخرج من سرقاته][٤] .

ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقاتِ من كبير عيوبه ؛ لأنه بابٌ ما يَعْرَى منه أحد من الشعراء إلا القليل ، بل الذى وجدتهم يعيبونه[٥] كثرة خطائه وإخلاله وإحالاته[٦] ، وأغاليطه فى المعانى والألفاظ

وتأملت الأسباب التى أدَّته إلى ذلك فإذا هى ما رواه أبو عبد الله محمدُ ابن دواد بن الجرَّاح فى كتاب « الورقة » عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن محمد[٧] [الطائى] أن أبا تمام يريد البديعَ فيخرج إلى

(١) ديوانه ٣٨٦

(٢) فى الديوان : « رواكد قيد الشبر »

(٣) ديوانه ٨٥ وشرح التبريزى ٤٠٢/١

(٤) ما بين القوسين من ك

(٥) فى ك : « ينعونه »

(٦) ط « وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطه وإحالته »

(٧) ط « بن أحمد »

المُحَال[١] .

وهذا نحوُ ما قاله أبو العباس : عبد الله بن المعتزّ بالله فى كتابه الذى ذكر فيه البديع[٢] .

وكذلك ما رواه محمد بن دواد عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه : أن أول من أفسد الشعر : مُسْلم بن الوليد ، وأن أبا تمام اتبعه وسلك فى البديع مذهَبَه فتحير فيه . كأنهم يريدون إغراقَه فى طلب[٣] الطِّبَاق والتجنيس والاستعارات ، وإسرافه فى التماس هذه الأبواب وتوشيحِ شعره بها ، حتى صار كثيرٌ مما أتى [به] من المعانى لا يُعْرَف ولا يعلم غرضه فيها إلا بعد الكَدِّ والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدْس ، ولو كان أخَذَ عَفْوَ هذه الأشياء ولم يُوغِلْ فيها ، ولم يجاذب الألفاظ والمعانى مجاذَبة ويَقْتَسرها مُكارَهة ، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجمامه[٤] غير مُتْعَب ولا مكدود ، ، وأورد من الاستعارات ما قرُب وحسن[٥] ، ولم يُفْحِش ، واقتصر من القول على ما كان محذوًّا [على] حَذْوِ الشعراء المحسنين — ليسلم من هذه الأشياء التى تُهَجِّن الشعر وتذهب بمائه ورونقه ، ولعل ذلك أن يكون ثلثَ شعره أو أكثر منه — لظننته كان يتقدَّم عند أهل العلم بالشعر أكْثَرَ الشعراء المتأخرين ، وكان قليله حينئذٍ يقوم مقامَ كثير غيره ؛ لما فيه من لطيف المعانى ومستغرَب الأوصاف[٦] ، لكنه شَرِهَ إلى إيراد

---

(١) هذا النص من الأقسام الضائعة من كتاب الورقة . وقد ذكر المؤلف فيما مضى ص ١٩

(٢) البديع ٥٥

(٣) ط « إسرافه فى طلب »

(٤) ط « بجهامه » !

(٥) فى ط ، م : « قرب فى حسن »

(٦) فى ط ، م « الألفاظ لكن »

كل ما جاش به خاطره ولَجْلَجَهُ فكرهُ ، فخَلط الجيدَ بالردىء ، والعينَ النادر بالرَّذْل الساقط ، والصوابَ بالخطأ . وأفرط المتعصبون له فى تفضيله ، وقدَّموه على من هو فوقه من أجل جيده ، وسامحوه فى رديئه ، وتجاوزوا له عن خطائه ، وتأوَّلوا له التأوّل البعيد فيه . وقابل المنحرفون عنه إفراطاً بإفراط فبَخَسُوه حقه ، واطَّرحوا إحسانه ، ونَعَوا سيئاته[1] ، وقدَّموا عليه مَنْ هو دونه . وتجاوز بعضُهم ذلك إلى القدح[2] فى الجيد من شعره ، وطعن فيما لا مطعن عليه فيه[3] ، واحتجَّ بما لا تقوم حجة به ، ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى ألَّف فيه[4] كتاباً ، وهو أبو العباس : أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف بالعزيز[5] ، ثم ما علمته وضع يده من غلطه وخطائه إلا على أبيات يسيرة ، ولم يُقم على ذلك[6] الحجة ، ولم يهتد لشرح العلة ، ولم يتجاوز فيما نعاه[7] بعدها عليه الأبياتَ التى تتضمن بعيد[8] الاستعارة وهجين اللفظ . وقد بينت غلطه[9] فيما أنكر [عليه] من الصواب فى جزء مفرد[10] إن أحَبَّ القارئ [له] أن يجعله من جملة بهذا الكتاب ويصِلَه بأجزائه فَعَلَ ذلك إن شاء الله تعالى : فإن الذى[11] تضمَّن يدخُل فى محاسن أبى تمام التى ذكرتُ أنى أختم كتابى هذا بها وبمحاسن البحترى .

* * *

(١) فى ك « إساءاته »

(٢) م « وبعضهم تجاوز ذلك أن قدح »

(٣) فى ط ، م « فيما لا يطعن فيه »

(٤) ط « ألف فى ذلك »

(٥) ط « المعروف بالفريد »

(٦) م ، ك « لم يقم فيها على الحجة »

(٧) م « بغاه »

(٨) ط « بعد »

(٩) ط « خطأه »

(١٠) م « جزء مطرد »

(١١) ط « فالذى »

وأنا الآن أذكر ما غَلِط فيه أبو تمام من المعانى والألفاظ ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المذاكرة والمفاوضة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كلَّ ما احتمل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولاَحَتْ له أدنى علة .

* * *

وأنا أبتدئْ بالأبيات التى ذكرتُ أن أبا العباس أنكرها ، ولم يُقِم الحجة[1] على تبيين عيبها وإيضاح الخطإ فيها ، ثم أستقصى الاحتجاجَ فى جميع ذلك ؛ لعلمى بكثرة [المعارضين و] مَنْ لا يجوّز على [هذا] الشاعر [الغلط] ، ويوقع له التأول البعيد ، ويورد الشبه والتمويه . وبالله أستعين، وهو حسبى ونعم الوكيل .

١ ـ أنكر أبو العباس : أحمد بن عُبيد الله على أبى تمام قوله :

هادِيهِ جِذْعٌ مِنَ الأَرَاكِ ، وما تحت الصَّلا مِنْهُ صَخْرَةٌ جَلْسُ[2]

وقال : هذا من بعيد خطائه أن شَبَّه عُنُقَ الفرس بالْجِذْع ، ثم قال « جذع من الأراك » ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعاً ؟ أو تشبه بها أعناق[3] الخيل !

وأخطأَ أبو العباس فى إنكاره على أبى تمام أنْ شبَّه عُنُقَ الفرس بالجذع، وتلك[4] عادة العرب ، وهو فى أشعارها أكثر من أن يحصى ، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبى تمام .

---

(١) سقطت من م ، ك

(٢) ديوانه ١٦٧ وشرح التبريزى ٢/٢٢٦ « خلف الصلا » وهاديه : عنقه ، والعرب تشبه هوادى الخيل بجذوع النخل ، وإنما اختار الطائى جذع الأراك لأنه أملس . والصلا : واحد الصلوين وهما عظمان يكتنفان الذنب . وصخرة جلس : أى صلبة ثقيلة

(٣) م « وتشبه بأعناق »

(٤) ط « وذلك »

وأصاب أبو العباس فى إنكاره أن تكون عيدانُ الأَراك جذوعاً ، وإن لم يلخص المعنى ؛ لأَن عيدان الأَراك لا تَغْلُظُ حتى تصير كالجذوع ، ولا تقاربها .

فإن قيل : فإن الشجرة من الأَراك قد تعظم حتى تصير دَوْحَةً يَسْتَظِل بها الجماعة من الناس والسِّربُ من الوحش ، وذلك معروف موجود ، وقد قال الراعى :

غذاه وحَوْلِيُّ الثَّرَى فوقَ مَتْنِهِ مَدَبُّ الأَتِيِّ والأَرَاكُ الدَّوائحُ[1]

والدوائح [وهى] العِظام منه ، جمع دَوْحَة .

قيل : إن الأَمر وإن كان كذلك فى بعض شجر الأَراك من علوها وتشعب أَغصانها ، فإن قائم الشجرة وعيدانَها لا يغلظ ولا يمتلئُ امتلاءً يقارب الجذوع ولا ما هو دونها فى الغلظ . ولو انتهت إلى هذه الحالة – وذلك غير معلوم – لما قيل لها أيضاً جذوع ؛ لأَن الجذوع إنما هى للنخل[2] فقط . وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة [أيضاً : جذع] قال الراجز :

بِكلِّ طِرْفٍ أَعْوَجِيٍّ صَهَّالْ يَمْشِى إذا ما قِيدَ مَشْىَ المُخْتالْ[3]

* تحتَ هَوادٍ كجُذوعِ الأَوْقالْ *

فقال : « كجذوع الأَوقال » جمع وقْلة وهى شجرة المقل ؛ لأَن فيها شبهاً من النخل من جهة الخوص والليف .

فإن قيل : فقد قال ذو الرمة :

---

(١) فى اللسان ٣/٢٦١ « غداة »

(٢) ط « الجذع إنما هو للنخلة »

(٣) أعوجى : فرس منسوب إلى أعوج ، وهو حصان تنسب الخيل الكرام إليه . والهادى : العنق ، وجمعه هواد .

وَهادٍ كَجِذْعِ السَّاجِ سامٍ يَقُودُهُ مُعَرَّقُ أحناء الصَّبِيَّيْنِ أَشْدَقُ[١]

قيل : ذو الرمة إنما قال ذلك على التشبيه ؛ لأن العود من الساج يشبه الجذع المنحوت فى غلظه وهيئته . وعودُ الأراك منْ أبعد شىء من ذلك ؛ لأنه لا يمتد ولا يستوى استواءَ الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التى تمتد أبدانها علوًّا امتدادًا مستوياً ، وذلك لدقته وشدة التوائه وتشعبه .

* * *

٢ – وأنكر أبو العباس قول أبى تمام :

رَقِيقُ حَواشِى الحِلمِ لوْ أنَّ حلمَهُ بِكفَّيْكَ ما مَارَيْتَ فى أنَّهُ بُرْدُ[٢]

وقال : هذا [و] الذى أضحك الناس منذ سمعوه [و] إلى هذا الوقت . ولم يزد على[٣] هذا شيئاً .

والخطأ فى هذا [البيت] ظاهر ؛ لأنى[٤] ما علمت أحدًا من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة . وإنما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ، ونحو ذلك ، كما قال النابغة :

وَأَعْظَمُ أحلاماً وَأَكثرُ سَيِّدًا وأفضلُ مَشفوعاً إليهِ وشافِعَا[٥]

وكما قال الأخطل :

شُمْسُ العداوَةِ حتَّى يُسْتقادَ لهُمْ وأَعظَمُ النَّاسِ أحلاَماً إذا قدَرُوا[٦]

---

(١) ديوانه ٣٩٧ والصناعتين ٧٢ والسامى : المرتفع ، والمعرق : الذاهب اللحم ، والأحناء : جمع حنو وهو الجانب . والصبيان : جانبا اللحيين الأسفلين . والأشدق : واسع الشدق . وفى م « معرض أحناء »

(٢) ديوانه « أن خلقه » وفى الوساطة ٧٦ والصناعتين ١١٩ وشرح التبريزى ٢/٨٨ « حلمه » وفيه وفى هامشه كلام كثير حول هذا البيت للمرزوقى وابن السيد البطليوسى وابن المستوفى وابن قتيبة

(٣) م « وكم يرد » وهو تحريف

(٤) م « إنى »

(٥) ديوانه ٧٤ وفى ط والصناعتين ١١٩ نقلا عن الموازنة « وأكبر سيدا » .

(٦) ديوانه ١٠٤ والأغانى ١٠/٥ والشعر والشعراء ١/٤٧٠ والصناعتين ١١٩

وكما قال أَبو ذؤيب :

وَصَبرٌ على حَدَثِ النَّائِبات وَحِلْمٌ رَزِينٌ وقلبٌ ذكيّ[١]

وكما قال عدِىّ بن الرِّقاع فى مثل ذلك :

أَبَتْ لكمُ مَواطِنُ طيِّباتٌ وأَحلامٌ لكمْ تزِنُ الجبالا[٢]

وقال عدى أَيضاً :

فى شِدَّةِ العقدِ والحلمِ الرَّزِينِ وَفى الـ قَوْلِ التَّبيتِ إذا ما ٱستُنْصِتَ الكَلِمُ

وقال :

الجامعُ الحلْمَ الأَصيلَ وسُؤْددًا غَمْرًا يُعاشُ بِهِ وحِكْمَةَ حازِمِ[٣]

وقال :

قَرْم لهُ مَع دينِه وتَمامه حِلْمٌ إذا وُزِنَ الحلومُ ثَقيلُ[٤]

وقال الفرزدق :

أَحلامُنا تزِنُ الجبالَ رَزانةً وتَخالنا جِنًّا إذا ما نَجْهلُ[٥]

وقال أَيضاً :

إنَّا لَتُوزَن بالجِبالِ حُلومنا ويَزِيدُ جاهِلُنا على الجهَّالِ[٦]

وكما قال الآخر :

وعظيمُ الحلْمِ لوْ وازَنْتَهُ بِثَبيرٍ أَوْ بِرَضْوَى لرَجَحْ

---

(١) ديوان الهذليين ١/٦٨ والصناعتين ١١٩

(٢) الصناعتين ١٢٠

(٣) ط « يقاس به »

(٤) القرم : السيد

(٥) ديوانه ٧١٧

(٦) ديوانه ٧٣٠ والصناعتين ١٢٠ وفى مجموعة المعانى ٤٥ « وقال حسان بن حنظلة :

أحلامنا تزن الجبـال رزانـة ويزيد جاهلنا على الجهال

ومثل هذا كثير فى أشعارهم ، ألا تراهم[1] إذا ذمّوا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خَفّ حلمه [وطاش حلمه]

وقال عياض بن كثير الضّبى :

تنابلةٍ سُودٍ خِفافٍ حُلُومُهُمْ ذَوى سَرَبٍ فى الحىِّ يَغْدُو ويَطرُقُ[2]

[وقال عُقَيْبة[3] بن هبيرة الأسدى :

أبنو المغيرة مثلُ آلِ خُوَيْلدٍ يا للرِّجال لِخِفَّةِ الأحلامِ][4]

وقال قَدُّ بن مالك[5] الأسدى

كأنَّ جَرادةً صَفْرَاءَ طارَتْ بأحلامِ الغواضر أجمَعِينا

جعلها صفراء لأنها ذكر ، وهو[6] أسرع من الأنثى وأخف .

وقال ابن قيس الرُّقيّات ، ووجدتها فى ديوانه ، والصحيح أنها[7] لأبى العباس الأعمى :

---

(١) ط « ألا ترى أنهم إذا »

(٢) الصناعتين ١٢٠ وفى ط ، ك « قبائله سود ... ذوو نيرب » والشرب : المسلك فى خفية . والنيرب : الشر والنميمة .

(٣) فى الحيوان ١٩٢/٣ « عقبة الأسدى » وعقب عليه الأستاذ « عبد السلام هارون » بقوله : « لم أر له ذكراً فيما لدى من المراجع » وكذلك ورد فى الكتاب لسيبويه ٣٤/١ ، ٣٥ ولعقيبة محاورة مع معاوية بن أبى سفيان وهجاء لأبى بردة بن أبى موسى الأشعرى فى العقد ٦١/١ ، ٢١٩/٥ والخزانة ٣٤٣/١ قال البغدادى « عقيبة بن هبيرة الأسدى جاهلى إسلامى وفد على معاوية »

(٤) البيت فى الحيوان مع آخرين فى مدح عبد الله بن الزبير . وفى م « ابنى المغيرة » وهم بنو مروان ، فأمهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية . وآل خويلد : هم بنو الزبير ابن العوام بن خويلد .

(٥) ط « علقمة بن هبيرة » وهو خطأ واضح . وفى معجم الشعراء ٣٣٩ « قد بن مالك ... بن أسد . . . وهو من أبيات أنشدها الفراء :

لعمر أبيك يا سلم بن هند لقد لاقيت منك الأقورينا

كأن جرادة . . . »

(٦) ط « وهى أسرع »

(٧) ط « ووجدتها . . . أنهما »

حلماءُ إذا الحُلومُ اسْتُخِفَّتْ بوجوه مِثلِ الدنانيرِ مُلْس(١)

وقال قيس بن عمير الكِنانى :

كمثلِ الحصى بكرٌ ولكن خيانةٌ وغَدْرٌ وَأَحْلَامٌ خِفافٌ عَوَازِبُ

فهذه طريقة وصفهم للحلم . ولما(٢) مدحوه بالثقل والرزانة ، ذمّوه بالطَّيْش والخفة .

وأيضاً فإن البُرْدَ لا يوصف بالرقة ، وإنما يوصف بالمتانة والصَّفاقة ، وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة . كما قال يزيد بن الطَّثْرِيَّة :

أَشاقتكَ أَطلالُ الدِّيارِ كأَنَّما مَعارِفُها بالأَبرَقَيْنِ بُرُودُ

والأَبرق والبراق(٣) من الأَرض : ما كان فيها حجارة ورمل ؛ فقيل « بَرْقاء » لاختلاف الأَلوان فيها ، ومن ذلك الحبلُ الأَبرق الذى فُتِل(٤) من قُوًى مختلفة الأَلوان ؛ فلذلك شبه الشاعر معارفَ الديار(٥) بالبرود لاختلاف ألوان البرود .

ولولا أنه قال « رقيق حواشى الحلم » لظننت أنه [ما] شبهه بالبُرْد إلا لمتانته . وهذا عندى من أفحش الخطإ .

ثم قوله « [لو أن حلمه] بكفيك » كلام فى غاية [القبح و] السخافة ، وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط .

وإنى لأَعجب من اتباع البحترى إياه فى البُرْدِ ــ مع شدة تجنبه الأَشياء المنكَرَة عليه ــ حيث يقول :

---

(١) فى ط ، م « وإنما . . . وذموه »
(٢) ط « بحلوم إذا . . . ووجوه مثل »
(٣) ط « والبرقاء »
(٤) م « الذى فيه »
(٥) م « معارف البراق »

وَلَيَالٍ كُسينَ مِنْ رِقَّةِ الصَّيْـ ـفِ فَخَيَّلْنَ أَنَّهُنَّ بُرُودُ[١]

وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلاً فى الرقة غير البرد ؟ ولكن الجيد فى وصف الحلم قولُه متبعاً للمذهب الصحيح المعروف :

خَفَّتْ إلى السُّؤْدَدِ المجْفُوِّ نَهْضَتُهُ وَلَوْ يُوَازِنُ رَضْوَى حِلْمُهُ رَجَحَا[٢]

وقوله :

فَلَوْ وُزِنَتْ أَرْكانُ رَضْوَى وَيَذْبُلٍ وَقِيسَ بها فى الْحِلْمِ خَفَّ ثَقيلُها[٣]

وأبو تمام لا يجهل هذا من أوصاف الحلم ، ويعلم أن الشعراءَ إليه يتقصدون[٤] ، وإياه يعتمدون ، ولعله قد أورد مثله ، ولكنه يريد أن يبتدع فيقع فى الخطإ .

* * *

٣ ــ وأنكر أبو العباس على أبى تمام قوله :

مِنَ الهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاخِلَ صُيِّرَتْ لها وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الخَلاخِلُ[٥]

ولم يذكر موضع العيب فيه . ولا أُراه علمه ، و [أنا أذكره وألخصه فأقول : إن] هذا الذى وصفه أبو تمام ضدّ ما نطقت به العرب ، وهو من[٦] أقبح ما وُصف به النساء ؛ لأن من شأن الخلاخل والْبُرِينِ أن تُوصَف بأنها تَعَضُّ فى الأَعْضاد والسواعد ، وتضيق فى الأَسوق[٧] ، فإذا جعل خلاخلَها[٨] وُشُحاً تجول عليها فقد أخطأ الوصف ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الخلخالُ

---

(١) ديوان البحترى ٦٤

(٢) ديوان البحترى ٥٦

(٣) م « ويذبل وقدر بهما »

(٤) ط « من أمر الحلم . . . إليه تقصد وإياه »

(٥) ديوانه ٢٥٦ والصناعتين ١٢٠ والوساطة ٧٧

(٦) من ك

(٧) فى ط ، م « السوق »

(٨) ط « فى الأسواق . . . خلاخيلها »

الذى من شأنه أن يَعضّ بالساق وِشاحاً جائلاً على جسدها ؛ لأن الوشاح هو ما تَقَلّده المرأة متّشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصبّ جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى إلى العجز[١] ويلتقى طرفاه على الكشح الأيسر ؛ فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرّجُل .

وإذا كانت هذه صورةَ الوشاح فغير جائز [وصفه بالقصر والضيق ، بل الواجب] أن يوصف بالسّعة والطول ليدل على تمام المرأة وطولها ، ويكون ذلك لائقاً بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقَنَا الخطّ . وإنما يُوصَف الوشاح بالقَلَق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر ؛ لأنه يَقلق هناك إذا كان الخصر دقيقاً والبطن ضامراً ، بل حركته تدل على ضُمْر البطن أكثر ، وليس طوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خَمَص . وإذا كان الخلخال — وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها — وشاحاً للمرأة فإنه يأخذ أعْلَى جسدها كله ، و [هذه] إذا كانت كذلك فقد مُسِخت إلى غاية القماءة والصِّغر ، وصارت فى هيئة الجُعَل[٢] .

وقد تصف العرب الخَصْر بالدقة ، ولكن تعطى كل جزء من الجسد قِسْطَه من الوصف كما قال امرؤ القيس :

طِوَالِ الْمتُونِ والْعَرَانين كالْقَنا ... لِطَافِ الخُصُورِ فى تَمَامٍ وإِكْمالِ[٣]

ألا تراه لما قال « لطاف الخصور » قال « فى تمام وإكمال » .

ولو قال هذا الشاعر « لو أن الخلاخل صيرت لها حُقبًا » لصح له المعنى ، كما قال منصور النَّمَرِى :

---

(١) ط « إلى العجب وتلتقى » وهو خطأ عجيب

(٢) الجعل : دابة سوداء كالخنفساء ، وقيل هو أبو جعران بفتح الجيم ، كما فى اللسان ١٣/١١٨

(٣) ديوانه ١٤٢ « سباط البنان . . . والقنا »

فَلَوْ قِسْتَ يَوْماً حِجْلَها بِحِقابِها لَكانا سَواءً ، لاَ ، بَلِ الحِجْلُ أَوْسَعُ[١]

فجعل حجلها – وهو الخلخال – أوسعَ من حقابها ، والحقاب ما تديره المرأة على خصرها ، فهو يختص بالخصر ، وكذلك النِّطاق ، والوشاحُ لا يختص بالخصر ، وإنما يُعَلق[٢] حتى ينتهي إليه إذا كان الخصر دقيقاً والبطن ضامرًا ، فاتبعَ أبو تمام منصورًا فى المعنى فأخطأ .

ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهَيَفَ وطيّ الكَشْح ودِقة الخصر إلا إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يُسْتَحَب فيه الامتلاء والريّ والغلظ ، على ما عرفتك ، كما قال ذو الرمة :

عَجْزَاءُ مَمْكُورَةٌ خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ عنْها الوِشَاحُ ، وتَمّ الجِسْمُ والقَصَبُ[٣]

وكما قال أيضاً :

أَناةٌ تَلوثُ المِرْطَ مِنْها بِدِعْصَةٍ رُكامٍ ، وتَجْتابُ الوِشاحَ فَيَقْلَقُ[٤]

وكما قال [أيضاً :

وفى العاجِ منها والدَّمالِيجِ والبُرَى قَنًا مالئٌ للعين ريَّانُ عَبْهَرُ][٥]

تَرَى خَلْفَها نِصْفاً قَناةً قَوِيمةً ونِصْفاً نَقاً يَرتَجُّ أو يَتَمَرمَرُ[٦]

---

(١) الصناعتين ١٢٠ نقلا عن الموازنة

(٢) م « يقلق»

(٣) ديوانه ٤ والصناعتين ١٢١ وديوان المعانى ١ / ٢٥٠ وجمهرة أشعار العرب ١٧٧ والعجزاء : هى العظيمة العجز . والممكورة : حسنة طي الخلق مجدولة . وخمصانة : أى ضامرة البطن كالجائعة . قلق وشاحها لضمور بطنها ، ولو كانت ضخمة البطن لما قلق وشاحها . والقصب : العظام التى لها مخ.

(٤) ديوانه ٣٩٢ والأناة : البطيئة القيام . تلوث : تثني . المرط : الإزار . الدعصة : كثيب الرمل . ركام : بعضه على بعض . تجتاب : تلبس . الوشاح : القلائد . تقلق من ضمر بطنها .

(٥) ديوانه ٢٢٦ والعاج : المراد به الأسورة ، البرى : الخلاخل . قنا : أوصال . عبهر : غليظ ممتلئ .

(٦) يتمرمر : يهتز لنعومته . وقد جاء فى اللسان ١٧/٧ « قال أبو منصور الأزهرى : معنى ترتج وتمرمر واحد ، أى ترعد من رطوبتها »]

وكما قال الشَّنْفَرَى :

فَدَقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلتْ فَلَوْ جُنَّ إنسانٌ منَ الحُسْنِ جُنَّتِ[١]

أى دقَّ منها ما ينبغى أن يَدِق ، وجلَّ منها ما ينبغى أن يجل ؛ وهذا هو كمال الوصف .

وقال تميمُ بن أُبَيٍّ بن مُقْبل :

هِيفُ المُرَدَّى رَدَاحٌ فى تَأَوُّدِها مخْطُوفَةٌ مُنْتَهى الأَحْشاءِ عُطْبُولُ[٢]

فقال « هيف المرَدَّى » ثم قال « رَدَاح » والرَّدَاح : العظيمة العجز ، وهذا كقول ذى الرُّمة « [ترى] خلفها نصفا قناة قويمة » .

وقوله : « عطبول » يريد : طويلة[٣] العنق . وقال تميم أيضاً :

مِنَ الْهِيفِ مِبْدَانٌ ترى نُطُقاتِها بَمَهْلَكَةٍ أَخْرَاصُهُنَّ تَذَبْذَبُ[٤]

فجعلها هَيْفَاء ، وهى الخميصة البطن ، [ثم] قال « مبدان » ؛ فصار البَدَن لا يمنع من الهَيَف ، ولا يضادّه .

وقال تميم أَيضًا :

---

(١) المفضليات ١٠٩ والأغانى ٢١/١٣٩ والحيوان ٣/١٠٨ والعقد ٦/٤١٢ وفى اللسان ٦/٦ « اسبكرت الجارية : استقامت واعتدلت »

(٢) ديوان تميم ٢٨٠ و الهيف : جمع أهيف وهيفاء وهى الضامرة البطن . ويقال : امرأة هيفاء المردى : أى ضامرة موضع الوشاح . والتأود : التثنى . ومخطوفة منتهى الأحشاء . يعنى أنها هيفاء ضامرة الخصر ، خفيفة لحم الجنب وعطبول : طويلة العنق ، جميلة فتية ممتلئة

(٣) فى ط ، م عطبول : قويمة العنق

(٤) مبدان : سمينة مكتنزة اللحم . والنطقات : جمع نطق والنطق : جمع نطاق ، وهو ثوب له تكة تلبسه المرأة ثم تشد تكته على وسطها . بمهلكة : يعنى أنها تعقد نطاقها بموضوع دقيق كأنه المهواة بين الجبلين ، كما قال ذو الرمة :

ترى قرطها فى واضح الليت مشرفاً على هلك فى نفنف يتطوح

والأخراص : جمع خرص — بالضم والكسر — وهو حلقة صغيرة من الحلى خاصة بالأذن والذبذبة : تحرك الشىء المعلق فى الهواء . وفى مثله يقول الشاعر :

عليهن لعس من ظباء تبالة مذبذبة الخرصان باد نحورها

وبيت تميم فى ديوانه ص ١٨

وَمَنْ دَقَّ مِنها الخَصْرُ حَتَّى وِشَاحُهَا يَجُولُ ،وَقَدْغُمَّ الخلاَ خِيلُ والقُلْبُ[١]

وقال على بن علقمة الجشرى[٢] .

ترى حِجْلَهَا ملآن ليس بزائد يجول، ولم تَمْلَأْ وشاحاً ولاعقدا[٣]

وذلك من شأن الوشاح ؛ لأن من[٤] سبيله أن يكون جائلا إذا انتهى إلى خَصْرها لدقته ، ومن شأن العِقْد أن يجول أيضاً على عنقها وترائبها[٥] لقلة اللحم هناك ، وذاك المحمود من الوصف . وقال امرؤ القيس :

* عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ[٦] *

وقال طَرَفَةُ بن العبد :

ومَلْأَى السِّوَارِ مَعَ الدُّمْلُجَيْنِ وَأَمَّا الْوِشَاحُ عليها فَجَالا[٧]

وقال عَلْقَمَة بن عَبَدة :

صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ مَلْأَى الْمِرطِ خَرْعبةٌ كأنَّها رَشَأٌ فى البيتِ مَلزُومُ[٨]

وقال المرَّار :

---

(١) فى الصناعتين « وقد دق » وفيها وفى ط « الخلاخيل والقلبا » والقلب : السوار . وفى م « الخلاخل » هذا ولعل كلمة « عم » مصحفة عن « صم » فإنه يريد وصفها بامتلاء الساقين والمعصمين . كما قال الشاعر : « براقة الجيد صموت الخلخل »

(٢) ط « بن أبى علقمة الجرى » ثم غيره ناشرها فى الطبعة الثانية وجعله « الجرمى » دون بينة وقال : « ووقع فى الأصول الجرى وهو تطبيع »

(٣) البيت لعلى بن عقلمة فى حماسة ابن الشجرى ١٨٩

(٤) م « وقال وذلك لأن الوشاح من سبيله »

(٥) ط « وترائقها » وهو تحريف

(٦) صدره : « هصرت بفودى رأسها فتمايلت » ديوانه ١٢٩ وشرح القصائد العشر ٢٧

(٧) الصناعتين ١٢١ نقلا عن الموازنة

(٨) ديوانه ٦١ والمفضليات ٣٩٨ وديوان المعانى ١/٢٥٠ وفى م « ملء القرط » صفر الوشاحين : ضامرة البطن . الدرع : القميص . الخرعبة : الناعمة . الرشأ : الظبى الصغير . ملزوم : أى تربيه الجوارى فى البيوت يلزمنه ولا يفارقنه إعجاباً به . قال ابن الأنبارى : يقول : هى خالية الوشاحين لضمر بطنها ، وهى تملأ إزارها لعظم عجيزتها وضخم أوراكها .

بِيضُ العَوارِضِ بُدَّنٌ أَبْدَانُهَا رُجُحُ الرَّوادِفِ ضُمَّرُ الأَخصار[١]

وقال كثير :

كَسَوْنَ الرَّيْطَ ذا الهُدبِ اليمَانى خُصُورًا فوْقَ أَعجازٍ ثِقالِ

وقال كُثير أيضاً :

يَجُولُ الوِشَاحُ بأَقْرابِهَا وَتأْبَى خَلاخِلُها أَن تَجُولا[٢]

وقال آخر :

عُقَيْلِيَّةٌ أمَّا مَلاَثُ إزارِها فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصرُها فَبَتيلُ[٣]

يريد كأنه لدِقَّته مقطوعٌ مما يليه . وهذا كله ضِدٌّ ما قاله أبو تمام .

فإن حمل بعضُ مَنْ يريد إقامة العذر له نفسَه على أن يقول : إنما ذهب فى قوله « جالت عليها الخلاخل » إلى قول الناس[٤] : فُلان يدخل فى الخاتم لظَرْفه ولين أخلاقه ، لا للين مفاصله[٥] .

قيل : هذا من كلام العامة . وقول أبى تمام : « من الهيفِ » يمنع [من][٦] هذا التأول ، ويحجز عنه ؛ لأن الهيفَ الخميصاتُ البطون ، الواحدة هَيْفاء . وإلى هذا ذهب . لا إلى وصف الأخلاق و [رقة] الطباع .

---

(١) العوارض : الثنايا ، سميت عوارض لأنها فى عرض الفم . بدن : سمينة ضخمة . أبدانها : أعضاؤها ، يقال : إنها لحسنة الأبدان ، وقال حميد بن ثور « لينة الأبدان » كأنهم جعلوا كل جزء منها بدناً ، ثم جمعوه على هذا . ورجح : جمع رجاح ، وهى الثقيلة العجيزة

(٢) ديوانه ١٥٤ . والقرب بالضم : الخاصرة ، وجمعها أقراب

(٣) البيت ليزيد بن الطثرية كما فى حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٣/١٣٤٠ وأمالى القالى ١/١٩٦ وعلق عليه أبو عبيد البكرى بقوله : « قال أبو بكر الصولى : هذا الشعر للعباس بن قطن لهلالى ، وما أخلق هذا القول بالصواب ؛ لأن هذا الشعر لم يقع فى ديوان شعر ابن الطثرية وقد جمعت منه كل رواية » . وانظر تخريج الميمنى له فى السمط ١/٤٧١ . وقال المرزوقى : « الملاث : الموضع الذى يدار به الشىء ، والمراد به ههنا العجز . وشبهها بالدعص ، وهو الرمل المجتمع ، لكثرة اللحم عليها . واكتنازه . والبتيل : الهضيم الدقيق ، يعنى أنها دقيقة الخصر ، جليلة العجز » . وفى م « فنبيل » .

(٤) ط « إلى قولهم »

(٥) ط « لا لضيق مفاصله » وهو تحريف عجيب .

(٦) من ك

فإن قال قائل : إنما قال «لو أن الخلاخل صيرت لها وشحاً» أى لو ساغ ذلك وجاز ، كما يقال : لو دخل أحد فى سم الخياط[1] لرقته وحسن أخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر :

* لو طَارَ ذو حافرٍ مِنْ سُرعةٍ طارا[2] *

وكما قال الآخر :

لو كانَ يَقْعُدُ فوقَ الشمسِ مِن كَرَمٍ
قومٌ لِسُؤْدَدِهِم أو مَجـدِهِم قَعَدُوا[3]

قيل : هذا مذهب حَسَن معروف من مذاهبهم . ولكن ليس بينه وبين قول أبى تمام شبه ، وإنما كان يشبهه [أن] لو قال «لو أن الخلاخل تكون مكان الوشاح لجال عليها» ولو قال هذا أيضاً لكان يُعَد مخطئاً ؛ لأنه سواء عليه قال هذا أو قال قصُرَ ظهرُها أو نقصَ خلْقها أو ضم بعض أعضائها إلى بعض حتى يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها ، ومثل هذا لا يقوله أحد إلا الكنجى[4] [أ] وأبو العَبَر ، ولفظ بيته أقبح من هذا وأشنع ؛ لأنه إنما أخرجه مُخرَج الحقيقة أو ما يقارب الحقيقة ، نحو قول القائل : لو تغطَّتْ هند بشعرها لغطَّاها ، ولو سترت وجهها بذراعها لسترها[5] ، ولو مسستها لساختِ الإصبع فيها ، أو لأَدْمَتها[5] . وهذا ضرب من المبالغة وهو إلى الحقيقة أقرب . وليس من الأَبيات المذكورة فى شىء ولا على سياقة ذلك

(١) م «فى سم أى أرقته» وهو خطأ

(٢) صدره : «يكاد فى شأوه لولا أسكنه» وهو لمعاوية بن مرداس كما فى معاهد التنصيص ٣/٤٠

(٣) البيت لزهير ، كما فى ديوانه ٢٨٢ «أو كان يقعد . . . قوم بأولهم» والعمدة ٢/١٢٤ «فوق الجم» والعقد ٥/٢٩١ وهو فى أمالى القالى ١/١٠٥ لأبى جويرة العبدى

(٤) ط «الكشحى» و ك «الكتنجى»

(٥) ط «لسيرته»

اللفظ ، والإحالةُ فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبحُ من الإحالة فيما مخرجه مخرج التوسع والمبالغة .

وبعد فإن أبا تمام إنما قال : من الهيف ، والهيفاء هى الضامرة البطن ، وقد تكون ضامرة مطوية وخصرها غير دقيق ؛ لأنها قد تكون من ضمرها عريضة الحقوين ، فيضطرب الوشاح هناك ؛ لأنه إنما يجرى من أحد جانبيها على حقو واحد .

واضطراب الوشاح لا يدل على دقة الخصر خاصة ؛ لأنه قد يضطرب والخصر غير دقيق . وصمته ولزومه لا يوجب عرض الخصر لا محالة ؛ لأنه غير مطيف به ، وإنما يقع طرفه على أحد جانبيه ، فما وجه جعل الخلخال فى موضع الوشاح ؟

فإن قيل : لم يذهب إلى دقة الخصر ، وإنما ذهب إلى وصف البطن بالضمر ، لأنه قال : من الهيف والهيف . الضوار البطون .

قيل : فهذا موضع غلطه وإحالته ؛ لأن ضيق الخلخال والوشاح لا يوجب ضمر البطن . ولا يدل على ذلك أيضاً طوله ولا قصره : وإنما يدل على الضمر حركته لا غير ، وطوله إنما يدل على طول الظهر . وقصره على قصره . والخلخال بمعزل عن ذلك كله .

وإنما سمع أبو تمام قول على بن جبلة :

فلو قِسْتَ يوماً حِجْلَها بِحِقَابِها لكانا سواء ، لا بل الحِجْلَ أوْسَعُ

فاتبعه فأخطأ وأحال ؛ لأن الحقاب لا يخص غير الخصر ، فأراد ابن جبلة أن يدل على دقة الخصر فقال : لو قيس خلخالها بحقابها لكانا سواء وكان الخلخال أوسع ؛ لأن الخلخال مستدير كاستدارة الحقاب ، ودقة الخصر تقتضى ضيق الحقاب . كما أن تمام الظهر وطول القناة يقتضى

طول الوشاح وطول حمائل السيف ؛ لأنهما يخصان القامة ، ألا ترى إلى قول أبي نواس :

أَشَمُّ طوالِ السَّاعدين كأنَّما يُنَاط نِجَادُ سيفهِ بلواء

وكما قال البحترى :

ينوس إذا تمطى فى النجاد] [١]

وكان ينبغى لأبى تمام لمَّا وصف النساء فى البيت التالى بالطول والتمام

[فقال :

* قنَا الخطِّ إلاَّ أنَّ تلك ذوَابلُ *

أن يصف الوُشُحَ] [٢] بالطول والتمام ، لأن الوشح [٣] من المرأة فى موضع حمائل السيف [من الرجل] فكيف [٤] يجعلها مثلَ الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلهَا ؟ وقد يبالغ الشاعر فى أشياء حتى يخرج فيها إلى المحال ويخرج بعضها مخرج النوادر [٥] فيستحسن ولا يستقبح ، نحو قول الشاعر :

مَنْ رَأى مِثْلَ حبَّتى تُشبهُ البَدْرَ إذْ بَدَا [٦]

تدخلُ اليومَ ثمَّ تد خل أَرْدَافُهَا غَدَا [٧]

ومثل هذا كثير .

وقد بالغ [٨] النابغة فى وصف عنق المرأة بالطول ، فقال :

---

(١) الزيادة من ك

(٢) ما بين القوسين سقط من ك

(٣) ط « الوشاح »

(٤) م « إلا أن يجعلها » وفى ك « لا أن . . . »

(٥) ط « منها . . . النادر »

(٦) هما للمؤمل بن أميل ، كما فى البديع ١٢٠ والصناعتين ٣٦٢ وديوان المعانى ١/٢٥١

(٧) ط « يدخل اليوم خصرها ثم أردافها »

(٨) ط « وقد قال »

إذا ارتعشَت خافَ الجبانُ ٱرْتعاشَهَا　　ومَنْ يَتعلَّقْ حيثُ عُلِّقَ يَفرَقِ[١]

فجعل القُرْطَ يخاف أن يسقط من هناك فيهلك ، وإنما أخرج هذا كالمثل : أى لو كان مما يقع منه الخوف لخاف . وقال ذو الرمة :

والقُرْطُ فى حُرَّةِ الذِّفْرَى مُعلَّقُهُ　　تباعدَ الحبلُ منهُ فهْو يَضْطرِبُ[٢]

فدل بقوله « تباعد الحبل منه » على طول عُنُق المرأة .

فهذه المبالغة لائقة مستحسنة ؛ لأنه دل على الوصف بالشىء الذى يخَص الموصوف ، لا بالشىء الذى يخص غيره .

ولو كان أبو تمام قال « لو أن الخلاخيل صُيِّرَت لها نطقاً » لكان [قد] أتى بالصواب ؛ لأن النطاق هو كل ما يُدار على الخصر مثل المِنْطَقة من سير كان أو ثوب أو غيرهما ، أو لو قال « حُقباً » ؛ لأن الحِقَاب والنِّطاق بمنزلة واحدة ، وأظنه أراد أن يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح .

وقد بالَغَ أبو العتاهية فى وصف الخصور بالدقة ، فقال :

ومُخَصَّرَاتٍ　　زُرْنَنَــا　　بَعدَ الهُدُوِّ من الخُدُورِ

نُفُجٌ　　رَوادِفُهنَّ　　يَلْـ　　بَسْنَ الخواتِم فى الخصور[٣]

لم يرد أن خواتمهنَّ فى خصورهن ؛ لأن هذا محال ، وإنما ذهب إلى مثل قولهم : جَفنة يقعد فيها خمسة ، أى لو قعدوا فيها لوسعتهم .

---

(١) ط ، ك « رعاثها » وقد سبق ص ٤٠

(٢) ديوانه ٦ وجمهرة أشعار العرب ١٧٨ وفى اللسان ٥/٢٥٦ « وحرة الذفرى : موضع مجال القرط . وقيل : حرة الذفرى صفة أى أنها حسنة الذفرى أسيلتها » وفى ديوانه : « القرط فى أذن عتيقة الذفرى ؛ لأن الحرة هى العتيقة من كل شىء ، والعتيق : الكريم . وقوله: تباعد الحبل منها : أى تباعد حبل العنق من القرط لأنها طويلة العنق ليست بوقصاء . والذفريان : ما عن يمين العنق ويساره »

(٣) فى اللسان ٣/٢٠٥ « وامرأة نفج الحقيبة : إذا كانت ضخمة الأرداف والمآكم » . وأنشد « نفج الحقيبة بضة المتجرد »

وقال الآخر :

لَهَا حافِرٌ مثلُ قَعبِ الوليِ ... دِ يتَّخِذُ الفأْرُ فيهِ مَغارَا[١]

أى : لو اتخذ فيه مغارًا لوسعه . فكذلك قوله : «يلبسن الخواتم فى الخصور » أى تصلُح خصُورهن أن تدخُل فى خواتمهن لدقتها [على المبالغة][٢] وكلُّ ما دنا من المعانى من الحقائق[٣] كان أَلْوَطَ بالنفس ، وأَحلى فى السمع وأَولى بالاستجادة .

فهذا ما أَنكره أَبو العباس مما أَبو تمام فيه غالط ، وهو ثلاثة أَبيات .

٤ – ومما أَخطأَ فيه الطائى البيتُ الذى بعد قوله :

منَ الهيفِ لوْ أَنَّ الخلاخلَ صُيِّرَتْ ... لهَا وُشُحاً جالتْ عليها الخلاخلُ

وهو قوله :

مَهَا الوحْشِ إلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوانِسٌ ... قَنَا الخطِّ إلاَّ أَنَّ تلِكَ ذَوَابِلُ[٤]

وإنما قيل للرماح[٥] «ذوابل» للينها وتثنيها ، فنفى ذلك عن قُدود النساء

---

(١) البيت لعوف بن عطية بن الخزع فى المفضليات ٤١٤ والاقتضاب ٣٣٤ ، ٣٣٨ والمعانى الكبير ١٦٩/١ والخزانة ٢٠/٤ وفى ديوان المعانى ١١٤/٢ «ويشبه الحافر بالقعب ، فن قديم الشعر فى ذلك قول امرئ القيس ، "لها حافر مثل قعب الوليد" وقد نقل هذه العبارة الشيخ محيى الدين وعقب عليها بقوله : ولم أجده فى شعر امرئ القيس المنشور فى العقد الثمين » وقد ظن الشيخ أن أبا هلال يقصد بيت عطية هذا فقال ما قال ، ولكنه يقصد قول امرئ القيس الموجود فى ديوانه ٨٠

لها حافر مثل قعب الوليد ... ركب فيه وظيف عجـــر

والعقب : قدح من خشب مقعر ، شبه به حافر الفرس فى السعة . والمغار : الجحر الذى يغور فيه ، أى يدخل . وهذا من الممكن الذى يخرجه العرب مخرج الواجب ، فظاهر الكلام : أن الفأر يتخذ فيه مغاراً على الحقيقة والوجوب ، والمراد : أن الفأر لو فعل ذلك لأمكنه .

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط «بالحقائق» وفى ك «وكل ما كان من المجازات أقرب إلى الحقائق»

(٤) الوساطة ٤٤

(٥) ط «للقنا»

التى من أكمل أوصافها[1] التَّثنِّى واللِّينُ والانعطافُ ، كما قال تميم بن أُبَىّ ابن مُقبل :

يَهْزُزْن لِلمَشى أوصالاً مُنعَّمةً هَزَّ الجنُوبِ ضُحًى عِيدانَ يَبْرِينَا[2]

أَوْ كاهتِزازِ رُدَينىٍّ تذاوَقـــهُ أَيْدِى التِّجارِ فزادُوا مَتْنهُ لينَا[3]

فشبه تميم قدودَهن بالرُّدينى للينه وتثنيه لا غير .

هذا أجود من كل ما قاله الناسُ فى مشى النساء وحسن قدودهن .

وقوله «مها الوحش» أراد : كمَهَا الوحش إلا أن هاتا أوانس . فوضع المشبَّه به فى مكان المشبه ، وهذا فى كلامهم شائع مستفيض .

[تراه فى مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله] [4] .

* * *

٥ – ومن خطائه قوله[5]

قَسَم الزَّمانُ رُبُوعَها بين الصَّبا وقبُولِهـــا ودَبُورِها أثْلاثَا[6]

لأن الصبا هى القبول ، وليس بين أهل اللغة وغيرهم فى ذلك خلاف .

فإن قيل : إنما سميت الصبا قبولا لأنها تقابل الدَّبُور ؛ فلعله استعار هذا الاسم[7] للدبور فقال «بين الصَّبا وقبولها» يريد الدَّبور[8] لأنها تقابل

---

(١) ط «صفاتها»

(٢) البيتان لابن مقبل فى اللسان ٤٠٢/١١ وفى ديوانه ٣٢٧ ، ٣٢٨ عنه ، ويبرين اسم موضع ، راجع معجم ما استعجم للبكرى ١٣٨٩/٤

(٣) ط «تداوله» وفى اللسان «. . والمعروف تداوله» ويقال : ذق هذه القوس : أى انزع فيها لتخبر لينها من شدتها

(٤) من ك

(٥) ط ، ك «ومما أخطأ فيه الطائى أقبح خطأ قوله»

(٦) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزى ٣١٥/١ والصناعتين ١٢١

(٧) م «هذا الأسماء»

(٨) م «للدبور» .

الصبا [فكأنه أراد بين الصبا] ومقابلتها ، أى الريح المقابلة لها .

قيل : هذا غلط من التأويل [من وجوه] :

منها أنه قد ذكر الدبور فى البيت مرَّة ؛ فلا يجوز أن يأتى بها مرة ثانية .

ومنها : أنه ما سُمع من العرب « زَيْدٌ قَبُولَكَ » بمعنى : مُقابلك ، ولا « دار زيد قبول دار عمرو » بمعنى مُقابلتها ؛ وإنما خُصّت الصَّبا وحدها بهذا الاسم لأنها تأتى من الموضع الذى يُقبل منه النهار ، وهو مطلع الشمس ، وقيل دَبُور لأنها[1] ضدُّها ، أخذ[2] من أقبل وأدبر . ولو جاز[3] هذا فى كلامهم أو ساغ فى لغتهم أو كان[4] مسموعاً مثله[5] منهم – لساغ أن تُسمَّى الشَّمال أيضاً قبولا ؛ لأنها تقابل الجنوب ، أو أن تسمى الجنوب قبولا ؛ لأنها تقابل الشمال . وما أظن أحدًا يدَّعى هذا ، ولا يستجيز أن يعارض بمثل هذه المعارضة ، ولا أن يُحدِث لغة غير معروفة ، ويَنْسُب إلى العرب ما لم تقله[6] ولم تنطق به .

ومنها – وهى أوكدها[7] فى فسادها هذا التأويل – أنه قال « بين الصبا[8] وقبولها ودبورها أثلاثاً » وقوله « أثلاثاً » يدلّك أنه أراد ثلاث رياح ، وأنه توهَّم أن القبول ريحٌ غيرُ الصَّبا ، وهذا واضح .

---

(١) فى ط ، م : « دبورها ضدها »

(٢) ط « وقيل لها دبور لأنها ضدها أخذه »

(٣) م « ولو جاد »

(٤) « كان مثله »

(٥) من ك

(٦) ط « ما لم تعلمه »

(٧) ط « وهى أولاها »

(٨) م « من » وهو تحريف

والجيد قول البحترى :

مَتْرُوكَةٌ لِلرِّيحِ بَيْنَ شَمالِها وجنُوبِها ودَبُورِها وقَبُولِها[١]

فجاء بالرياح الأربع .

وقال البحترى أيضاً :

شَنِئْتُ الصَّبا إذ قِيلَ وجَّهنَ قصدَها وعادَيتُ من بينِ الرِّياحِ قبولها[٢]

فقوله « وجَّهن » يعنى الحُمولَ ، والهاء فى « قبولها » راجعةٌ إلى الرِّياح . وهذا مما[٣] يُوهمك أنه أراد رِيحَيْنِ ، وإنما أراد رِيحاً واحدة وسماها باسمها[٤] فقال : شنئت الصَّبا ، وعاديت القبول: أى أبغضت هذين الاسمين ؛ لأن حمول الظاعنين توجَّهت نحوها ، ولم يقل إن الحمول توجَّهن إلى وجهين مختلفين .

وحكى ابن الأعرابى — أو حُكى عنه — أنه قال : القبول كلُّ[٥] ريح طيبة المس ليِّنة ، لا أذى فيها ، سُميت قَبولا لأن النفس تقبلها . وأظن الأخطل — إن كانت الرواية صحيحة — لهذا قال :

فإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْها فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ[٦]

أى : طيبة لا تمنعنا [من] الانصراف والسير .

وهذه ليست من الريح التى ذكرها أبو تمام فى شىء ؛ لأن هذه على هذا الوصف قد تكون الشمال ، وتكون الجنوب ، وتكون الصَّبا ، وذاك إنما[٧] أراد

---

(١) ديوانه ٣٤٥ ، ٣/١٧٩٦ « أن قيل » والصناعتين ١٢٢

(٢) ديوانه ٥١١ والصناعتين ١٢٢

(٣) ليست فى ك

(٤) ط « باسميها »

(٥) ط « كله »

(٦) ديوانه ١٢٦ واللسان ١٤ /٦٢ والأغانى ١٨٣/٧ وفى م ، ك « فإن يمنع . . . درهميها » .

(٧) م « فإنما »

ريحاً بعينها ؛ لأنه قال : « بين الصبا وقبولها » فجعلها مضافة إليها ، كما لو قال « بين الشمال وجنوبها »[١] لأنهما ريحان معروفتان ، وهما أختان[٢] تَعتقِبان ، وكذلك لو قال « بين الصبا ودبورها » وكذلك لو قال « بين الدبور وقبولها »[٣] أو « بين القبول وشمالها » فإذا ذُكرت القبولُ مع هذه الرياح المعروفة[٤] [فليس يراد بها إلا القبول المعروفة التى] هى الصبا ، وليس هذا موضع القبول التى هى الريح اللينة المسّ الطيبة على ما ذكر ؛ لأنه وصف[٥] مجهول ، يجوزُ أن يكون لكل ريح فلا يقع فى هذا الموضع ؛ لأنك إذا عنَيتها بقولك : قد هبت[٦] الصبا وقبولها [أو الشمال وقبولها] لم يدر أى ريح هى ، فما معنى[٧] إضافتها إلى الريح المعروفة التى هى إذا لاَنَ مسُّها جاز أن تسمى بذلك الاسم ؟ هذا خُلْفٌ من القول إذا قيل .

وأيضاً فإن أبا تمام إنما أراد أنَّ هذه الرياح عفت هذه الديارَ ، وذهبت بها ؛ فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المس مع الدبور ؟ هذا محال أن يكون أراده ، كيف والديار يُدْعَى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة لئلا تعفوها ؛ ألا ترى [إلى] قول أبى تمام :

أَرْسى بنادِيكَ النَّـدَى وتَنَفَّسَـتْ ... نَفَساً بعَقْوَتِك الرِّياحُ ضَعيفا[٨]

(١) م « بين يعتقبان وشمالها »
(٢) ط « أختان مختلفتان تعتقبان »
(٣) ط « القبول ودبورها »
(٤) ط « الرياح المعروفة كانت هى »
(٥) م « لأنه مجهول »
(٦) ط « قد نفيت » وهو تحريف شنيع !
(٧) ط « هى فى معنى » !
(٨) شرح التبريزى ٢/٣٧٧ وديوانه ٢٠٦ « أرسى بعرصتك » وهما روايتان .

وقال البحترى :

وإذا هبَّتِ الرِّياحُ نَسيماً فعَلَى رَبع دارها والجَنابِ[١]

[فشرط أن تكون الرياح نسيما . وقال :

رَاحَتْ لأَرْبُعِكِ الرِّياحُ مريضةً وأصابَ مَغناكِ الغمامُ الصَّيِّبُ] [٢]

فَشَرَطَ أن[٣] تكون الرياح مريضةً لئلا تعفوها وتمحوها .

فإن قيل : فلعله أراد[٤] بين الصبا وقبولها أى : بين الصبا وسهلها ولينها ، ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف ، وإنما يريد الاسمَ الذى يقَع للريح[٥] اللينة المس ، فكأنه قال «بين القبول وقبولها » كما تقول[٦] : «جاءنا عباسٌ وعَبّاسهُ » أى : ووجهه المعبِّس[٧] ، و« أتانا الضحّاكُ وضحاكه » أى : ووجهه الضَّحَّاك : لأن التعبيس والضَّحِك فى الوجه ، و «قد فَتَنَتْنَا حَوراءُ بحورائها »[٨] أى : بعينها الحوراء .

قيل : هذا كله لفظ سائغ مستقيم ، غير أنَّا ما سمعنا مثل هذا فى الريح ، ولا علمناه فى اللغة ، ولا وجدنا فى الشعراء أحدًا قال : «الصبا وقبولها » ولا « الجنوب وقبولها » ولا « الشمال وقبولها » أى سَهْلها وليِّنها .

ولو أراد الطائى ذلك لكان أيضاً مخطئاً ؛ لأن الريح لينها وشديدَها ريحٌ واحدة ، وقد قال أبو تمام « أثلاثا » فدلَّ على أنه أراد ثلاثَ رياحٍ . وإن

(١) فى ديوانه ، ك ٥٦٣ « الجنوب . . . فعلى رسم »
(٢) ديوان البحترى ٦٨٢
(٣) م « فشرطان » وهو تحريف
(٤) م « أراد الصبا »
(٥) م « الريح »
(٦) ط « وقبولها يقال جاءنا »
(٧) ط « العباس »
(٨) م « بحوراتها »

كان أراد ريحاً أخرى غير الصبا فقد قدمتُ القول فى أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم .

وقد استقصى أصحَابُ «الأَنْواء» فى كتبهم ذكر الرياح وأوصافها ونُعوتها ، واستشهدوا بأكثر ما سمعوه من أشعار العرب فيها ، وبالغ أبوحنيفة الدَّينَوَرِىُّ فى ذلك ، فما منهم أحد ذكر أن القَبول غيرُ الصَّبا ، وإنما قال ابن الأَعرابى فى نوادره : إن العرب تسمِّى كلَّ ريح طيبَةٍ لينةِ المسّ قبولاً وقال الأخطل :

فإن تَبْخَل سَدُوسُ بِدِرهَمَيْها فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ[1]

فإنما أراد الصَّبا ؛ لأنها ريحٌ محبوبةٌ تُنسب إلى الطيب ، وهى دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى أكثر أوقاتها . أى فإن تمنع[2] سَدُوس نائلَها فإن الريح طيبة قبول ، أى هى صباً لا تمنعنا من الانصراف والرحيل .

فإن كان ما ذكره ابن الأَعرابىّ صحيحاً[3] فإنهم إنما قالوا لكل ريح لينة [قبولا ، تشبيهاً لها بالصبا ، كأنهم إن هبت شمال لينة] ، قالوا : هذه الصبا ، أو هذه القبول ، أى كالصبا أو كالقبول ، فأسقطوا حرف التشبيه ، وجعلوا المشبه فى مكان المشبه به ، كما تقول إذا شمِمْتَ أترجَّة[4] طيبةَ العرْف : هذه المسك ، وإذا رأيت وجهاً جميلاً قلت : هذا هو البدر ، وإن شئت كان المعنى : هذه المسك حقًّا ، وهذا هو البدر يقينا ، ولو هبت شمال شديدة مُزْعجة حتى تقول[5] : هذه هى الدبور بعينها ـ لكان هذا من أسوغ

---

(١) سبق ص ١٦٠ ورواية م ، ك هنا كرواية هناك .

(٢) ط «منعت»

(٣) ط ، ك «صحيحاً وهو الصحيح إن شاء الله» . . . إنما قالوه لكل ريح طيبة لينة

(٤) ط «شممت رائحة»

(٥) م «يقول»

كلام وأصحه[١] . فإن كانت العربُ سَمَّت الشمال والجنوبَ – إذا هَبَّتا هبوباً سهلاً ليناً – قبولاً ، فإنما شبهوها[٢] بالصَّبا وأعاروها اسمها . وإنما قيلَ لها قَبُول لأنها تأتى من مَطْلع الشمس ، وهو[٣] الموضع الذى يُقْبل منه النهار ، وقيل للدبور دَبور لأنها تَهُبُّ من حيث يُدْبر ، وقد قيل غير ذلك ، وهذا هو الصحيح . وقد حكى بعضهم[٤] عن النَّضْر بن شُمَيل أنه قال : القَبول ريح تلى الصَّبا[٥] ما بينها وبين الجنوب . وهذا غير معروف ولا معمول[٦] عليه [وقد ذكر بعضهم أن قوماً سموا الشمال قبولا . قال : وليس ذلك بثبت ولا معمول عليه] إلا أن يكون قاله على هذا [الوجه] الذى ذكرته [على التشبيه] والله أعلم .

وبيت أبى تمام لا يحتمل أن يُتأول فيه الريح ؛ لأنه أراد مَحْوَ الدار[٧] ولا تُذكر فى محو الدار القبول الخفيفة الهبوب[٨] الطيبة المس مع الدبور التى لا تكاد تهُب ، فإن هبت لم تأت إلا شديدة مزعجة .

وقال آخر ممن لا تمييز معه أراد بين الصبا وقبولها ، أى : الريح التى قَبَلتها[٩] ، كأنها قابلتها فَقَبَلْتَهَا فهى قَبُولها ، يعنى ريحاً من الرياح ، كما تقول فاخرته فَفَخَرْتُه ، وخاصمته فخَصَمته .

---

(١) ط « كلام وأفصحه وإن »
(٢) م « فإنما يشبهونها . . . وأعادوها اسما »
(٣) م « الشمس ويكون الموضع . . . من النهار »
(٤) ط « وقد قيل عن »
(٥) م « للصبا »
(٦) فى ط ، م : « معول » وكذا فيما بعده .
(٧) ط « فيه هذه الريح . . . الديار »
(٨) م « الدار الخفيفة والهبوب »
(٩) م « قبلها »

قيل : هذا خطأ من وجوه ؛ منها أن الريح التى تقابل الصَّبا مقابلةً صحيحة هى[١] الدبور، وقد ذُكِرَت فى البيت الأول ؛ فلا يجوز أن يريدها[٢].

ومنها : أنك لا تقول قابَلْتُ زيدًا فَقَبَلْته ، مثل فاخرته ففخرته ؛ لأنك إذا قابلته فقد صرت قُبَالته وصار قبالتك ؛ فليس أحدكما فى هذا ابأفضَلَ من الآخر ، وذلك مثل قولك : وَاجَهْتُه ، ووازيته ، وساويته ، وحاذَيتْه[٣] ؛ لأنك[٤] فى هذه الأحوال [٥] مثلُه وهو مثلُك ؛ فلا يجوز أن تقول فيه : فَعَلته[٦] ، أى غلبته .

ومنها : أنك إذا قلت : زيد ضاربٌ عمرًا ، وضَرُوبُ عمرٍو[٧] ، وقاتلٌ بكرًا ، وقَتُولُ بكرٍ[٨] ، لم تدل على أنه كانت [هناك] مضاربة بينهما أو مقاتلة ؛ لأنه[٩] يجوز أن يكون الضرب وقع من أحدهما ولم يقع من الآخر ، [وكذلك القتل] ؛ فلذلك لا يدل قوله « قبولها » [على] أنه كانت هناك مقابلة ، كما لا يدل قولك « زيد ضاربُ عمرو » على أنه كانت مُضارَبة بينهما حتى غَلَبَ زيد عمرًا بالضرب . وإذا لم يكن على الشىء دليل لم تقم به حجة .

* * *

(١) م « من الدبور »
(٢) م « أن يديرها » ، ط « يرددها »
(٣) ط « واجهته وآزيته » وفى م « بجازيته »
(٤) م « إنك . . . الأحوال »
(٥) فى ك « الأفعال »
(٦) م ، ك « ففعلته »
(٧) م « وضروب عمراً »
(٨) فى ك « ضارب عمرو أو . . . وقاتل بكر أو »
(٩) « لأنه لا يجوز »

٦ – ومن خطائه[١] قولُه :

وصَنِيعَةٍ لَكَ ثَيِّبٍ أَهْـدَيْتَها وَهْيَ الكَعَابُ لِعائذٍ بِكَ مُصْرِمِ[٢]
حَلَّتْ مَحلَّ البِكْرِ مِنْ مُعْطًى وقَدْ زُفَّتْ مِنَ المُعطى زِفافَ الأَيِّمِ[٣]

غَلَّطَه قومٌ[٤] فى البيتين جميعاً ، وقالوا : أراد بقوله «وصنيعة لك» أى : للممدوح «ثيب» أى : قد افتُرِعت[٥] «أهديتهَا وهى الكعاب لعائذ بك [أى على عائذ بك] مصرم» أى : قليل المال ، وجاء بالكَعَاب على أنها تقوم مقامَ البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصحُّ له القِسْمة . أى هذه الصنيعة ثيِّبٌ عندك ؛ لأَنك[٦] قد اصْطنعْت مثلها مرارًا ، وهى الكعاب – يريد البكر– عند هذا العائذِ بك؛ لأَنها أول ما اصطنعته إليه أَوَّلا[٧] لأَنها أَكبر صنيعة صنعتها عنده .

قالوا : والكعَاب [هى] التى [قد] كعَبَ ثدْيُها ، فقد[٨] تكون بكرًا وتكون ثيباً ، فليست ضدًّا للثيب[٩] فى البيت ، ولا تصحّ بها قسمته : لأَن اسم الكعاب لايزول عنها إذا افتُرِعت حتى يَنْهدَ ثديها ويرتفع .

قالوا : واعتمد أن يشرح هذا [المعنى] فى البيت الثانى فقال :

* حَلَّتْ محلّ البكرِ مِنْ مُعطًى[١٠] *

---

(١) م «ومن غلطه»
(٢) ديوانه ٣١٣
(٣) الوساطة ٧٧
(٤) م «غلط» ط «غلطه وقع فى البيتين»
(٥) م «قد اضرعت»
(٦) ط «أى قد»
(٧) ط «إليه أولأنها»
(٨) ط «وقد»
(٩) ط «للبكر»
(١٠) أكمل البيت فى ط وليس ثمة ما يبرره .

وذلك [هو][1] معنى قوله « وهى الكعاب لعائذ بك » ثم قال : « زفت من المعطى زفاف الأَيم » ، وهو يريد معنى قوله : « وصنيعة لك ثيِّب » . على أن الأَيم هى الثيب .

وقالوا هذا خطأ ، لأَن الأَيم هى التى لا زوج لها ، بكرًا كانت أو ثيباً .

قال الله عز وجل : ﴿وأَنكِحوا الأَيامَى منكُم والصَّالحينَ مِنْ عِبادِكمْ وَإِمَائكمْ﴾[2] ، أفتراه أراد[3] أنكحوا الثيبات من النساء دون الأبكار ؟ إنما أراد تبارك اسمُه : انكحوا النساء اللواتى لا أزواج لهن . فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل فى الآية ، قال الشماخ :

يَقرُّ بعْينى أَنْ أُحَدَّثَ أَنهَا ... وَإِنْ لم أَنَلْها أَيِّمٌ لمْ تَزَوَّج[4]

وهذا هو [المعنى] المعروف فى كلامهم .

وهذا الذى ذكروه من غلطه فى الأَيِّم هو كما ذكروا[5] ، فأَما ما ادَّعَوه فى البيت الأَول من الغلط فى الكعَاب بأَن[6] أقامها مُقامَ البكر ، فليس ذلك بغلط ، والمعنى صحيح ، وقد جاء مثلُه فى أَشعار العرب ، قال قدامة ابن ضرار[7] الحنفى :

[غدَاة خطبْنَا الْبيضَ بالْبيضِ عنْوَةً ... وأُبْنَ إلينَا ثَيِّباتٍ وَكعَّبا[8]

أَراد بالكُعَّب الأَبكار][9] ،

---

(١) من ك
(٢) سورة النور : ٣٢
(٣) ط « قال »
(٤) ديوانه ٧
(٥) م « الذى ذكره . . . كما قال وذكره »
(٦) ط « لمن »
(٧) م « بن حراز » و ك « حزار »
(٨) البيض : النساء ، بالبيض : بالسيوف
(٩) الزيادة من ط

وقال جرير يهجو امرأة :

وقد حملت ثمانيةً وتمّتْ   لِتاسِعةٍ وتَحْسَبُها كعاباً[١]

فأقام الكَعَاب مقام البكر ، وجعلها ضدًّا للثيب . ومثله فى كلامهم [كثير] موجود وإنما فعلوا ذلك ـ وإن كانت الكاعبُ قد تكون بكرًا [وقد] تكون ثيباً ـ لأن أول أحوال الكواعب أن يكن قد ناهَزن حدّ البلوغ وبدأت ثُدُيُّهُنّ بالتكعب ؛ فهنّ[٢] فى هذه الحال أكثر ما يكن أبكارًا وغير ذات أزواج .

وقال عَمْرُو بن مَعْدِ يكْرِب :

تَرَكوا السَّوَامَ لنا وكلَّ خَرِيدةٍ   بَيْضَاءَ خرْعَبةٍ وأُخرَى ثيِّبِ[٣]

فأقام الخريدة مقام البكر ، وجعلها ضد الثيب . فى البيت [والخريدة الدرة] والخريدة هى الحييَّة . حكى اللحيانى قال : سمعت[٤] أعرابيًّا من كلب يقول : الخريدةُ الدرَّة التى تُثقب وهى من النساء البكر ، والخَرْعَبة : اللينة المفاصل الطويلة ، وهذه قد تكون [بكرًا وتكون] ثيباً ، إلا أنه جعلها بكرًا ؛ لأن الحياء أكثر ما يكون فى الأبكار .

فقد صحّ معنى بيت أبى تمام الأول فى الكَعَاب، وبقى الغَلَط[٥] قائماً فى الأيم ، [٦]ونجعلها فى البيت الثانى ضد البكر[٧].

---

(١) ديوانه ٦٤

(٢) م « أحوال الكاعب أن تكون قد ناهزت . . فهى فى هذه »

(٣) السوام : الإبل الراعية .

(٤) م « سمعنا »

(٥) م « الغلط إنما هو »

(٦) من ك

(٧) ط « الثيب »

فإن قيل : فلم لم تجز[1] لأبى تمام إقامة الأَيم فى البيت الثانى[2] مقام الثيب : إذ كانت الأَيم قد تكون ثيباً ، كما أقمتَ الكعاب فى البيت الأَول[3] مقام البكر] إذ كانت الكعاب قد تكون بكرًا ، وتتجاوز له فى هذا كما تجاوزت فى ذلك[4] ؟

قيل : لفظة كَعاب تدلّ بصيغتها على صغر السن كما عرفتك ، فهى فى الأَكثر تكون بكرًا غير مُفْتَرعة ؛ ولذلك استحسنوا أن أَقاموا الكَعاب مقام البكر ، ولفظة أَيم لا تدل على حدّ[5] السّن ، من صغر ، ولا كبر ، ولا بكورة ، ولا افتراع ؛ فلا تجوز إقامتها مقام الثيب بحال .

وقد غلط فى الأَيم بعضُ كبار الفقهاء[6] فجعلها مكان الثيب ، وذلك لحديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم[7] فإنه لحقه السهو فى تأويله فحمله على غير معناه ؛ فلعل أبا تمام أيضاً[8] من هذا الوجه قد لحقه الغلط .

وقد ذكر أَبو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر ، فقال ـ[9] يذكر صنيعةً أيضاً :

---

(١) ط « فلم لا يكون »

(٢) ط ، م « الأول »

(٣) ط ، م « الثانى »

(٤) ط « كما نتجاوز فى تلك »

(٥) ط « فى السن »

(٦) يقصد الإمام الشافعى ، كما قال القاضى الجرجانى ٧٨ « . . . وإنما نبذت منه نبذاً اقتضاها فصل أصبته لبعض من اعترض على أبى تمام ، جمع فيه بينه وبين الشافعى فى النكير ووازن بين قوليهما فى الخطأ . . . »

(٧) يريد قوله عليه السلام : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها » قال الجرجانى فى الوساطة ٧٧ « فذهب الشافعى إلى أن المراد بالأيم الثيب ، وليس يحفظ عنه ولا يوجد فى شىء من كتبه أن الأيم والثيب فى اللغة عبارتان عن معنى واحد ، فيجد العائب طريقاً إلى عيبه . . . » وخلاصة رأى الشافعى فى الحديث « أن الأيم غير البكر ، وليس غير الأبكار إلا الثيب » . وهو تأويل سديد ضل عنه تفكير الآمدى

(٨) من ك

(٩) ط « فقال وقد ذكر »

وَلَيْسَتْ بالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِى ولاَ هِىَ مِنكَ بالْبِكرِ الكَعابِ[١]

والعَوَان : هى التى بين المُسِنَّة والصغيرة السن ، وهى التى قد عرَفت الأُمور ، وجَرَت عليها التجربة ؛ ولذلك قيل : العَوَانُ لا تُعَلَّم الخمرَة[٢] ، ومنه قيل : حَرْبٌ عَوَان ، وهى التى قُوتِلَ فيها مرَّة بعد مرة، وإنما استعير لها اسم المرأة فى هذه الحال ، كما قال الشاعر :

* الحَرْبُ أَوَّلَ ما تكونُ فَتِيَّةٌ *[٣]

فاستعار لها أولَ ما تبدأ وتنشأ اسمَ الفتاة ، فأَراد أبو تمام أن هذه الصنيعة ليست بالعَوان عندى ، أى ليست صنيعةً قد تقدمتها لك لدىّ صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ، ولا هى [منك] بالبكر التى ليست مع ذلك[٤] بكر صنائعك ، بل [قد] أَسْدَيْتَ كثيراً مثلها إلى غيرى .

وهذا هو المعنى الذى قصده فى البيتين المتقدمين ، إلا أنه جعل « العَنَس » ههنا فى موضع العانس كأَنه أراد أن يقول وليست بالعوان العانس[٥] عندى فغلطَ. فقال « العَنَس » ، والعانس : التى يحبسها أَهلها عن التزويج حتى جاوزت حَدّ الفتاة .

والعَنس : اسم من أَسماء الناقة ، وهى التى قد انتهت فى شدتها وقوتها ، فأَين وَصْفُ الناقة من وصف المرأة ؟

---

(١) ديوانه ٥٦ وقد سبق ٩٣

(٢) فى جمهرة الأمثال ١٣٩ « يضرب مثلا للعالم بالأمر المجرب له . والخمرة مثل الجلسة ، أى هى عالمة بالاختمار فلا حاجة إلى تعليمه »

(٣) عجزه « تسعى ببزتها لكل جهول » وهو لعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، كما فى اللسان ٤١٦/٩ وانظره فى الشعر والشعراء ٣٣٣/١ وعيون الأخبار ١٢٧/١

(٤) ط « وذلك لكبر »

(٥) م « الأحانس » ط « الأحابس »

فإن قيل [١] : فإن أبا تمام لم يرد غيرَ العَنسِ ، ولم يرد العانس ؛ لأَنه لو أَراد العانس لكان مخطئاً من وجه غير ما ذكرته ، وهو أَن العوَانَ - فيما ذكر [٢] بعضُ أَهل اللغة - الثيبُ ، وقيل : إنها التى [قد] كان لها زوج ، وجرير قد أفصح بأَنها ذاتُ الزوجِ فى قوله :

وأَعْطَوْا كما أَعطَتْ عَوَانٌ حُلِيَّها   أَقَرَّتْ لبَعلٍ بعْدَ بَعلٍ تُرَاسِلُهْ [٣]

فكيف يكون العانس وصفاً للعَوَان [٤] والعانس هى التى حُبست عن التزويج ؟ قال عامر بن جُوَيْن [٥] الطائى :

وَاللهِ ما أَحبَبْتُ حُبَّكِ عانِساً   ولا ثَيِّباً لوْ أَنَّ ذاكِ أَتانى

فجعلها ضد الثيب ، والعنس أَولى بأَن تكون وصفاً للعوَان من العانس ، ويكونان جميعاً من أَوصاف [العوان لأَن العوان إذا أُريد بها] الناقة ، وهى دون [٦] المسنة وفوق الفتية ؛ فهى حينئذ الكاملة . والعنس : الناقة التى قد انتهت فى قوتها ؛ فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أَوصاف النوق ، كما استعار البكر الكعاب من أَوصاف النساء .

قيل : هذا غلط من الاحتجاج ، وتعسُّف من التأَول ، وإنما يُسْتَدَل ببعض الأَلفاظ على بعض ، كما يستدل على المعنى بما يَقْتَرن ويتصل به ؛ فيكون فى ذلك بيان وإيضاح . أَما العَوَان والبكر - وإن كان قد وُصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم - فإن البكر فى البيت لا تكون مستعارة إلا من أَوصاف النساء ، من أَجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التى هى

(١) م « فإن قال »
(٢) م ، ك « زعم »
(٣) ديوانه ٤٨٢ « عوان حايلها »
(٤) م « للكعوب »
(٥) م « بن جرير » وهو تحريف راجع المعمرين ٤٠ والخزانة ١/ ٢٥
(٦) م « فهى »

مخصوصة بوصف الجارية التى [قد] كَعَبَ ثديُها ؛ فلا تكون العَوَان فى صدر البيت من أوصاف النوق ، والبكر فى آخره من أوصاف النساء ، فعلمنا أنه لم يرد بالعنْس إلا العانس فغلط. كأنه أراد [أن] هذه الصنيعة ليست فى حال ما هى عندى بالعَوَان العانس ، ولا فى حال ما هى عندك بالبكر الكعاب ؛ لأن المرأة [قد] تكون كاعباً وبكرًا فى حال ، وعواناً وعانساً فى حال أخرى ؛ فتنتقل فى هذه الأوصاف . والعنس لا موضع لها ههنا .

وأما قوله « إنه لو أراد العانس كان مخطئاً ؛ لأن العانس هى التى حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفاً للعَوَانِ لأن العوان عند أهل اللغة الثيب » — فيقال [له] : إنما كان يسوغ لك هذا التأويل لو زَالَ اسم العنوس عن المرأة إذا تزوّجت ، فأما وهو[1] وهو باقٍ عليها بعد التزويج الذى صارت به ثيباً فلم لا يكون وصفاً للعَوَان التى هى أيضاً ثيب عندك ، ألا ترى إلى قول كُثَيِّر :

وإنَّ طِلَابِى عَانِساً أُمَّ وِلْدَةٍ لَـمِمَّا تُمَنِّينَا النُّفُوسُ الْكَوَاذِبُ[2]

فقال « عانساً » وجعلها أم ولده .

فإن قال : فلعلّ أبا تمام لم يرد هذا ، وإنما أراد بالعنس مصدر عَنَسَت المرأةُ تَعْنُسُ عَنْساً وعُنوساً . فجعل المصدرَ وهو عَنْس وصفاً للعَوَان مكان العانس ، والمصادر قد تجعل أوصافاً فى موضع[3] أسماء الفاعلين .

قيل له[4] : المعروف فى مصدر عَنَست المرأة هو العُنُوس ، ولم يسمع العَنْس ، وعلى أن الأصمعى قد أنكر عَنَست مخففاً ، وقال : إنما هو

(١) م « ماهو »

(٢) ط « فإن . . . لما تمنينى »

(٣) فى ط ، م « مكان »

(٤) ط « له المصدر »

عُنِّست تُعَنس تَعْنِيساً [بالتشديد] ، حكى ذلك عنه يعقوب بن السِّكيت .

وهَبْ [أنه] قد جاء العَنْس مصدر عَنَست ، فليس فى كل موضع يسوغ أن تكون المصادر أوصافاً ، وإنما تكون أوصافاً على وجه من الوجوه وطريقةٍ من اللفظ ، وهى قولهم : إنما زيد دَهْرَهُ أَكلٌ ونوم[١] ، وإنما عمرو أبدًا قيامٌ وقعودٌ [فإن شئت كان المعنى : إنما زيد ذو أكل ونوم ، وإنما عمرو ذو قيام وقعود] ؛ فتقيم المضاف إليه مقام المضاف ؛ لأنه يدل عليه ، أو تجعل زيدًا نفسه الأكل والنوم ، وعمرًا القيام والقعود على المبالغة ؛ لأن ذلك كثير منهما ، كما قالت الخنساء :

تَرْتَع ما رَتَعَتْ حَتىَّ إذا ادَّكَرَتْ ... فَإِنَّما هِيَ إقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[٢]

فجعلت الناقة هى الإقبال والإدبار ، لأن ذلك كثر منها ، وإن شئت كان المعنى ذات إقبال وإدبار ؛ فأقمت المضاف إليه مقام المضاف .

فهذه طريقة الوصف بالمصادر ، وإذا تأوَّلْتَ بالعنْس المصدرَ فى قوله «وليست بالعَوَان العَنْس» كان ذلك كقولك: ليست هند بالصبية الصِّغر[٣] ، تريد الصغيرة ، ولا دَعْد بالهَرمة الكِبر[٤] ، تريد الكبيرة ؛ وهذا لا يسوغ فى منطق ، ولا يعرف[٥] فى لغة . ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفاً على نحو ما ذكرته ؛ فيقال : هندٌ الْحُسْنُ كله ، ودعد الجَمال أَجْمعه ، وزيد الهَرَم أقْصَاه ، وعَبدُ الله البُغْضُ[٦] نَفْسُه ، والتِّيهُ عيْنه . فإن شئت كان

---

(١) م «زيد دهر لكل ويوم»

(٢) ديوانها ٧٨ والكامل ١٢١٤/٣ واللسان ١٣٥/١٩ والأغانى ١٣٨/١٣ وأمالى المرتضى ٤٦٥/١

(٣) م «الصغير»

(٤) ليست فى م

(٥) ط «ولا يعد»

(٦) م «وعند»

المعنى هندٌ صاحبةُ الحسْن كله ، ودعد ذات الجمال أجمعه ، وزيد أخو الهرم ، وعبد الله ذو التيه ؛ فأقمت المضاف إليه مُقام المضاف ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾[١] يريد أهل القرية . وإن شئت جعلت هندًا هى الحسن ، ودعدًا هى الجمال ، على المبالغة ، [لما كانتا غايتين فيهما . وجعلت زيدًا هو الهرم وعبد الله هو التيه] لمَّا كانا متناهيين فى هذين الوصفين .

ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العَوَان والبكر ـ وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء فى هذا المعنى ، ولم يخلط بهما العَنْس والكَعَاب والثيب والأَيِّم[٢] ـ لكان قد سلك الطريقَ المستقيم وأتى باللفظ المألوف المستعمل ، وتخلص من فاحش الخطإ ، وإنما أراد معنى الفرزدق فى قوله :

وَعِندَ زِيادٍ لَو تُرِيد عَطَاءَهُم ... رِجَالٌ كثِير قَدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرَا[٣]
قُعُودٌ لَدَى الأَبْوَابِ طلاب حَاجةٍ ... عَوَانٍ منَ الحَاجَاتِ أَو حَاجَةٍ بِكْرَا[٤]

أى : منهم طالبُ حاجةٍ عوانٍ ، أى حاجة قد عرفها وصارت عادة له ورسما يتطلبه فى كل حين ؛ ومنهم طالب حاجة بكر ، أى أولَ ما يلتمسه منه ويترجمه[٥] عنده . فأَحبَّ أبو تمام أن يَزيدَ على هذا المعنى ويُغْرِب فأخرجه ذلك إلى الخطإ .

وقد أحسن محمد بن حازم الباهلى فى قوله :

أَبا جَعْفَرٍ يابْنَ الجَحاجِحَةِ الغُرِّ ... بَدَتْ حاجةٌ وَالحُرُّ يأْوِى إلى الحُرِّ[٦]

---

(١) سورة يوسف : ٨٢

(٢) فى ك «والثيب والبكر»

(٣) ديوانه ٢٢٦ «يريد . . . يرى . . .» وفى ط «عطاء»

(٤) ط «طالب»

(٥) فى ط ، م «ويقترحه»

(٦) الجحاجحة : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم

وَقَدْ لَبِسَتْنِى مِنكَ بالأَمْسِ نِعمةٌ فَهَلْ لَكَ فى أخرى عَوَانٍ إلى بِكْرِ
على أَنَّهُ إنْ أَمْكَنْتَ أَوْ تعَذَّرَتْ فإنَّكَ بَيْنَ الشُّكْرِ مِنِّىَ وَالعُذْرِ

فهذه طريقة الشعراء فى العَوَان والبكر .

٧ ـ ومن خطائه قوله :

الوُدُّ لِلقُرْبَى ، ولٰكنْ عُرْفُه لِلأَبْعدِ الأَوطانِ دُون الأَقْرَبِ(١)

لأَنه نَقَصَ الممدوح مرتبةً من الفضل ، إذ(٢) جعل وُدَّه للدوى قرابته ، ومَنَعهم عُرْفه ، وجعله فى الأَبعدين دونهم . ولا أَعرف له فى هذا عذرًا يتوجه .

وقد عارضنى فى هذا البيت غيرُ واحدٍ ممن ينتحل نُصْرَةَ أَبى تمام .

فقال بعضهم : إن العُرف [هو] ما يتبرع به الإنسان ؛ فلذلك جعله فى الأَباعد ، فأَما الأَقارب فإن بِرّهم وصِلَتهم من الحقوق الواجبة اللازمة .

قلت : إن كنتَ تريد الحقوقَ التى تلزم [وتجب من طريق الحكم] فإن ذلك إنما هو للآباء والأَجداد والأُمهات والأَولاد والإخوة والأَخوات والأَعمام والأَخوال [ومن لا تجوز فيهم المناكحات] إذا كانوا فُقَرَاءَ محتاجين؛ فيجب لهم من الإنفاق عليهم بقدر القوت والكفاية ، وهذا لا يخرج [عن] أن يسمى معروفاً ، أَلا تَرَاهم يقولون : أَنِلْ أَباكَ مِنْ مَعْروفك ، أَو أَنِلْ أمك من معروفك ؛ فلا يكون هذا قبيحاً ، بل حسناً(٣) ، وقال الله عز وجل فيما فَرَضَ للنساءِ(٤) : ﴿وَعلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتهُنَّ بالمَعْرُوف﴾(٥) فقد صار الفَرْضُ ههنا معروفاً ؛ لأَن المعروف [ههنا] هو الحسن الجميل من

(١) ديوانه ١٤ وفى شرح التبريزى ١/١٠٨ « أى يخص قرابته بالود والمحبة دون العطاء ؛ لأنهم غير محتاجين ، وعرفه لمن لا نسب بينه وبينه » وهو فى الصناعتين ١٢٢

(٢) فى ط ، م « وجعل »

(٣) ط « بل حقاً »

(٤) ط « على النساء »

(٥) سورة البقرة : ٢٣٣

القول والفعل الذى قد[١] عُرفت المصلحةُ فيه فصار معهودًا [معتادًا] إذا ورد لم تنفر منه النفوس فتنكره وهذا لا يكون الإنسان محمودًا به إذا أعطاه هذه الطبقة من أهله حتى يُمدَح بفعله ويُفْتَخر له به ، بل يكون مذموماً إذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه [إلى التوسعة عليهم والإغناء لهم إن كان من ذلك متمكناً وعليه مقتدراً ، فما بال الآن غير هؤلاء] من الأقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم ، وهم بنو الأعمام الذين هم الأَعْضَادُ والعُدة ، وبهم تكون النُّصرة ، وكذلك بنو الأَخَوَات وبنو الأَخوال لم يجعل المعروف الذى هو تبرع[٢] فى الأَباعد دونهم ويخرجون منه .

وإن [كنت] أردت الحقوق التى يُلْزِمها الإنسانُ نفسَه تكرُّماً وتفضلا فذلك حقيقة العُرْف الذى يتبرع المرء به ، ويحمد عليه ، ويمتدح بفعله إياه ، وَإعطائه له ، ويُذم إذا منعه . والأَقاربُ على اختلاف[٣] طبقاتهم وأنسابهم أولى [به] من الأَباعد ؛ فمن جعله فى الأَباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ، ونهاية العقوق ، وعين الحمق ، وإن وصفه واصفٌ به فقد بالغَ فى ذمه ، وتناهى فى هجائه.

وقال آخر[٤] قوله « الود للقربى » قد جمع لهم الود[٥] والعرف وغيره ؛ لأَن المودة تشتمل على ذلك كله ، والعُرْفُ الذى خَصَّ به الأَبْعَدِينَ لا يجمع الوداد ؛ إذ ليس كل من أَسْدَيْتَ إليه معروفاً فقد[٦] وَدِدْتَه : فقد أعطى ذوى القربى أَكْثَرَ مما أعطى الأَبعدين .

---

(١) سقطت من م

(٢) ط « هو يتبرع به »

(٣) ط « الاختلاف فى »

(٤) فى ط بدلها : « فقال »

(٥) م « بالود »

(٦) ليست فى ك

فقلت له : وليس كل من وددته أيضاً فقد أسْدَيْتَ[١] إليه نائلا ولا معروفاً ، ولا تتضمن لفظة الودّ غير المحبة فقط .

وعلى أن قوله « دون الأقرب » توكيد يوجب إخراج الأقارب من العُرف ، وتخليصه[٢] للأبعدين ، فما يغنى[٣] هذا التأويل الذى تأولته .

فأقام على أن الودّ يجمع العُرْف والصِّلة . وهذا غير معروف ، ولا موجود فى كلام الناس .

وقد قال المقنَّعُ الكِنْدىُّ :

فإنَّ الَّذِى بَيْنِى وَبَيْنَ بَنِى أَبِى ... وَبَيْنَ بَنِى عَمِّى لمُخْتَلِفٌ جِدًّا[٤]

إذا جَمعُوا صَرْمِى مَعاً وَقَطِيعَتِى ... جَمعْتُ لَهُمْ مِنِى مَعَ الصِّلةِ الوُدَّا[٥]

فأفصح هذا بأنه يَجمع لهم بين الصلة والود . وقال البحترى :

مَوَدَّةٌ وَعطَاءٌ مِنْـــكَ نِلْتُهُمَا ... وَرُبَّ مُعْطَى نَوَالٍ غَيْرِ مَوْدُودِ[٦]

فقال « مودة وعطاء منك نلتهما » فلو كانت المودَّة لا تكُون إلا ومعها عطاء لما يكن لهذا القول معنى ، وكذلك البيتُ قبله ، وقال « ورُبَّ مُعْطى نوالا غير مودود » ، [وكذلك تقول : رب معطى نوال غير مودود][٧] ورب مودود غير معطى نوال . ألا ترى إلى قول الأعشى :

بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فى النَّفْس حَاجَتَها ... بَعْدَ ٱئْتِلَافٍ ، وَخَيْرُ الْوُدِّ مَا نَفَعَا[٨]

(١) م ، ك « أوصلت »

(٢) فى ط ، م : « وتحصيله »

(٣) ط « عن العرف وتخليصه للأبعد فى معنى هذا » وفى م « مما ينفى هذا التأويل »

(٤) حماسة البحترى ٢٤٠ ، والصناعتين ١٢٢

(٥) رواه البحترى

وإن قطعوا منى الأواصر ضلة ... وصلت لهم منى المحبة والودا

(٦) ديوانه ٣٤٧

(٧) الزيادة من ك

(٨) ديوانه ١٣٠ والصناعتين ١٢٢ وتفسير الطبرى ١/ ١٠٦ طبع المعارف وفى م « باتت » وأسأرت من السؤر بمعنى أبقت .

فأراد أن الودَّ قد يكون ولا نفع معه ، وقال أبو تمام[١] :

قَرَانى اللُّهَى وَالْوُدَّ حَتَّى كَأَنَّما أَفَادَ الغِنَى مِنْ نَائِلِى وَفَوَائِدِى

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء ، فأجبته بمثل هذا الجواب ، وقلت له : فإن كان الأمر على ما تزعمُ وتركناك[٢] وشهوتك فى أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض أيضاً[٣] هذا الشاعرُ نفسَه فى البيت ؛ لأنه إن كان أراد بقوله « الود للقربى » المحبةَ والمعروف جميعاً ، فقد قال فى عجز البيت « ولكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون الأقرب » فأخرج الأقرب [من العرف] بقوله « دون » فلو كنتَ تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الأقرب ، كان ذلك أقلَّ قبحاً من المناقضة .

فقال : إنما أراد بقوله «ولكن عرفه فى الأبعدِ الأوطانِ دون الأقرب » إفرَادَ العُرف للأبعد ، وألا يجمعه[٤] له مع وده[٥] كما جمعهما للأقرب .

فقلت : فقوله « دون » يفسد عليك هذا التأول[٦] ، وما أراك إلا وقد أوضحت به[٧] الإحالة والمناقضة وبينتهما ؛ لأنك فى هذا كقائل قال : الود والمال جميعاً لزيد ، والمال لعمرو مفردًا دون زيد . فكيف يجمع المال مع الود لزيد أولاً ويُفْرد عمرو[٨] به دون زيد آخرًا ؟ وهذا أقبح ما يكون من

---

(١) م ، ك : « وقال البحترى » وهو خطأ فالبيت فى ديوان أبى تمام ١١٧ وشرح التبريزى ٧٣/٢ واللهى : الأموال . وأفاد : بمعنى استفاد .

(٢) ط « على شهوتك »

(٣) ط « ناقض إذا هذا » ك « ناقض إذا فى البيت »

(٤) ط « للأبعد وإلا فجمعه »

(٥) ط ، م « الود »

(٦) ط « التأويل »

(٧) من ك

(٨) ط « عمرا »

المناقضة . وإنما كان يصح هذا[١] الكلام أن لو قال : الود والمال لزيد ، والمال لعمرو دون الود . فيكون قد أخرج عمرًا من الود إخراجاً مؤكدًا بقوله « دون الود » فأما الكلام الأول فمتناقض كما عرفتك . وكذلك بيت أبي تمام كان يُتأول على هذا أن لو قال « دون الود » لا دون الأقرب ، وما ظننت أن أحَدًا يدَّعي مثل هذه الدعوى ، ولا أن حاجة تدعو إلى مثل هذا الاحتجاج .

ويجب أن يقال لهذا المعارض : هل يجب[٢] عندك أن تكون مودة لا معروف معها ، إذ ليس كل من وددته فقد أنلته معروفاً ؟ فإن قال « لا » كابَرَ وسقط كلامه ، وإن قال « نعم » قيل : فقد خرجت لفظة الود[٣] عن أن تدلَّ بمجردها على المعروف إلا[٤] بشيء يَقْترن بها .

وقال آخر : إنما أخرج أقاربه من المعروف لأنهم فى غنى وسعة بغنائه وسعة حاله ؛ فلذلك أفردهم بالود .

قلت له : فإذا[٥] كانوا أغنياء بغنائه فقد أوسعهم من معروفه ؛ فما كان ينبغى للشاعر أن يَشترط[٦] للأباعد دونهم .

وقلت له : وكيف يُعلم أنهم أغنياء وليس فى ظاهر لفظ[٧] البيت دليل عليه ؟ قال : كذا نوى وأراد . قلت : ليس العملُ على نية المتكلم ، وإنما العمل على ما توجيه[٨] معانى ألفاظه ، ولو حمل[٩] قول كلِّ قائل وفعلُ كل

---

(١) م « بهذا »
(٢) م ، ك « يجوز »
(٣) م « الود أن . . . لا بشيء »
(٤) م « لا »
(٥) ط « فإن »
(٦) ط « يشرط »
(٧) ط « فى داخل البيت »
(٨) ط ، ك « على توجيه »
(٩) ط « حملت »

فاعل على نيته لما نسِبَ أحد إلى غلط. ولا خطأ فى قول ولا فعل ، ولكان من سَدَّد سَهْماً وهو يريد غرضاً فأصاب عينَ رجل فذهبت[١] ـ غير مخطئ ؛ لأنه ما اعتمد إلا الغرض ، ولا نوى غير القرطاس .

وقال آخر : أراد بقوله « ولكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون الأقرب » أى : بَعْدَ الأقرب [كما] تقول : جاء[٢] الأمير فمن دونه ، أى : فمن بَعْدَه .

قلت : فإنما معنى « فمن دونه » أى فمن هو أدْوَنُ منه فى الرتبة ، بعده كان مجيئه أو قبله .

وقال آخر : إنما أراد أبوتمام بقوله « دون الأقرب » أى : فضلا عن الأقرب ، أو[٣] : فكيف الأقرب ، لأن[٤] هذا مذهب الناس أن يضعوا « دون » فى هذا الموضع فيقولوا : أنا أرْضَى بالقليل دون الكثير [أى : فضلا عن الكثير][٥] وأنا أقْنَعُ بقُرْص من شعير دون ما سواه ، أى : فَضْلًا عَمَّا سواه ، وهذا مذهبٌ صحيح معروف .

قلت له : هذا توهُّم منك فاسد ، وتأول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود ؛ لأن معنى « دون » عند أهل العربية[٦] التقصيرُ عن الغاية ؛ فمعنى قوله « أنا أرضى بالقليل دون الكثير » أى أرضى بالقليل ولا أنتهى إلى الكثير ؛ أى لا أطمح إليه ، وأقنع[٧] بقُرْص من شعير ولا أنتهى إلى ما سواه ؛ فهذه

(١) م « فذهب »
(٢) ط « جاءنى »
(٣) ط « أى »
(٤) ط « وإن كان هذا مذهباً للناس »
(٥) الزيادة من ط
(٦) ط « أهل اللغة »
(٧) ط « وأرضى »

حقيقة معنى اللفظ . فأما ما تأولته فإنما هو بمعنى بَلْهَ التى تأتى فى الكلام وموضعُها دَعْ ، كقول كُثَيِّر :

بَسَطْت لِبَاغِى الْعُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً يَنَالُ الْعِدَا ، بَلْهَ الصَّدِيق ، فُضُولُها

أى : تنال العدا فَدَعِ الصديقَ ، أى : لا تَصِلُ إلى العدا إلا بعد أن تصل إلى الصديق . و « دون » لاتتضمن هذا المعنى ولا تؤديه .

قال[١] : فقد تأتى « دون » بمعنى فوق ، كما تأتى فوق بمعنى دون ، فى قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[٢] ذُكر أن معناه فما دونها ؛ لأن « فوق » قد تكون دون عند ما هو فوقها ؛ و « دون » قد تكون فوق عندما هو دونها[٣] ؛ فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله « دون الأقرب » أى : فوق الأقرب ، بمعنى زيادة على ما أعطاه الأقرب ، أو تكون « دون » ههنا بمعنى أمام [لأن بعض أهل اللغة جعلها من الأضداد ، وأنها تأتى بمعنى خَلْف وبمعنى أمام][٤] مثل وَرَاء ، فيكون معنى[٥] قوله « دون الأقرب » أى : أمام عرْفه فى الأقرب ، أى : قبله .

قلت له : أما ما قيل فى قوله عز وجل (فما فوقها) [أن] معناه فما دونها ، فإن أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللفظة[٦] عندهم إلا وجهان ؛ أحدهما : أن يكون فما فوقها [بمعنى] فما هو أكبر منها[٧] ؛ لأن البعوضة نهاية[٨] فى الصغر ؛ فيكون المعنى أنه تعالى لا يستحى أن يضرب

---

(١) م « ولا تؤديه فإن فقد »
(٢) سورة البقرة : ٢٦
(٣) ط « تحتها »
(٤) الزيادة من ط
(٥) م « بمعنى »
(٦) ط « اللغة »
(٧) م « أكثر »
(٨) ط « غاية »

مَثَلاً ما بين [هذا] الشيء الذى هو غاية الصغر إلى ما هو فوقه ، أى : ما زاد عليه وتجاوزه .

والوجه الآخر : [أن يكون فما فوقها بمعنى] فما فوقها فى الصغر ، وهذا قول أبى العباس : محمد بن يزيد المبرد وأبى إسحاق الزجاج ، والكسائى من[1] قبلهما ، وأبى عبيدة ، وما أظن غير هؤلاء [من النحويين] يقول إلا مثل ذلك .

وأما ما ذكَرْتَه من أن « دون » تأْتى بمعنى خَلْف [وأمام][2] وأنها[3] عند أهل العربية من الأضداد مثل « وراء » - فقد أخبرتك أن معناها عند أهل [اللغةو] العربية التقصير عن الغاية ، وإذا كان الشىء وراء الشىء أو أمامه أو يَمْنة [منه] أو شأمة ، صَلَح فى ذلك كله أن تقول : هو دونه ، ألا ترى أنك إذا قلت « بيوت بنى فلان دون الْحَرَّة » صلح أن تكون دونها إلى مَهَبِّ الشَّمال ، أو إلى مَهَبِّ الجنوب [أو إلى] [4] غيرهما من الجهات ؛ فلا يعلم المخاطب أىّ الجهات التى تَعْنى[5] ؛ فليس هذا من الأضداد فى شىء ، وإنما جعلها قوم من الأضداد لمّا رأوها تُسْتَعمل فى هذه الوجوه لما فيها من الإبهام .

وكذلك « وراء » إنما هي من الْمُوَاراة والاستتار ؛ فما اسْتَتَر عنك فهو وَرَاء : خَلْفَك كان أو قدَّامك ، هذا إذا لم تَرَه ولم تُشاهده ، فأمّا إذا رأيته فلا يكون أمامك وراء[6] ، وإنما قال لبيد :

---

(١) م « ومن »

(٢) من ك

(٣) ط « وأمام فإنها »

(٤) الزيادة من ط

(٥) م . ك « المخاطب أين الجهة حتى يعلمه فليس »

(٦) ط « أمامك ووراءك »

أَلَيْسَ وَرَائِى إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِى لُزُومُ الْعَصا تَحْنَى عَلَيْهَا الأَصابعُ[١]

بمعنى أليس أمامى ؛ لأنه قال ذلك قبل أن يَرى ويُشاهد نفسه وقد لزم العصا .وكذلك قول الله تعالى:﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٢] قالوا : إنه كان[٣] أمامهم ، وصَلَح ذلك لأنهم لم يُعاينوه ولم يشاهدوه . فقد وضح لك الآن معنى «[٤] دون » وأنها لا تخرج عن بابها الذى[٥] وُضعت له ، ألا ترى أنك تقول : نزلتُ القرية[٦] دون النخل ؛ فيجوز أن تكون القريةُ أمام النخل ، وخلفه ، ويكون[٧] المعنى أنك أفردت القرية بنزولك ، ولم تُعَرِّج على النخل ، وكذلك « لقيت زيدًا دون عمرو » و « أكلت السمك دون اللبن » أخرجتَ عمرًا من لقائك ، واللبن[٨] من أكلك . فكذلك قول الطائى « دون الأقرب » قد أخرجهم من العرف ، وهذا لا شىء أوضح منه .

وقد حمل بعضهم نفسَه على أن قال : إنما[٩] أراد الطائى « لكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون عرفه فى الأقرب » .

وهذا من أفحش الخطإ ، لأن قوله « دون الأقرب » مثل قولك : وُدِّى لزيد دون عمرو : فليس معناه كمعنى قولك : ودى لزيد دون [وُدِّى] لعمرو ؛ لأنك فى الأول قد أخرجت عمرًا من الود وأفردت به زيدًا ، وفى الثانى جعلت

---

(١) م « عليها الأضالع » والبيت فى اللسان ٢٠/ ٢٦٩ والشعر والشعراء ١/ ٢٣٦ والأغانى ١٤/ ٩٩

(٢) سورة الكهف : ٧٩

(٣) م « إنما قالوا كان »

(٤) م « ذلك الآن بمعنى »

(٥) ط « التى » م « وصف له »

(٦) ط « فى القرية »

(٧) ط « أن يكون »

(٨) م ، ك « والسمك »

(٩) من ك

الود لزيدَ دون الود لعمرو ، أى أقلَّ منه ؛ فهذا معنى ، وذاك معنى[١] آخر.

وأيضاً فلو اعتمد أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج «لكن» التى تدخل للاستدراك من أن يكون استدْرَكَ بها شيئاً : فلا يكون لها فى البيت معنى ألبتة.

وقال آخر ممن يلتمس العذر لأبى تمام : إنما هذا على طريق الإيثار كما يؤثر الإنسان على نفسه ، فكذلك يؤثر على أقاربه .

قيل له : الإيثار على النفس حَسَنٌ[٢] جدًّا ، وصاحبه ممدوح ، كما قال تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٣] وكما قال أبو خِراش[٤] الهذلى[٥] :

أَرُدُّ شُجَاعَ الجُوعِ لو تعْلَمِينَهُ ... وَأُوثِرُ غَيرِى مِنْ عيالِكِ بالطُّعْمِ[٦]

وكما قال عُرْوة بن الْوَرْدِ :

أُقَسِّمُ جِسْمى فى جُسُومٍ كَثيرَةٍ ... وَأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ وَالماءُ بارِدُ[٧]

فالإيثار إنما يكون إيثاراً وَيقَعُ الحمدُ به إذا آثر الإنسان غيرَه على نفسه أو على ولده ، فى بعض الأحوال ، فأما إذا آثر بعضَ الطالبين على بعض بغير سبب يُعلم ، فهو بذلك مذموم غير ممدوح ، فكيف إذا آثر البعيدَ على القريب ؟

---

(١) من ك

(٢) م «كسن جدا» !

(٣) سورة الحشر : ٩

(٤) م «أبو كراش» !

(٥) من ك

(٦) ديوان الهذليين ٢/١٢٨ وفى اللسان ١٠/٣٩ «وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه تعرضت له فى بطنه حية يسمونها الشجاع وقال أبو خراش الهذلى يخاطب امرأته . . . وقال الأصمعى : شجاع البطن شدة الجوع وأنشد بيت أبى خراش أيضاً» والطعم : الطعام . وفى ك «شجاع البطن»

(٧) ديوانه ١٤١ وتهذيب الألفاظ ١٩٧ والاقتضاب ٣٧٢ جسمه ههنا : طعامه . يقول : أقسم ما أريد أن أطعمه فى محاويج قوى ومن يلزمنى حقه والضيفان . والماء القراح : الذى لا يخالطه لبن ولا غيره . والماء بارد : أى فى الشتاء

وقد جاء فى أشعار العرب من الحثّ على بر الأقارب ومن حَمْد مَنْ وصلهم وذمٍّ[1] من حَرَمهم ، ما هو أكثر وأشهر من أن يخفى.

قال زهير :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذى قُرْبى وذِى رَحِمٍ   يَوماً ، وَلا مُعْدِماً مِنْ خَابِطٍ وَرَقا[2]

وقال أبو دُوَاد الإيادىّ :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجالِ لِنَفْعِهِمْ

فَرِشْ وَاصْطَنِعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ ترمى[3]

وقال حاتم الطائى :

لا تعْذُلِينى علَى مالٍ وَصلْتُ بِهِ   رَحماً قَرِيباً ؛ فَخَيرُ المَالِ ماوَصلا[4]

وقال أوس بن حَجَر :

أَلَيْسَ بوَهّابٍ مُفِيدٍ وَمُتلِفٍ   وَصُولٍ لِذِى القُرْبى هَضِيمٍ لمُهْتَضِمٍ[5]

وقال زهير :

وَذِى نَسَبٍ ناءٍ بعيدٍ وَصَلْتَهُ   بمَالٍ وما يَدْرِى بأَنَّكَ وَاصِلُهْ[6]

وقال كُثَيِّر :

بسَطتَ لِباغى العُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً

يَنالُ العِدَا بَلهَ الصَّدِيقِ فُضُولُها

---

(١) م « وذلك من »

(٢) ديوانه ٥٣ « والعرب تقول إذا ضرب الرجل الشجر ليحت ورقه فيعلفه ماشيته : قد خرج يختبط الشجر . والورق يسمى الخبط . ويقال للرجل : إن خابطه ليجد ورقاً : أى أن سائله ليجد عطاء . أى يكون لخابط المعروف فى واد به ورق ، فسمى من طلب بغير يد سالفة ولا معروف — خابطاً . والإعدام أن تمنع الرجل ما يريد .

(٣) البيت له فى الصناعتين ١٢٣ وراش السهم : ركب عليه الريش

(٤) ديوانه ١١٧ « رحما وخير سبيل المال »

(٥) هكذا فى الأصل والذى فى ديوانه ص ١٢٤ . هضيم لمهضم

(٦) ديوانه ١٤٣ وفى م « وما مدريه أنك »

فهذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائى ، لأنه أراد أن عُرْفَه ينال العدا فضلا عن الصديق : لأن قوله « بله الصديق » أى فَدَعِ الصديق لأنه لا يصل إلى العِدَا إلا بعد أن يصل إلى الصديق .

وقال كُثَير أيضاً :

لأَهْلِ الوُدِّ والقُرْبَى عليهِ صنائِعُ بثُّها بَرٌّ وَصُولُ
ولِلفُقَرَاءِ عائِدَةٌ ورَحْمٌ فلا يُقْصَى الفقيرُ ولا يُعِيلُ[1]

ألا تراه بدأ بأهل ودّه وقرابته فجعل صنائعه[2] فيهم ، ثمَّ ثَنَى بالفقراء ، فجعل لهم عائدة ورَحماً ، أى رحمة .

وقال كثير أيضاً :

ولمْ يَبلُغِ السَّاعونَ فى المجْدِ سَعيهُ ولمْ يُفضِلوا إفضَالهُ فى الأقارِب
جَزَتْكَ الجوَازِى عنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً وحُيِّيتَ منْ مأْوَى طَرِيدٍ وراغِب[3]
وصاحب حق معصم بكَ حقُّهُ وجار ابن ذى قربى وآخر جانب[4]
رأَيْتُكَ والمَعرُوفُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ تَعُمُّ بِخيْرٍ كُلَّ جادٍ وغائِب

« جادٍ » يقال : فلان[5] يَجدُو ويجتَدِى ، أى : يعم بالمعروف من هو بحضرتك [يسألك] [6] ومن هو غائب عنك ؛ فجعل كثير ، كما ترى ، معروفه عُموماً فى الأقارب وفى الأباعد إلى الحاضر والغائب .

وقال ابنُ هَرْمَة :

كمْ نائِلٍ وصِلاتٍ قَدْ نَفَحْتَ بها ونِعْمةٍ مِنك لا تحْصَى أَيادِيها

---

(١) فى ك « ولا يعول »

(٢) ط « منافعه »

(٣) ط « وقربت »

(٤) ط « وصاحب قوم » . م « وجابر ذى »

(٥) من ك (٦) من ك

[عندَ الأقاربِ والأقصَيْنَ نَفْعُهُما   بِيضٌ روائحُها تحدُو غوادِيها] (١)

وقال كنانة بن عبد ياليل الثقفى .

صلاةٌ وتسبيحٌ وإعطاءُ سائل   وذُو رَحِمٍ تنالُهُ مِنكَ إصبعُ (٢)

يريد بقوله إصبع معروف ونائل .

وقال إسماعيل بن يسار النسائى (٣) :

وإذا أَصبتَ من النوافِلِ رَغْبةً   فَامنَحْ عَشيرَتَكَ الأَدانى فَضْلَها (٤)

وقال المُسَيَّبُ بن عَلَس فى منع الأقارب :

منَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الأَبْعدينَ   ويَشقَى بهِ الأَقْرَبُ الأَقربُ (٥)

وقال الحارث بن كَلَدة الثقفى يذم فاعل ذلك :

مِنَ الناسِ مَنْ يَغْشى الأَباعِدَ نَفعُهُ   ويَشْقَى بهِ حَتى المماتِ أَقارِبُهْ (٦)

فإنْ يَكُ خيرٌ فالبعيدُ يَنالُهُ   وإنْ يَكُ شرٌّ فابْنُ عَمِّكَ صاحبُهْ

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب.

وقال مُسافر بن أَبى عمرو بن أمية [بن عبد شمس] (٧) فى [نحو] ذلك :

تَمُدُّ إلى الأَقصىٰ بِثَدْيِكَ كُلِّه   وأَنْتَ على الأَدْنَى صَرُورٌ مُجَدَّدُ

وإنَّكَ لوْ أَصْلَحْتَ مَنْ أَنْتَ مُفْسِدٌ   تَـوَدَّدَكَ الأَقْصى الَّذِى تَتَوَدَّدُ

الصَّرور (٨) : الضيق حلمة الثدى ، والمجدَّد : الذى قد أنقطع لبنه .

---

(١) سقط من م

(٢) ط « وإعطاء نائل »

(٣) م « بن بشار النساء »

(٤) م « فانهج عشيرتك »

(٥) ديوانه ٣٥١ والصناعتين ١٢٣

(٦) الصناعتين ١٢٣

(٧) ما بين القوسين من ك

(٨) م « الصرورة »

فهذه طريقة القوم فى هذا ، وهو مذهب سائر الأمم .

وأما قول أبى تمام :

وربُّما عَدَلتْ كَفُّ الكَرِيمِ عن الـ ... قَوْمِ الحضُور ونالَتْ معشَراً غُيُبَا(١)

فليس هو من بيته الأول فى شىء ، وقد أدرك فيه الغرض ، كأنه يَعْذر من فَعلَ هذا : أى ربما اتفق أن يَفعله من غير قصد ، وليس أيضاً(٢) بمحمود.

وقد ذهب البحترى إلى نحو ما ذهب إليه أبو تمام فقال :

بَل كانَ أقرَبَهُمْ مِنْ سَيبِهِ نَسباً ... مَنْ كان أبعدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِما(٣)

إلا أنه لم يخرجهم من معروفه ، وإن كان أيضاً قد دخل تحت الإساءة .

ونحو هذا قول البحترى أيضاً :

غَدَا قِسمَةً عَدْلاً : فَفِيكمْ نَوَالُهُ ... وفى سِرِّ نَبْهانَ بنِ بنِ عمْرو مآثره

ولا عَجَبٌ أنْ تشهدُوا الطعنَ دُونَهُ ... وما عشَرتُكم فى نَدَاهُ عَشائرُه(٥)

فأى قسمة عَدْل ههنا : أن يجعل نواله(٦) فى غير قومه، ويقتصر بهم على أن يحوزوا(٧) الفخر بمآثره ؟ وإن كان قد دل بقوله «وما عَشرَتكم فى نداه عشائرهْ » على أنه لم يحرمهم نواله ألبتة .

والأحسن فى هذا قوله :

فإن تَنفرِد عنَّا قُشيرٌ بِمَجْدِهِ ... فلم تنفرِدْ عنَّا بِنائِله الجَزْلِ(٨)

(١) ديوانه ٢٢ وشرح التبريزى ١/٢٤٢ ويروى : «عن النصح المقيم ونالت حسدا غيباً»

(٢) ط «هذا» مكان «أيضاً»

(٣) ديوانه ٥٣٢ وقد نقله مع التعليق عليه صاحب الصناعتين ١٢٣

(٤) ديوانه ٨٨١/٢٥٢ المعارف «وفى سرو»

(٥) ط «وما عجب» و م «أن يشهدوا . . . فى نداء»

(٦) ط ، م «نداء»

(٧) ط «أن يحرزوا الفخر لمآثره»

(٨) ديوانه ٣٦٢ ، ١٨٠٧/٣ وفى م «لمجده»

فأعطاهم المجد والنائل جميعاً .

وشبيه بهذا أو قريب منه قوله :

عَطاؤُك ذا القُربى جَزِيلٌ وفوقَهُ عَطاؤُك فى أهل الشناعة والبعدِ[١]

فقال « عطاؤُك ذا القربى جزيل » ثم قال « وفوقه عطاؤُك فى أهل الشناعة والبعد » فقوله « وفوقَهُ » أى أَجْزَلُ منه ، وقد يكون « فوقه » بمعنى زيادة عليه [كما تقول لم يقنع بكذا وكذا حتى فعل فوقه كذا وكذا : أى زيادة عليه] [٢] والمعنى الأول بالبيت أليقُ .

والجيدُ فى هذا البعيدُ من العيب قولُه :

ظلَّ فيها البعيدُ مِثلَ القرِيبِ الـ مُجتَبى والعدُوُّ مِثلَ الصَّديق[٣]

[يريد نعمته]

ولا أعرف لأبى تمام فيما قال عذرًا يتوجَّهُ ، ولا وجدت فيما تصفحته من أشعار العرب ما يجانسه إلا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى :

لِمَن يَزُورُكَ مِن أَشرَافِنا لَطَفٌ وذِى القَرَابَةِ إدناءٌ وتَقريبُ

وأظن أبا تمام عثر به واستغربه فأخذ المعنى وزاد عليه زيادةً أخرجته إلى ذمِّ الممدوح ؛ لأن هذا الشاعر قال « لمن يزورُكَ من أشرافنا لَطَف » أى : بر ، « ولذى القرابة إدناءٌ وتقريب » ولم يقل إدناء وتقريب دون البر ، كما قال أبو تمام ؛ لأن البر واللَّطَف إذا كانا للغريب الزائر ، وكان الإدناء والتقريب فى تلك الحال لذى القرابة ــ فقد[٤] يجوز أن [يمنحه البر واللطف فى حال أخرى ووقت آخر ، ولا يوصل] البر إليه فى وقت إيصاله إلى

---

(١) ديوانه ٦١٢ « القربى علو »

(٢) الزيادة من ك

(٣) ديوانه ٤٣٧ ، ١٤٨٩/٣ والصناعتين ١٢٣

(٤) ليست فى م و ط « يجوز أن يهيجه البر إليه »

الغريب ، وهذا كله[1] يقع فى الأكثر ، فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله

ولله در أبى عُبادة الوليد بن عبيد الله البحترى إذ يقول [فى هذا المعنى][2] :

ما إن يزَالُ النَّدَى يُدْنِى إِلَيْهِ يداً   مُمْتَاحَةً مِنْ بَعيد الدّارِ والرّحِمِ[3]

وقوله :

ومَــا أَضَعْتَ الحَقَّ فى أَجْنَبِ   فَكَيْفَ تَنْسَى واجِباً فى الشَّقيقْ ؟[4]

* * *

٨ ـ ومن خطأ [أبى تمام][5] قوله :

يَدِى لِمَنْ شاءَ رَهْنٌ لم يَذُقْ جُرَعاً   من رَاحَتَيْكَ دَرَى ما الصَّابُ والعَسَلُ[6]

لفظ هذا البيت مبنىٌّ على فساد ؛ لكثرة ما فيه من الحذف ؛ لأنه[7] أراد بقوله « يدى لمن شاء رهن » أى أصافحه[8] وأبايعه معاقدة أو مراهنه إن كان لم يذق جُرَعاً من راحيتك دَرَى ما الصّابُ والعسلُ . ومثل هذا لا يسوغ ؛ لأنه حذف « إن » التى تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ؛ لأنها إذا حُذفت سقط معنى الشرط ، وحَذَف « مَنْ » وهى الاسم الذى صلته « لم يذق » فاختلّ البيت ، وأشكل معناه .

والحذفُ لعمرى كثيرٌ فى كلام العرب ، إذا[9] كان المحذوف مما تدلّ عليه جملة الكلام ، قال الله عز وجل : ﴿ أَوَ لَم يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ

---

(١) ط « وهذا إن كان يقع » وفى ك فوق كله كلمة كذا

(٢) من ك

(٣) ديوانه ٦٥٤ ، ١٩٧٤/٣ والصناعتين ١٢٣ وفى ط « فإن ذاك الندى » .

(٤) ديوانه ١٦٢

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٣٢٨ والوساطة ٧٧

(٧) م « فكأنه »

(٨) ط « أى أسابقه . . . كان من لم »

(٩) فى ك « إلا أنه إذا كان » وهو خطأ

اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[١] أراد تبارك اسمه أو لم يتفكروا فيعلموا [أنه ما خلق ذلك إلاَّ بالحق ، أولم يتفكروا فيقولوا] وأشباه هذا كثير .

ومن باب الحذف والاختصار قولُه تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعدَ إيمانِكُم﴾[٢] قال أبو عبيدة[٣] : العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد[٤] ، كأنه أراد : فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم .

وقوله عز وجل : ﴿إذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾[٥] يفسر : ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات .

وفى الشعر مثل هذا موجود ، قال الشاعر :

لَوْ قُلْتَ مَا فِى قَومِها لَم تِيثَمِ يَفْضُلُها فى حَسَبٍ ومِيسَمِ[٦]

يريد أحد يفضلها ، فحذف «أحد» لأن الكلام يدلّ عليه ، ذكر ذلك سيبويه[٧] . وأنشد [أيضاً] فى باب الحذف :

وما الدَّهْرُ إلاَّ تارَتَانِ فَمِنْهُما أَمُوتُ وأُخْرَى أبتَغِى العَيْشَ أَكْدَحُ[٨]

يريد فمنهما تارة أموت[٩] .

---

(١) سورة الروم : ٨

(٢) سورة آل عمران : ١٠٦

(٣) قال ذلك فى مجاز القرآن ١٠١

(٤) م «أراد»

(٥) سورة الإسراء: ٧٥ وقد سقط التعقيب على الآية من م والذى فى مجاز القرآن ٣٨٦ «مختصر ، كقولك : ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات، فهما عذابان : عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة»

(٦) لحكيم بن معية الربعى وانظر تخريج الميمنى له فى السمط ٢/٨٣٠

(٧) راجع سيبويه ١/٣٧٥

(٨) البيت لابن مقبل ، كما فى سيبويه ١/٣٧٦ واللسان ٣/٤٠٥ ، ٥/١٦٤ والكامل ٣/٩٠٨

(٩) ليست فى م

فإن تأول متأوِّلٌ هذا البيتَ على ألفاظٍ أُخَرَ محذوفة غير اللفظ الذى ذكرته ، فالاختلال[1] بعدُ قائم [فيه] ؛ لكثرة ما حذف منه ، وسقوط الدليل عليه .

* * *

٩ ـ ومن خطائه قولُه[2] :

شهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مغَانيكُمُ بَعدِى ومَحَّتْ كمَا مَحَّتْ وشَائعُ من بُرْدِ[3]

جعل الوشائعَ حواشىَ الأبراد[4] أو شيئاً منها ، وليس الأمر كذلك ، إنما الوشائع : غَزْلٌ من اللُّحمة ملفوف يجرُّه الناسج بين طاقات السَّدَى عند النِّساجة . قال ذو الرمة :

بهِ مَلعَبٌ من مُعْصِفَاتٍ نَسَجنَهُ كَنَسْجِ اليَمانى بُرْدَهُ بِالْوَشائع[5]

فأما قول كُثَيِّر :

دِيارٌ عَفَتْ منْ عَزَّةَ الصَّيْفَ بَعدَ ما تُجِـدُّ عَلَيْهِنَّ الْوَشيعَ الْمُنَمْنَمَا

فإنما أراد بالوشيع هنا ما سُدَّ[6] به الخصاصة بين الشيئين ، وهذه وشائع الغزل والمنمنم : مأخوذ من النَّمَّام . أى : بعدما كانت هذه الديار تُجدُّ بالوشيع ، أى : تخصص [به] خيامها[7] .

---

(١) م « فالاختلاف »

(٢) ديوانه ١٢٧ وشرح التبريزى ٢/١٠٩ والوشائع : الطرائق ، ومح : أخلق ، وشهدت : حلفت ، كأنه قال : والله لقد أقوت .

(٣) ط « البرد »

(٤) سقطت كلمة الأمر من م

(٥) ديوانه ٣٥٥ به : أى بالطلل . المعصفات : رياح شداد نسجنه : يعنى الملعب ، مررن عليه ثم عدن ، فهذا سدى وهذا الإلحام . والوشائع : لفائف الغزل ، ويقال : وشعت المرأة الغزل : إذا لفته على يديها للعمل . وفى م ، ك « محفلات نسجنه »

(٦) م « ما شد »

(٧) م « يخصص جنابها »

ومثل أبي تمام لا يسوغ [له] الغلط فى مثل هذا ؛ لأنه حَضَرى ، وإنما يتسامح فى [مثل] ذلك البدوىُّ الذى يريد الشئ ولم يُعاينه فيذكر غيره لقلة خُبْره بالأشياء التى تكون بالأمصار . فأما أبو تمام فليست هذه حاله ، بل ما جهل هذا ، ولكنه سامح نفسه فيه ، ألا ترى إلى قوله فى موضع آخر يصف قصيدته :

الْجِدُّ والْهَزْلُ فى تَوْشِيعِ لُحْمَتِها ... والنبل والسخف والأشجان والطَّرَبُ[1]

فقال فى « توشيع لحمتها » .

* * *

١٠ — ومن خطائه قولُه :

لَو كانَ فى عَاجِلٍ من آجِلٍ بدَلٌ ... لَكانَ فى وعْدِهِ من رِفْدِهِ بدَلُ[2]

ولم لا يكون[3] فى عاجل من آجل بدلٌ؟ والناسُ كلُّهم على اختيار العاجل وإيثاره وتقديمه على الآجل ، ألا ترى قولَ القائل الذى قد صار مثلاً :

والنَّفسُ مُولَعَةٌ بحبِّ العَاجِلِ[4] *

والعاجل أبدًا هو المطلوبُ والمرغوب فيه ، حتى إن قليلَه يُؤْثَر على كثير الآجل ، كما قال الآخر :

أعاذلَ ، عاجِلُ ما أشْتَهِى ... أحَبُّ مِنَ الأَكْثَرِ الرَّائِثِ[5]

كأنه يريد عاجل ما أشتهى مع القلة أحبُّ إلىّ من الأكثر المبْطئ ،

---

(١) ديوانه ٥١ وشرح التبريزى ١/٢٦٤ « توشع : من قولهم : وشعت البرد ، إذا جعلت فيه ألواناً وطرائق . يقول تصرفت فى هذه القصيدة بجد وهزل ، وفيها طرب لمن مدحت وحزن لمن ذممت .

(٢) ديوانه ٢٢٧

(٣) م « ولو لم يكن »

(٤) هو جرير ، كما فى ديوانه ٤١٥ وصدره : « إنى لآمل منك خيراً عاجلا »

(٥) قاله عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، كما فى الأغانى ٨/٩٦ ونقد الشعر ٨٥ والموشح ٢٣٣ وسر الفصاحة ٢٠٤ وهو غير منسوب فى عيون الأخبار ٢/١٨٠ والصناعتين ١٨٨

فمن شأن العاجل أبدًا أن يكون أفضلَ الأعواض والأبدال من كل آجل إذا كان فى الخير ، فعاجل الخير خير من آجله ، كما أن عاجل الشر شر من آجله ؛ لأن العاجل شىء قد وقع : إن كان خيرًا فقد حصل نفعه ، أو شرًا فقد تعجّل ضرره[١] وآجل الخير يُخْشى فَوْته ، وربما وقع الإخفاق منه ، كما أن آجل الشر يُرجى زواله ، وربما لم يقع ، فكيف لا يكون العاجلُ بدلاً أو خَلَفًا من الآجل ؟

فإن قال قائل : إن الذى أراده أبو تمام وقاله صحيح ، ومذهبه فيه مستقيم ؛ لأن العاجل لا يكون أبدًا بدلاً ولا خلَفاً من الآجل : لأن البدَل لا يكون قبل المبدول منه[٢] ، ولا الخلفَ يتقدم[٣] ما هو خلف له ؛ لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خَلْفَ الذى هو قُدَّامه ؛ فأبو تمام إنما أنكر أن يكون العاجلُ بدلاً أو خلفاً من الآجل على هذه السبيل .

قيل : هذا غلط من التأويل أو مغالطة : لأنه ليس على هذا الوجه مَنَع أبوتمام من أن يكون العاجلُ بدلاً من الاجل ؛ فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب ، وإنما أراد أنه لا يقوم مقامه فى الحاجة إليه ، فكيف [لا] يكون الأول يقوم مقام الثانى والمقدّم[٤] مقام المتأخر ؟ وكان وَجْه الكلام الذى يصحّ به المعنى ويستقيم أن يقول : لو كان فى عاجِلِ قولٍ[٥] بدلٌ من آجل فعل ، لكان فى وعده من رِفْدهِ بَدَل .

فإن قال : فهذا الذى أراده أبو تمام .

(١) ط « شره »
(٢) ط « البدل . المبدل »
(٣) ط « على ما »
(٤) ط « والمتقدم »
(٥) م « قوله »

قيل : ليس الأمر كذلك ؛ لأن طريقة لفظه فى البيت أن يكون معناه لو كان فى شىء عاجل من شىء آجل بدل

وبعد ؛ فلو أراد ما ظننتَه وذهبتَ إليه – وذاك ليس بمعلوم ، ولا فى البيت عليه دليل – لم يُلتفَت إلى إرادته ؛ لأنك إذا فككت[١] الإضافة من عاجل قول أو آجل فعل ففرقت[٢] بين المضاف والمضاف إليه ، لم يدلّ أحدهما على الآخر ؛ لأن لفظة «عاجل» لا تدلّ غيرَ مضافةٍ على ما تدلّ عليه لفظة «عاجل قولٍ» كما أن لفظة «آجل» لا تدل على «آجلِ فعلٍ» ولا يدلان أيضاً على شىء معين[٣].

كما أن قولك : زيد أولُ ناطق وآخِرُ ساكتٍ ، وعمرو أولُ خارجٍ [وآخر][٤] قادمٍ ، وبكر أولُ آخذ[٥] وآخر تارك ؛ إذا أفردت «أول» و «آخر» لم يدلا [مفردين] على شىء مما أضيف إليه . ألا ترى أن الأصمعى أنكر على ذى الرُّمة قولَه يصف الوتر :

* كأنه فى نِياطِ القوْسِ حُلْقُومُ *

فقال حُلْقُوم ماذا ؟ إذ كان يجب أن يقول : حلقوم طائر ، أو حلقوم قطاة[٥] ونحوهما مما يشبه الوتَر فى الدقة ، وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل ، أو حلقوم بعير . وهذا من الأصمعى إنكار صحيح ، وإن كان لا يلزم

---

(١) ط «فصلت»

(٢) ط «شىء مضمر»

(٣) الزيادة من ط

(٤) م «آخر . . . تارك»

(٥) ط «أو غيرهما . . . الرقة»

ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام ؛ لأن العرب لا تُشَبه الوتر إلا بحلقوم طائر[١] ،
وذلك قول الراجز [لأمٍ كحلقومِ الحُبَارِى
وقال الآخر :][٢]

* لأمٍ مُمَرٍّ مثل حلقومِ النُّغَرْ ؟[٣] *

أخذه أبو نواس [٤] فقال :

* [لأم كحلقوم النُّغر *

وقال الراجز] :

* لَأْم كَحُلْقومِ الْقطاةِ يُعَرَّفُ *

فأبو تمام [إنما] أراد أن هذا الممدوح يقوم وَعْدُه بصحته[٥] مَقام عطيته ، وأَحَبَّ الإغراب[٦] على رَسْمه فأخطأ فى تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل ؛ لأنه أطلق القولَ عموماً ؛ فلا يدل على الخصوص .

والجيد النادر فى هذا قول البحترى :

لو قليلٌ كفى امْرَأً مِن كثيرٍ ... لاكْتفينا بِقوْلِهِ مِن فِعالِهْ[٧]

وأحسَن الراعى فى قوله :

ضافِى العَطيَّةِ : رَاجِيه وسائلُهُ ... سِيَّانِ ، أفلحَ مَنْ يُعْطِى ومن يَعِدُ

١١ – ومن خطأ أبى تمام قوله :

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فى عَرْضِ مِثْلِهِ ... وَوَجْدِىَ مِنْ هٰذَا وهٰذاكَ أطْوَلُ[٨]

(١) ط « الطائر »
(٢) الزيادة من ك
(٣) ط « حلقوم الوتر » وهو خطأ . والنغر : طائر يشبه العصفور
(٤) ط « أبو تمام »
(٥) ط « يقيم وعده لصحته »
(٦) ط « الإغراق » .
(٧) ديوانه ٥٧٢ ، ٣ / ١٨٤٥
(٨) ديوانه ٢٤٤ والصناعتين ١٢٧

فجعَلَ للدهر – وهو الزمان – عَرضاً ، وذلك مَحْض المحال ، وعلى أنه ما كانت [به] إليه حاجة ؛ لأنه قد استوفى[١] [المعنى بقوله «كطول الدهر» فأتى على الغَرَض فى المبالغة][٢] .

فإن قيل : فلم لا يكون سَعَةً ومجازًا [فى الكلام][٣] ؟

قيل : هذه[٤] الألفاظ صيغتها صيغة الحقائق ، وهى بعيدة من المجاز : لأن المجاز فى هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لا يُتَجاوز فى النطق[٥] بها إلى ما سواها ، وهى قول الناس : عِشْنا فى خَفْض ودَعَة زمناً طويلاً عريضاً ، وما زلنا فى رَخاء ونعمة الدهْرَ الطويلَ العريض . [فإنما أراد تمامه[٦] وكماله واتساعه لهم بما أحبوه ؛ لأنهم إذا وَصَفُوا بالطول والعرض ماله طول وعرض على الحقيقة ، فإنما يريدون] تمامه وكماله وسَعَته ، نحو قولهم : ثوبٌ طويل عريض ، أى تامّ واسع ، وأرض طويلة عريضة ، أى تامة فى الطول والسَّعة ، وكذلك إذا وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة فإنما يريدون التمام والكمال ، ألا ترى إلى قول [الشاعر وهو] الراعى :

أَنْتَ ٱبْنُ فَرْعَىْ قُرَيْشٍ لَوْ تُقَايِسُها فى المَجْدِ صَارَ إِلَيْكَ العَرْضُ والطُّول[٦]

[فاستعار للمجد ههنا الطول والعرض ؛ لأنه أراد : صار إليك المجد بتمامه وكماله .

(١) م «استوفى بالمبالغة»

(٢) الزيادة من ط

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط «هذه ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة» . وك «هذه ألفاظ صيغتها صيغة الحقيقة»

(٥) ط «فى النظر»

(٦) فى ط ، م : بقوله «إتمامه»

(٧) الصناعتين ١٢٧ لكثير وفى ط «لوتقاسمها»

وكذلك قول كثير :

بِطَاحِيٌّ له نسبٌ مُصَفًّى   وأخلاقٌ لها عرضٌ وطولُ] [١]

أى : لها سَعَة وتمام وكمال[٢] ، فى الفضائل والمحاسن .

وكذلك قوله :

إذا ابْتَدَرَ النَّاسُ المَكارِمَ بَزَّهُمْ   عَرَاضَةُ أَخْلاَقِ ٱبْنِ لَيْلَى وطُولُها[٣]

أى بَزَّهم سعة[٤] أخلاقهِ وتمامُها وكمالُها فى الفضل : لأن الأخلاق تمدح بالسَّعة وتذم بالضيق ، إلاَّ أن الأكثر فيما يأتى من كلامهم[٥] العرض ، إنما يراد به[٦] السَّعة إذا جاء مفردًا عن الطول ، نحو قولهم : فلان فى نِعْمَة عريضة ، وله جاهٌ عريض ، وكما قال الله عز وجل : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ﴾[٧] أى سَعَتها ، وكما قال الله عزوجل فى موضع آخر : ﴿وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[٨] ، وكما قال تميم ابن أبىّ بن مُقبل :

يَقْطَعْنَ عَرْضَ الأَرْضِ غَيْرَ لَوَاغِبٍ   وكأَنَّ بَحْرَيْها لَهُنَّ صَحَارِ[٩]

أى : يقطعْن سَعة الأرض ، وكما قال الآخر :

سأَجْعلُ عَرْضَ الأَرضِ بَيْني وبينكم   وأجعَلُ بيْتى فى غَنِىٍّ وأَعْصُرِ[١٠]

(١) ديوانه ٢/ ١٦٨ والصناعتين ١٢٧ وفى اللسان ٢٣٧/٣ « وقريش البطاح : الذين ينزلون أباطح مكة ، وقريش الظواهر : الذين ينزلون ما حول مكة »

(٢) ط « وكمال والفضائل المحاسن » وهو تحريف

(٣) فى اللسان ٢٦/٩ « وقد عرض يعرض عرضاً مثل صغر صغرا ، وعراضة بالفتح ، قال جرير : إذا ابتدر . . . وطولها » ولكن البيت لا يوجد فى ديوان جرير

(٤) ط « بزهم منه أخلاقه »

(٥) ط ، م « إلا أن أكثر ما يأتى فى كلامهم »

(٦) ط « العرض المراد به »

(٧) سورة آل : عمران ١٣٣

(٨) سورة فصلت : ٥١ .

(٩) م « وكأن بحرنها » والبحران : جمع بحر ، وهو الريف يريد أنهن يأخذ سبيلهن قدماً لا يعجن بشىء كأن الريف أمامهن صحراء قاحلة . والبيت فى ديوانه ١٢٢ .

(١٠) ط « وبينهم » وغنى وأعصر : قبيلتان .

وكما قال العجاج :

إذا تَغَشَّوْا بعدَ أرضٍ أرضَا   حَسِبْتَهم زادوا عليها عرضا[١]

أى سعة وكثرة ، وكما قال تميم أيضاً :

حتَّى إذا الرِّيحُ خَبَّتْ بِالسَّفَا خَبَباً   عَرْضَ البِلاَدِ أَشَتَّ الأمْرُ وَاخْتَلَفَا[٢]

أى : سعة البلاد ؛ فهذا إذا جرى على هذا اللفظ المستعمل[٣] حَسُن ولم يقبح ، وإذا عدلت[٤] به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ المألوفة إلى ما يشبه الحقائق أو يقاربها كنت مخطئاً ؛ لأنك إذا قلت : مضى لنا فى الخَفْض والدَّعَة دهر طويل وكان[٥] طوله كعرضه — لم يجز ذلك ؛ لأن هذا [على هذا] الترتيب كأنه[٦] وصف للأشياء المجسَّمة ، كما قال الطائى :

* بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فى عَرْضِ مِثْلِهِ *

فكانَ بهذا[٧] اللفظ كأنه يذرع ثوباً ، أو يمسح أرضاً ، أو يصف بالاجتماع والتدوير[٨] رجلاً ؛ كما قال تميم بن أبىّ بن مُقْبل :

وكُلُّ يَمَانٍ طُولُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ   فَلَيْسَ لهُ وصْلٌ ولا طَرَفَانِ[٩]

فإن قيل : فإذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز ، فلِمَ[١٠]

---

(١) تمشوا يقال : عشا الإبل وعشاها : أرعاها ليلا . وهذا شبيه بقول الشاعر : « بات يعشيها بعضب باتر » أى أقام لها السيف مقام العشاء . والعجاج يريد أنهم إذا قطعوا أرضاً بعد أرض ، ويؤيد ذلك الرواية ديوانه ٣٥ . « وإن علوا » وفى ط « تغشوا »

(٢) م « حنت بالسفا جنباً » وخبت : أسرعت . والسفا : التراب . وأشت الأمر وشت : أى تفرق . وفى منتهى الطلب ورقة ٤٠ « هاجت » والبيت فى ديوانه ١٨٠

« حتى إذا الريح هاجت بالسفا خبتا »

(٣) م « المستقبل »

(٤) ط « عدل »

(٥) ط « كأن »

(٦) ط « كان وصفاً لأشياء مجسمة »

(٧) ط « هذا »

(٨) ط « والتزوير » ! وهو تحريف عجيب

(٩) ط « له أصل »

(١٠) ط « لم »

لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز ؟

قيل[1] : العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة ، والزمان لا عرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقة مجازًا ؟

فإن قيل : إن الزمان لا يُوصَفُ بالسعة [أبدًا] ، كما لا يوصف بالعرض ؛ فلم استعرت له العرض الذى هو السعة ؟

قيل : العرض – وإن جاء وصفاً وحِلْية للزمان فى قولهم : عاش فلان فى نعمة زمناً طويلاً عريضاً – فإنما صلح لأنك وصَلته بالطول ، وقَرَنته به ، فكأن المعنى عاش فى زمن تمّ له وكمل واتسع بما أحبه ، كما أخبرتك ، والزمان قد يوصف بالسعة فيقال : قد اتَّسع لك الوقت والزمان فى فعل[2] كذا ، ولا يقال عَرَض لك [فى الوقت سعة] ، [ولا يقال عَرُض][3] والعرض ههنا هو السعة ، ولكن جرى[4] هذا على حسب ما استعملوه ، وإنما [يراد] فى الوقت فسْحة لك وامتداد ، يراد به معنى الطول . وقال ضِرارُ ابن الخطاب :

[ولولا هاجر وبنو قتال]   وَمَا لاَقَيْتُ فى الزَّمَنِ العَرِيضِ[5]

فذكر العرض مفردًا من الطول : أى الزمن الذى اتّسع له .

وقد يجوز – إن قلت : عاش فى الخير دهرًا عريضاً – أن تُريد بالعرض سعةَ الخير فيه ، لا سعته[6] فى نفسه ، كما قالوا : « ليل نائم » أى يُنام

(١) ط « قيل له »

(٢) ط « فى مثل »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « أجرى . . . ما استعملوه »

(٥) م « والزمن »

(٦) م « لا سعته فى سعته فى نفسه »

فيه ، و « لَمْحٌ باصر » أى يُبْصَرُ به[١] . وإنما تُستعار اللفظة لغير ما هى له ، إذا آحْتَمَلت معنى يصلح لذلك الشىء الذى استعيرت له ويليق به ؛ لأن الكلام إنما هو مبنىٌّ على الفائدة فى حقيقته ومجازه ، وإذا لم تتعلق اللفظة [المستعارة بفائدة فى النطق فلا وجه لاستعارتها . ولو كان الزمان يوصف] بالعرض على الحقيقة – وهذا[٢] محال – لَمَا كان [له] فى بيت أبى تمام معنى ؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ فى طول وَجْده ؛ إذ كان[٣] الوجد [إنما] يوصف بالطول ، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما ، فيقال : طال وَجْدِى ، وطال شَوْقى ، وطال غرامى . وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول ؛ فيقال : طال ليلى ، وطال نهارى . فما كانت حاجته[٤] إلى العرض ؛ و [هو] إنما فضل وَجْدَه على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر ، من جهة الطول لا من جهة العرض ، ألا تراه قال :

* وَوَجْدِىَ مِنْ هٰذا وهٰذاكَ أَطْوَلُ *

وقد ذكر أبوتمام العرض فى بيت آخر فقال :

إنَّ الثَّنَاءَ يَسِيرُ عَرْضاً فِى الوَرَى وَمَحَلُّهُ فى الطُّولِ فَوْقَ الأَنْجُمِ[٥]

وكيف يعقل[٦] سَيْر الثناء عَرْضاً فى الورى ، وهو لم يحدّد موضعاً بعينه فيحسن ذكر الطول والعرض فيه ؟ ! فيكون كما قال الراعى :

وجَرَى على حدب الصُّوَى فَطَرَدْتُهُ طَرْدَ ٱلْوَسِيقَةِ فى السَّمَاوَةِ طُولاً[٧]

---

(١) ط ، ك « فيه »

(٢) م « فهذا »

(٣) ط « إذ كل »

(٤) ط « حاجة »

(٥) ديوانه ٣١٤

(٦) ط « كيف جعل »

(٧) ط « على حرب » وفى اللسان ١٢ / ٢٦٠ « الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الشلال ، –

فحسن أن يقول[١] « طولاً » لأنه ذكر السماوة .

وكما قال النابغة — ويقال : إنه محمول عليه — :

جُنِبْنَ مَع الغُطَاطِ يُقَدْنَ حَتَّى قَطَعْنَ الحَزْنَ عَرْضاً والرِّمالا[٢]

فصلح لأنه ذكر أنهن قَطَعن عرْض[٣] الحَزْن والرمال .

ومثل قول أبي تمام قول المَرَّار :

فَلَوْ كانَتْ تَجُوبُ الأَرْضَ عَرْضاً ولكِنْ جَوْبُهُنَّ الأَرْضَ طُولاَ

وله ولبيت أبي تمام معنى غامض يصحان به ، وأنا أذكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر أبي تمام .

ومما يشبه قولَ أبي تمام :

* بيوم كطول الدهر[٤] فى عرض مثله *

أو يقاربه — قولُ الكُمَيْتِ يصف عَدَدَ[٥] قوم بالكثرة :

كاللَّيْل ، لا ، بَلْ يَضْعَفُو نَ عَلَيْه مِنْ بَادٍ وحاضِرْ

وكيف يتحصّل مقدار الليل حتى يتحصل ضِعْفُه ؟ وهذا[٦] يصحُّ على السَّبْر[٧] والتفتيش ، إذا حصل معناه ، وذلك لأن[٨] الليل لا يغشى الأرض كلها بظلمته ، وإنما يغشى بعضها . فلعل الكميت أراد أنهم يأخذون من

=وسميت وسيقة لأن طاردها يجمعها ولا يدعها تنتشر عليه فيلحقها الطالب فيردها ، والوسيقة من الإبل ونحوها ما غصبت » والسماوة : بادية مشهورة . وفى ك : « مسير »

(١) م « أن يقال »

(٢) الغطاط : الصباح وفى م « حين مع »

(٣) ط « أرض الحزن »

(٤) م « كطول الأرض »

(٥) ط « عدة »

(٦) ط وك « وهذا أيضاً »

(٧) فى م ، ط : « التمييز »

(٨) ط « أن »

الأرض ضعف ما أخذه الليل منها إذا غشيها على سبيل المبالغة ، كما قال الأحمر بن شجاع[1] الكلبي :

بِجَأْوَاءَ تُغْشِي النَّاظِرِين كأنَّها
دُجَى اللَّيْلِ ، بل هِي مِنْ دُجَى اللَّيْلِ أَكْثَرُ[2]

* * *

١٢ ـ وقال أبو تمام :

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ[3]

وهذا أيضاً غلط ؛ من أجل أن كل بلد يضيق بـأهله ، وليس ضيقته[4] من جهة ضيق الأرض ؛ لأن الأرض لو كانت [واسعة] عشرَة أضعافها فى المقدار أو ألفَ ضعفٍ مثلَها ، لما كان ذلك بموجبٍ أن يكونَ الحَزْنُ أو الصَّمان [أو الغول] أو نجد أو مكة أو المدينة أو الكوفة أو البصرة ، فى قدر مساحة كل ناحية منها [أو] أوسع وأزيد مما هى عليه الآن ، إذ لم يختطّ[5] البصرةَ والكوفةَ مَن اختطهما ولا أَسَّس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض وضيقتها[6] ، ولا صار قدرُ الحَزن والصَّمان هذا القدرَ فى ذَرْعِهما ومساحتها

---

(١) ط « سجاع »

(٢) ذكره الآمدى ضمن أبيات فى المؤتلف والمختلف ٣٥ و فى ط « بجاراً تخشى » والجأواء : الخيل والإبل الحمراء التى تضرب حمرتها إلى السواد . والكتيبة الجأواء : التى يعلوها لون السواد لكثرة الدروع

(٣) ديوانه ٩٧ وفى شرح التبريزى ٢ / ١٢ : « يقع فى النسخ عن أهله . قال المرزوقى : الرواية : عن أهلها ، والضمير يرجع إلى الأرض . والمعنى : لو اتسعت الأرض اتساع صدره لكان كل من فيها الساعة حينئذ يسعهم بلد ويحتملهم ولا يضيق عنهم » . وانظر الصناعتين ١٢٤ والوساطة ٧٥ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠

(٤) ط وك « ضيقه »

(٥) م « لم تحط . . . من احطتهما »

(٦) ط « وضيقها »

على قدر مساحة الأرض وذرعهما بقسط أخذاه منها ، وإنما ذلك على[1] حسب [الاتفاق فى كل بقعة وعلى حسب][1] ما أدّى إليه الاجتهاد والاختيار ممن أسّس كل بلدة ، ومَصَّرَ كل مصر .

وكان ينبغى له[2] أن يقول : ورُحْبَ صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعْها الفلك أو لضاقت عنها السماء ، أو أن يقول : لوْ أن سَعَة كل بلد [أو مصر] كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد . وكان حينئذ يكون المعنى مستقيماً .

والجيد الصحيح فى هذا المعنى [3] قولُ البحترى :

مَفَازَةُ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكن لِيَسْلُكَها إلا سُلَيْكُ الْمقَانِبِ[4]

أى : لم يكن[5] ليسلكه إلا بدليل لسَعته ، وأيضاً فإن الجزء من الأرض هو ما يكون فيه[6] الحيوان والنبات ، وإنما مقداره [على ما يقوله أهل الهندسة] الربع من الأرض وأقل من الربع ، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءًا من ألف جزء من ذلك . فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة إنما هو من أجل ضيق الأرض ؟

فإنْ قيل : [فإنما أراد بقوله : «لو أن الأرض واسعة »[7] أى لو أن البلدان واسعة . قيل] : لايدل قوله « الأرض » وهو لفظُ عمومٍ على البلدان التى هى

(١و١) ط « على حسب الأخلاق فى كل سعة وعلى حسب ما أدى » وما بين القوسين من ك .

(٢) من ك

(٣) م « هذا قول »

(٤) ديوانه ٧١٩ « ولم تكن ليسلكها » وسليك المقانب : هو سليك بن السلكة المترجم فى الشعر والشعراء ١ / ٣٢٤ والأغانى ١٨/ ١٣٣ وكان أدل الناس بالأرض . وفى الصناعتين ١٢٤ « على أن قوله : مفازة صدر استعارة بعيدة » . وفى ط ، م « ليسلكه فردا »

(٥) م « لم يسلكه »

(٦) ط « فيه من »

(٧) من ك

مخصوصة ، ولا يكون الغلط.[١] إلاَّ هكذا : أن يريد القائل لفظة تدل على معنى . فيأتى بأُخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة .

* * *

١٣ – ومن خطائه [٢] قولُه :

وَكُلَّمَا أَمْسَتِ الأَخْطَارُ بَيْنَهُمُ ... هَلْكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَمْسَى لَهُ خَطَرُ[٣]

لَوْ لَمْ تُصَادِفْ شِيَاتُ الْبَهْمِ أَكْثَرَ مَا ... فى الخَيْلِ لَمْ تُحمَدِ الأَوضَاحُ والْغُرَرُ[٤]

فالأَوضاح : هى البياض فى الأَطراف ، وقد يكون أيضاً فى البَهْم ، وكذلك[٥] أيضاً الغُرَر قد توجد فى الْبَهْم كثيرة ، وهذا فساد فى ترتيب البيت ؛ لأنه ليس إذا وُجدت شيات الْبَهْم – [وهى صغار الغنم – أكثر ما فى الخيل ، أَو وجدت شِياتُ أَكْثَرَ ما فى البَهْم][٦] ، كان ذلك موجباً لحمد الأَوضاح والغرر . [وإنما كان يصحُّ نظمُ الكلام لو لم توجد الأَوضاح والغُرَر فى الْبهم][٧] ، حتى تكون مخصوصة بالخيل ؛ فيقول : لو لم تعدم الأَوضاح والغرر[٨] فى البهم لما حمدت فى الخيل ، فأَما أن توجد شِيات البهم فى الخيل كثيرًا أَو شيات الخيل فى البهم دائماً ، فليس هذا

(١) ط « يكون اللفظ إلا » وهو تحريف

(٢) م و ك « ومن غلطه »

(٣) ديوانه ١٠٥ وفى شرح التبريزى ٢ / ١٨٧ « يقول : كلما أذل اللئام فصغر قدرهم وقل خطرهم ، ازداد من له خطر جلالة ، كما أن الشىء لا يعرف إلا بضده »

(٤) الشيات : جمع شية ، وهى كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره . والبهم بالضم : جمع بهيم . أى لو لم يكن أكثر الخيل بهما على لون واحد لم تحمد الغر المحجلة ، وكذلك إنما حمد الفضلاء لأن أكثر الناس جهال »

(٥) م « وذلك »

(٦) ما بين كلمتى « البهم » ساقط من ك

(٧) الزيادة من ط

(٨) م « ذو الفرر »

بموجب حَمْدَ الأَوضاح والغرر فى الخيل ؛ لأَن الغرر والأَوضاح [أَيضاً] موجودة فى الغنم . وقال مخارق بن شهاب[1] [المازنى يصف المِعْزَى وَتيس الغنم] :

وَرَاحَتْ أُصَيْلالاً كأَنَّ ضُرُوعَهَا دِلاءٌ ، وفيهَا وَاتِدُ الْقَرْنِ لَبْلَبُ[2]

لَهُ رَعَثَــاتٌ كالشُّنُوفِ وَغُرَّةٌ شَدِيخٌ وَلَوْنٌ كالْوَذِيلَةِ مُذْهَبُ[3]

فذكر أن له غُرَّة .

وقال آخر فى وصف عنز [سوداء] :

سَوْدَاءُ إلاَّ وضحاً فى الشَّوَى كأَنَما الجَوْزاءُ فى الأَكْرُعِ[4]

فذكر بياض أكرعها ، وذلك موضع التحجيل . بلى[5] لو قال : «لو لم تَقِلّ[6] الأَوضاحُ والغرَر فى الْبهم لما حُمدت فى الخيل» لكان أقربَ إلى الصواب ؛ لأَنى أظنها فى البهم أقلّ ، وفى الخيل أكثر . وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك .

* * *

(١) ط «طارق بن شهاب» وهو تحريف

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٢/٧٧ والحيوان ٥/ ٤٨٩ والأول له فى اللسان ٢/٢٣٠ وفيهم «أصيلاناً» ومعناهما واحد وأصيلال : تصغير أصلان وهو جمع أصيل . وواتد : منتصب . وأراد باللبلب : شفقة التيس على المعزى التى أرسل فيها ، فهو ذو لبلبة عليها أى ذو شفقة

(٣) فى اللسان ٢/٤٥٧ «ورعثتا الشاة : زنمتاها تحت الأذنين ، ورعثت العنز : ابيضت أطراف زنمتها . والشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الأعلى . وفى اللسان ٣/٥٠٦ «يقال لغرة الفرس إذا كانت مستديرة : وتيرة ، فإذا سالت وطالت فهى شادخة ، وقد شدخت شدوخاً : اتسعت فى الوجه» والوذيلة كما فى اللسان ١٤/٢٤٩ المرآة ، طائية . والسبيكة من الفضة المجلوة»

(٤) الوضح : البياض . والشوى : الأطراف . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق العارى من اللحم . وفى م «الحوراء»

(٥) م ، ط : «بل»

(٦) م «بلى لو لم يقل»

١٤ – ومن خطإ المديح قوله :

سَأَحْمَدُ نَصْرًا مَا حَيِيتُ ، وإِنَّنِى لَأَعْلَمُ أَنْ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الحَمْدِ[1]

لأنه[2] رفع الممدوح عن الحمد الذى نَدَب الله عباده [إليه] بأن[3] يذكروه به ، وينسبوه إليه ، وافتتح فُرْقَانَهُ فى أول سورة[4] بذكره ، وحَثَّ عليه . وللعرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها وأشعارها ، ما فيهم مَنْ رَفَعَ أحدًا عن أن يحمد ولا من استقلَّ الحمدَ للممدوح ، قال زُهَير بن أبى سُلْمَى :

مُتَصَرِّفٍ للحمد مُعْـتَرِفٍ للرُّزْءِ نَهَّاضٍ إلى الذِّكْرِ[5]

[فقوله : متصرف للحمد] أى : حيثما رأى خلة تكسبه الحمد الْتَمَسها وطلبها .

وقال زهير أيضاً[6] :

أليس بِفَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ثِمَالِ الْيَتَامَى فى السِّنِينَ مُحَمَّدِ[7]

فقوله « محمد » أى : يُحمد كثيرًا .

وقال الأعشى :

وَلٰكِنْ عَلَى الْحَمْـدِ إِنْفَاقُهُ وَقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى الثَّمَنْ[8]

---

(١) ديوانه ١١٦ وشرح التبريزى ٦٦/٢ والصناعتين ١٢٤ .

(٢) ط « فإنه »

(٣) م « أن يذكرون »

(٤) ك « أوائل سورة »

(٥) ديوانه ٩٣ والصناعتين ١٢٤ متصرف : يتصرف فى كل باب خير حيثما رأى حمداً انصرف إليه . معترف صابر إذا نزلت به نازلة صبر لها

(٦) ليست فى ك

(٧) ديوانه والصناعتين ١٢٤ ثمال اليتامى : أى يطعمهم فى السنين الشداد . والغمامة : السحابة .

(٨) ديوانه ٢١ والصناعتين ١٢٥

[وقال أيضاً :

يَشترِى الحمدَ بأَغلَى بَيعةٍ واشْتراءُ الحمدِ أَدْنَى المرْبَحْ[١]]

وقال أيضاً :

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كانَ كَلالُهَا إلى المَاجِدِ الْفَرْعِ الجَوَادِ المحمدِ[٢]

فوصفه بأَن جعله محمدًا ، أى يُحْمد كثيرًا .

وقال آخر [وهو الحطيئة] :

* وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ المَحَامِدِ يُحمَدِ[٣] *

فهذه هى الطريقة المعهودة[٤] المعروفة فى كلام العرب .

ولو قال الطائى : « لو جلَّ أَحد عن المدح لجللتَ عنه » كان أَعذر ؛ كما قال البحترى :

لَوْ جَلَّ خَلْقٌ قَطُّ عَنْ أُكْرُومَــةٍ تُثْنَى جَلَلْتَ عَنِ النَّدَى وَالْبَاس[٥]

أى : كنتَ تَجلُّ لعلوّ شأْنك عن أن يقال : سخىّ ، أو شجاع ؛ إذ كان هذان الوصفان قد يُوصَف بهما من هو دونك .

وقال البحترى أيضاً :

وَالحَمْدُ أَنْفَسُ مَا تَعَوَّضَهُ امْرُؤٌ رُزِئَ التِّلادَ إِنِ المَرَزَّأُ عُوِّضَا[٦]

فأَما قول البحترى :

كَيْفَ نُثْنِى عَلَى ابْنِ يُوسُفَ ؟ لاَ كَيفَ سَرَى مَجْدُهُ فَفَاتَ الثَّناءَ[٧] !

---

(١) الربح : النماء فى التجارة

(٢) ديوانه ١٣٢

(٣) ديوانه ٢٤ والصناعتين ١٢٥ وصدره : « تزور امرءاً يؤتى على الحمد ماله » وفى م « أثمان المكارم »

(٤) من ك

(٥) ديوانه ٣٨٦ والصناعتين ١٢٥ وفى م، ط « تبنى »

(٦) ديوانه ٢٩١

(٧) ديوانه ٧١٣ وفى م « شرى » وط « فعاب الثناء » ! وهو تحريف

ففوته[1] الثناء إنما معناه عظم أن يدركه ويبلغ حده ، ألا تراه قال : « كيف نثني على ابن يوسف لا كيف » أي : لا طريق إلى كيفية[2] الثناء التي يستحقها وتليق به ، ثم قال : « سرى[3] مجده ففات الثناء » قطعاً من الكلام الأول .

١٥ — ومن خطائه قولُه :

ظَعَنُوا فَكانَ بُكاىَ حَوْلاً بَعْدَهُمْ ثُمَّ ٱرْعَوَيْتُ ، وذَاكَ حُكْمُ لَبِيدِ[4]
أَجْدِرْ بِجِمْرَةِ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُها بِالدَّمْعِ أَنْ تَزْدادَ طُولَ وَقُودِ[5]

وهذا خلاف ما عليه العرب ، وضدُّ ما يعرف من معانيها ؛ لأن المعلوم من شأن الدمع أن يطفئ الغليل ، ويُبْرِد حرارة الحزن ، ويزيل شدة الوجد ، ويُعْقِب الراحةَ ، وهو في أشعارهم كثير موجود يُنْحى به هذا النحو من المعنى ؛ فمن ذلك قول امرئ القيس :

وَإِنَّ شِفائى عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ منْ مُعَوَّلِ[6]

وقول ذى الرمة :

لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ[7]

---

(١) ط « فعيبه »

(٢) ط « حيث الثناء الذى يستحقه ويليق »

(٣) م ، ك « شرى » وط « فعاب الثناء »

(٤) ديوانه ٨٢ وشرح التبريزى ١/ ٣٩٢ والصناعتين ١٢٥ وفى م « حولا كاملا » وهو يريد قول لبيد المشهور :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٥) فى شرح التبريزى « أى : جمرة تطفأ بالدمع حقيق بأن تزداد التهاباً وتوقداً . يعنى أن البكاء لا ينفع ، بل التعزى وعزيمة المجلود تغنى عن ذلك »

(٦) شرح القصائد العشر ٨ والصناعتين ١٢٦ وتشنيف السمع بانسكاب الدمع ٢٤

(٧) ديوانه ٤٩٢ والصناعتين ١٢٦

وقول الفرزدق :

فَقُلْتُ لَهَا إنَّ البُكاءَ لَراحةٌ ... بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَنْ لا تَلاقِيا[١]

وهو كثير فى أشعارهم ، ما عَدَل به أحد منهم عن هذا المعنى[٢] ، وكذلك المتأخرون على هذه السبيلِ[٣] سلكوا ، وأبو تمام من بينهم قد ذكر هذا المعنى ، وكرره فى شعره متبعاً لمذاهب الناس ؛ فمن ذلك قولُه :

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لم تُنْظَم ... والدَّمْعُ يَحمِلُ بَعْضَ ثقل المُغْرَمِ[٤]

وقال فى موضع آخر :

واقِعاً بالخُـدودِ والبَرْدُ مِنْهُ ... واقِعٌ بالْقُلُوبِ والأَكْبادِ[٥]

[وقال أيضاً :

فافزعْ إلى ذُخْرِ الشُّؤونِ وغربِها[٦] ... فالدمعُ يُذهبُ بعضَ جهْدِ الجاهد]

وقال :

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بِمَائِهـا ... والدَّمْعُ مِنْهُ خاذِلٌ ومُواسِى[٧]

وقال أيضاً :

فَلَعَلَّ عَبْرَةَ ساعةٍ أَذْرَيْتَهَا ... تَشْفِيكَ مِنْ إرْبابِ وجْدٍ مُحْوِلِ[٨]

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرَت العادة به فى وصف الدمع ،

---

(١) ديوانه ٨٩٥ والصناعتين ١٢٦

(٢) فى ك « الموضع »

(٣) ط ، ك « المتأخرون هذا السبيل سلكوا . . . بينهم ركب »

(٤) الصناعتين ١٢٥ وفى ديوانه ٣١٢ « بعض شجو »

(٥) الصناعتين ١٢٥ وفى الديوان وشرحه « والحرمنه » وهما روايتان . يعنى أن الدمع يسيل على الخدود وبرده فى القلب والكبد لأنه ينقع الغلة ويشفى الحرقة

(٦) ك « وعزبه »

(٧) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢/٢٤٢ « أن تعين بمائها » وهما روايتان . وفى م « والدمع منها »

(٨) ديوانه ٢٣٣

لكان المذهبَ [الصحيح] المستقيم ، ولكنه استعمل[1] الإغراب فخرج إلى ما لا يُعْرَف فى كلام العرب ، ولا مذاهب سائر الأُمم .

وقد تبعه على هذا الخطأ البحترىُّ ، فقال :

فَعلامَ فَيْضُ مَدامعٍ تَدِقُ الجَوَى وعَذابُ قَلْبٍ فى الحِسانِ مُعَذَّبِ[2]

قوله : « تَدِقُ[3] الجوى » من قولهم : « لم يَدِقِ الأَرضَ منه شىء » أى : لم يصل ، وفى شعر امرئ القيس فى قافية[4] : * مَوْدِقِ * أى[5] : أثَرِى ، وأصله من الدنو فكأَن قوله[6] : « تدق الجوى » أى : تُدْنِى[7] الجوى ، يقال : أتان وديق ، أى : تدنو من الفحل ، ومنه الوَدِيقة الهاجرة ؛ لدنو الحر ، وقيل لقَطر المطر : وَدْقٌ لانحلالِه[8] من السحاب ، ودُنُوِّه من الأَرض.

* * *

١٦ – ومن خطائه قولُه :

رَضِيتُ وَهلْ أَرْضَى إذا كان مُسْخِطِى

مِنَ الأَمْرِ ما فِيهِ رضَى مَنْ لَهُ الأَمْرُ[9]

فمعنى [هل فى] هذا البيت التقرير ، والتقرير على ضربين : تقرير للمخاطب على فعل قد مَضَى ووَقَع ، أو على فعل هو فى الحال ليوجب المقرر

---

(١) ط « أحب »

(٢) ديوانه ١٢٢ والصناعتين ١٢٦

(٣) م « بذق . . . قولهم : ما بدق » .

(٤) ط « ما فيه » ، م : « فيما فيه » والآمدى يشير إلى قول امرئ القيس ١١٥ :

دخلت على بيضاء جم عظامها تعفى بذيل الدرع إذا جئت مودق

(٥) ط « أى على »

(٦) ط ، م : « فكأنه قال »

(٧) م « تدق »

(٨) ط « لانحلابه »

(٩) ديوانه ٤٧٥ والصناعتين ١٢٦

بذلك ويحققه ، ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به ، نحو قوله : هل أكرمتك ؟ هل أحسنت إليك ؟ هل أودك وأوثرك ؟ و [هل] أقضى حاجتك ؟

وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينفى[1] أن يكون قد وقع ، نحو قوله : هل كان منى إليك قط شىء كرهته ؟ وهل عرفت منى غير الجميل ؟

فقوله فى البيت الأول[2] «وهل أرضى» تقرير لفعل ينفيه عن نفسه ، وهو الرضا ، كما يقول القائل : وهل يمكننى المقام على هذه الحال ؟ أى لا يمكننى ، وهل يصبر الحر على الذلّ ؟ وهل يَرْوَى زيد ؟ و [هلّ] يشبع عمرو؟ فهذه [كلها] أفعال معناها النفى ، فقوله «وهل أرضى [illegible] نفى للرضا ، فصار المعنى ولست أرضى ؛ إذ كان الذى يُسْخطنى ما فيه رضا [من له الأَمر : أى رضا][3] اللهِ تعالى ، وهذا خطأٌ منه فاحش .

فإن قال قائل : فلم لا يكون قوله «وهل أرضى» تقريراً على فعل هو فى الحال ليؤكده من نفسه ، نحو قوله : هل أودك [وهل أوثرك] ؟ ونحو قول الشاعر :

هَلْ أُكْرِمُ مَثْوَى الضَّيْفِ إنْ جَاءَ طَارِقاً
وَأَبْذُلُ مَعْـرُوفِى لَهُ دُونَ مُنْكَرِى

قيل له : ليس قول القائل لمن يخاطبه «هل أودك ؟» «هل أوثرك» ؟ وقوله «هل عنى على أصلح للخير» أو «هل أكتم السر» أو «هل أقنع بالمَيْسُور» ؟ [illegible] قوله [illegible] «هل رضيت ، وهل أرضى» لأن[4] صيغة

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) الزيادة من ط
(٤) [illegible]

هذا الكلام دالة على [أنه قد نفى الرضا عن نفسه ؛ بإدخاله الواو على][1] « هل » وإنما يشبه هذا قول القائل : « وهل [أودك] إذا كانت فعالك كذا » ؟ « وهل أصلح للخير عندك إلا إذا كنت تعتقد غير ذلك فيّ » ؟ « وهل ينفع فى زيد العتابُ » ؟ كقول الشاعر :

* وهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارِ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ[2] *

وقول ذى الرمة :

وَهَلْ يَرْجعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ الأَسى ثَلَاثُ الأَثَافِى والدِّيارِ البَلَاقِعُ[3]

لأن الواو ههنا كأنها عطفَتْ جواباً على قول[4] قائل : إن فلاناً سيصْلُح ويرجع إلى الجميل ، فقال آخر :

* وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَّار مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ *

وكقول ذى الرمة :

أَمَنْزِلَتَىْ مَىٍّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الأَزْمُنُ اللَّائى مَضَيْنَ رَوَاجِعُ[5]

لمّا علم أن التسليمَ غيرُ نافعٍ عاد على[6] نفسه فقال : « وهل يرجع التسليم » وكما قال امرؤ القيس :

* وَإِنْ شِفَائى عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ *

ثم قال :

* وَهَلْ عِنْدَ رَبْعٍ دَارِسٍ مِن مُعَوَّلِ ؟ *

وكذلك قولُ أبى تمام « رضيت » ثم قال « وهل أرضى إذا كان مُسخطى »

---

(١) الزيادة من ط

(٢) غير منسوب فى الكامل ١/٢٦٩ وصدره « تدس إلى العطار سلعة بيتها » وقبله :
عجوز ترجى أن تكون فتية وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر

(٣) ديوانه ٣٣٢ وط « يكشف العمى . . . الآثافى والرسوم »

(٤) م « قول القائل قال »

(٥) ديوانه ٣٣٢ وهو أول القصيدة والبيت السابق هو الثانى فيها

(٦) سقطت من م

إنما معناه ولست أرضى . فكان[١] وجه الكلام أن يقول : رضيت وكيف لا أرضى [أو لم لا أرضى] إذا كان الذى يسخطنى[٢] ما فيه رضا الله تعالى ، وكذا أراد فأخطأ فى اللفظ ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده .

فإن قيل : إن « هل » هنا بمعنى « قد » ، وإنما أراد الطائى رضيت وقد أرضى . كما قيل[٣] [فى قول] الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾[٤] [إن المعنى] : قد أتى .

قيل : هذا إنما قاله قوم من أهل التفسير ، واتبعهم قوم من النحويين . وأهلُ اللغة جميعاً على خلاف ذلك : ولم[٥] يأت فى كلام العرب [وأشعارها « هل قام زيد » بمعنى قد قام زيد ، وإذا كان ذلك معدوماً فى كلام العرب][٦] ولغتها فكيف يجوز أن يؤخذ به أو يعمل[٧] عليه ؟ وقد قال أبو إسحق الزجاج وجماعةٌ من أهل العربية فى قوله عز وجل : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) معناه ألم يأت ؟ على سبيل التقرير . وهب الأمر فى هذا كما ذكروا[٨] . والخلاف ساقط فيه . فإن بيت أبى تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الآية ؛ لأن « هل » إنما شبَّهها من شبهها بقد إذا وليت الفعل[٩] الماضى خاصة . وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل وإذا وقعت على

---

(١) م « وكان »

(٢) ط « كان مسخطى »

(٣) م ، ط « كما قال »

(٤) سورة الدهر : ١

(٥) ط « إذ لم »

(٦) الزيادة من ط وفيها « ولغاتها »

(٧) ط « أو يعول »

(٨) م « ذكر » ، ك « ذكره »

(٩) ط « وليت لفظ الماضى »

المستقبل [١] سقط عنها أن تضارع قد ؛ لأن قد ههنا[٢] تكون بمعنى ربما . و « هل » ليس فيها ذلك .

وبعد : فإذا[٣] كان الرجل إنما أراد بهلْ معنى قد فلم لم يقل : رضيت وقد أرضى ؛ فيأتي بلفظة « قد » نفسها إذ كان [إنما] يريد الخبر . ولا يأتي بهل فيلتبس الخبر الذى إيّاه قصد بالاستفهام ؟ فإن البيت كان يستقيم بقد [كما يستقيم بهل] ويغنينا عن الاحتجاج الطويل .

وقد استقصيت القولَ فى هذا الباب[٤] وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قد وهل ولخصته فى جزءٍ مفرد ، وإنما فعلت ذلك الكثرة من عارَضَنى فيه ، وادّعى الدعاوى الباطلة فى الاحتجاج لصحته .

* * *

١٧ – ومن خطائه قولُه فى البُكاء على الديار[٥] :

دارٌ أُجِلُّ الْهَوَى من لم أُلِمَّ بِهَا   فى الرَّكْبِ إلاَّ وَعَيْنِى مِنْ مَنائِحِها[٦]

وهذا لفظ مُحال عن وجهه : لأن « إلاَّ » ههنا تحقيق وإيجاب ، فكيف يجوز أن يكون عينه من منائحها إذا لم يُلِم بها ؟ وإنما وَجْه الكلام [أن يقول] : « دار أَجل الهوى عن أَن أَلم بها [إلاَّ وعينى من منائحها . أَو أَجل الهوى عن أَن أَلم بها] وليس عينى من منائحها » وقد كنت أَظن

---

(١) الزيادة من ك . وفى ط م « . . فسقط »

(٢) ط ، ك « قد حينئذ قد تكون »

(٣) فى ط ، م : « فإن »

(٤) ط ، ك « البيت »

(٥) ط « الدار »

(٦) ديوانه ٧٢ وشرح التبريزى ١ / ٣٤٧ وانظر رد ابن المستوفى على الآمدى فى هامش صفحة الشرح . والمعنى على رواية الديوان : أجل الهوى عن أن ألم بالدار إلا أنا باك ، أى إذا [illegible] بكيت . وفى م ، ط : « إن لم ألم بها »

أن أبا تمام على هذا نظم الشعر ، وأن غلطاً وقع[1] فى نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد « الصولى » وأضرابه ، فوجدت البيتَ فى غير نسخة مثبتاً على هذا الخطإ .

* * *

١٨ – ومن خطائه أيضاً فى وصف الربع[2] وساكنه ، قولُه :

قَدْ كُنْتَ مَعْهوداً بِأَحْسَنِ ساكِنٍ ثَاوٍ وَأَحْسَنِ دِمْنَةٍ وَرُسُومِ[3]

والربع لا يكون رسماً إلا إذا فارقه ساكنوه ؛ لأن الرسم هو الأثر الباقى بعد ساكنه[4] .

والصواب قولُ البحترى :

يا مَغَانِى الأَحْبَاب صِرْتِ رُسُومَا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُومَا[5]

وقال امرؤ القيس :

* وهلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ من مُعَوَّلِ *

قال[6] ذلك : لأن الرسم يكون دارساً وغير دارس . وقال :

قِفَا نبك مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وعِرْفانِ
وَرَسْمٍ عَفَتْ آياتُهُ مُنْذُ أَزْمانِ[7]

* * *

١٩ – ومن خطائه أيضاً قولُه :

قالَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْئى بِذَاكَ شَهِيدَا[8]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) ديوانه [illegible] ٢٧٢
(٦) [illegible]
(٧) ديوانه ١٨٤
(٨) [illegible] التبريزى ١ / ٢٠٤

أراد وكفى بأنه مضى حميدًا شاهدًا على أنى رُزِئت ، وكان وجْه الكلام أن يقول : وكفى برزئى شاهدًا على أنه[1] مضى حميدًا ؛ لأن حميدًا من الطلل قد مضى ، وليس بشاهد ولا معلوم ، ورزؤه بما يظهر[2] من تفجُّعه مشاهد معلوم ؛ فَلأَن يكون الحاضر شاهدًا على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهدًا على الحاضر

فإن قيل : إنما أراد أن يستشهد على عظِم رُزْئه عند من لم يعلمه .

قيل : فمن لا يعلم قَدْر مرزئته التى بعضُها ظاهر عليه ، كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهدًا على هذا ؟ !

فإن قيل : هذا إنما جاء به على القلب .

قيل : المتأخر لا يُرَخَّص[3] له فى القلب ؛ لأن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو ، والمتأخرُ إنما يَحتَذى على أمثلتهم ، ويقتدى بهم ؛ وليس ينبغى له أن يَتْبعهم فيما سَهَوْا فيه .

فإن قيل : فقد جاء القلب فى القرآن ، ولا يجور أن[4] يقال : إن ذلك على سبيل السهو ولا الضرورة ؛ لأن كلام الله عز وجلّ يَتعالَى عن ذلك ، وهو قوله : ﴿ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولى القُوَّة﴾[5] وإنما العصبة تنوءُ بالمفاتيح : أى تنهض بثقلها ، وقال عز وجل : ﴿ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى﴾[6] وإنما هو [ثم] تدلَّى فَدَنا ، وقال : ﴿وإنَّه لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[7] أى : وإن

---

(١) ط « على أن . . . لأن حمد أمر الطلل »

(٢) ط « بما ظهر . . . شاهد »

(٣) م « لا يركض » وهو تحريف

(٤) ط « أن يكون ذلك »

(٥) سورة القصص : ٧٦ وانظر تأويل مشكل القرآن ١٥٣ ، ١٥٧

(٦) سورة النجم : ٨

(٧) سورة العاديات : ٨

حبه للخير لشديد . ولهذا أشْباه كثيرة فى القرآن .

قيل : [١] هذا ليس بقلب ، وإنما هو صحيح مستقيم ؛ إنما أراد الله تعالى اسمه : ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، أى : تميلها من ثقلها ، ذكر ذلك الفَرَّاءُ وغيره ، وقالوا : إنما المعنى [٢] لَتُنِيءُ العصبةَ .

وقوله : ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ قيل : المعنى إنه لحبِّ المال [٣] لشديد ، والشدة : البخل ، يقال : « رجل شديدٌ ومتشدد » أى : بخيل ، يريد إنه لحبه [٤] المال لَبَخِيل متشدد ، أى [٥] لأجل [٦] حبه المال يبخل .

وقالوا فى قوله عز وجل : ﴿ثمَّ دَنَى فَتَدَلَّى﴾ : إنما كان تدلِّيه عند دُنوِّه واقترابه ، كما قال أبو النجم :

* قبْلَ دُنُوِّ الأُفْقِ مِنْ جَوْزَائِهِ * [٧]

والجوزاءُ إذا دَنتْ من الأفق فقد دنا الأُفقُ منها ، فهذَا ليس من القلب المستكره ، ومثلُه فى الشعر كثير ، ومنه قول الشاعر :

ومَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجاؤُهُ   كأَنَّ لونَ أَرْضِهِ سَماؤُهُ [٨]

قالوا [٩] : كان الوجه أن يقول : كأن لون سمائه من غبرتها لونُ أرضه ، وليس الأمر فى ذلك بواجب ؛ لأن أرضه وسماءه [١٠] مضافان جميعاً إلى الهاء ،

---

(١) م « قيل هذا ليس بالقضية ، أى بمثلها من نفلها »

(٢) م « المعنى ليس بالعصبة »

(٣) م ، ك « المال البخيل »

(٤) م « لحبه المال بخيل » . وفى ط : « لحب المال لبخيل »

(٥) ط ، ك : « يريد إنه لحب المال » !

(٦) م « من أجل »

(٧) أمالى المرتضى ١ / ٢١٧ وسر الفصاحة ١٠٨ وتأويل مشكل القرآن ١٥٠

(٨) قاله رؤبة ، كما فى ديوانه ١ تأويل مشكل القرآن ١٥١ وأمالى ابن الشجرى ١ / ٢٢٩-٢٣٠ والصاحبى ١٧٢ وأبواب مختارة ٣٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٢٨ وأمالى المرتضى ٢/٢١٦

(٩) ط « قوله كأن لون أرضه سماؤه أى كأن . . . »

(١٠) م « وسماءه جميعاً كانا فيه إلى الهاء »

وهى كناية عن المهمة ، فأيهما يشبَّه[١] بصاحبه كانا فيه سواء ، وإنما تَغْبَرُّ آفاق السماء من الجدْب واحتباس القطر .

وقال الحطيئة :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ والْعير مُمْسِكٌ   على رَغْمِهِ ما أَمْسكَ الْحَبْلَ حافِرُهْ[٢]

قالوا : وكان الوجه أن يقول : ما أمسك الحافر[٣] حبلهُ . وكلاهما متقاربان ؛ لأن الحبل إذا أمسك الحافر فإن الحافر أيضاً قد شغل الحبل .

فهذا كله سائغ[٤] حسن . ولكن القلب القبيح[٥] لا يجوز فى الشعر ، ولا [يجوز مثله][٦] فى القرآن ، وهو ما جاء فى كلامهم على سبيل الغلط ، نحو قول خِدَاش بن زُهَير :

وتُرْكَبُ خيلٌ لا هَوَادَةَ بَيْنَها   وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الحمْرِ[٧]

وإنما الضياطرة هى التى تشقى[٨] بالرماح .

وكقول الآخر :

(١) م « شبهتهما »

(٢) ديوانه ١٠ وتأويل مشكل القرآن ١٤٩ وتفسير الطبرى ١٤/٨٤ قال السكرى : « يقول : مادام الحمار مقيداً فهو ذليل معترف بالهون ، وهذا مقلوب . أراد : ما أثبت الحبل حافره فقلب ، فجعل الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا »

(٣) م ، ك « الحبل حافره »

(٤) م « شائع »

(٥) م « القبيح فى الشعر لا يجوز مثله فى القرآن هو »

(٦) من ك

(٧) ط « خيلا . . . وتعصى الرماح » والهوادة : المصالحة والموادعة . ونعصى : نضرب ونطعن . والضياطرة : جمع ضيطر ، وهو اللئيم الضخم . والبيت من قصيدة لخداش فى جمهرة أشعار العرب ١٠٨ « خيلا » وهو فى تأويل مشكل القرآن ١٥٢ والصاحبى ١٧٢ والكامل ١/ ٢٧٤ وسر الفصاحة ١٠٦ والأضداد للسجستانى ١٥٣ وأمالى المرتضى ١/٤٦٦ واللسان ٦/١٦٠ والأضداد لابن الأنبارى ٨٥ وتفسير الطبرى ١٧/٢٠ ، ٢٠ / ٦٩

(٨) م ، ك « تعصى »

كانتْ فَرِيضَةَ ما تقولُ كما كان الزِّناءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ [١]

وإنما الرجم فريضة الزناء .

وكقول الفرزدق يصف ذئباً :

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِباً رَفَعْتُ لِنارِى مَوْهِناً فَأَتانى [٢]

وإنما أراد[٣] رفعها للذئب ، أنشده المبرد[٤] ، وقال : القلب جائز للاختصار ، إذا لم يدخل الكلام لبْسٌ. كأنه[٥] يجيز ذلك للمتقدمين[٦] دون المتأخرين ، وما علمت أحدًا قال « للاختصار » غيره ، فلو قال لإصلاح الوزن[٧] أو للضرورة . كما قال غيره ، كان ذلك أشبه .

ويجوز أن يكون الفرزدق فى [هذا] البيت سها أو اضطر لإصلاح الوزن ، وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يُسَوِّغون[٨] مثل هذا . [وإنما أراد أبو تمام : وكفى بما يظهر من تفجيعى بهذا الرزء الذى رزئته ، شاهدًا [لك][٩] على أن الطلل مضى حميدًا ، فقلب . وليس له أن يقلب فى مثل هذا] لأنه القلب المستكره .

---

(١) غير منسوب فى تأويل مشكل القرآن ١٥٣ وأمالى المرتضى ١/٢١٦ وسر الفصاحة ١٠٦ ونسبه فى اللسان ١٩/٧٩ للجعدى

(٢) ديوانه ٨٧٠ « دعوت لنارى » والأطلس : الأغبر . وعسال : نسبة إلى مشيته ، يقال : مر الذئب يعسل ، وهو مشى خفيف كالهرولة

(٣) ك « وإنما النار رفعها للذئب »

(٤) فى الكامل ١/٣٢٠ « قوله : رفعت لنارى ، من المقلوب ، إنما أراد رفعت له نارى . والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار »

(٥) م « فإنه » وط « ذلك للمتقدمين »

(٦) ط ، م « للعرب الأوائل »

(٧) م ، ك « الأوزان والضرورة »

(٨) م « لا يصوغون من هذا شيئاً »

(٩) من ك

فإن قيل : إنه لم يُرِد القلب ، وإنما أراد وكنى على رزئى بمحمود أمر الطلل شهيدًا .

قيل : فأىَّ شىء اُستشهدَ ؟ وأين شهيدُه ؟

* * *

٢٠ ــ ومن خطائه قوله فى باب الفراق :

دَعا شَوْقُهُ يا نَاصِرَ الشَّوقِ دَعْوَةً   فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى وَوابِلُهْ[١]

أراد أن الشوقَ دعا ناصرًا ينصره فلبَّاه الدمع ، بمعنى أنه يخفِّف لاعِجَ المشوق[٢] ، ويطفئُ حرارته . وهذا إنما هو نُصْرَة للمشتاق على الشوق ، والدمع إنما هو حرْبٌ للشوق ؛ لأَنه يَثْلمه ويتخوَّنه ويكسر[٣] حَدَّه ، كما قال البحترى :

وبُكاءُ الدِّيارِ مِمَّا يَرُدُّ الشَّـ   ـوْقَ ذِكْرًا والْحُبَّ نِضْوًا ضَئِيلا[٤]

قوله « يرد الشوق ذكرًا » أى : يخففه ويثلمه حتى يصير ذكرًا[٥] لا يُقلق ولا يزعج كإقلاق الشوق ، وقوله « والحب نضوا » أى يصغره ويمحقه ، [كما قال جرير :

فَلَمَّا الْتَقَى الحَيَّانِ أُلْقِيَتِ الْعَصى   وماتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ][٦]

فلو كان الدمع ناصرًا للشوق لكان يُقَوِّيه ويزيد فيه ، ألا ترى أنك تقول : قد ذبحنى الشوقُ إليك ، فالشوق عدُوُّ المشتاق وحرْبه ، والدمع سلبه[٧] لتخفيفه عنه ، وهو حرب للشوق ، وليس بهذا الخطإ خفاء .

---

(١) ديوانه ٢٣٠

(٢) ك ، ط « الشوق »

(٣) ط « ويكسر منه »

(٤) ديوانه ٦٨٧

(٥) م « تذكرا »

(٦) الزيادة من ط . والبيت فى ديوانه ٤٧٨

(٧) ط « سلم »

وقد تبعه البحتريُّ فى هذا الخطإ فقال يعنى [1] الديار التى وقف عليها :

نَصرْتُ لها الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمُعٍ تَلاَحَقْنَ فِى أَعْقابِ وصْلٍ تَصَرَّما [2]

* * *

٢١ – ومن خطائه فى معنى الشوق قوله :

يكفيكه شوْقٌ يُطِيلُ ظَماءَهُ فَإِذا سقاهُ سَقاهُ سُمَّ الأَسْوَدِ [3]

فقوله « شوْق يطيل ظماءه » غلط ؛ لأَن الشوق هو الظمأ نفسه ، ألا ترى أنك تقول : أنا عطشان إلى رؤيتك ، وظمآن ، ومشتاق ، بمعنى واحد ؟ فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمأ وكيف يكون هو الساقى ، والمحبوب هو الذى يظمئ ويسقى [4] ! لا الشوق [وهذا خطأ] .

* * *

٢٢ – ومن خطائه قولُه :

أَمَرَ التَّجَلُّدَ بالتَّلَدُّدِ حُرْقَةٌ أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُومِ [5]

جعل الحرقَة آمرةً للتجلد بالتلدُّد ، والحرقة التى يكون معناها التلدد تُسقط التجلد ألبتة وتذهب به ، فأَما أن يجعله متلددًا فإن هذا من أَحمق المعانى وأولاها بالاستحالة ، وأَيضاً [6] فأَىُّ لفظ أَسخف من أَن يجعل الحرقة آمرة [وإن كان ليس بخطإ] وإنما العادة فى مثل هذا أَن تكون باعثةً أَو جالبة أَو نحو هذا ، وأَما الأَمر فليس هذا موضعه .

---

(١) م « يعنى »

(٢) ديوانه ٣٥٥

(٣) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢/٤٣ وظماءه : عطشه . والأسود : الحية التى لا ينجو لديغها . وفى ط « يكفيك شوق قد يطيل »

(٤) ك ، ط « ويستى أو البعد أو الهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل شوقه »

(٥) ديوانه ٣٠٥

(٦) م « وهو أيضاً »

[ولو كان قال :

أفنى التجلد بالتلدد حرقة أفنت جمود دموعه بسجوم

كان أولى بالصواب] [١].

* * *

٢٣ – ومن خطائه قوله :

مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْها فُرْقَةٌ أَسَرَتْ قَلْباً وَمِنْ غَزَلٍ فى نحْرِهِ عَذَلُ [٢]

قوله « أطلقتها فرقة » أى أبرزتها [٣] وأظهرتها ، وإنما [٤] قال « أطلقتها » من أجل قوله « أسرت قلباً » ليطابق بين الإطلاق والأسار [٥] ، وقوله « أسرت قلباً » يعنى الفرقة ، [وهو] [٦] معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره ويملكه شدةُ الحب ، لا الفراق ، فإن لم يكن مأسوراً قبل الفراق فما كان هناك حب ، فلم حَضَر للتوديع ؟ وما كان وجه البكاء والاستهلال والزَّجَل [٧] الذى ذكره قبل البيت ، والقصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟ أو ما [٨] علم أن للفراق لوعة صعبة [ونارًا محرقة] عند وروده وفجأته [٩] فلا يسمى ذلك أسرًا [١٠] ولا علاقة ! وإنما هو [١١] محنة تطرأ على أسير الحب ،

---

(١) هذه زيادة ط ك وفى ط « ولو قال بعثت » أو « جلبت » لكان له

(٢) ديوانه ٢٢٧ وفى ط « ومن عذل . . . غزل »

(٣) ط « أى ثورتها »

(٤) م « وإنما عزل قال »

(٥) ط « والأسر »

(٦) زيادة من ط

(٧) م وط « والرجل » « والوجل » والآمدى يشير إلى الزجل فى البيت السابق وهو :

ولو ترانا وإياهم وموقفنا فى موقف البين لاستهلالنا زجل

(٨) ط « وما علم » وم « علمت أن الفراق »

(٩) م « ومحانه »

(١٠) م « إساراً »

(١١) ط « وإنما يسمى »

وربما قتلته كما يقتل الأسير ، فالفراقُ إنما له لَوْعَة ثم تبرد نارهُ ، وتخمد وقتاً فوقتاً[١] ، حتى يَدْرس « الحب »[٢] ؛ والفراق[٣] يفكّ أسر الحب ، ويُنْسى الخليلَ خليلَه إذا امتد به زمان ؛ ألا ترى إلى قول زُهَير بن جناب[٤] :

إذا ما شِئْتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيباً ... فأَكْثِرْ دُونَه عَدَدَ اللَّيالِى

فَما أَنْسَى خَلِيلَكَ مِثْلُ نأْىٍ ... وما أَبْلَى جَدِيدَكَ كابْتِذَالِ[٥]

وقول الآخر :

يُنْسِى الْخَلِيلَيْنِ طُولُ النَّأْىِ بَيْنَهُما ... وَتَلْتَقِى طُرُقٌ شَتَّى فَتَأْتَلِفُ[٦]

فهذا هو المعنى الصحيح المعروف ، فإن[٧] كان تقدم أبا تمام فى هذا المعنى من تبعه ، وحذا على حذوه ، فالردىء ، لا يؤتَم به[٨] .

ولعله سمع معنى سائغاً حسناً فأفسده بسوء عبارته ، وكثيراً ما يفعل هذا.

وكان ينبغى أن يقول : من حرقة بعثتها فرقة ، أو أظهرتها فرقة جرحت قلباً ؛ حتى يكون أسيرَ الهوى وقتيلَ الفراق .

فإن قيل فلم لا يكون « أسرتَ قلباً » للحرقة لا للفراق[٩] ؟

[قيل : لا يكون ذلك ؛ لأن الأسر إذا قَبُح أن يكون فعلا للفرقة][١٠]

---

(١) من ك

(٢) ط « والفراق . . . وقتاً وقتاً »

(٣) ط « فالفراق »

(٤) « زهير الكلبى » وترجمة زهير بن جناب الكلبى فى المؤتلف والمختلف ١٣٠

(٥) فى المؤتلف : « ولا أبلى »

(٦) ط « فيأتلف » .

(٧) ط « وإن كان قد »

(٨) م « لا يؤثر به »

(٩) ط « أسرت قلبه الحرقة للفراق »

(١٠) الزيادة من ط

قبح أيضاً أن يكون فعلا للحرقة ، لأن الفرقة هى التى جلبت الحرقة ، فشأنها كشأنها .

* * *

٢٤ – ومن خطائه قولُه :

ما لِامْرِئٍ خَاضَ فِى بَحْرِ الْهَوَى عُمُرٌ
إلاَّ وَلِلْبَيْنِ فِيه السهل والجلَدُ[1]

وهذا عندى خطأٌ إن كان أراد بالعمر مدة الحياة ؛ لأنه اسم واحد للمدة بأسرها ؛ فهو لا يتبعَّض[2] فيقال : لكل جزء منه عمر ، فكما لا يقال : ما لزيد رأس إلاَّ وفيه شَجَّة أو ضربة ، وما له لسان إلا وهو ذرِب[أو فصيح][3] ، فكذلك لا يقال : ما له عمر إلا وهو قصير ، وإنما يسوغ هذا فيما فوق الواحد ، مثل أن تقول : ما له ضلع إلا مكسورة ، وما له يد إلا وفيها أثر ، ولا رجْل إلا وبها حَنَف . وليس قولهم : « ما له عيش إلا مُنَغَّص ولا حياة إلا كَدِرة »[4] مثل قولك : ما له عمر إلا قصير ، ولو قلته ؛ لأن عيش الإنسان ليس هو[5] مدة حياته بأسْرها ؛ لأنك قد تقول : كان عيشى بالعراق طيباً ، وكانت حياتى بمصر[6] لذيذة ، وكان عيشى بالحجاز أطيب من عيشى باليمن .

---

(١) ديوانه ٩٧ وفى شرح التبريزى ٢/١١ « يقول : ما هوى أحد إلا وقد جعل البين والفراق عمره بين الشدة واللين ، فيكون تارة مسروراً ، وأخرى مغتماً » والهاء فى منه تعود على عمر . والجلد : الأرض الصلبة »

(٢) م « لا ينتقص »

(٣) الزيادة من ط

(٤) م « إلا قدرة »

(٥) ط « ليس له »

(٦) ط « بمكة »

ولا تقول : كان عمرى ؛ لأن العمر هو المدة بأسرها ، والعيش والحياة ليسا[1] كذلك ؛ لأنهما يتبعَّضان[2] .

فإن قيل : فأنت [قد] تقول : ما لزيد رأس حسن ، ولا أنف أشمّ ، ولا لسان ذَرِب .

قيل : إنما صلح[3] هذا من أجل النفى ؛ لأنك إنما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ، ولا لسان من الألسُن الذَّرِبة ؛ وإذا دخلت « إلا » ههنا فقد جعلت المنفى موجَبًا وحقيقة ، وإذا قلت « ليس لزيد رأس إلاَّ حسن » فقد أوجبت له عدَّةَ رؤوس ، وهذا خطأ ، وكذاك سبيل العُمر .

وإن كان أراد بالعمر منزلة الذى يتوطنه ويعمره[4] ، فذلك هو المعمر ، وما علمت أحدًا[5] سماه عمرًا إلا أن يكون دَيْر النَّصارى [فإنهم][6] يسمونه عمرا ، وما كان يمنعه أن يقول « وطن » مكان عمر ؛ لأن لفظهما ومعناهما واحد ، وقد يكون للإنسان عدة أوطانٍ يُوَطِّنها[7] .

وقد ذكر العمر فى موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحياة ؛ فقال :

إذا مارِقٌ بِالغَادْرِ جاوَرَ عُمْرَهُ ... فَذَاكَ حَرِىٌّ أَنْ تَئِيمَ حَلاَئِلُهْ[8]

أراد أنه إن جاور عمره – أى قارنه[9] – بالغدر فقد عرَّضه للزوال والنفاد ،

(١) م « ليست »
(٢) م « ينتقصان »
(٣) ط « قيل يصلح »
(٤) م « ويعمر » ، ك « يوطنه ويعمره »
(٥) ط « أن أحداً »
(٦) الزيادة من ط
(٧) ط « توطنها »
(٨) م « جاوز » وديوانه ٢٣١ « حاول غدرة »
(٩) ط « قاربه »

وهذا من عَويص ألفاظه ، وما أراد بالبيت[1] إلا مدة الحياة أيضاً ؛ لأن ما قَبْل البيت وما بعده عليه يدل .

* * *

٢٥ ــ وقال فى على بن الجهم :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صاحِبٍ لَكَ ماجِدِ ... فَغَدًا إِذَابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جامِدِ[2]

فَافْزَعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤُونِ وَعَذْبِهِ ... فالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الجاهِدِ[3]

وَإِذا فَقَدْتَ أَخاً ولَمْ تفْقِدْ لَهُ ... دَمْعاً ولا صبْرًا ، فَلَسْتَ بِفاقِدِ

قوله « يذهب بعض جهد الجاهد » أى : بعض جهد الحزن الجاهد ، أى: الحزن الذى جَهَدَك فهو الجاهد لك ، ولو كان استقام له [أن يقول][4] « بعض جهد المجهود » لكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف ، وقد جاء أيضاً فاعل بمعنى مفعول ؛ قالوا « عِيشَةٌ راضية » بمعنى مَرْضِيَّة ، و « لمح باصر » وإنما هو مُبْصَر فيه ، وأشباه لهذا [كثيرة][5] معروفة ، ولكن ليس فى كل شىء[6] يقال ، وإنما ينبغى أن ينتهى فى اللغة إلى حيث انْتَهَوْا ولا يتعدى[7] إلى غيره ؛ فإن اللغة لا يقاس عليها .

وقوله « فلم تفقد له دمعاً ولا صبرًا » من أفحش الخطأ ؛ لأن الصابر لا يكون باكياً ، والباكى لا يكون صابرًا ؛ فقد نَسَقَ بلفظة على لفظة وهما

(١) ك ، ط « بالبيت الأول »

(٢) ديوانه ٨٦ وشرح التبريزى ١/٤٠٦

(٣) شرح التبريزى ١/٤٠٦ والديوان ٨٦ . ويروى : « وعونه » ، « وغربه » ، وهى التى وقعت فى أصول ط وقال عنها ناشرها الشيخ محيى الدين : « فى الأصول : وغربة وهو تحريف شنيع » !

(٤) زيادة من ك

(٥) من ط

(٦) ط « فى كل حال »

(٧) م « ولا يتعداه »

نعتان متضادان[١] ، ومعناه أنك إذا فقدت أخاً فأدام البكاء عليك فلست بفاقد . ولم يرد فلست بفاقد شخصه ؛ وإنما أراد لست بفاقد ودّه ولا أُخُوَّته ، أى هو[٢] محصّل لك غير مفقود وإن كان غائباً عنك . وإلى هذا ذهب ، إلا أنه أفسده بذكر الصبر مع البكاء ، وذلك خطأ ظاهر .

ولو كان قال «فلم تفقد له دمعاً ولا جزعاً» أو «دمعاً ولا شوقاً [أو دمعاً] ولا قلقاً» لكان المعنى مستقيماً . وظننته قد[٣] قال نحو[٤] هذا وأن غَلَطاً وقع فى كتْب البيت عند النقل ؛ فرجعت[٥] إلى أصل «أبى سعيد السكرى» وغيره من الأُصول القديمة ، فلم أجدْه إلا «دمعاً ولا صبرًا» وذلك غفلة منه عجيبة .

وقد لاح لى معنًى أظنه – والله أعلم – إياه[٦] قصد ، وهو أن يكون أراد إذا فقدت أخاً فلم تفقد له دمعاً – أى فواصل[٧] البكاء عليه – فلَسْتَ بفاقده ، على ما [قدمت] ذكره : أى قد[٨] حصل لك وصار ذخرًا من ذخائرك ، وإن غاب عنك أو غيبت[٩] عنه ، وإن لم تفقد له صبرًا – أى وإن صَبر عنك – فلست [أيضاً] بفاقد : لأنه إن صَبرَك[١٠] وسَلاَكَ

---

(١) ك ، ط «متضادان ولا يجوز أن يكونا مجتمعين»
(٢) ط «وهو»
(٣) من ك
(٤) ط «غير هذا . . . فى كتابه» وفى م «أو غلطا»
(٥) ط «حتى رجعت»
(٦) ط «إليه»
(٧) ط «أى يواصل»
(٨) ط «فقد»
(٩) ط «وغبت»
(١٠) من ك

فليس ذاك بأخٍ تُعَوّل[1] عليه ، فلست أيضاً بفاقده : لأنك لا تعتدُّ به موجودًا ولا مفقودًا .

ولكن ذهب على أبي تمام أن هذا غير جائز ؛ لأنه وصف رجلا واحدًا بالوصفين جميعاً ، وهما متضادان . ولو كان جعلهما وصفين لرجلين ، فقال :

وإذا فقَدْتَ أخاً لِفقدكَ باكِياً   أَوْ صابِرًا جَلْدًا فلَسْتَ بفاقِدِ

أى : لست بفاقد هذا لأنه محصل لك ، أو لست بفاقد هذا[2] لأنه غيرُ[3] ناس مودَّتك — لكان[4] المعنى سائغاً حسناً واضحاً . أو لو جعله شخصاً واحدًا وجعل له أحد الوصفين ، فقال :

وإذا فقَدْتَ أخاً فأَسْبَلَ دَمْعَهُ   أَوْ ظَلَّ مُصْطَبِرًا فلسْتَ بفاقِدِ

لكان أيضاً سائغاً على هذا المذهب .

أو [لو] كان استوى له فى ذلك اللفظ بعينه أن يقول «فلم تفتقد له دمعاً أو صبرًا» حتى لا يجعل له إلا أحدهما — لساغ ذلك ، لكنه نَسَقَ بالصبر على الدمع فجعلهما جميعاً له ، ففسد المعنى .

وهذا[5] وأشباهه الذى قاله الشيوخ فيه : إنه يريد البديع ، فيخرج إلى المحال .

* * *

(١) ط «يعول»
(٢) م «هذه»
(٣) ليست فى ك
(٤) م «فكان»
(٥) ط «فهذا»

٢٦ – وقال أبو تمام :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وانْصَرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إلاَّ كاظماً وَجِمَا[1]

رَأَيْتُ أَحْسَنَ مَرْئِيٍّ وأَقْبَحَهُ مُسْتجْمِعَيْنِ لِيَ التَّوْدِيعَ والْعَنَما

العنم : شجر له أغصان [لطيفة غَضَّة كأنها بَنَان جارية ، الواحدة عَنَمة][2]. كأنه استحسن أصابعها[3] واستقبح إشارتها إليه بالوداع ، وهذا خطأ فى [هذا] المعنى . أتُراه ما سمع قولَ جرير :

أَتَنْسَى إذْ تُوَدِّعُنا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةٍ ؟ سُقِيَ الْبَشَامُ ![4]

فدعا للبَشَام بالسُّقْيا ؛ لأنها ودّعته به فسرّ بتوديعها .

وأبو تمام استحسن إصبعها ، واستقبح إشارتها [مودعة] . ولعمرى إن منظَر الفراق منظر قبيح ، ولكن إشارة المحبوبة بالتوديع[5] لا يستقبحها إلا أجهل الناس بالحب ، وأقلهم معرفةً بالغزل[6] ، وأغلظهم طبعاً ، وأبعدهم فهماً .

* * *

٢٧ – وقال [وهو من خطائه][7] :

فَلَوَيْتَ بالموعود أَعْناقَ الورى وحَطَمْتَ بالإنجاز ظَهْرَ الْمَوْعِدِ[8]

---

(١) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣/١٦٧ وقد ذكر الشريف المرتضى أن أبا العباس بن عمار عابهما على أبي تمام ونقل قوله ثم كر عليه بالنقد العنيف . راجع أمالى المرتضى ٢/٢٥٤ – ٢٥٧

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « أصبعها »

(٤) ديوانه ٥١٢ وأمالى المرتضى ١/٥٤١ ، ٢/٢٥٦ والصناعتين ٣٩٢ والبديع ١٠٧ والعمدة ٢/ ٤٤ وإعجاز القرآن ١٤٩ وفى اللسان ١٤ / ٣١٧ « البشام : شجر واحدته بشامة . يعنى أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ولم تتكلم خيفة الرقباء »

(٥) ك ، ط « بالوداع لا يستقبحه »

(٦) م « بالقول »

(٧) من ك

(٨) شرح التبريزى ٢/٥٣ وفى الديوان ١١٣ « بالمعروف أعناق المنى » وظن الشيخ =

حَطْم ظهر الموعدِ بالإنجاز استعارةٌ قبيحة جدًّا ، والمعنى أيضاً فى غاية الرداءة ؛ لأَن إنجاز الوعد هو تصحيحه وتحقيقه ، وبذلك جرت العادة أن يقال : قد صَحَّ وعدُ فلانٍ ، وتحقَّق ما قال ؛ وذلك إذا أنجزه . فجعل أبو تمام فى موضع صحة الوعد حَطْم ظهره ، وهذا إنما يكون إذا أخلف الوعد وكذب ، [ألا] [١] تراهم يقولون : قد مَرَّض فلانٌ وعْدَه ، وعلَّله ، ووعَدَ [٢] وَعْدًا مريضاً ؛ فإذا أخلف وعده فقد أماته ، والإخلاف هو الذى يَحْطم ظهرَ الموعد ، لا الإنجاز . ولا خفاءَ بفساد ما ذهب إليه ، وكان [٣] ينبغى أن يقول : وحطمت بالإنجاز ظهر المال [٤] ، لأَن الموعد حينئذ كان يصح ويسلم ، ويتلف المالُ .

* * *

٢٨ ـ وقال :

إذا وعدَ انْهَلَّتْ يَدَاهُ فأَهْدَتا ... لَكَ النُّجْحَ محمُولاً على كاهلِ الوعْد [٥]

كاهلُ الوعد إذا حَمَل النُّجْحَ فمن [٦] سبيله أن يكون صحيحاً مسلماً ، لا أن يكون محطوماً [٧] كما قال فى البيت الأَول ؛ فهذه استعارة صحيحة فى [٨] هذا البيت ، وإن كان « كاهل الوعد » قبيحاً .

* * *

= « محى الدين » أنها الصواب فقال : « وقع فى الأصول : أعناق الورى وتصويبه الذى ذكرناه عن الديوان » ولم يرد فى شرح التبريزى غير تلك الرواية المزعوم غلطها « يريد أنك عطفت أعناق الناس إليك بما وعدتهم من الإحسان ، ثم عجلت الإنجاز وأزلت الموعد »

(١) زيادة فى ط

(٢) م « ووعدت »

(٣) م « وكان بمعنى »

(٤) ط « المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان »

(٥) ديوانه ١٢٨ وشرح التبريزى ٢/١١٣

(٦) ط « من »

(٧) م « بما »

(٨) ط « على »

٢٩ – ومثلُ هذا البيت الأَول فى الفساد أَو قريب منه ، قولُه :

إذا مارَحًى دارَتْ أَدَرْتَ سماحةً رَحى كُلِّ إنجازٍ على كُلِّ موْعِدِ[١]

وهذا إتلافُ الموعد وإبطاله ؛ لأَنه جعله مطحوناً بالرحَى ؛ وإنما ذهب إلى أَن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد . وليس الأَمر كذلك ؛ لأَن الوعد ليس بضد للإنجاز ؛ فإذا صحَّ هذا بطل ذاك ، بل الوعدُ الصادقُ طرَفٌ [من][٢] الإنجاز ، وسبب من أَسبابه : فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد ، وتصحيح له وتحقيق وتصديق ، فهو فى هذه الاستعارة غالط . والمعنى الصحيح قوله :

أَبَلُّهُمُ ريقاً وَكَفًّا لِسائلٍ وأَنْضَرهُمْ وعْدًا إذا صَوَّحَ الوعْدُ[٣]

فتصويح[٤] الوعد هو أَن يُخْلفه الواعد فيبطل ، ولا يصح ؛ لأَنه من صَوَّح النبت : إذا جف . ومثله فى الصحة قوله :

تَزْكُو موَاعدُه إذا وعْدُ امْرِئٍ أَنْساكَ أَحلامَ الْكرَى الأَضْغاثا[٥]

فهذا هو المعنى الصحيح : أَن يكون الوعد يزكو ، لا أَن يبطل ويذهب . ولله در [أَبى سحق][٦] إبراهيم بن هَرْمَةَ إذ يقول :

يَسبقُ بالفعل ظَنَّ سائلهِ ويَقْتُلُ الرَّيْثَ عنْدَهُ العَجَلُ[٧]

---

(١) ديوانه ١٠٤ وشرح التبريزى ٢ / ٣١ « أى كأنك تطحن برحى الإنجاز المواعيد » .

(٢) زيادة من ط .

(٣) ديوانه ١٢٢ وفى شرح التبريزى ٢ / ٩١ « صوح : أى يبس ولم يكن له منفعة ، أخذ من تصويح الروض وهو يبسه والتواؤه . يحتمل أن يكون أراد أنه إذا سأله السائل لم يحمله البخل على أن يعيا بالجواب ، فعل من يحصر وييبس ريقه فى فمه » . وفى م « أبلهم ربعاً »

(٤) م « فتصريح »

(٥) ديوانه ٦٥ وفى شرح التبريزى ١ / ٣٢٢ « أضغاث الأحلام : هو المختلط منها المشتبه ، وأصله من الضغث وهو أن يقبض الرجل ملء كفه من النبت فيكون منه ضروب مختلفة . والمعنى : وعد هذا المخلف يزيد على أضغاث الأحلام فى البطلان والإلغاء » .

وفى طبعه الجوائب « إذا وعد امرء » وجعلها الشيخ « محيى الدين » « إذا وعد امرأ » والبيت على هذا التغيير يقلب المعنى من المدح إلى القدح ! ! !

(٦) زيادة من ط وهى كنيته كما فى الأغانى ٤ / ١٠٩ .

(٧) م « ويقبل » وهو تحريف .

فهذه الاستعارة الصحيحة أن يَقْتلَ العجلُ الإبطاءَ ، لا أن يقتل الإنجاز الوَعْدَ . فأما قولُه :

نَوُّمٌ أبا الحُسيْنِ ، وكانَ قِدْماً فَتًى أعْمَارُ موْعدِه قِصارُ[١]

وقولُ البحترى :

وجعلْتَ فِعلكَ تِلْوَ قَوْلكَ قاصرًا عُمْرَ العدُوِّ بِهِ وعُمْرَ المَوْعِد[٢]

فإنَّ عمر الموعد مدةُ وقته ، فإذا أُنجز صار مالا ؛ فنفاد وقته ليس بمبطل له ، بل ذلكَ نقْله من حال إلى حال أخرى .

ألا ترى إلى البحترى كيف كشف عن هذا المعنى ، وجاءَ بالأمر من فَصِّه ؟ فقال :

يُوليكَ صدْرَ اليَوم قاصِيَةَ الْغِنَى بمَوَاهبٍ قدْ كُنَّ أمْس مواعدَا[٣]

فبطلانُ الموعْد هو بطلان الشيء [الذى الموعِدُ واقعٌ به ، وصحته هو صحة ذلك الشيء][٤] ثم أتبع البحترى هذا البيت بأن قال :

سَوْمُ السَّحائبِ ما بَدَأنَ بَوارقا فى عارضٍ إلاَّ انْثنَيْنَ رَوَاعِدَا[٥]

[العارض : السحاب] . فجعل البوارق مثالا للمواعد ، وجعل الرواعد [التى] هى البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة ، مثالا للغيث [الذى هو العطايا][٦] ؛ فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق : بل هى [هى] ؛ لأن تلك نور يحدثه ازدحام [السحاب ، والرعد صوت ذلك الازدحام] ؛ فالبرق يرى أولا ، والرعد يسمع آخرًا ، [وهو هو] وذلك لأن[٧] العين أسبق

---

(١) ديوان أبى تمام ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٦ ونوّم : نقصد ، وأبو الحسين : محمد ابن الهيثم

(٢) ديوانه ٤٦١

(٣) ديوانه ٦٤٧ « بعوائد قد » ، ٢ / ٨٢٣ المعارف

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « شيم » والديوان « إلاثنين »

(٦) زيادة من ط (٧) ط « أن »

إلى الإبصار من الأذن إلى الاستماع[(١)] ؛ لأن العين ترى الشيء في موضعه ، والأذن لا تسمع الصوت إلا إذا وصل إليها ؛ فشبهها [البحترى] بالمواعيد التى تحُولُ مواهب[(٢)] ، وهذا أحسن ما يكون من التمثيل وأصحه ، وإنما أقام الرواعد مُقام المواهب لأنه قد يكون بَرْقٌ ولا مطر معه[(٣)] [دائماً] ، ولا يكاد يكون رعدٌ إلا وَمعه مطر ؛ ثم إن التشبيه صح بأن صار الرعد بعد البرق .

وما أحسن ما قال خلف بن خليفة الأقطع :

مواعدُهُم فعلٌ إذا ما تَكلَّموا　　بتلك التى إنْ سُمِّيَتْ وجبَ الفعلُ[(٤)]

يعنى قول « نعم » . فجعل الوعد هو الفعل نفسه ، لصحته وصدقه .

وقد مثل البحترى أيضاً الموعد وكيف تحول عطاء ، تمثيلا آخر حَسناً ، فقال :

وشكرْتُ منك مواهباً مشكورَةً　　لوْ سرْنَ فى فلَكٍ لَكُنَّ نجُومَا[(٥)]

ومواعــدًا لو كُنَّ شــيئاً ظاهرًا　　تُفضى إليــهِ العينُ كُنَّ غيومَا

وذلك لأن الْغَيم يصير مَطَرا ، كما أن الموعد يصير عطاء .

فأبو تمام – فيما يذهب إليه – غالط ؛ لأنه وضع الاستعارة[(٦)] فى غير موضعها .

* * *

(١) ط « للاستماع »

(٢) ط « بالمواعد التى تجر المواهب »

(٣) ط « فيه »

(٤) حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ٤ / ١٧٧٤ وفى ط : « فتلك »

(٥) ديوانه ٨٨ ، ٣ / ١٩٦٨ « مواهباً مشهورة » وفى م « لو سرت »

(٦) ط « الاستعارات »

٣٠ – ومن خطائه قولُه :

فَلَوْ ذهَبَتْ سِناتُ الدَّهر عنْهُ ... وَأُلْقِيَ عنْ مَناكِبِهِ الدِّثارُ[١]

لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الأَرْزاقِ فِينا ... وَلكنْ دَهْرُنا هــذا حِمارُ

قوله «وأُلقِيَ عن مناكبه الدثار» لفظ رديء ، وليس من المعنى الذى قَصَده فى شيء ، وصَدْرُ البيت لائق بالمعنى ؛ فلو كان أَتبعه بما يكون [مثله][٢] فى معناه بأَن يقول : فلو ذهبت سناتُ الدهر عنه واستيقظ من رقدته أو انتبه من نومه[٣] أَو انكشف الغطاء عن وجهه ؛ لكان المعنى يمضى[٤] مستقيماً ؛ لأَن مَنْ كان ذا سِنَةٍ أَو نَوْم أَو مغطًّى عن وجهه أَو عينيه ، فإنه [لا يبصر الرشدو][٥] لا يكاد يهتدى لصواب . وإنما هذه كلها استعارات ، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفَهْمه ، وقد جَرَت العادة باستعارتها فى هذا المعنى .

فأَما دِثَار المناكب فليس من هذا الباب فى شيء ؛ إذ قد يُبْصر الإنسان رُشْدَه ويهتدى لصواب أَمره وعلى مناكبه دِثارٌ وعلى ظهره أَيضاً حِمْل ، ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين : لأَنه إنما يراد [به] نوم القلب والتغطية عليه ؛ لأَن الإنسان إنما يقال له «قد عمى قلبك» و «قد عميَت عن الصواب عَيْنُك» و «قد غطِّىَ على فهمك» ؛ ولا يقال : قد غُطِّيت بالدثار عن الصواب مناكبك ولا ظهرك . ولفظة الدِّثار أَيضاً إنما

---

(١) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٤ «استعار السنات للدهر ، وهو جمع سنة ، والسنة : النعاس . والدثار ما تدثر به الإنسان فوق شعاره ، وذكره ههنا لأن السنة تؤدى إلى النوم ، والنائم من شأنه أن يتدثر»

(٢) زيادة من ط

(٣) ط «لاستيقظ . . . وانتبه من نومته وانكشف»

(٤) ط «المعنى يمضى مستقيماً»

(٥) زيادة من ط

تستعمل لمنع الهواء والبرد ، لا لمنع الفهم والرشد[١] .

* * *

٣١ – ومن خطائه قولُه :

وَأَرَى الْأُمُورَ الْمُشْكلاتِ تَمَزَّقَتْ ظُلُمَاتُهَا عَنْ رَأْيكَ الْمُتَوَقِّدِ[٢]

عَنْ مِثْلِ نَصْلِ السَّـيْفِ إِلاَّ أَنَّه مُذْ سُـلَّ أَوَّل سَلَّةٍ لَمْ يُغْمَدِ

فَبَسَطْتَ أَزْهَرَها بِوَجْهٍ أَزْهَرٍ وَقَبَضْتَ أَرْبَدَهَا بِوَجْهٍ أَرْبَدِ

فقال « الأمور المشكلات » وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول : فبسطت أزهرَها ، والزُّهْرُ هي النَّيرة[٣] ، والمشكلات لا يكون منها شيء نَيِّر ![وكأنه][٤] يريد أن الأُمور المشكلات[٥] منها جيد قد أَشكل الطريقُ إليه ، ومنها رديء قد جُهلت أيضاً حاله : فهي كلها مظلمة ، فيمزق[٦] ظلماتِها برأيه ، ويكشف عن الجيد منها ويبسطه[٧] ، أي يستعمله ، ويكشف عن رديئها ويَقْبضه أي يكفُّه ويطرحه . ولكن ما كان[٨] ينبغي له أن يقول : « بوجه أزهر » و « بوجه أربد » ؛ لأنه لا صُنْع للوجه ههنا ولا تأثير ؛ لأَن الصنع إنما هو للرأي وللعقل[٩] : فإذا رأى ذو الرأى اسْتنارت به[١٠] الأَشياء المظلمة ،

(١) قال ابن المستوفي – كما في هامش شرح التبريزي « هذا الذي أنكره الآمدي غير منكر ؛ لأن النائم غالباً يتدثر بالدثار ، ألا ترى إلى قول الله تعالى : « يا أيها المدثر » وكذلك قوله تعالى « يا أيها المزمل » فثاني البيت متعلق بأوله تعلقاً صحيحاً ، ويريد بالسنات حقيقة النوم »

(٢) ديوانه ١١٣ وشرح التبريزي ٢/٥٢

(٣) ط « النيرات . . . . لا يكون شيء منها نيراً »

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « المشكلة »

(٦) م « فتمزق »

(٧) م « وتبسطه »

(٨) م « ولكن ما ينبغي أن »

(٩) م « للرأي من الفعل »

(١٠) ط « استبان منه »

وانفتحت المُغْلَقَةُ ؛ أو رأى أن يُغْلق أمرًا مفتوحاً إذا كان الصواب موجباً ذلك عنده ؛ فالرأى على الأحوال كلها [أزهر][١] مُسفر ، والوجه على الأحوال كلها أبيض ، وإذ لم يك[٢] أبيض فى لونه . والعاجز إذا ورد عليه الأمر يَبْهظه تبين[٣] الكآبة فى وجهه ؛ ولله در منصور النمرى حيث يقول :

يُرَى سَاكِنَ الأَوْصالِ باسطَ وجْهِهِ   يُرِيك الْهُوَيْنَا وَالأُمُورُ تَطِيرُ[٤]

فقال : «ساكن الأوصال باسط وجهه» فدلّ على قلة اكتراثه بالأمور التى تَرِدُ عليه ، وقول أبى تمام : «بوجه أرْبَدِ» لا معنى له ؛ لأنه من صفة[٥] الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه ، وهو عندى فى ذلك غالط ، وفى ذلك مسىء .

* * *

٣٢ – ومن خطائه قولُه [يذكر سير الإبل][٦]

كالأرْحَبِىِّ المذكّى سَيْرُهُ الْمَرَطَى   وَالْوَخْدُ والْمَلْعُ والتَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ[٧]

فالأرْحَبِىُّ من الإبل : منسوب إلى أرْحَب[٨] ، حىٌّ من هَمْدان تنسب إليهم النجائب .

---

(١) زيادة من ط

(٢) ط «وليس يريد أبيض»

(٣) ط «تبينت»

(٤) ط «ترى»

(٥) ط «من صفات»

(٦) من ك

(٧) ديوانه ٤٨ وفى شرح التبريزى ١/٢٥٢ «كان بعض الناس يقول لأبى تمام : أنا أستحسن قول امرئ القيس :

وتعرف فيه من أبيه شمائلا   ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

سماحة ذا وجود ذا ووفاء ذا   ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

فذكر أربعة ورد عليها أربعة أصناف . فلقيه أبو تمام بعد مدة فقال له : أنشدتنى بيتى امرئ القيس وتستحسن ذكره لأربعة ورده عليهم أربعة أصناف ، وقد ذكرت خمسة ورددت عليهم خمسة أصناف ، وأنشده البيتين» يريد هذا والذى قبله وهو :

وزير حق ووالى شرطة ورحا   ديوان ملك وشيعى ومحتسب

(٨) م «إلى رحب»

والمذكى : الذى قد انتهى فى سنه وقوّته .

والمَرَطَى من عَدْو الخيل : فوق التّقْريب ودون الإِهْذَاب[١].

والوَخْد : الاهتزاز فى السير مثل وَخْد النعام .

والمَلْع من سير الإبل : السريع .

والتقريب من عَدْو الخيل معروف . والْخَبَبُ : دونه .

وليس التقريب من عَدْو الإبل ، وهو فى هذا الوصف مخطئٌ ، وقد يكون التقريب لأَجْنَاسٍ من الحيوان ، ولا يكون للإبل ، فإنّا ما رأينا [قطُّ] [٢] يقرب تقريب الفرس .

والْمَرَطى أيضاً : من عَدْو الخيل ؛ ولم أره فى أوصاف [سير] الإبل ولا عدوها[٣] .

* * *

٣٣ ـ ومن خطائه قوله :

وَمشْهَدٍ بَيْنَ حُكْيمِ الذُّلِّ مُنْقَطِـعٌ صَالِيهِ ،أَوْ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ[٤]

جَلَّيْتَ والْمَوْتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتهِ وَقَدْ تَفَرْعَنَ فِى أَفْعَالِهِ الأَجَلُ

فقوله : « بين حكم الذلّ » لو كان حكم الذلّ أشياء متفرقة لصلحت[٥] فيها « بين » غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك [حكم] [٦] العز والعز ، فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال[٧] هذا ؛ لأن « بين » إنما هى وَسط بين شيئين .

---

(١) اللسان ٩/٢٧٨ وفى م « ودون الإلهاب »

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « ولا سيرها » .

(٤) ديوانه ٢٢٨

(٥) ط « لصحت »

(٦) زيادة من ط

(٧) م « يقال : ركذا لأن »

فإن قال : إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومَنْ يصلى بها[١] ؛ فكأنه ذهب بقوله « بين » إلى معنى وسط ، أى ومشهد وسط حكم الذل .

قيل : وَسط لا يحلّ محل بَيْن ، وبين لا يحل محل وسط ؛ لأنك تقول : البئر وسط الدار ، ولا تقول : البئر بين الدار ، وتقول : المال بيننا نصفين ، ولا تقول : المال وسطنا . والمعنى الذى بنى أبو تمام البيتَ عليه سياقَة [٢] لفظهِ أن يقول : ومشهدٍ بين حكم الذل وحكم العز ، أو[٣] ومشهد بين الذل والعز ، محجمٌ من يصلاه — وهو الذليل — أو مُقْدم — وهو العزيز — جلّيته وكشفته . [وهو] يعنى الممدوح ؛ فحذف أحد القسمين الذى لا يصلح «بين » إلا به مع القسم الآخر ، وجعل قوله «منقطع » فى موضع مُحْجِم ، و «متصل » فى موضع مُقْدم . [وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع][٤] وقد أغراه الله بوضع الألفاظ فى غير موضعها[٥] مِن أجل الطِّباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به . وقوله «وقد تفرعن فى أفعاله الأَجل » معنى فى غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة ، وما زال الناس يعيبونه به ، ويقولون : اشتقٌ للأَجَلِ الذى هو مُطِلٌّ على كل النفوس فعلاً من اسم فِرْعَوْن ، وقد أتى الأَجل على نفِس فِرْعَوْنَ وعلى نفس كل فرعونٍ كان فى الدنيا .

* * *

(١) ط « يصلاها »

(٢) ك « فسياقة »

(٣) ط « ى »

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « مواضعها »

٣٤ - ومن خطائه قوله :

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ ٱلشَّرَفَ اقْتِسارًا   وَلَوْلا السَّعْيُ لَمْ تَكُنِ الْمَساعِي[١]

قوله « سعى فاستنزل الشرف اقتسارا » ليس بالمعنى الجيد ، بل هو عندى هجاء مصرح ؛ لأنه[٢] إذا استنزل الشرفَ فقد صار غير شريف[٣] ، وذلك أنك إذا ذَمَمْتَ رجلاً شريفاً شريف[٤] الآباء ، كان أبلغَ ما تذمُّه به أن تقول : قد حَطَطْت شرفَك ، ووضَعْت من شرفك .

وقد وكَّده بقوله : « اقتسارا » .

وقوله : « ولولا السعى لم تكن المساعى » فبئس السعى والله سَعَى ؛ لأن الشرف[٥] لا يُحَطُّ إلا بألأَم ما يكون من الأفعال ، وكأنه إنما أراد سعى نحو[٦] الشرف بنفسه فأفسد المعنى بذكر استنزاله إياه ، [كأنه][٧] لو لم يستنزله ما كان يكون حاوياً [له][٧] . فهلا قال : تَرَقَّى إلى الشرف الأعلى فحوَاه ، أو بلغ النجم ، أو علا على الشمس . كما قال الآخر :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْس مِنْ كَرَمٍ   قَوْمٌ بِسُؤْدَدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا[٨]

* * *

٣٥ - ومن خطائه قوله :

يَقِظٌ وَهْوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِغْضَا   ءً عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَسْرُوقِ[٩]

---

(١) ديوانه ١٩٤ وشرح التبريزى ٢/٣٣٩ ويروى : « اقتدارا »
(٢) م « لأنه ليس إذا » .
(٣) م « شريف . . . وذلك أنه »
(٤) م « رجلا بشريف الآباء »
(٥) م « الشرف بنفسه فاسد المعنى إلا بألأم »
(٦) ط « سعى فحوى الشرف نفسه »
(٧) زيادة من ط
(٨) سبق فى ص ١٥٣
(٩) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزى ٢/٤٤٥

قوله «على نائل له مسروق» خطأ؛ لأن نائله هو ما يُنيله، فكيف يكون مسروقاً منه؟ وهل يكون الهجو إلا هكذا: أن يجْعَل نائله مأْخوذاً منه على سبيل السرقة، وإنما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ. جعله ممن يسرق منه؛ إذ كان من شأْن المتيقظ. أن لا يغفل حتى يستتم[١] عليه السرق، وقد كان يصح هذا المعنى لو قال: على مال له مسروق، حتى يكون يعطى ماله اختيارًا لجوده، [وَيُغْضِى إذا سرق منه لكرمه] [٢].

* * *

٣٦ - ومن خطائه قولُه:

لَوْ يَعْلَمَ الْعافُونَ كَمْ لَكَ فِى النَّدَى   مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ[٣]

ويروى «من لذة أَو فَرْجَة»[٤] أى: من لذة وافتراج، أى ابتداع واستخراج، وهذا عندى غلط: لأَن هذا الوصف الذى وصفه به[٥] داعيةٌ إلى[٦] أن يَتَناهى الحامدُ له فى الحمد، ويجتهد فى الثناء[٧] لا أن يَدَعَ حَمْده. وإنما ذهب إلى أَن الإنسان إنما يحمد على الشىء الذى يتكلَّفه [ويتجشَّمه][٨] ويتحمل المشقة فيه، لا على الشىء الذى له بواعث شهوة له[٩] من نفسه وشدة صبابة إليه ومحبة لفعله، ومَنْ كان غرامُه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب أَن يحمد ويمدح.

(١) م «يستمر»
(٢) زيادة من ط
(٣) سبق ص ١٢١ ويرى الصولى أن أبا تمام نقل قول المأمون: «إنى لأعشق العفو حتى أظن أنى لا أوجر عليه» وجعله فى الجود
(٤) ط «من لذة ومن فرجة» والزيادة منها
(٥) من ك
(٦) من ك
(٧) ط «فى الثناء بأن لا يدع حمده» وهو تحريف
(٨) زيادة من ط
(٩) من ك

فأما قول البحترى :

وَلَقَدْ أَبَدْتَ الْحَمْدَ حَتَّى لَوْ بَنَتْ كَفَّاكَ مَجْدًا ثَانِياً لَمْ تُحْمَدِ[1]

فمذهب صحيح ، يريد أنك قد أفنيت الأوصاف والمحامد ؛ فإن جئت بنوع ومن المكارم تَبْنِى به مجدًا آخر ، لم يَقْدِر مَن يحمدك ويثنى عليك على أكثر مما قدم[2] .

* * *

٣٧ – ومن خطائه قوله :

تَنَاوَلُ الْفَوْتَ أَيْدِى الْمَوْتِ قادِرَةً إذا تَنَاوَلَ سَيْفاً مِنْهُمْ بَطَلُ[3]

قوله : « تناول الفوت أيدى الموت » عويص من عويصاته ، وهو أيضاً محال . وإنما سمع قول سَعْد بن مالك[4] يقول :

هَيْهَاتَ حالَ الْمَـوْتُ دُو نَ الْفَوْتِ وَانْتُضِىَ السِّلاحُ[5]

والْفَوْت : هو النجاة ، أى : حال الموت دون النجاة ، وهذا صحيح مستقيم ، فقال هو «تناول الفوت أيدى الموت » وهذا محال ؛ لأن النجاة لا تتناولها يدُ الموت ولا تصل إليها ، وإلَّا لم تكن نجاة .

وهذا من تقعره[6] الذى يخرجه إلى الخطإ ، وإنما قَصَد إلى ازدواج الكلام فى الفوت والموت ، ولم يتأمل المعنى .

---

(١) ديوانه ٤٦١ « فلقد بنيت المجد حتى »

(٢) ط « مما تقدم »

(٣) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ١٨/٣

(٤) قال المؤلف فى المؤتلف والمختلف ١٣٥ : « سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة ، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية »

(٥) له فى حماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٧٨/٢ « أراد أن الموت قد حال دون أن يفوت الرجل فيذهب عن هذه الحروب منهزماً ، يريد أنه ليس إلا القتل أو الغلب »

(٦) ط « من تعقيده »

والوَجْهُ الصحيح قولُ البحترى :

تَتَدَانَى الْآجالُ ضَرْباً وَطَعْناً حِينَ يَدْنُو فَيَشْهَدُ الْهَيْجَاءَ[(١)]

* * *

٣٨ - ومن خطائه قولُه :

واكْتَسَتْ ضُمَّرُ الجِيَادِ الْمَذَاكِى مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَا دَماً وَحَمِيماً[(٢)]

فى مَكَرٍّ تَلُوكُها الحَرْبُ فِيهِ وَهْىَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشَّكِيما[(٣)]

وهذا معنى قبيح جدًّا : أن جَعَلَ الحربَ تلوك الخيل ، من أجل قوله «تلوك الشكيما» . و «تلوك الشكيما» أيضاً ههنا خطأٌ ؛ لأن الخيل لا تلوك الشكيم فى المكرّ وحَوْمَة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفةً لا مكرّ لها .

فإن قيل : إنما أراد أن الحرب تلوكها كما تلوك هى الشكيم .

قيل : هذا تشبيه ، وليس فى لفظ البيت عليه دليل ، وألفاظ التشبيه معروفة ، وإنما طرح أبا تمام فى هذا قلةُ خبرِه بأمر الخيل ، ألا ترى إلى قول النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجُمَا[(٤)]

والصيام ههنا القيام : أى خيل واقفة [مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهى واقفة][(٥)] وخيل تحت العجاج فى الحرب ، وخيل تعلك اللجما قد أسرجت وألجمت وأعِدَّت للحرب .

---

(١) ديوانه ٧١٣

(٢) ديوانه ٢٩٣ وشرح التبريزى ٣/٢٢٩ والحميم هنا : العرق

(٣) مقورة : ضامرة

(٤) ديوانه ٩٥ واللسان ١٢/٣٥٧ ، ١٥/٢٤٤ والمعانى الكبير ٢/٩١٥ والبحر المحيط ٢/٢٦ ومجمع البيان ١ /٢٧١ ومقاييس اللغة٣/٣٢٣ وغير منسوب فى الصاحبى ٤٦

(٥) زيادة من ط

والشاعر الحصين[١] كان أحذق من أبي تمام وأعلم بأمر الخيل ، قال :

وَإذا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إلى انْصِرَافِ الزَّائِرِ[٢]

وإلا فمتى رأى فرساً يجرى وهو يلوك شكيمه ؟

فأما قول أنس بن الريان :

أَقُودُ الجيادَ إلى عَامِرٍ عَوَالِكَ لُجْمٍ تَمُجُّ الدِّمَاءَ[٣]

فإن القود قد يكون فى خلاله تلبُّثٌ[٤] وتوقّف تلوك فيه الخيلُ لجمها ، والمَكَرُّ لا يستقيم ذلك فيه [بحال] .

فأما قول [أبي][٥] حُزَابَةَ التميمى :

خاضَ الرَّدَا فى العِدَا قِدْماً بِمُنصُلِهِ والْخَيْلُ تَعْلُكَ ثِنْىَ الْمَوْتِ بِاللُّجُمِ[٦]

فإنما جعل ثنى[٧] الموت مثلاً ، والثنى : حطام النبات اليابس ، ولم يرد أن الخيل تعلك اللجم على الحقيقة .

* * *

٣٩ – ومن خطائه قوله :

والحَرْبُ تَرْكَبُ رَأْسَهَا فى مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمِ[٨]

فى سَـــاعةٍ لَوْ أَنَّ لُقْماناً بِهَا وهُوَ الحَكِيمُ لَكانَ غَيْرَ حَكِيمِ

جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ فى أَوْكارِهـــا فَتَرَكْن طَيْرَ الْعَقْلِ غَيْرَ جُثُومِ[٩]

(١) ط « الحصينى » وهو تحريف

(٢) فى معاهد التنصيص ٢/١٣٢ ليزيد بن مسلمة

(٣) م « علائك »

(٤) م « تثبت »

(٥) الزيادة من ط وأبو حزابة ، هو الوليد بن حنيف ، وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى ١٩/١٥٢ – ١٥٦

(٦) ط « قدما عنصله . . . ثن » وهو تحريف

(٧) ط « جعل ثن . . . والثن » وهو تحريف

(٨) ديوانه ٣٠٧ وشرح التبريزى ٣/٦٦

(٩) فى ديوانه ٣٠٨ « طيور الهلك »

فالبيتان الأولان جيدان ، وقوله « جثمت طيور الموت فى أوكارها » بيت رديء[1] القسمة ، رديء المعنى ؛ لأنه جعل طير الموت فى أوكارها جاثمةً : أى ساكنة لا ينفِّرها شيء ، وطيرَ العقل غير جُثُومٍ ؛ يعنى أنها نفرت فطارت ، يريد طيران عقولهم من شدة الرَّوْع ، وما كان ينبغى أن يجعل طير الموت جثوماً فى أوكارها ، وإنما كان الوجه أن يجعلها جاثمة على رءوسهم ، ووُقَّعًا[2] عليهم . فأما أن تكون جاثمة فى أوكارها فإنها فى السلم و[3] فى الأمن جاثمة فى أوكارها أيضاً ، وطير العقل ليست بضدٍّ لطير الموت ، [وإنما هى ضد لطير الجهل ، وطير الحياة هى الضد لطير الموت][4] . ولو كان قال :

جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ فوق رُؤوسهم   فتركْنَ أطْيارَ الْحَياةِ تَحُومُ[5]

لكان أشْبَهَ وأَلْيَقَ ، أو لو قال :

سَقَطَتْ طُيُورُ الروع فَوْقَ رُؤوسِهِمْ   فَتَرَكْنَ طيرَ العقلِ فى التَّحْويم[6]

لكان أيضاً قريباً من الصواب ؛ لأنهم يقولون : طار عقله من الرَّوع ، فإذا ثاب إليه عقله وسكن قيل : قد أفْرَخَ رَوْعُه ، وهذا مَثَل ، وذلك أن الطائر إذا أفرخ لزم عُشَّه وفراخَه ، وقد يجوز أن يكون « أفرخ رَوْعُه » أى : ذهب ؛ لأن الطائر إذا أفرخ وطارت فراخه انتقل عن ذلك العش .

وقولهم « جثم الطائر » إنما هو أن يلصق جُثْمانه بالأرض ، فذهب[7] إلى أن طيور الموت ساكنة ، وطيور العقل منزعجة طائرة .

(١) ط « ردىء فى . . . ردىء فى »
(٢) ط « أو واقعة »
(٣) ط « أو »
(٤) زيادة من ط
(٥) ط « الموت فى أوكارها »
(٦) ط « طيور الموت . . . فتركن أطيار العقول فى التحويم »
(٧) ط « يذهب »

وقوله «غير جُثُوم» لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة ؛ لأن الطائر قد [لا] يكون جاثماً و[1] يكون قائماً على رجليه ساكناً مطمئناً ، وهذه حاله فى أكثر أوقاته ؛فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ، ولا يؤدى [إليه] التأدية الصحيحة عنه .

* * *

٤٠ ـ ومن خطائه قولُه فى وصف الفرس :

مَا مُقْرِبٌ يَخْتَالُ فى أَشْطَانِهِ مَلْآنُ مَنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهْوُقِ[2]

قوله «ملآن من صَلف [به]» يريد التِّيهَ والكبر ، وهذا مذهب العامة فى هذه اللفظة ؛ فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى ، وإنما تقول : قد صَلِفَتِ المرأة عند زوجها ، إذا لم تَحْظَ عنده ، وصَلِفَ الرجلُ كذلك ؛ إذا كانت زوجته تكرهه . وقال جرير :

إنِّى أُوَاصِلُ مَنْ أَرَدْتُ وِصالَهُ بِحِبالِ لا صَلِفٍ وَلاَ لَوَّامِ[3]

والصَّلِف : الذى لا خير عنده ، ومَثَل يضرب «رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَة»[4] يعنون الرعد بغير مطر .

فهذا معنى الصلف فى كلامهم ، وعلى هذا قد ذم أبو تمام الفرَس من حيث أراد أن يمدحه .

والتلهوق : هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ، ومنه قولُ الأَغلب الْعِجْلى [فى مفاحشاته] يصف مداراة رجل[5] امرأةً [حتى] نال منها [مراده] :

---

(١) ط «وقد»

(٢) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزى ٢/٤٠٩ . والمقرب الفرس . والمراد بالأشطان هنا : الأرسان . «أى كأن فيه من حسن انتصابه وسموه صلفاً وتلهوقاً ، أى مرحاً ونشاطاً كالجنون»

(٣) ديوانه ٥٥١ وفى ط «ولا كوام» وهو تحريف

(٤) فى جمهرة الأمثال ١٠٩ «يضرب مثلا للبخيل الواجد . والراعدة : السحابة ذات الرعد . . . والمعنى أنه ممنوع مع كثرة ماله كالسحابة الكثيرة الماء لا تجود بغيث» وهو فى اللسان ١١/٩٩

(٥) ط «رجل له»

فَلَمْ يَزَلْ بِالْحَلِفِ النَّجِيِّ لَها وَبِالتَّلَهْوُقِ الخَفِيِّ
أَنْ قَدْ خَلَوْنا بِفَضَاءٍ بَقِيِّ وَغابَ كُلُّ نَفَسٍ مَخْشِيِّ[1]

وقد ذكر أبو عبيد[2] القاسمُ فى «الغريب المصنَّف» فى أول نوادر الأسماء التهوقَ ، وقال : وهو مثل التملُّق .

وما أرى أبا تمام فى وَضْع هاتين اللفظتين [فى هذا الموضع] إلا غالطاً[3] .

* * *

٤١ — وقال أبو تمام :

عَطَفُوا الْخُدُورَ عَلَى الْبُدُورِ وَوَكَّلُوا ظُلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهَّدِ[4]
وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صِيانَةً وَشْيَ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ

البيت الأول حَسَن حُلْو ، وأخذ قوله «وثنوا على وشى الخدود صيانة وشى البرود» من قول الكُمَيْت :

وأَدْنَيْنَ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالْأَسِيلِ[5]

وقوله «بِمُسْجَفٍ وممهد» فالمسجَفُ يريد سِتر بابِ الْجَحَلَةِ ، وكلُّ ستر[6] مشقوق فكلُّ شق منها سِجفٌ ، وكذلك سِجف الخِباء ، والمسجَّف : المرخى ، والتسجيف : إرخاءُ السجفين ، وقوله «بمسجف» أى من مسجف وممهد ؛ فجعل الباءَ فى موضع «من» ، كما قال عنترة :

---

(١) م «الفضاء فى . . كل لقش»

(٢) ط ، م «أبو عبيدة» وهو خطأ

(٣) قال ابن المستوفى كما فى هامش شرح التبريزى ٤١٠ «إنما بنى أبو تمام معنى الصلف على ما أرادته العامة ، وهو العجب والتيه ، وإن كان هذا لا يسوغ استعماله لكونه عامياً ، وكذلك قوله : وتلهوق ، وإن كان لفظاً عربياً إلا أنه مستبشع ، وهو موضوع فى غير موضعه فى بيته ، فقد جمع بين اللفظ العامى واللفظ الحوشى»

(٤) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢/٤٦ «بحور عين نهد»

(٥) سبق ص ١١٠

(٦) ط «وكل باب . . . فكل ستر»

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْراءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ[1]

أى : من ماء الدحرضين .

والممهَّد : الْوِطَاء الذى يُوَطَّأُ تحت المرأة ، فكيف يكون ذلك منسوقاً[2] على السِّجْفِ الذى ذكر أنهم ثَنَوْه على وشى الخدود ؟ والممهَّد ليس هذه حاله ، فيعطفَه عليه .

فإن قيل : فيكون[3] محمولاً على قول الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجكِ فِى الْوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفاً وَرُمْحا[4]

والرُّمح لا يُتَقلد ، وقول الآخر :

* وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونا[5] *

والعيون لا تُزَجَّج ، وإنما أراد ذاك : متقلدًا سيفاً وحاملا رمحاً ، وأراد هذا : وزجَّجن الحواجب وكحّلن العيونا .

---

(١) ديوانه ١٤٧ وشرح القصائد العشر ١٨٦ وشرح المعلقات للزوزنى ١٤٤ واللسان ١٥/٩٥ وأساس البلاغة ١/٢٨١ والصاحبى ٧٦ وأدب الكاتب ٥١٧ والاقتضاب ٤٤٧ وسر الفصاحة ٦٥ فى أمالى المرتضى ٢/٨٤ « معناه : شربت من ماء الدحرضين » وقال ابن السيد : « والدحرضان : وماءان يقال لأحدهما : وشيع وللآخر : الدحرض ، فلما جمعهما غلب أحدهما على الآخر . وزوراء : مائلة منحرفة . وأراد بالديلم : الأعداء » . وانظر هامش تأويل مشكل القرآن ٤٣١

(٢) ط « ذلك مشرفاً »

(٣) ط « كيف لا يكون »

(٤) نسبه الأخفش فى تعليقه على الكامل ١/٢٨٩ لعبد الله بن الزبعرى وروايته هناك « ياليت زوجك قد غدا » وهو كذلك من غير نسبة فى اللسان ٣/١١١ ، ٤٣٠ ، ٩/٣٩١ ومجمع البيان ١/١١١ وتفسير الطبرى ١/٤٧ وأمالى المرتضى ١/٥٤ ، ٢/٢٦٠ ، ٣٧٥ والبحر المحيط ٢/٤٦٤ ، ٦/٤٨٥ وتأويل مشكل القرآن ١٦٥

(٥) صدره : « إذا ما الغانيات برزن يوماً » وهو للراعى كما فى اللسان ٣/١١١ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٦٣ وغير منسوب فى تأويل مشكل القرآن ١٦٥ وأساس البلاغة ١/٣٩٤ وأبواب مختارة ١٥ والصناعتين ١٨٢

قيل : متقلّد السيفِ هو حامله أيضاً ، فحَسُن أن يعطف [الرمح] على السيف ؛ لأنهما جميعاً محمولان .

وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زِينةٌ ، فحَسُن عطف أحدهما على الآخر .

والممهَّد لا يشرك الستر فى شىء من تغطية الوجه[1] ولا صيانته ، ولابنيت ألفاظ البيت إلا على ستر الخدود بالستور ، ولا يتعلق[2] الممهد بالمعنى بإضمار لفظ ولا غيره .

* * *

٤٢ - ومن خطائه قوله :

بِقَاعِيَّةٍ تَجْرِى عَلَيْنَا كُؤُوسُهَا فَتُبْدِى الَّذِى نُخْفِى وَتُخْفِى الذِى نُبْدِى[3]

ذهب فى هذا إلى أن الخمر تُخفى الذى نبديه[4] فى حال الصَّحو من الحِلم والوقار والكف عن الهزل واللعب ، « وتبدى الذى نخفى »[5] أى : الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله ؛ لأنه فى الطبيعة والغريزة ، والذى كنا نُظهره إنما هو تصنُّع وتكلف ، ويدخل فى هذا ما يبوح به المحب من الحب الذى كان يكتمه فى صَحْوه ويُظهر ضدَّه ، أو ما يبوح به من بُغْض زيد وكان يظهر فى صَحْوه مودَّته وينافقه[6] وكذلك ما يظهره السكر من بُخْل البخيل

(١) م « تغطية الواحدة »

(٢) م « ولا يتعلق التمهيد على المعنى . . . ولا تأويل » .

(٣) ديوانه ١١٥ وفى شرح التبريزى « فتبدى الذى تخفى ونخفى الذى تبدى » وهو تحريف . بقاعية : نسبها إلى البقاع ، وهو موضع بدمشق ، تنسب إليه الخمر

(٤) م « تبديه »

(٥) م « تخفى »

(٦) ط « مودته ومنافعه » وهو تحريف

ومَنْع[١] ما كان يتجمل[٢] ببذله فى الصَّحو ، أو ما يظهره من السماحة التى كان[٣] لا يسمح بمثلها فى صحوه خوفَ العاقبة ونحو هذا ، وما سقط. قول الحكماء[٤] : « [إن][٥] الشراب يثير [كل] ما وجد » أى : يظهر كل ما فى النفس من خير وشر وحَسَن وقبيح ؛ فكلُّ شىء يظهره الإنسان وليس فى اعتقاده ولا نيته – فإن الذى يضمره ويكتمه فى نفسه هو ضده ، فإذا أظهر السكرُ اعتقاد المعتقد الذى هو الصحيح ، فإن ضدَّه مما كان يتصنع[٦] بإظهاره يَبْطل ويتلاشى ؛ لأن الشراب يخفيه ويطويه فى الضمير حتى يكون مكتوماً كما كانت الحقيقة مكتومة ، هذا محال ؛ لأن القلبَ هو مَحلٌّ المعتقدات ؛ فلا يجوز أن يجتمع فيه[٧] الشىء وضده ، والاعتقادات لا تكون باللسان ؛ لأن اللسان يكذب ، والقلب لا يتضمن إلا الحقيقة .

وقول أبى تمام : « فتبدى الذى نخفى »[٨] قول صحيح .

[وقوله][٩] : « وتخفى الذى نبدى » لفظ.[١٠] فاسد ؛ لأن تخفى معناه تكتم وتستر ، والذى قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته .

فإن قيل : ولم لا يكون هذا توسعاً ومجازًا ؟

---

(١) م « فيمنع »
(٢) ط يتحمله »
(٣) م « كان الشح يمنعها . . . وخوف العافية »
(٤) ط « من قول »
(٥) زيادة من ط
(٦) ط « يتجمل »
(٧) ط « فيها »
(٨) م « يخفى »
(٩) زيادة من ط
(١٠) ط « اللفظ »

قيل : المجاز فى مثل هذا لا يكون ؛ لأن الشىء الذى تكتمه[١] وتطويه إنما أنت خازنٌ له وحافظٌ ؛ فهو ضد للشىء الذى تزيله وتُبْطِله ، والأضداد لا يستعمل أحدها فى موضع الآخر إلا على سبيل المجاز .

* * *

٤٣ — ومن خطائه قوله فى وَصْف فَرَس :

وَبِشُعْلَةٍ تبدو كَأَنَّ فُلُولَها ... فِى صَهْوَتَيْهِ بَدْءُ شَيْبِ الْمَفْرِقِ[٢]

قوله « فلولها » يريد ما تفرق[٣] منها فى صهوتيه ، والصَّهْوة : موضع اللبد ، وهو مقعد الفارس من الفرس ، وذلك الموضع أبدًا ينحت شعره لَغَمْز السرج إياه فينبت أبيض ؛ لأن الجلد هناك يرقّ ، وأنت تراه فى الخيل كلها على اختلاف شِياتِها ، وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل ؛ فهذا خطأ من هذا الوجه .

وهو خطأ من وجه آخر ، وهو أن جعله شعْلة ، والشعلة لا تكون إلا فى الناصية أو الذنب ، وهو أن يبيضَّ عرضها وناحية منها ، فيقال : فرس أشعل وشَعْلاء ؛ وذلك[٤] من عيوب الخيل ؛ فإن كان ظهر الفرس أبيض خلقةً فهو أرْحَل[٥] ، ولا يقال أشعل .

وقد أخذ البحترى قوله « بَدْءُ شَيْبِ المفرق » فجاء به حسناً جدًّا ، ثم سلم من العيب ، فقال :

---

(١) م « يكتمه ويطويه وإنما »

(٢) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزى ٢/٤١١ « كأن قليلها » وهما روايتان . وفيهما وفى ط « وبشعلة نبذ » ولم يشرح التبريزى معناها . وقد شرحه ناشر الديوان « محيى الدين الخياط » بقوله « نبذ : مطروحة » وقد نقله الشيخ « محمد محيى الدين » ناشر ط . وهو شرح خاطئ . والصواب أن يقال : نبذ : أى فيها شيب قليل ، جاء فى اللسان ٥/٤٩ « وفى الرأس نبذ أى يسير من شيب »

(٣) م « ما يفرق »

(٤) ط « وذلك عيب »

(٥) اللسان ١٣/٢٩٧ وفم « أرجل »

وبِشُعْلةٍ كالشَّيْبِ مَرَّ بمَفْرِقَىْ غَزِلٍ لَها عن شَيْبِهِ بِغَرامِهِ[١]

فقال «بشعلة» ولم ينصَّ على موضعها ، ومعلوم أنه أراد بياضاً فى الناصية ، وقال «مر[٢] بمفرقَىْ غَزِلٍ» فأوضح أنه ذاك الموضِعَ أراد وقال «لها عن شيبه بغرامه» فأى بشىء يفوق كل حُسْن . إلا أن البياض فى الناصية من عيوب الخيل ، وكذلك البياض [فى الذَّنَب ، ليس بين الناس][٣] فى ذلك اختلاف ، ويقال لبياض الناصية أيضاً : السَّعَفُ .

وأيضاً فإن البحترى وصف فرساً أدهم [أغر] فقال :

جَذْلانُ تَلطمُهُ جوانِبُ غُرَّةٍ جاءَتْ مَجِيءَ البدْرِ عندَ تمامِهِ[٤]

فأى حُسْنٍ يكون لبياض الناصية على بياض غرة ؟

ومن قبيح وصْف شياتِ الخيل ، قولُ أبى تمام فى [وصف] هذا الفرس أيضاً :

مسوَدُّ شَطْرٍ مثلَ ما اسْودَّ الدُّجَى مُبْيَضُّ شطْر كابْيضاضِ المَفرِقِ[٥]

شَطْر الشىء : جانبه وناحيته ، قال الله عز وجل : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ﴾[٦] أى ناحيته .

وقد يُراد بالشَّطر نصفُ الشىء ، يقال : قد شاطرتك مالى ، أى : ناصفتك ، فهذا هو الأكثر الأعمُّ فيما يستعملون ، وذلك من أقبح شِيات الأبلق على ظاهر هذا المعنى . ولم يُرده أبو تمام ، وإنما أراد بالشطر ههنا

(١) ديوانه ٤٣٣ «فى شعلة»
(٢) م «مر بمعنى فى غزل» وهو تحريف
(٣) الزيادة من ط
(٤) ديوانه ٤٣٢
(٥) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزى ٢/٤١٤ وفيهما «كابيضاض المهرق» أى الحريرة البيضاء ، وهما روايتان . قال التبريزى : «هذا البيت يومى به إلى الشعلة ، يريد أنه مقسوم على شعرة سوداء وشعرة بيضاء . وظاهر لفظه يوهم من لا يعلم أن نصفه بكليته : أسود سواداً متصلا ، وليس كذلك»
(٦) سورة البقرة : ١٥٠

البعض والجزء ، أى مسودّ جزء مبيضّ جزء ؛ فجاء بالشطر لأنها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع [والله أعلم] .

والجيدُ النادر قولُ البحترىِّ :

أَوْ أَبْلَقٍ يَلْقَى العُيُونَ إِذَا بَدَا ... من كلِّ لوْن مُعْجِبٍ ، بنَمُوذَجِ[١]

وقد جعله[٢] أبو تمام فى أول الأبيات أَشْعَلَ بقوله : و « بشعلة [نَبْذٍ][٣] » ثم جعله ههنا أبلق ؛ فهذا الفرس هو الأَشعل الأَبلق على مذهبه فى هذا التشبيه .

ولا يُنْكر[٤] هذا من ابتداعاته .

* * *

٤٤ ـ [[٥]ومن خطائه قوله :

فكم دِيةٍ تِمٍّ غَدَوْتَ تَسُوقُها ... لها أَثَرٌ فى تالِدِى غيرُ تالِدِ[٦]

وليست دياتٍ من دماءٍ هرَقْتَها ... حرَاماً ولكنْ من دِماءِ القصائدِ

قوله : « فكم دية تِمٍّ » أى تامة ، يعنى عشرات الألوف التى كان يصله بها .

وقوله : « لها أثر فى تالدى » أى فى مالى الذى ورثته عن آبائى « غير تالد » أى غير[٧] ميراث . يقول : هى زائدة فى ميراثى الذى ورثته عن آبائى ومُقَوِّيةٌ له ، وهى غير ميراث منك ، بل صلة وتفضل. وإنما لم يذكر أنه

(١) ديوانه ٤٣٠

(٢) م « وقد جعلها »

(٣) م « بيد » وهو تحريف

(٤) ط « ولا ينكر مثل »

(٥) من هنا إلى قوله وإنما تأكل اللحوم سقط من ك

(٦) ديوانه ١١٩ وشرح التبريزى ٢/٧٦ .

(٧) م « خير » .

أراد أنها قوّت أصلَ مالِه الذى عليه يُعَوِّل ، وزادت فيه ، وإذا قوت أصل المال القديم [فهى] [1] للطريف أيضاً مُقَوِّية . ثم قال :

وليست دياتٍ من دماء هرقْتَها حراماً ولكنّ من دماء القصائدِ

فأتى فى هذا بأقبح ما يكون من الخطإ وأشنعه ، وهجا ممدوحه . وهذا أبو الحسن بن الهيثم بن شبابة ظن أنه مادحه ، فكيف يكون الممدوح قاتلا لمدائحه التى فيها وصف مفاخره ومناقبه ، وهى مشيدة بذكر معاليه وشرف آبائه وفيها إحياء ذكرهم ؟ فإذا سفك دماءها فقد محا ذلك كله وهدمه وأبطله وأماته ، وجازى القصائد بضد ما تستحقه من تدوينها وروايتها وحفظها وإدامة إنشادها . ثم لم يقنع حتى جعل سفك دمائها حلالا بقوله :

وليست ديات من دماء هَرَقْتَها حراماً ولكن من دماء القصائد

وحسبه بهذا خطأً وجهلا وتخليطاً ، وخروجاً عن العادات فى المجازات والاستعارات .

وقد قال فى آخر هذه القصيدة :

بِسَبَّاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غيرِ سائقٍ وتَنْقادُ فى الآفاق من غير قائدِ [2]
جَلاَمِدُ تَخطوها اللّيالى وإنْ سَرَتْ لها مُوضِحاتٌ فى رُؤُوس الجلامِدِ [3]

فكيف تكون مقتولة مسفوكة الدم ، وهى تنساق من غير سائق وتنقاد فى الآفاق من غير قائد ؟ وكيف تكون كالجلامد تخطوها الليالى ولا تؤثر فيها ، وهى أميتت وأبطلت ؟

(١) زيادة يقتضيها المقام

(٢) ديوانه ١١٩ وشرح التبريزى ٢/٧٧ « بسياحة »

(٣) قال التبريزى : « جلامد : يعنى القصائد ، شبهها بالجلامد لطول بقائها على الدهر . وقوله : « موضحات فى رءوس الجلامد » يقول : إنى ذممت قوماً لم شرف مثل شرف الجبال التى تشتمل على الجلامد فغادرت فيها القصائد موضحات ، أى شجاجاً ، من الشجة الموضحة التى تظهر العظم »

فإن قيل : هذا كله إنما جاء به على الاستعارة لا على الحقيقة .

قيل : الاستعارة لا تستعمل إلا فيما يليق بالمعانى ، ولا تكون المعانى به متضادة متنافية . ولهذا حدود إذا خرجت عنها صارت إلى الخطإ والفساد .

٤٥ ـ ومن خطائه قوله :

وقد ظُلِّلَتْ أعْناقُ أعْلامِهِ ضُحًى　　بِعِقبانِ طَيرٍ فى الدِّماء نَوَاهِلِ[1]

نواهل من النَّهَل ، وهو الشُّرب الأَول . والعَلَلُ : الشرب بعد الشرب . والعقبان وسائر جوارح الطير لا تشرب الدماء ، وإنما تأكل اللحوم .

---

(١) ديوانه ٢٤٨ « عقبان أعلامه » والوساطة ٢٧١ وخزانة الأدب ١٩٦/٢ وهبة الأيام ١٩٠ والصبح المنبى ٣٧ والإبانة عن سرقات المتنبى ٣٨

الجزء الثالث

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشر بنِ يَحْيى الآمِدىُّ :

قد ذكرتُ فى الجزء الثانى [من كتاب] الموازنَةِ بين شعر أبى تمام والبحترى خَطَأَ[1] أبى تمام فى الألفاظ والمعانى ، وبَيَّضْت آخرَ الجزء لأُلحِقَ به ما يمر من ذلك فى شعره ، وأستدركه من بعدُ فى[2] قصائده .

وأنا أذكر فى هذا الجزء الرَّذْلَ من ألفاظه[3] ، والساقطَ من معانيه ، والقبيحَ من استعاراته ، والمستكْرَهَ المتعقِّد من نَسْجه ونَظمه ، على ما رأيت [المتذاكرين بأشعار] المتأَخِّرين يتذاكرونه ، وينعَوْنَه عليه ويعيبونه [به] وعلى أنى وجدتُ لبعض ذلك نظائر فى أَشعار المتقدمين فعلمتُ أنه بذلك اغترَّ ، وعليه فى العذر اعتمد ؛ طَلَبًا منه للإغراب[4] والإبداع ، ومَيْلا إلى وَحْشِىِّ المعانى والأَلفاظ .

وإنما كان يندر من هذه الأَنواع المستكرهة على لسان الشاعر المكثر[5] البيت [الواحد] والبيتان فَيُتَجاوز له عنه ؛ لأَن الأَعرابى لا يعول[6] إلا على قريحته ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يستقى إلا من قليبه[7] ، فأَما المتأَخِّر الذى يَطْبع على قَوَالِبَ ، ويَحْذو على أَمثلة ، ويتعلم الشعر تعلماً ، ويأخذه تلقناً : فمن شأْنه أَن يتجنَّب المذموم [منه] ، ولا يتبع من

---

(١) ط « أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وشعر أبى عبادة البحترى وخطأ »

(٢) م « من بعد معانيه »

(٣) م « لمن اللفظ »

(٤) ط « للإغراق »

(٥) ط « الشاعر المحسن . . أو البيتين يتجاوز له عن ذلك »

(٦) فى غير ك « لا يقول »

(٧) فى غير ك : « قلبه »

تقدَّمه إلا فيما استُحْسِن منهم ، واستُجيد لهم ، واخْتِير من كلامهم ، أو في المتوسط السالم إذا لم يقدر على الجيد البارع ، ولا يوقع الاختيار[١] والاستكثار مما جاء عنهم نادرًا ومن معانيهم شاذًّا ، ويجعله حجة له وعذراً ؛ فإن الشاعر قد يُعاب أشدَّ العيب إذا قصد بالصنعة سائرَ شعره ، وبالإبداع جميعَ فنونه ، فإنَّ تلك[٢] مُجَاهدةٌ للطبع[٣] ومغالبة للقريحة مخرِجةٌ[٤] سهلَ التأليف إلى سوء التكلفِ وشِدَّةِ التعمُّل ، كما عيب صالحُ بن عبد القُدوس وغيرُه ممن سلك هذه السبيل حتى سقط شعره ؛ لأن لكل شيء حدًّا إذا تجاوزَهُ المتجاوز سُمِّيَ مُفْرِطاً ، وما وقع الإفراط في شيء إلا شانَه وأحال[٥] إلى الفساد صحتَه ، وإلى القبح حسنَه وبهاءَهُ ، فكيف إذا تتبَّع الشاعرُ مالا طائل تحته[٦] ؛ من لفظة مستغثة لمتقدم ، أو معنًى وَحْشِيٍّ فجعله إماماً ، واستكثر من أشباهه ، ووشَّح شعره بنظائره إنَّ[٧] هذا لعينُ الخطإِ ، وغايةٌ في سوء الاختيار .

---

(١) ط « الاحتطاب » ك : « الاحتكار »
(٢) من ك
(٣) في غير ك : « مجاهدة الطبع ، ومغالبة القريحة »
(٤) م « ومخرجة »
(٥) ط « وأعاد »
(٦) ط ، ك « فيه من لفظة شنيعة »
(٧) في غير ك : « وإن »

باب

ما جاء[1] فى شعر أبى تمام من قبيح الاستعارات

١ ـ فمن مَرْذول ألفاظه وقبيح استعاراته قولُه :

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ ... أَضْجَجْتَ هٰذا الْأَنامَ مِنْ خُرُقِكْ[2]

٢ ـ وقوله :

سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللَّبَبِ الرَّخِيِّ ... وَلِينَ أَخَادِعِ الدَّهْرِ الْأَبِيِّ[3]

٣ ـ وقوله :

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فى أَخْدَعَيْهِ ... ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوباً[4]

٤ ـ وقوله :

تَرُوحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وتَغْتَدِى ... خُطُوبٌ كأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ[5]

٥ ـ وقوله :

أَلَا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّءٍ ... إلَى مُجْتَدِى نَصْرٍ فَيُقْطَعْ من الزند[6]

---

(١) من ك

(٢) ديوانه ١١٠ والوساطة ٣٩ ، ٦٨ ، ٤٤٦ والصناعتين ٦٠ ، ٣٠٣

(٣) ديوانه ٣٤٤ « فرجة الليت » فى الوساطة ٦٨ والصناعتين ٣٠٤ « أخادع الزمن » واللبب : موضع المنحر من كل شيء واللبب : البال ، يقال : فلان فى بال رخى ولبب رخى : أى فى سعة وخصب وأمن . وفى اللسان ٩/٤١٩ « الأخدعان : عرقان من جانبى الرقبة قد خفيا وبطنا ..، والجميع الأخادع ورجل شديد الأخدع : ممتنع أبى ، ولين الأخدع بخلاف ذلك » وفيه ١٨/ ٤ « رجل أبى : ذو إباء شديد إذا كان ممتنعا »

(٤) ديوانه ٢٧ وشرح التبريزى ١/١٧٤ والوساطة ٦٨ والصناعتين ٣٠٤ والعود : الجمل المسن ركوبا : مذللا . يريد فصيرت الشتاء سهلا

(٥) ديوانه ١٩٠ والصناعتين ٣٠٣ وفى شرح التبريزى ٢/ ٣٢٤ « كما يصرع المجنون ، لأن مثله لا يصدر عن عاقل »

(٦) شرح التبريزى ٢/ ٦٤ : يريد نصر بن منصور بن بسام . ويروى « فتقطع من زند » وفى ط والصناعتين ٣٠٤ « فتقطع للزند »

٦ ـ وقوله :

والدَّهْرُ أَلْأَمُ مَنْ شَرِقْتَ بِلُؤْمِهِ إِلَّا إذا أَشْرَقْتَــهُ بِكَرِيمِ [١]

٧ ـ وقوله :

تَحَمَّلتُ ما لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا أَيُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ [٢]

٨ ـ وقوله يَصِفُ قصيدته :

تَحُلُّ يَفَاعَ الْمَجْدِ حَتَّى كَأَنَّهَا عَلَى كُلِّ رَأْسٍ مِنْ يَدِ الْمَجْدِ مِغْفَرُ [٣]
لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِرٌ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تُنْفَخْ وَلَاهِيَ تُزْمَرُ [٤]

٩ ـ وقوله :

به أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بالشَّامِ بَعْدَ مَا ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خالِدٌ وَهْوَ مُرْتَدُّ [٥]

[وقوله] :

أَمَا وَأَبِي أَحْــدَاثِهِ إِنَّ حادِثاً حَدَابِيَ عَنْكَ الْعِيسَ لَلْحَادِثُ الْوَغْدُ [٦]

١٠ ـ وقوله :

جَذَبْتُ نَداهُ غُدوَةَ السَّبتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيعاً بَينَ أَيدِي الْقَصَائِدِ [٧]

---

(١) ديوانه ٣٠٨ والصناعتين ٣٠٤

(٢) ديوانه ٣٤٥ والصناعتين ٣٠٤

(٣) ديوانه ١٦٠ والصناعتين ٣٠٤ . وفى ك : « من يد المدح »

(٤) شرح التبريزى ٢/ ٢١٦ « ولا تتزمر » وهما روايتان

(٥) ديوانه ١٢٢ والصناعتين ٣٠٤ وفى شرح التبريزى ٢/٩١ « أى ارتد المعروف بإبائه منذ أودى خالد ، أى مات ، فأسلم بك وانقاد . قال أبو العلاء المعرى : يعنى خالد بن يحيى البرمكى ، لأنه كان فارسيا ، فتقرب إلى الممدوح بذكره ، لأن الممدوح ، (وهو محمد بن الهيثم) أيضا من فارس ، وهذا أشبه من أن يعنى خالد بن يزيد ، أو خالد بن عبد الله القسرى ، أو خالد بن يزيد بن معاوية » .

(٦) ديوانه ١٢١ وفى شرح التبريزى ٢/ ٨٤ « ويجوز أن يعنى بأبى أحداثه الدهر ، والشعراء مولعة بذمه . والمراد بالوغد : الساقط الذى لا خير فيه ولا مروءة له » . وفى ك « عذابى عنك »

(٧) ديوانه ٩٥ وشرح التبريزى ٢ / ٥

١١ – وقوله :

لَوْ لَمْ تُفَتِّ مُسِنَّ الْمَجدِ مُذْ زَمَنٍ بالْجُودِ وَالْبَأْسِ كانَ الْجُودُ قَد خَرِفَا[١]

١٢ – وقوله :

لَدَى مَلِكٍ مِن أَيْكَةِ الْجُودِ لَم يَزَل عَلَى كَبِدِ الْمَعرُوفِ مِن فِعلِهِ بَرْدُ[٢]

١٣ – وقوله :

فِى غُلَّةٍ أَوقَدَتْ عَلَى كَبِدِ السَّـ ائِلِ نَارًا أَخْنَتْ عَلَى كَبِدِهْ[٣]

إيثار شَزْرِ القُوَى يَرَى جسد الـ معروف أَولى بالطبِّ من جَسدِهِ[٤]

١٤ – وقوله :

حَتَّى إذا اَسوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ فَغُودِرَ وَهوَ مِنْهُمْ أَبلَقُ[٥]

١٥ – وقوله :

فما ذُكِّرَ الدَّهرُ الْعَبُوسُ بِأَنَّهُ لَهُ اَبنٌ كَيَومِ السَّبتِ إِلَّا تَبَسَّمَا[٦]

---

(١) ديوانه ٢٠٤ وشرح التبريزى ٢/ ٣٧٥ وعجزه فى الصناعتين ٣٠٥ . لو لم تفت : أى تعد إليه القتاء والشباب

(٢) ديوانه ١٢١ والصناعتين ٣٠٥ وشرح التبريزى ٢ / ٨٧ وفى م ، ك « إلى ملك فى أيكة . . . من نيله برد »

(٣) ديوانه ٩٥ والصناعتين ٣٠٥ « وعلى كبد النائل ناراً أخنت » وفى م ، ك « كبد المعروف ناراً أعيا » وفى شرح التبريزى ١/٤٤٨ « تعي على كبده » أى أوقدت الغلة التى آثرنى فيها ناراً على كبد العطية بأن حولته إلى ونقلته عن صاحبه ، تلك النار كانت أعيت على كبد الشاعر ، لأنه لم يكن يجد ما يشفيه منها ، وقال الصولى : « الهاء فى كبده لأبى تمام يقول كان أملى وما آخذه من ابن أبى داود قد بطل وذهب »

(٤) قال التبريزى : « يقول : آثرنى إيثار رجل قوى فى رأيه وحزمه ، والشزر : المحكم من الفتل ، واستعار للمعروف جسداً يقول : هذا الرجل يداوى المعروف ليزيل مرضه ، وهو على شفائه أحرص منه على شفاء جسده إذا اعتل »

(٥) الصناعتين ٣٠٥ وديوانه ٥٠٠ « بيض إذا اسود » وفى م « توضحت منه »

(٦) ديوانه ٢٩٧

١٦ ـ وقوله :

وكَم أَحرَزَتْ مِنْكُم عَلَى قُبْحِ قَدِّها صُرُوفُ النَّوَى مِن مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ[١]

١٧ ـ وقوله يصف الروض [٢] :

إذَا الْغَيثُ غَادَى نَسجَهُ خِلْتُ أَنَّه مَضَت حِقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وَهْوَحائِكُ[٣]

١٨ ـ وقوله :

وَلَا اجْتُذِبَتْ فُرْشٌ مِنَ الأَمْنِ تَحْتَكُمْ هِيَ المثل فى لِينٍ بِهَا وَالأَرَائِكُ[٤]

١٩ ـ [وقوله :

إذًا لَلَبِسْتُمْ عارَ دَهْرٍ كأَنَّمَا لَيَالِيهِ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِى عَوَارِكُ] [٥]

٢٠ ـ وقوله يرثى غلاماً[٦] :

أَنْزَلَتْهُ الأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فى الرِّكابِ[٧]

---

(١) ديوانه ١٢٧ والصناعتين ٣٠٥ وشرح التبريزى ٢/ ١١٠ أى كم فرق بينى وبين حبائب لى صروف الدهر . وقوله : على قبح قدها أى على قبح صورتها ، لا أنه جعل لها قائداً مثل قد الإنسان » وفى م ، ك « وكم ملكت منا »

(٢) ط « يصف الأرض »

(٣) ديوانه ٢٢٤ والصناعتين ٣٠٥ وفى ط « نسجها » وفى شرح التبريزى ٢/ ٤٥٩ « سدى نسجه » وهى روايات . أى إذا أصاب الغيث ندى هذه الأرض وجاده وزينه بالأنوار والزهر — حسبت أنه كان يحوكها ويصنعها زماناً من الدهر » . وفى ك « ولا جذبت » .

(٤) ديوانه ٢٥٥ « لا استلبت فرش » وشرح التبريزى ٢/٤٦٥ والمثل : جمع مثال وهو الفراش . والأرائك : الوسائد

(٥) الزيادة من ط ، ك وهو فى ديوانه ٢٢٥ وشرح التبريزى ٢/٤٦٤ « عوارك : أى حيض ، يقول : صرتم فى عار كأن أوقاتكم فيها عوارك نساء لأنها نجسة ، وإذا وصف الرجل بأنه قد دخل فى غدر ومأثم قيل : كأن عليه ثياب الحائض »

(٦) الصناعتين ٣٠٥ وفى ط « غالبا »

(٧) ديوانه ٣٥٤ فى رثاء محمد بن الفضل الحميرى

٢١ ــ وقوله :

كَأَنَّنى حِينَ جَرَّدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ عَضْباً صَبَبْتُ به مَاءً عَلَى الزَّمَنِ (١)

٢٢ ــ وقوله يصف فرساً :

وَكأَنَّ فَارِسَهُ يُصَرِّفُ إذْ بَدَا فِى مَتْنِهِ ابْناً لِلصَّباحِ الأَبْلَقِ (٢)

وأشباه هذا مما إذا تتبَّعته فى شعره وجدته [كَثيرًا] ؛ فجعل كما ترى ــ مع غَثَاثة هذه الأَلفاظ ــ للدهر أَخْدَعا ، ويَدًا تُقْطَع من الزند . وكأَنه يُصْرَع . وجعله (٣) يشرق بالكرام . [ويفكر] ويتبسم ، وأَن الأَيام بنون له (٤) ، والزمان أَبلق ، وجعل للمدح يدًا ، ولقصائده مزامير إلا أَنها لا تنفخ ولا تزمر ، وجعل المعروف مُسْلماً تارةً ومرتدًّا أخرى ، والحادثَ وغْدًا ، وجَذَب ندى الممدوح بزعمه جذبةً حتى خر صريعاً بين أَيدى قصائده ، وجعل المجد ما يجوز (٥) عليه الخرف ، وأَن له جسدًا وكبدًا ، وجعل لصروف النوى قَدًّا ، وللأَمن فُرُشاً (٦) ، وظن أَن الغيث كان دهرًا حائكاً ، وجعل للأَيام ظهرًا يركب ، والليالى كأَنها عَوَارِك ، والزمان كأَنه صُبَّ عليه ماء ، والفرس كأَنه ابن للصباح (٧) الأَبلق ، وهذه استعارات فى غاية القَبَاحة والهَجَانة [والغثاثة] والبعد من الصواب .

---

(١) ط « غضا . . لها ماء » وفى ديوانه ٣٣٤ « غضا أخذت به سيفا من الزمن »

(٢) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزى ٢/٤١٥ وفى م ، ك « يضرب إذا غدا » والصناعتين ٣٠٥

(٣) ط « ويحل ويشرق »

(٤) ط « الأيام تنزله »

(٥) ط « مما يحقد عليه الخوف » و م « الحرف »

(٦) م « فرسا »

(٧) ط « ابن الزمان »

وإنما استعارت[١] العربُ المَعنى لما ليس [هو] له إذا كان يقاربه : أَو يناسبه أَو يشبهه[٢] فى بعض أَحواله ، أو كان سبباً من أَسبابه ؛ فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشىء الذى استعيرت له ، وملائمة لمعناه ، نحو قول امرئ القيس :

فقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بصلبه وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[٣]

وقد عاب امرأَ القيس بهذا البيت[٤] مَنْ لم[٥] يعرف موضوعات المعانى [والاستعارات] ولا المجازات[٦] وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة ، لأَنه[٧] قَصَدَ وَصْفَ أَحوال الليل الطويل فذكر امتدادَ وَسَطه ، وتثاقُلَ صدره للذهاب والانبعاث ، وترادف أَعجازه وأَواخره شيئاً فشيئاً ، وهذا عندى منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أَشد ما يكون على مَنْ يُراعيه ويترقَّب تصَرُّمه ، فلما جعل له وَسَطًا يمتد وأَعجازًا مرادفة[٨] للوسط وصَدْرًا متثاقلا فى نهوضه حَسُن أن يستعير للوسط اسم الصُّلْب ، وجعله متمطِّياً من أجل امتداده ؛ لأَن تمطَّى وتمدَّد بمنزلة واحدة ، وصلح أَن يستعير للصدر اسم الكَلكَل من أجل نهوضه .

وهذه أَقرب الاستعارات من الحقيقة[٩] ، لشدة ملاءَمَة معناها لمعنى ما استعيرت له .

---

(١) م « استعارات »
(٢) ط « أو يدانيه »
(٣) سبق ص ١٤ وفى ط « بجوزه »
(٤) ط « بهذا المعنى »
(٥) فى ك « من لا يعرف »
(٦) فى ك « والمجازات »
(٧) ط « وهو إنما . أجزاء الليل » ، ك « لأنه إنما »
(٨) ط ، ك « رادفة »
(٩) الحقيقة وأسد ملاءمة لمعناها لما »

وكذلك قول زهير :

* وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ[1] *

لما كان من شأن ذى الصِّبا أن يوصف أبدًا بأن يقال : ركِب هَوَاه ، وجَرَى فى مَيْدَانه ، وجَمَحَ فى عِنانه ، ونحو هذا ، حسُن أن يُسْتعار للصبا اسم الأفراس ، وأن يجعل النزوع عنه[2] أن تُعَرَّى أفراسُه ورواحله ، وكانت هذه الاستعارة أيضاً من أَلْيَقِ شىء بما استعيرت له .

ونحو ذلك قول طُفَيل الْغَنَوى :

وَجَعَلْتُ كُورِى فَوْقَ نَاجِيَةٍ   يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنامِهَا الرَّحْلُ[3]

لما كان شَحْمُ السنام من الأشياء التى تُقْتات ، وكان [الرحْل][4] أبدًا يتخوّنُه[5] ، ويتنقّص منه ، ويذيبه ــ كان[6] جعلُه إياه قوتاً للرحل من أحسن الاستعارات وأليقها بالمعنى .

وكذلك قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا أَبْلِغِ النُّعْمانَ عَنِّى رِسَالَةً   فَمَجْدُكَ حَوْلِىٌّ وَلُؤْمُكَ قَارِحُ[7]

لما جعل مجدَه حديثاً[1] غيرَ قديم حَسُن أن يقال « حَوْلِىّ » لأن العرب إذا نسبت الشىءَ إلى الصغر وقِصَر المدة قالوا : حَوْلِىّ ؛ لأن أقل عدد الأحوال ــ وهى السنون ــ حَول واحد ، ولهذا قال حسان :

---

(١) سبق ص ١٥

(٢) من ك

(٣) سبق ص ١٥

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « يتخوفه »

(٦) ط م « ويذيبه تجعله إياه »

(٧) البديع ٣١ والصناعتين ٣٨٤ ونقد الشعر ٦٧

(٨) فى ك « جزعا »

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِىُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ ... رِّ عَلَيْها لَأَنْدَبَتْها الكُلُومُ[١]

لم يرد بالحولىّ من ولد الذّرّ ما أتى عليه الحول ، ولكنه أراد بالحولى أَصْغَرَ ما يكون من الذر ، وإنما أخذ ذلك من قول امرئ القيس :

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْدَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْها لأَثَّرَا[٢]

ومما يدلك[٣] على صحة هذا المعنى وأَنَّ الحولىَّ إنما يراد به الصِّغَر دون معنى الحول قولُ الراجز .

* واسْتَبَقَتْ تَحْذِف حَوْلِىَّ الْحَصَى[٤] *

فأراد بحولىّ الحصى ما صغر منه[٥] ، وقول الآخر أنشده ثعلب :

تلقَّط حَوْلِىَّ الْحَصَى فى مَنازِلٍ ... مِنَ الْحَىِّ أَضْحَتْ بِاللَّحَيَّيْنِ بَلْقَعَا[٦]

ولما جعل لؤمه قديماً حسن أن يقول « قارح » .

ونحو ذلك قول أبى ذؤيب :

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ[٧]

لما كانت المنية ـ إذا نزلت بالإنسان وخالطته ـ صلحَ[٨] أن يقال : نشبت فيه ، وحسن[٩] أن يستعار لها اسمُ الأظفارِ ؛ لأن النشوب قد يكون بالظفر ، وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى ، نحو قوله

(١) ديوانه ٣٧٧ والحيوان ٤/١٦ وأندبتها : أثرت فيها . والكلوم : الجروح

(٢) ديوانه ٧٤ والصناعتين ٣٦٠ واللسان ١٣/٢٠٧ والإتب : قميص قصير مشقوق الوسط لا أكمام له تلبسه المرأة .

(٣) فى غيرك « يدل »

(٤) ط « تخذف »

(٥) ط « أصغره »

(٦) اللحيين : اسم موضع

(٧) ديوان الهذليين ١/٣ وانظر تخريجه فى المفضليات ٤٢٠

(٨) ط « صح »

(٩) ط « وصح »

عز وجل : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ [١] لما كان الشيب يأخذ فى الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يُحِيله إلى غير حالِهِ الأولى كالنار التى تشتعل فى الجسم من الأجسام فتُحيله [٢] إلى النقصان والاحتراق ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فإذا هُم مُظْلِمُون﴾ [٣] لما كان انسلاخ الشى من الشىء هو أن يتبرأ منه ويتزيَّلَ عنه [٤] حالا فحالا كالجلد عن [٥] اللحم وما شاكلهما ــ جعل انفصال النهار عن الليل شيئاً فشيئاً حتى يتكامل الظلام انسلاخاً ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [٦] لما كان الضرب بالسَّوْط من العذاب استعار [٧] للعذاب سوطا .

فهذا مَجْرَى الاستعارات فى كلام العرب.

* * *

وأما قول أبى تمام «ولين أخادع الدهر [٨] الأبى» فأى حاجة دعته [٩] إلى الأخادع حتى يستعيرها للدهر؟ [وقد] [١٠] كان يمكنه أن يقول: ولين معاطف الدهر الأبى ، أو لين جوانب الدهر ، أو خلائق الدهر ، كما تقول : فلان سَهْلُ الخلائق ، ولين الجانب [١١] ، ومُوَطأُ الأكناف ، ولأن الدهر

(١) سورة مريم: ٤
(٢) م «وتحيطه» وهو تحريف
(٣) سورة يس: ٣٧
(٤) فى غير ك : «منه»
(٥) ط «من اللحم . . شاكلها»
(٦) سورة الفجر: ١٣
(٧) ط «استعير . . . سوط»
(٨) ط «الزمن . . . يستعيرها للزمن»
(٩) الزيادة من ك
(١٠) من ك
(١١) ط «الجوانب»

قد يكون سَهْلًا وحَزْنًا وليِّنًا وخشناً (١) على قدر تَصَرُّف الأحوال فيه ؛ فإن (٢) هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال فى هذا الموضع . وكانت تنوب [له] عن المعنى الذى قَصَدَه ويتخلَّص من قبح الأخادع ؛ فإن فى الكلام مُتَّسعاً ، ألا ترى إلى قوله ما أحسنه وأصحه(٣).

لَيَالِىَ نَحْنُ فى وَسَنَاتِ عَيْشٍ كأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فى وَثَاقِ(٤)
وَأَيَّاماً لَنَــا وَلَهُ لِدَاناً غَنِينا فى حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ(٥)

فاستعار للأيام [رقَّة] الحواشى ، وقوله :

أيَّامنا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهــا بِكَ ، وَاللَيالِى كُلُّها أَسْحَارُ(٦)

وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف وأشبه بكلام الأوائل(٧) قوله :

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلاَ يَدٌ مَذْمومَةٌ لِلْحَادِثاتِ وَلَا سَوَامٌ تُذْعَر(٨)

فقد تراه كيف يَخْلِطُ الحسنَ بالقبيح ، والجيدَ بالردىء ، وإنما قبح الأخدع(٩) لمَّا جاء به مستعارًا للدهر ، ولو جاء فى غير هذا [الموضع](١٠) أو أتى [به] حقيقة ووضعه فى موضعه لما(١١) قبح ، نحو قول البحترى :

(١) ط « وصعبا »
(٢) ط « لأن »
(٣) ط « وما أوضحه »
(٤) شرح التبريزى ٢ / ٤٢٦ والصناعتين ٢٨٨ والديوان ٢١٥ « سنبكى بعده غفلات عيش » وهما روايتان
(٥) م ، ك « وأيام . . لدان » وفى الديوان وشرحه والصناعتين « عرينا » ويروى : « نعمنا فى حواشيها »
(٦) ديوانه ١٥٨ وشرح التبريزى ٢ / ١٨١
(٧) ط « وأشبه بكلام العرب »
(٨) ديوانه ١٥٨ وشرح التبريزى ٢ /١٩٧
(٩) ط « الأخادع »
(١٠) م « هذا وأتى حقيقه »
(١١) فى غير ك « ما »

* وأَعتَقْتَ مِنْ ذُلِّ المَطامِعِ أَخْدَعِى[١] *

ونحو قوله :

* وَلَا مَالَتْ بِأَخْدَعِك الضِّياعُ[٢]

ومما يزيد على كل جَيِّد قول الفرزدق :

وَكُنَّا إذا الْجَبَّار صَعَّرَ خَدَّه ضَرَبْناه حَتَّى تَسْتَقِمَ الأَخادِعُ[٣]

* * *

فأما قوله « فضربت الشتاء فى أُخدعيه » فإن ذكر الأَخدعين [ههنا] — على قبحها — أَسْوَغُ ؛ لأَنه قال « ضربةً غادرته عَوْدًا رَكوباً » وذلك أن العَوْدَ المسِنُّ من الإبل [والبعير أبدًا] يضْرَب على صفحتى عنقه فيذل ؛ فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلا .

ومن القبيح فى هذا قوله :

يا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضجَجْتَ هٰذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ[٤]

فأَىُّ[٥] ضرورةٍ دعته إلى الأَخدعين ؟ و [قد] كان يمكنه أن يقول « قوم[٦] من اعوجاجك » أو « قوم معوج صنعك »[٧] أو : يا دهر أَحْسِنْ بنا الصنيع ؛ لأَن الأَخْرَقَ هو الذى لا يُحْسِن العملَ ، وضده الصَّنَعُ .

وكذلك قوله :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا أَىُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ[٨]

---

(١) ديوانه ٩١ « من رق » وصدره : « وإنى وإن أبلغتنى شرف العلى »

(٢) ديوانه ٢٢٨ وصدره : « فما رفع التصفح منك طرفاً » وفى م « الطباع »

(٣) ديوانه ٥١٩

(٤) سبق ص ٢٦١

(٥) فى غير ك « أى »

(٦) من ك

(٧) ك « ما تعوج من صنعك أى »

(٨) سبق ص ٢٦٢

فجعل للدهر عقلا[١] ، وجعله مفكرًا فى أى العبأين أثقل ، وما شىء هو[٢] أبعد من الصواب من هذه الاستعارة ، وكان الأَشْبَهُ والأَلْيَقُ بهذا المعنى لما قال «تحملت ما لو حمل الدهر شطره» أن يقول : لتضعضع ، أو لانهدّ ، أو لأَمن الناس صروفه ونوازله[٣] ، ونحو هذا المعنى[٤] مما يعتمده أهل المعانى فى البلاغة والإفراط .

وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقةً فى أشعار القدماء كما عرفتك[٥] لا تنتهى فى البعد إلى هذه المنزلة ، فاحتذاها ، وأَحبَّ الإبداع ، والإغراب[٦] بإيراد أمثالها ، فاحتطب ، واستكثر منها .

فمن ذلك قولُ ذى الرمة :

تَيَمَّمْنَ يَا فُوخَ الدُّجَى فَصَدَعْنَهُ ... وَجَوْزَ الْفَلَا صَدْعَ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ

فجعل للدجى يافوخا .

وقولُ تأبط شرًّا :

نَحُزُّ رِقَابَهُمْ حَتَّى نَزَعْنَا ... وَأَنْفُ المَوْتِ مَنْخِرُهُ رَثِيمُ[٧]

فجعل للموت أنفاً .

وقولُ ذى الرمة :

يُعِزُّ ضِعَافَ الْقَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ ... وَيَقْطَعُ أَنْفَ الكِبْرِياءِ عَنِ الكِبْرِ[٨]

---

(١) فى ك «دهرا» وهو خطأ

(٢) ط «وما معنى أبعد»

(٣) م «ونوادره»

(٤) من ك

(٥) راجع ص ٢٦١

(٦) ط «الإبداع وأغراق فى إيراد»

(٧) رثيم ورتيم : مكسور

(٨) ديوانه ٢٧٣ «تعز ضعاف الناس»

فجعل للكبرياء أنفاً .

وقول مَعْقِل بن خُوَيْلد الهذلى ، أو غيره :

تُخَاصِمُ قَوْماً لا تَلَقَّى جَوَابَهُمْ   وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفِ لِحْيَتِكَ الْيَدُ[١]

فجعل للحية أنفاً : أى قَبَضْتَ يَدَكَ على طرف لحيتك كما يفعل النادمُ أو المهمومُ ، وما أظن ذا الرمة أراد بالأنف إلا أولَ الشىء والمتقدمَ منه ، كما قال[٢] يصف الحمار :

إِذَا شَم أَنْفَ الصَيْفِ أَلْحَقَ بَطْنَهُ   مِرَاسُ الأَوَابِى وَامتِحَان الكَوَائم[٣]

وقال أبو العباس : عبد الله بن المعتز بالله فى كتاب « سرقات الشعراء » وبهذا البيت[٤] اغترَّ الطائىُّ حتى أتى [بما أتى] به[٥] [قال أبو القاسم][٦] وإنما أراد ذو الرمة بقوله « أنف الصَّيْف »[٧] : [أول الصيف] كقولهم « أنف النهار » : أى أوله [ورعينا أنف الغيث أى أوله] قال امرؤ القيس :

قَدْ غَدَا يَحْـمِلُنى فى أَنْفِهِ   لاحِقُ الإِطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرْ[٨]

وقوله « فى أنفه » أى فى أول جريه وأشده ، ويقال « فى أنفه » فى أنف

(١) البيت لمعقل فى ديوان الهذليين ١٦٧/٢ ولأبى خراش فى اللسان ١٠ / ٣٥٦ . وأنف كل شىء أوله ، يقول كنت غلاما حدثا لا تعاتب ، واليوم قد أخذت بلحيتك .

(٢) فى ك « كقوله »

(٣) ط « أنف الضيف .. مراسى الأواس ... الكرائم » وهو تحريف . وفى ديوانه ٦٢١ « أنف البرد . إذا شم الفحل أنف البرد ، وأنف البرد أوله ، ألحق بطنه : أضمر ، ممارسة الأوابى : تكتم حملها . وامتحنها أى يختبرها هل حبلت أم لا فإن كانت حبلت وإلا رد عليها الضرب لتحبل » .

(٤) ط « وهذا . . غر »

(٥) زيادة من ط

(٦) ما بين القوسين من ك

(٧) ط « الضيف »

(٨) ديوانه ٩٠ « لاحق الأيطل » والأيطل : الخاصرة محبوك : شديد الخلق . ممر : سوى الأعضاء صحيحها

الغَيْثِ الذى ذكره فى أوله ، يقول : لم يطأ هذا الغيث أحد قبلى ، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس .

وكذلك قول أعرابى يصف البرق :

إذا شيمَ أنْفَ اللَّيْلِ أوْمَضَ وَسْطَه   سَناً كابْتِسَامِ الْعَامِرِيَّةِ شَاغِفُ[(١)]

إنما أراد إذا شيم أول الليل .

وقول الآخر : أنشدَنَاه الأخفش عن ثعلب يذم رجلا[(٢)] :

مَا زَالَ مَذْمُوماً عَلَى اسْتِ الدَّهْرِ   ذَا حَسَدٍ يَنْمِى وعَقْلٍ يَحْرِى[(٣)]

فجعل للدهر استا .

وقول شاتم الدهر وهو أحد شعراء عبد القيس :

ولَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَعْرًا سَبِيلُهُ   وَأَبْدَى لَنَا ظَهْرًا أَجَبَّ مُسَلَّعَا[(٤)]

ومَعْرَفَةً حَصَّاءَ غَيْرَ مُفَاضَةٍ   عَلَيْهِ وَلَوْناً ذَا عَثَانِينَ أجدعا[(٥)]

---

(١) ط « شيم » يقال : شام السحاب والبرق نظر إليه أين يقصد وأين يمطر

(٢) فى الأغانى ١٨ / ١٤١ عن العتبى قال : لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق ، وهو أمير العراق ، أبى أن يشفع فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نخيلة الراجز فى يوم فطر ، فوقف بين يديه وأنشأ يقول :

أطلقت بالأمس أسير بكر   فهل فداك نفرى ووفرى
من سبب أو حجة أو عذر   ينجى التميمى القليل الشكر
من حلق القيد الثقال السمر   ما زال مجنونا على است الدهر
ذا حسب يعلى وعقل يزرى   هبه لأخوالك يوم الفطر

(٣) لأبى نخيلة فى اللسان ١٧/ ٣٩٠ « ذا حمق » وغير منسوب فيه ١٨ / ١٨٧ « فى بدن ينمى » يقال : مازال فلان على است الدهر مجنونا : أى لم يزل مجنونا دهره كله . ويحرى : ينقص وجاء فى ط « ما زال مذموما . . . ذا حسد . . . « يجرى» ! وفى ك « ما زال مجنونا »

(٤) ذكرها أبو تمام فى الحماسة الصغرى ، وهى المعروفة بالوحشيات (القطعة رقم ٣٦٢) وفى م « أحب » وهو تحريف . والأجب : المقطوع السنام ، والمسلع : المشقق .

(٥) م « ومعرفة خضباء » و ط « أجمعا » وفى الوحشيات : « بالعثانين أجدعا » والمعرفة بالفتح : منبت عرف الفرس . وحصاء : لا شعر عليها . ذا عثانين : مغبراً . أجدع : مقطوع الأذن .

وَجَبْهَةَ قِرْدٍ كالشِّرَاكِ ضَئِيلَةً وَصَعِّرَ خَدَّيْهِ وَأَنْفاً مُجَدَّعَا[١]

فجعل للدهر ظهراً أجبّ[٢] ، ومعرَفَةً حَصَّاءَ[٣] ، ولوناً ذا عثانين ، وشبه جبهته جبهة قرد ، وجعل له[٤] أنفاً مجدعاً ، وهذا الأعرابى إنما تملَّح[٥] بهذه الاستعارات فى هجائه للدهر ، وجاء بها هازلًا[٦] .

ومثل هذا فى كلامهم قليل جدًّا ، ليس[٧] مما يعتمد ويجعل أصلا يُحتَذَى عليه ويستكثر منه [ويستعمل فى الجد كما يستعمل فى الهزل] .

* * *

٢٣ — ومن ردىء استعاراته وقبيحها وفاسدها قولُه :

لَمْ تُسْقَ بَعْدَ الْهَوَى مَاءً أَقَلَّ قَذًى مِنْ مَاءِ قَافِيَـةٍ يَسْقِيكَهُ فَهِمُ[٨]

فجعل للقافية ماءً على الاستعارة ؛ فلو أراد الرونَقَ لصلح ، ولكنه قال « يسقيكه » ففسد[٩] معنى الرونق ؛ لأنك إذا قلت « هذا ثوب له ماء [أو لفظ له ماء] » لم تجعل الماءَ مشروباً [على الاستعارة] فتقول : ما

---

(١) وبعده فى الوحشيات :

هناك ذكرت الذاهبين أولى النهى وقلت لعمرو والحسام به ألا دعا
فإنى أرى الحيين كعبا ودراما أصابهم دهر وإن كان مفجما
أرى كل مأفون وكل حزنبل وترعية بهدارية قد تضلعا
وسامى المعانى يبتغيها لنفسه فيالك دهراً لا يزال مروعا

والحزنبل القـ[illegible] [illegible]ية : الراعى ابن الرعاة ، تطلع : امتلأ

(٢) م « أحب »

(٣) م « خضاء »

(٤) فى غير ك : « وجعل أنفه »

(٥) ط ملح »

(٦) ط « ، ك « هازئا »

(٧) فى ك « ليس مثله »

(٨) فى ك « كماء قافية »

(٩) ط « فبئس معنى »

شربت ماء [أعذب] [1] من ماء ثوب شربته عند فلان ، ورأيته على فلان[2] وكذلك لا تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء « قِفَا نَبْكِ » ، أو أعذب من ماء [قصيدة] كذا ؛ لأن للاستعارة حدًّا تصلح فيه ، فإذا تجاوزته[3] فسدت وقبحت .

فأما قولهم « فلان حلو الكلام » و « عذب المنطق » أو « كأن ألفاظه فُتَات السكر » فهذا كلام الناس على هذه السياقة ، وليس يريدون حلاوة على اللسان ، ولا عذوبة فى الفم ، وإنما يريدون عذباً فى النفوس ، وحُلْوًا فى القلوب ، كما قال [هو أعنى أبا تمام] :

يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا أَرَجاً ، وَتُؤْكَلُ بالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ[4]

وكذلك قولهم « حلو المنظر » إنما يريدون حلوًا[5] فى العين ، ولا تقول : ما ذقت أحلى من كلام فلان ، ولا ما[6] شربت أعذب من ألفاظ فلان[7] ؛ لأن هذا القول صيغة الحقيقة ، لا الاستعارة ، ولكنْ يقال : هذا كلام يصلح أن يُتَنَقَّل به ، وزيد يُشْرَب مع الماء لحسن أخلاقه وحلاوته ، وعمرو يؤكل ويشرب لرقة طبعه ، ولا تقول : ما شربت أعذب من عمرو ، ولا ما أكلت أحلى من عبد الله ، فاعرف[8] هذا ؛ فإن حدود الاستعارة معلومة .

---

(١) زيادة من ط

(٢) ط ، ك « فلان الملك »

(٣) فى غير ك « جاوزته »

(٤) ديوانه ٣٩ وشرح التبريزى ١/١٣٦

(٥) ط « حلاوة »

(٦) من ك

(٧) ط « عمرو »

(٨) ط « فاعلم »

فأما قوله[١] :

لَمَكاسِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ ‏ ‏ ‏ وَأَمَرُّ فى حَنَكِ العدوّ وَأَعْذَبُ[٢]

فالمكاسر : الأخلاق ، وإنما أراد أمرّ فى حنك العدو إذا نطق بها ، أو أمر فى حنكه أن يذكرها ، أو يخبر بها ، وأعذب فى حنك وليه ووَدِيدِهِ ، إذا سترها ، وكما قال زُهَير :

تُلَجْلِجُ مُضْــغَةً فِيها أَنِيضٌ ‏ ‏ ‏ أَصَلَّتْ فَهْيَ تَحْتَ الْكَشْحِ داءُ[٣]

لأنه أراد كلمةً فصلح أن يقول أنيض : أى لم تنضج ، وأصلَّت : تغيرت وأنتَنَتْ ، وذلك لما جعلها مضغة أى لقمة فى فيه ؛ فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح منها[٤] ويفسد ؛ فتفهَّمْه فإنه واضح .

فأما قوله :

لا تَسْقِنِى ماءَ الْمَلامِ فَإِنَّنِى ‏ ‏ ‏ صَبٌّ قدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكائِى[٥]

فقد عِيبَ ، وليس بعيب عندى ؛ لأنه لما أراد أن يقول « قد استعذبت ماء بكائى » جعل للملام ماءً ؛ ليقابل[٦] ماء بماء وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[٧] ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة ، وإنما هى جزاء عن السيئة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنْ

---

(١) فى ك « فأما قول أبى تمام أيضا »

(٢) ديوانه ٣٨ وشرح التبريزى ١/١٣٤ « المكاسر : جمع مكسر ، وهو الأصل مثل العنصر ، تقول العرب : فلان طيب المكسر إذا كان لين الجانب حسن الخلق » . وفى ط ، ك « حنك الحسود »

(٣) سبق ص ٩٠

(٤) من ك

(٥) ديوانه ٢ وشرح التبريزى ١/٢٥ « أى لا تلمنى فإنى عاشق قد ألفت البكاء واستعذبته فلا أكاد أقلع عنه للومك إياى فكف عنى » وانظر أخبار أبى تمام ٣٣ — ٣٧ وسر الفصاحة ١٣٢ — ١٣٦

(٦) ط « ليقابل ما أراد »

(٧) سورة الشورى : ٤٠

تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُم ﴾(١) والفعل الثانى ليس بسُخْرِية ، ومثلُ هذا فى الشعر والكلامِ كثير مستعمل ، فلما كان [فى] مجرى العادة أن يقول قائل : أغلظت لفلان القول ، وجَرَّعته منه كأساً مرة ، أو سقيته منه أمرَّ من العلقم ، وكان الملامُ مما يُستعمل فيه التجرع على الاستعارة ــ جعل له ماء على الاستعارة ، ومثل هذا كثير موجود .

وقد احتج محتج لأبى تمام فى هذا بقول ذى الرمة :

أَدارًا بِحُزْوَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَمَاءُ الهَوَى يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرَقُ(٢)

وقول الآخر :

وكأْسٍ سَبَاها التَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بابِلٍ كَرِقَّةِ مَاءِ البين فى الأَعْيُنِ النُّجْلِ

وهذا لا يشبه ماء الملام ؛ لأن ماء الملام استعارة ، وماء الهوى ليس باستعارة ؛ لأن الهوى يُبكى ؛ فتلك الدموع [هى ماء الهوى على الحقيقة ، وكذلك البين يبكى : فتلك الدموع] هى ماء البين [على الحقيقة](٣).

فإن قيل : فإن(٤) أبا تمام أبكاه الملام ، والملام قد يبكى على الحقيقة ؛ فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة .

قيل : لو أراد أبو تمام ذلك لما قال «قد استعذبت ماء بكائى » لأنه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكائه(٥) أيضاً ، ولم يكن يَسْتَعْفِى

منه .

* * *

(١) سورة هود : ٣٨

(٢) احتج له الصولى بهذا البيت فى أخبار أبى تمام ٣٤ والبيت فى ديوان ذى الرمة ٣٨٩

(٣) زيادة من ط

(٤) فى ك « فإن قيل إن أبا تمام إنما . . . »

(٥) ط « بكاه »

(٦) ط « استعاراته »

٢٤ ـ ومن رديء استعارته[١] ، وقبيحها قوله :

مُقَصِّرٌ خُطُوَاتِ الْبَثِّ فِى بَدَنِى   عِلْماً بِأَنِّىَ مَا قَصَّرْتُ فِى الطَّلَبِ[١]

فجعل للبث ـ وهو أشد الحزن ـ خطواتٍ فى بدنه ، وأنه قد قصرها ؛ لأنه[٢] ما قصر فى الطلب ، وهذا من وساوسه المحكمة ، وإنما أراد أنه[٣] قد سَهَّلَ أمرَ الحزنِ عليه أنه ما قصَّر فى الطلب ؛ لأنه لو قصر لكان[٤] يأسف ويشتد جزَعه ، فجعل للحُزن خُطًى فى بدنه قصيرةً لما جعله سهلًا خفيفاً . وهذا ضد المعنى الذى أراده ؛ لأن الخطَى إذا طالت [أخذت من الشيء الذى تمر عليه أقل مما تأخذه الخطى القصيرة ، فعلى هذا] يجوز أن يقع قلبه أو كبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسها من البث ـ وهو الحزن ـ قليلٌ ولا كثير .

فإن قيل : إنما أراد [أن][٥] الحزن هو [فى][٤] قلبه خاصة ، وأن قوله « فى بدنى » أى فى قلبى ، لأن قلبه فى بدنه .

قيل : الأمر واحد فى أن الخطى إذا طالت على الشيء ـ قلبِهِ كان أو ما سواه ـ أخذت منه أقلَّ مما تأخذه إذا قصرت .

فإن قيل : أراد بطول الخطَى الكثرةَ وبقصرها القلة .

قيل : هذا غلط من التأول[٦] ، وليس العملُ على إرادته ، وإنما العمل على توجيه معانى ألفاظه .

---

(١) ديوانه ٤٧١ وشرح التبريزى (مخطوطة الدار) ٧٦٧ « خطرات الهم » وفى م ، ك « مقصرا . . . علمى »

(٢) م « أنه »

(٣) م « أراد به قد »

(٤) فى غيرك « كان »

(٥) الزيادة من ط

(٦) ط « التأويل »

وبعد ؛ فمن أعجب الوسواس[١] خطوات البث فى البدن .

* * *

٢٥ – ومن ردىء استعارته [وبعيدها] وقبيحها قولُه :

جَارَىْ إلَيْهِ البَيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ ... ماشَتْ إليهِ المَطْلَ مَشْىَ الأَكْبَدِ[٢]

الهاء فى « إليه » راجعةٌ إلى المحب ، يريد أن البين [ووَصْل الخريدة تجاريا إليه ، فكأنه أراد أن يقول : إن البين][٣] حالَ بينهوبين وصلها ، واقتطعها عن أن تصله ، وأشباه هذا من اللفظ المستعمل الجارى [فى العادة] ؛ فعدل إلى أن جعل البين والوصل تجارَيَا إليه ، كأن[٤] الوصل فى تقديره جرى إليه يريده فجرى البين ليمنعه ، فجعلهما متجاريين ، ثم أتى فى المصراع[٥] الثانى بنحو من هذا التخليط فقال : ما شت إليه المطلَ مشى الأَكبَدِ[٦] ، فالهاء هنا راجعة إلى الوصل : أى لما عزمَتْ على أن تصله عزمتْ عزم متثاقل مُماطل فجعل عزمَها مشياً ، وجعل المطل مماشياً لها .

فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية : خبِّرُونا كَيْفَ يُجارِى البينُ وصلَها ؟ وكيف تماشى هى مطلها ؟ ألا تسمعون ؟ ألا تضحكون ؟

* * *

وأنشد[٧] أبو العباس بن المعتز فى كتاب « سرقات الشعراء » لِسَلْم الخاسر يَعِيبه بردىء الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى :

---

(١) ط « فإن من أعجب العجب »
(٢) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢ / ٤٤ – ٤٥
(٣) زيادة من ط
(٤) ط « وأن »
(٥) ط « بالمصراع »
(٦) الأكبد هنا : الفرس الذى يشتكى كبده فيبطىء فى سيره
(٧) فى ك « أنشدنا »

لَوْلَا المقادير مَا حَطَّ الزَّمَانُ بِهِ   لا ، بَلْ تَوَلَّى بِأَنْفٍ كَلْمُهُ دَامِي

وقال : هذا ردىء كأنه من شعر أبى تمام الطائى ، وليت[1] لم يكن لأبى تمام من ردىء الاستعارة إلاَّ مثل استعارة «سَلْم» هذه أو نحوها ، ونعوذ بالله من حرمان التوفيق .

---

(١) ط « ولو لم »

ماجاء فى شعر أبى تمام من قبيح التجنيس

ورأى أبو تمام أيضاً المجانس من الألفاظ متفرقاً[١] فى أشعار الأوائل ، وهو ما اشتق بعضهُ من بعض ، نحو قول امرئ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِى مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا[٢]

وقوله أيضاً :

وَلَكِنَّنِى أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِى[٣]

وقول الْقُطَامِى :

وَلَمَّا رَدَّهَا فى الشَّوْلِ شَالَتْ ... بِذَيَّالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا[٤]

وقول ذى الرمة :

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ ... عَلَى عُشَرٍ يَرْمِى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحِ[٥] .

وقول رجل من عبس :

وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ ... وَأَنَّ أَنْفَكُم لايَعْرِفُ الأَنَفَا[٦]

---

(١) ط « شرفا » !
(٢) سبق ص ١٧
(٣) ك ، ديوانه ١٤٦ « ولكنما »
(٤) سبق ص ١٦
(٥) سبق ص ١٦
(٦) نقد الشعر ٦١ والعمدة ٢/٢٩٢ وسر الفصاحة ١٨٤ والبديع ٥٨ وإعجاز القرآن ١٢٩

وقول مسكين الدّارمى :

وَأَقْطَعُ الْخرْقَ بِالخَرْقَاءِ لَاهِيَـةً
إذا الكَوَاكِبُ كانَتْ فِى الدُّجَى سُرُجَا[١]

وقول حَيَّان بن ربيعة الطائى :

لَقَدْ عَـلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِى لَهُمْ حَدٌّ إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ[٢]

وقول النعمان بن بشير لمعاوية :

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُم يَوْمَ بَدرٍ سُيُوفُنَا وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ[٣]

وقول جرير :

فَمَا زَالَ مَعْقُولًا عِقَالٌ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوساً عَنِ الْخَيْرِ حَابِسُ[٤]

وقول الفرزدق :

خُفَافٌ أَخَفَّ اللهُ عَنْهُ سَحابَهُ وَأَوسَعَهُ مِنْ كُلِّ سافٍ وحَاصِبِ[٥]

وكأن [قول][٦] هذين الشاعرين فى تجنيس ما جَنّساه من هذه الألفاظ وحاجتهما[٧] إليه يشبه قول النبى صلى الله عليه وسلم «عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ، وغِفَار غَفَرَ اللهُ لَهَا ، وأَسْلَمُ سَالمها الله»[٨] .

(١) البيت لمسكين فى البديع ٥٨ ونقد الشعر ٦١ وسر الفصاحة ١٨٤ ، وأخطأ أبو هلال العسكرى فذكر صدره منسوبا للنابغة فى الصناعتين ٣٢٦ . والخرق : الفلاة الواسعة ، سميت بذلك لانخراق الريح فيها . والخرقاء : الناقة التى لا تتعهد مواضع قوائمها ، وبعير أخرق : يقع منسمه بالأرض قبل خفه .

(٢) البديع ٥٨ ونقد الشعر ٦١ والصناعتين ٣٢٧ وحماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ١/٢٨٨ وفى المؤتلف والمختلف للآمدى ٩٨ حبان ، بفتح الحاء والباء – وفيه : « لقد علم العمائر . . ذو وجد » قال المرزوقى : يقول : شهدت القبائل أن قومى يجدون فى الحرب إذا تدجج أهلها فى الأسلحة ويبلون فيها ولا يقصرون . وفى ك « ذو وحد »

(٣) البديع ٥٩ والصناعتين ٣٢٧ ونقد الشعر ٦١ وهو محرف فى الأغانى ١٤/١٢٦ وفى ك عقال عن

(٤) سبق ص ١٦

(٥) سبق ص ١٧

(٦) الزيادة من ك

(٧) ط « وحاجهما »

(٨) راجع ص ١٦

ونحو هذا مما تعمَّد الشعراء[1] لتجنيسه قول جَنْدَل بن الراعي :

فَمَا عَمَرَتْ عَمْرٌو وَقَدْ جدَّ سَعْيُهَا وَمَا سَعِدَتْ يَوْمَ الْتَقَيْنَا بَنُوسَعْدِ[2]

ومن ألطف ما جاء من التجنيس وأحسَنِه فى كلامِ العرب قولُ القُطَامى :

كنيّة الحىّ من ذى القَيْظَةِ احتملوا مُسْتَحْقِبِينَ فؤادًا ما له فادى[3]

ومثل هذا فى أشعار الأوائل موجود ، لكن[4] إنما يأتى منه فى القصيدة البيتُ الواحد أو البيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ، ويحضر فى خاطره ، وفى الأكثر لا يعتمده ، وربما خلا ديوان الشاعر المكثرِ منه ؛ فلا تُرَى له[5] لفظة واحدة .

فاعتمده الطائى ، وجعله غَرَضه ، وبنى أكثر شعره عليه ، فلو كان قَلَّل منه واقتصر على مثل قوله :

* يا رَبْعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومِ[6] *

وقوله :

* أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمِ[7] *

وقوله :

* يا بُعْدَ غايَةِ دَمْعِ العَيْنِ إنْ بَعُدُوا[8] *

---

(١) فى ك : « تعمل الشعر »

(٢) ك ، م « جد وقعها — ولا »

(٣) سبق ص ١٦

(٤) م « لكنه »

(٥) ك ، ط « فيه »

(٦) عجزه : « مستسلم لجوى الفراق سقيم » وهو فى ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣ ٪ ٢٦١

(٧) ديوانه ٢٨٧ وشرح التبريزى ٣/ ١٦٠ ورامة : اسم موضع . وفى م « كنت رامة »

(٨) عجزه : « هى الصبابة طول الدهر والسهد » ديوانه ٩٦ وشرح التبريزى ٢/ ١٠ ومعنى قوله : يا بعد غاية دمع العين ، معناه : ما أشقك ! وفى م « إذ بعدوا »

وأشباه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى ـ لكان قد أتى على[١] الغَرَض ، وتخلص من الهُجْنة والعيب .

فأما أن يقول :

قَرَّتْ بِقَرَّانَ عَيْنُ الدينِ وَانشترتْ ... بالأَشْتَرَيْنِ عُيُونُ الشِّرْكِ فَاصْطُلِمَا[٢]

فإن انشتار[٣] عيون الشرك فى غاية الغَثَاثة والقباحة ، وأيضاً فإن انشتار العين ليس بموجب للاصطلام .

وقوله :

إنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُو ... نٌ ، وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلًا بِالعَقِيقِ[٤]

وقوله :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ ... فيهِ الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ[٥]

---

(١) ط « بالغرض »

(٢) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣/١٦٩ الصناعتين ٣٣٥ وسر الفصاحة ١٨٥ ودلائل الإعجاز ٢٧٧ وأسرار البلاغة ١٦ « واشترت » وقران : اسم مكان ببلاد الحزمية : والاشتار من أمراض العين أن يرتفع جفنها الأعلى حتى لايغطى بياضها . وأشتر : موضع بين نهاوند وهمذان . والاصطلام : الاستئصال

(٣) ك ، ط « فانشتار »

(٤) ديوانه ٢١٥ وشرح التبريزى ٢/٤٣١ والصناعتين ٢٣٥

(٥) ديوانه ٣٩ وشرح التبريزى ١/١٣٦ والبديع ٧٣ والموشح ٣٠٩ ودلائل الإعجاز ٢٧٧ وأسرار البلاغة ٦ . بمذهبه : أى بطريقته ، والمعنى ذهبت بطريقته السماحة أى غلبت عليه ، كما يقال : ذهب فلان بالمجد أى حازه وصار له . وقوله : التوت فيه الظنون : أى اختلفت ولم تحقق شيئاً واحداً . وقوله : أمذهب أم مذهب : أى طريقة هو وخلق أم مذهب ، من قول العامة بفلان مذهب ، إذا كان يلج فى الشيء ويعزى به وقيل : المذهب بالفتح واحد المذاهب ، والمذهب بالضم : اللوح والسفر من الكتب التى فيها السير ، أى ذهبت السماحة بمذهبه كل مذهب فأخذ من كل شيء حظا فلا يدرى أمذهبه مذهب ، أم هو السفر الذى تتشعب فيه المذاهب لسعتها وافتنانها فى كل فن . وقال المرزبانى : « يريد غلبت على مذهبه السماحة فكأن فيها مذهبا يظنه بعض الناس » وقال المرزوقى : « المذهب بضم الميم : الجنون والمعنى : أن السماحة قد غلبت عليه واستولت على شمائله وسجاياه ، فهو يفرط فيها ويسرف فى لزومها ، حتى قيل على طريق التشكك : أهذا خلق ومذهب أزم جنون ومذهب» وشرح المرزوقى هو الشرح

وقوله :

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنٍ[1] *

فهذا كله تجنيسٌ فى غاية البشاعة[2] والركاكة والهجانة ، ولا يزيد زيادة على قبح قوله :

فَاسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ الآفَاتِ ما سَلِمَتْ
سِلامُ سَلْمَى وَمَهْما أَوْرَقَ السَّلَمُ[3]

فإن هذا من كلام المُبَرْسَمِين[4] .

وقد عابه أبو العباس عبدُ الله بن المعتز ببعض هذه الأبيات فى « كتاب البديع » ، جاء بها فى قبح التجنيس .

و [قد جاء من التجنيس] فى أشعار العرب ما يُستكره ، نحو قول امرئ القيس :

* وَسِنٍّ كَسُنَّيْقٍ سَنَاءً وَسُنَّمَا[5] *

ولم يعرف الأصمعى هذا [ولا أبو عمرو] ، وقال أبو عمرو : وهو بيت مَسْجِدِيّ : أى من عمل أهل المسجد .

وقال الأصمعى : السن : الثور ، ولم يعرف سنيقا[6] ، ولا سنما ،

(١) عجزه : « وأنجح فيك قول العاذلين » ديوانه ٣٢١ وشرح التبريزى ٢٩٧/٣ بنو خشين : قبيلة من اليمن

(٢) ط « الشناعة »

(٣) السلام : الحجارة الصلبة ، وسلمى : جبل طيء ، والسلم : شجر له شوك يدبغ بورقه وقشره .

(٤) فى ك « المبلسمين »

(٥) فى ديوانه ١١١ « وسنم * ذعرت بمدلاج الهجير نهوض » . والمعانى الكبير لابن قتيبة ٧٧٣/٢ والصناعتين ٣٣٥

(٦) ك ، م « سنيق ولا سنم »

ويقال : سنيق جبل ، ويقال : أَكَمَةٌ ، وسنم ههنا : البقرة [الوحشية [1]] ، سناء : أي ارتفاعاً ، ويروى «سناما» [2] أي ارتفاعاً أيضاً ، من «تسنّمْتُ [3] الجبَل» علوته .

وقول الأعشى :

* شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ [4] *

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعراء [5].

وقرأ هذه القصيدة على أبي الحسن على بن سليمان [الأخفش] النحوى قارئ ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن : صُرِعَ والله الرجلُ .

وما زلت أراهم يستكرهون قول ذى الرمة :

* عَصَا قَسِّ قُوسٍ لِينُها وَاعْتِدَالُها [6] *

ويروى «عَصَا عَسَّطُوسٍ» [7] وقد قيل : إنه الخيزران .

وهذا إنما جاء من هؤلاء مفلتاً [8] نادرًا ؛ لأنك لو اجتهدت أن ترى للواحد منهم حرفاً واحدًا [9] ما وجدته .

والطائىُّ استفْرَغ وُسْعه فى هذا الباب ، وجَدَّ فى طلبه ، واستكثر منه ، وجعله غَرَضَه ! فكانت إساءته فيه أكثَرَ من إحسانه ، وصوابُه أقلَّ من خطئه [10] .

---

(١) زيادة من ط

(٢) م «سنما»

(٣) ط « سنمت »

(٤) سبق ص ٤٣

(٥) ك ، ط « الشعر »

(٦) صدره « على أمر منقد العفاء كأنه » ديوانه ٥٣٢ واللسان ٨ / ١٧ . والعفاء : الوبر ، ومنقد العفاء عنه ، يعنى الحمار ، والقس : العابد من النصارى . والقوس : المنارة التى يكون فيها الراهب نفسه . شبه الحمار بعصا القس العابد فى ملاستها واعتدالها

(٧) م « عمى عنسطوس » والعسطوس : من رؤوس النصارى . والعسطوس : ضرب من الشجر

(٨) ط « مقللا »

(٩) ك و م « واحداً ثانيا مثله ما وجدت »

(١٠) ط « خطائه »

ما يستكره للطائى من المطابق

[ورأى [1] الطائى الطِّبَاقَ فى أشعار العرب ، وهو أكثر وأوجد فى كلامها مما قدمت ذكره] [2] من التجنيس ، وهو : مقابلة الحرف بضدِّه أو ما يقارب الضد ، وإنما قيل « مطابق » ، لمساواة أحد* القسمين صاحبه ،وإن تضادًّا أو اختلفا فى المعنى . ألا ترى إلى قولهم فى أحد المعنيين– إذا لم يشاكل صاحبه : ليس هذا طَبَقَ هذا ، وقولهم فى المثل : «وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَة» [3] والطبق للشىء إنما قيل له طَبَقٌ لمساواته إياه فى المقدار ، إذا جُعِل عليه ، أو غُطِّى به ، وإن اختلف الجنسان ، قال** الله عز وجل : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طبَقاً عَنْ طَبَق [4]﴾ أى : حالا بعد حال ، ولم يرد تساويهما فى تمثيل [5] المعنى ، .وإنما أراد عز وجلّ – وهو أعلم [6] – تساويهما فيكم ، وتغييرهما إياكم ؛ بمرورهما عليكم ، ومنه قول العباس بن عبد المطلب :

[ينقل من صالب إلى رحم] إذا مضى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ [7]

أى : جاءت حال أخرى تتلو الحالَ الأُولى ، ومنه طِباق الخيل ، يقال : طابَقَ الفرسُ ، إذا وقعَت قوائمُ رجليه فى موضع قوائم يديه فى المشى أو العَدو ، وكذلك [مشى] *** الكلاب ، قال الجعْدىُّ :

---

(١) الزيادة من ط

(٢) الزيادة من ك

(٣) جمهرة الأمثال ٢٠٢ ، ومجمع الأمثال ٣٥٩/٢ * فى ك « إحدى »

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ ** فى ك «وقول»

(٥) فى ك « فى نفس »

(٦) ك : « أعلم وأحكم »

(٧) من أبيات فى مدح النبى عليه السلام فى أمالى الزجاجى ٤٤ والفائق للزمخشرى ٢٨١/٢ والمختار من شعر بشار ١٣٩ ونهاية الأرب ٣٦٢/٢ والزيادة من ك وفى م ، ط « إذا انقضى عالم » والطبق : القرن من الناس

*** الزيادة من ك

* طِباقَ الكِلابِ يَطأْن الهَرَاسا[١] *

فهذه[٢] حقيقة الطباق ، إنما هو مقابلة الشىء بمثل الذى هو على قَدْرِه ، فسَمّوا المتضادين – إذا تقابلا – متطابقين[٣].

ومنه قول زهير :

لَيْثٌ بعَثَّر يَصْطَادُ الرِّجالَ إذا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أقْرَانِه صَدَقَا[٤]

فطابق بين قوله « كذَّب » وبين [قوله][٥] « صدقا » .

وقول طُفَيْلٍ الغَنَوِىّ يصف فرساً :

* يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ[٦] *

فطابق بين قوله « يُصَانُ » و [بين][٧] قوله « مبذول » .

وقول طرفة [بن العبد][٨] :

بَطِىءٍ عَنِ الجُلّى سَرِيع إِلَى الْخنا [ذلول بِأَجماع الرجالِ مُلهَّدِ]

فطابق بين « بطىء » و « سريع » .

فلو اقتصر الطائى على ما اتفق له فى هذا الفن من حلو اللفظ[٩] وصحيح المعنى نحو قوله :

---

(١) صدره « وخيل يطابقن بالدارعين » هو فى المعانى الكبير ١/٤٦ والصناعتين ٣٠٧ واللسان ١٢/٨٠ وفى ٨/١٣٤ « الهراس : شوك كأنه حسك . والمطابقة أن تضع أرجلها مواضع أيديها وتقدم أيديها حتى تبصر مواقعها ، يريد أنها لا تريد الهرب فهى تتثبت فى مشيها كما تمشى الكلاب فى الهراس متقية له » وفى م « الهراشا »

(٢) ط « فهذا . . . لمثل » وفى ك « فهذا حقيقة . وانطباق »

(٣) ط « مطابقين »

(٤) سبق ص : ١٧

(٥) زياده من ك و ط

(٦) سبق ص : ١٧

(٧) زيادة من ك و ط

(٨) ديوانه ٣٥ وفى شرح القصائد العشر ٩٦ « الجلى : الأمر العظيم الذى يدعى له ذوو الرأى . الذلول والذليل المقهور . وأجماع : جمع جمع وهو ظهر الكف إذا جمعت أصابعك وضممتها والملهد : المضروب .

(٩) ط « الألفاظ »

* نَشَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمِ [١] *

ونحو قوله :

* جُفُوفَ البِلَى أَسْرَعْتَ فِى الغُصْنِ الرَّطْبِ [٢] *

ونحو [٣] قوله :

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالبَلْوَى وإِنْ عَظُمَتْ   وَيَبْتَلِى اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بِالنِّعَمِ [٤]

وأشباهِ هذا من جيد أبياته .

ثم تجنَّبَ مثلَ قوله :

قَدْ لَانَ أَكْثَرُ مَا تُرِيدُ ، وبَعْضُهُ   خَشِنٌ ، وَإِنِّى بِالنَّجَاحِ لَوَاثِقُ [٥]

وقوله :

لَعَمْرِى لَقَدْ حُرِّرْتَ يَوْمَ لَقِيتَهُ   لَوَ انَّ القَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدِ [٦]

وقوله :

وَإِنْ خَفَرَتْ أَمْوَالَ قَوْمٍ أَكُفُّهُمْ   مِنَ النَّيلِ والْجَدْوَى فَكَفَّاهُ مِقْطَعُ [٧]

ونحو هذا مما يكثُرُ إن ذكرته ، = لتهذَّب [٨] عُظْمُ شعره وسَقَطَ . أكثر ما عيب عليه منه .

---

(١) سبق مع عجزه فى ص : ٢١٠

(٢) عجزه « وخطب الردى والموت أبرحت من خطب » ديوانه ٣٥٦

(٣) م « وهو قوله »

(٤) ديوانه ٣/٢٨٠ (شرح التبريزى)

(٥) ديوانه ٢٢٢ وشرح التبريزى ٢/٤٥٢

(٦) ديوانه ١٠١ وشرح التبريزى ٢/٢٥ « حررت : من الحرارة التى هى خلاف البرودة ، يقول : كنت قربت قتله غير أن القضاء نجاه » وهو فى الصناعتين ٣٢٠ والوساطة ٦٨ والموشح ٣٠٨ نقلا عن رسالة ابن المعتز فى محاسن شعر أبى تمام ومساويه

(٧) ديوانه ١٩١ وفى شرح التبريزى ٢/٣٣٠ « يقول : إذا كانت يد الرجل كالخفير لماله تحفظه من السؤال ، فكفاه مقطع أى يقطع فيهما الطريق على المال ، لأن العادة جارية بأن المال يؤخذ فى قطع الطريق »

(٨) ط « ذكرته ذهب عظيم . . . وأكثر » وفى م « مما عيب » . وقوله : « لتهذيب » ، جواب قوله فى الصفحة السالفة : « فلو اقتصر الطائى »

وهذا باب [١] أعنى – المطابق – لقّبه أبو الفرج قُدَامة بن جعفر [الكاتب] فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر : «المتكافئ» ، وسمى ضرباً من المتجانس [٢] المطابق ، وهو : أن تأْتى بالكلمة [٣] مثل الكلمة سواء فى تأْليفها واتفاق حروفها ، ويكون معناهما مختلفاً ، نحو قول الأَفْوَاه الأَوْدِى :

وَأَقْطَعُ الهَوْجَلَ مُسْتأْنِساً بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيسْ [٤]

والهوجل الأَول : الأَرض البعيدة ، والهوجل الثانى : الناقة العظيمة الخلق الموثّقة .

وقول أَبى دُوَاد الإِيادىّ :

عَهِدْتُ لَها مَنْزِلاً دَارِساً وَآلا عَلَى الماءِ يَحْمِلْن آلاَ [٥]

فالآل الأَول : أَعْمِدةُ الخيامِ ، والآل الثانى : ما يرفع الشُّخُوصَ .

وقول [٦] زياد الأَعْجَم :

ونُبِّئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلِلّؤْمِ فيهم كَاهِلٌ وَسَنَامُ [٧]

وما علمت [أن] [٨] أحدًا فَعلَ هذا غير أَبى الفرج ؛ فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته [٩] معنى الملقَّبَات ، وكانت الأَلقاب [١٠] غير محظورة ؛

---

(١) ك «باب من»

(٢) ط «المجانس»

(٣) ط «الكلمة . . . معناها مخالفا»

(٤) نقد الشعر ٦٠ وديوانه ١٦ وسر الفصاحة ١٨٥ والعمدة ١ / ٢٩٠ والصناعتين ٤٢٠ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٥) نقد الشعر ٦٠ واللسان ٣٩ والعمدة ١/ ٢٨٨ وإعجاز القرآن ١٢٤

(٦) ك، ط «وقال»

(٧) ط «فيه» و م «منهم» وهو فى نقد الشعر ٦٠ والبديع ٥٨ وسر الفصاحة ١٨٤ والصناعتين ٣٠٧ والأغانى ١١ / ١٧١ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٨) زيادة من ط

(٩) م «بموافقته»

(١٠) ط «الألفاظ»

فإنى لم أكن أحبُّ له أن يخالف مَنْ تقدَّمه ، مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الأنواع وألَّفَ فيها ؛ إذ قد سبقوا[١] إلى التلقيب ، وكفَوْه المؤونة .

وقد[٢] رأيت قوماً من البغداديين يسمُّون هذا النوع [من] [٣] المجانس : المماثل ، ويلحقون به الكلمة إذا تردَّدت وتكررت[٤] ، نحو قولِ جرير :

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا ... فَنِعْمَ الزَّادُ زادُ أَبِيكَ زَادا[٥]

[وبابه قليل] [٦].

---

(١) ط « سبقوه إلى اللقب »

(٢) م « ومذ »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ك « وتكررت فى البيت »

(٥) ديوانه ١٣٥

(٦) زيادة من ط وفى ك : « وهو قليل »

وهذا باب

فى سوء[١] نسجه ، وتعقيد [نظمه][٢] ، ووحشىّ ألفاظه

وما أكثرَ[٣] ما تراه من ذلك ، وتجده فى شعره ، وأظنه سمع بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زهير بن أبى سُلْمى لما قال [فيه] : « كان لا يُعاظِلُ بين الكلام ، ولا يتتبع حُوشِيَّه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فى الرجال »[٤] فلم يَرْتَضِ[٥] ما قاله عمر ، وأَحَبَّ أن يستكثر مما ذَمَّه وعابه .

وقد فسر أَهْلُ العلم هذا من قول عمر : وذكروا معنى المعاظلة ، وهى : مُداخلة الكلام بعضه فى بعض ، وركوب بعضه[٦] لبعض . كَقولك[٧] : تعاظَلَ الجراد ، وتعاظلت الكلاب ، ونحوهما مما يتعلق بعضه ببعض عند السِّفاد ، وأكثر ما يستعمل فى هذين النوعين .

وكذلك فَسَّرُوا [معنى] حُوشِىّ الكلام ، وهو [اللفظ الغريب] الذى لا يتكرر فى كلام العرب كثيرًا ؛ فإذا ورد ورد مُسْتَهْجَناً . وقالوا فى معنى قوله : «وكان لا يَمدح الرجل إلا بما[٨] فى الرجال » أنه أراد : لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك ، ولا يمدح[٩] التجار وأصحابَ الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح ؛ فإن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف

---

(١) ط « فى سوء نظمه وتعقيد ألفاظ نسجه »
(٢) الزيادة من ك
(٣) ط « وأكثر . . . أظنه سمع ما »
(٤) الشعر والشعراء ١ / ٨٧
(٥) ط « يرتض هذا لشعره »
(٦) ك « بعض »
(٧) ك و م « من قولك »
(٨) ط « بما يكون » .
(٩) ليست فى ك

كل فريق بما ليس فيه ، فذكروا هذه الجمل ،ثم[١] مثلوا لها أمثلة تزيدما قاله عمر رضى الله عنه وضوحاً وبياناً ، إلا أبو الفرج قدامة بن جعفر فإنه[٢] ذكر ذلك فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر ومثل له أمثلة ، فغلط فى أمثلة المعاظلة غلطاً قبيحاً ، وقد ذكرت ذلك فى كتاب بَيَّنْتُ فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه .

* * *

وأنا أذكر ههنا ما إليه قصدت من تبيين[٣] ما فى شعر أبى تمام من هذه الأنواع ، فإنها كثيرة . وأورد من كل نوع قليلًا[٤] يستدل به على الكثير فأقول :

إن من المعاظلة التى قد لخصت معناها فى الكتاب على « قدامة » شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعْضها ببعض ، وأن يداخل لفظة [من أجل لفظة][٥]تشبهها [أو][٥] تجانسها ، وإن أخلّ[٦] بالمعنى بعض الإخلال .

١ ــ وذلك كقول أبى تمام :

خان الصفاء أخٌ خان الزَّمانُ أخاً عَنْهُ فلمْ يَتخوَّنْ جِسْمَهُ الْكَمَدُ[٧]

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت ، وهى سبع كلمات آخرها قوله : « عنه » ما أشد تشبث بعضها ببعض ، وما أقبح ما اعتمده من إدخال

(١) ك ، م « ولم يمثلوا »
(٢) ك « فإنه لما ذكر »
(٣) ط « من سائر »
(٤) ط « فيستدل » . . . وفى م « فأما قوله »
(٥و٥) زيادة من ك ، ط
(٦) ك ، ط « اختل المعنى . . . الاختلال »
(٧) ديوانه « الزمان له أخا » وفى شرح التبريزى المخطوط ٦٣٦ « كان الزمان له أخا »

ألفاظ فى البيت من أجل ما يشبهها ؛ وهى قوله[١] : «خان» و «خان» و «يتخون» وقوله : «أخ» و «أخا».

وإذا[٢] تأملت المعنى – مع ما أفسده من اللفظ – لم تجد له حلاوة ، ولا فيه كبير فائدة ؛ لأنه يريد : خان الصفاء أخٌ خان الزمان أخاً من أجله إذ لم يتخوَّن جسمَه الكمد .

٢ – وكذلك قوله :

يا يَوْمَ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِى لَهْوُهُ بِصَبَابتِى وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِى[٣]

فهذه الألفاظ إلى قوله : «بصبابتى» كأنها[٤] [أيضاً][٥] سلسلة فى شدة تعلق بعضها ببعض . وقد كان أيضاً يستغنى[٦] عن ذكر اليوم فى قوله «يوم لهوى» ؛ لأن التشريد إنما هو واقع بلهوه . فلو قال : «يا يوم شرد لهوى» لكان أصحَّ فى المعنى من قوله : «يا يوم شرد يوم لهوى» وأقرَب فى اللفظ ؛ فجاء باليوم الثانى من أجل اليوم الأول ، وباللهو الثانى من أجل اللهو الذى قبله ، ولهو اليوم [أيضاً] بصبابته هو[٧] من وساوسه وخطائه[٨] ، ولا لفظ [هو] أولى بالمعاظلة من هذه الألفاظ .

---

(١) ط «وهو خان»

(٢) ك ، ط «فإذا»

(٣) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٢/ ٤٥ «تقديره : يايوم شرد لهوه بصبابتى يوم لهوى وأزال صبرى» .

(٤) م «كأنه».

(٥) الزيادة من ك

(٦) ط «استغنى»

(٧) ط «هو أيضا»

(٨) ك ، م «وخطراته»

٣ ونحو قوله [أيضاً][1] :

يَوْمٌ أَفَاضَ جَوًى أَغاضَ تَعَزِّياً خاضَ الْهَوَى بَحْرَىْ حِجاهُ الْمُزْبِدِ[2]

فجعل اليوم أفاض جَوًى ، والجوى أغاضْ تعزِّياً ، والتعزِّى موصولاً به « خاض الهوى » إلى آخر البيت ؛ وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه ، مع أنه قال[3] « أفاض » و « أغاض » و « خاض » [وهى] ألفاظ أوقعها فى غير مواقعها[4] ، وأفعال غير لائقة بفاعلها ، وإن كانت مستعارة ؛ لأن المستعمل فى هذا أن يقال : قد عُلم ما بفلان من جَوًى ، وظَهَر ما يكتمه من هَوًى ، وبان عنه العزاء أو ذهب عنه التعزى[5] ، فأما أن يقال : فاض الجوى ، أو أفيض ، أو غاض [التعزى] أو أغِيضَ ؛ فإنه ـ وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة ـ قبيحٌ جدًّا .

وكذلك خَوْضُ الهوى بحرَ التعزِّى معنًى فى غاية البعد والهَجانة ، ثم اضطر إلى أن قالْ « بَحْرَىْ حجاه المزبد » فوحَّد المزبد ، وخفضه ، وكان وجهه أن يقول : « المزبدين » صفة للبحرين ، فتجعله صفة للحجى . ويقال إنه أراد ببَحْرَىْ حِجاه المزبد : قلبه ودماغه ؛ لأنهما موطنان للعقل ، وذلك[6] محتمل ، إلا أنه جعل المزبد وصفاً للحجى ، ولا يوصف العقل بالإزباد ، وإنما يوصف به البحر . وهذا وإن كان يُتَجَاوز فى مثله ، فإنه[7]

---

(١) زيادة من ط
(٢) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى/٤٦
(٣) ط ، م « مع أن أفاض »
(٤) ط « موضعها »
(٥) فى ط « عنه العزاء والتعزى »
(٦) ك ، م « وذاك »
(٧) ط « فإنه إلى »

الوجه الأردأ ، عَدَلَ به [إليه] خبث[١] الطريقة عن الوجه الأوضح .

وإذا[٢] تأملت شعره وجدت أكثره مبنيًّا على [مثل] هذا[٣] وأشباهه .

وفيما ذكرته[٤] من هذ الأمثلة من شعره ما دلَّك على[٥] سواها .

فإن قال قائل : إن هذا الذى أنكرته وذَمَمته فى الأبيات المتقدمة وفى هذا البيت : من [شدة] تشَبُّث الكلام بعضِه ببعض ، وتعلُّق كل لفظةٍ بما يليها ، وإدخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها ـ هو المحمود من الكلام ، وليس من المعاظلة فى شىء ، ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لمَّا وَصفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا : هذا كلام يدل بعضُه على بعض ، ويأخذ[٦] بعضُه برقاب بعض ؟

قيل : هذا صحيح من قولهم ، ولم يريدوا [به] هذا الجنس من النثر والنظم ، ولا قصدوا هذا النوع من التأليف ، وإنما أرادوا المعانى إذا وقعت ألفاظها فى مواقعها ، وجاءت الكلمة مع أختها المشاكِلة لها التى تقتضى أن تجاورها لمعناها[٧] : إما على الاتفاق ، أو التضاد[٨] ، حسبما تُوجبهُ قسمة الكلام ، وأكثر الشعر الجيد هذه سبيلُه ، وذلك نحو قولُ زهير بن أبى سَلْمَى :

سَئِمْتُ تَكالِيفَ الْحَياةِ ، ومَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ[٩]

---

(١) م « وحيث الطريقة » ، فى ط « وجنب الطريق »

(٢) ط « فإذا »

(٣) زيادة من ط ، ك

(٤) ط « وقد ذكرت . . . ما دل »

(٥) ك : « على ما سواها »

(٦) ط « وآخذ »

(٧) ك ، م « بمعناها »

(٨) م « فالتضاد »

(٩) ديوانه ٢٩ وشرح القصائد العشر ١٢٢

لما قال : « ومن يعش ثمانين حولا »[1] وقدم فى أول البيت « سئمت » اقتضى أن يكون فى آخره « يسأم » .

وكذلك قوله أيضاً :

السِّتْرُ دُونَ الْفاحِشات وَما ... يَلْقاكَ دُونَ الخَيْرِ مِنْ سِتْرِ[2]

فالستر الأول اقتضى الستر الثانى .

وكذلك قوله :

وَمَنْ لا يُقَدِّمْ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً ... فَيُثْبِتَها فى مُسْتَوَى الأَرْضِ، تَزْلَقِ[3]

لما قال : « ومن لا يقدم رجله مطمئنة » اقتضى أن يأتى فى آخر البيت « يزلق » .

وكذلك قولُ امرئ القيس :

أَلاَ إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلمَرْءِ قُنْوَةً ... وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسا[4]

اقتضى « العدم » فى البيت أن يأتى بعد « قنوة » وكذلك[5] اقتضى قوله : « وبعد المشيب » [قوله :] « طول عمر وملبسا » .

وكذلك قوله :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ[6] ... وإنْ تَقْصِدُوا لِدَم نَقْصِدِ[7]

---

(١) م « عاما »

(٢) ديوانه ٩٥ وفى ك ، م « ولا »

(٣) ديوانه ٢٥٠

(٤) ديوانه ٩٩ وفى م « بعد اليوم »

(٥) م « ولذلك »

(٦) عجز هذا الشطر كما فى ديوانه ٦١ « وإن تبعثوا الحرب لا نقعد »

(٧) هذا عجز بيت آخر وصدره فى ديوانه ٦١ « وإن تقتلونا نقتلكم »

كل لفظة تقتضى ما بعدها .

فهذا هو الكلام الذى يدلُّ بعضُه على بعضٍ ، ويأْخذ بعضُه برقاب بعض ؛ وإذا أنشدت صدر البيت علمت ما يأْتى فى عَجُزه ؛ فالشعر الجيد ــ أو أكثره ــ على هذا مبنىّ ، وليست بنا حاجة إلى زيادة[1] فى التمثيل على هذه الأَبيات .

(١) ط « الزيادة »

[حوشى الكلام وما يستكره من الألفاظ]

وأما قول عمر رضى الله عنه فى زهير : «إنه كان لا يَتَتَبَّعُ حُوشِىَّ الكلام» فإن أبا تمام كان لعَمْرى يتتبعه ، ويتطلبه ، ويتعمل[1] لإدخاله فى شعره ، فمِنْ ذلك قولُه :

أَهْلَسُ أَلْيَسُ لَجَّاءُ إِلَى هِمَمٍ تُغَرِّقُ العيس فى آذِيِّهَا اللُّيسَا[2]

ويروى «أهيس أليس» والأهيس : الجادّ[3] ، وهذه الرواية أجود .

وهى مثل[4] :

* إِحْدَى لَيَالِيكِ فَهِيسِى هِيسِى[5] *

والهُلَاسُ : السُّلَالُ من [شدة] الهزال ؛ فكأن قوله : «أهلس» يريد خفيف اللحم .

والأَلْيَسُ : الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة ، وهو الذى لا يكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر أو يهلك .

فهاتان[6] لفظتان مستكرهتان إذا اجتمعتا ، [ثم] لم يقنع بأهلس أليس حتى[7] قال فى آخر البيت : «الليسا» يريد جمع أليس .

---

(١) ط «ويتعمد إدخاله»

(٢) م «نجاء إلى» وفى م والوساطة ٢٢ وديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢/٢٥٨ «تغرق الأسد» قال التبريزى : «يقال : رجل أليس : إذا كان شجاعا لا يبرح موقفه فى الحرب ، وأهيس من قولهم : هاس يهيس ، إذا وطئ شديداً ، أو سار سيراً عجلا

(٣) م «الحاد . . . أجود فى مثل»

(٤) ك «وفى مثل»

(٥) شرح التبريزى ٢/ ٢٥٨ وفى اللسان ٨ / ١٣٩ وبعده : «لا تنعمى الليلة بالتعريس» وهيسى : أى سيرى أى سير كان

(٦) ك و م «فهما»

(٧) ط «ثم»

وقوله :

وَإِنْ بُجَيْرِيَّةٌ بَانَتْ جَأَرْتُ لَهَا   إِلَى ذُرَى جَلَدِى فَاسْتُؤْهِلَ الْجَلَدُ[١]

فقال : «بجيرية» و «جأرت لها» وهذه الألفاظ وإن كانت معروفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت اسْتُقْبِحَتْ[٢] وثقلت .

وكذلك قوله :

* هُنَّ الْبَجَارِىُّ يَا بُجَيْرُ[٣] *

والبجارى : جمع بُجْرِيَّة ، وهى الداهية .

وقوله :

بِنَدَاكَ يُوسَى كلُّ جرْحٍ يَعْتَلِى   رَأبَ الأُسَاةِ بِدَرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ[٤]

الدردبيس والقنطر[٥] : من أسماء الدواهى .

وقوله :

* قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِى الْغُلَوَاءِ[٦] *

وزاد[٧] هذه الألفاظ هجنة [أنها] ابتداء قصيدة .

وقوله :

لَقَدْ طَلَعتْ فِى وَجْهِ مِصْرَ بِوَجْهِهِ   بلا طائرٍ سَعْدٍ وَلاَ طائرٍ كَهْلِ[٨]

(١) ديوانه ٣٦٧ وشرح التبريزى المخطوط ٦٣٦ والصناعتين ٣٠ وفى ط « نابت » و م ك « إلى أيدى » .

(٢) م ك « استهجنت »

(٣) سبق ص ٢٦

(٤) ديوانه ٣٩٦ وشرح التبريزى المخطوط ٧٣٦ . ويؤسى : يداوى ويصلح . والرأب : الإصلاح ، والأساة : الأطباء

(٥) ك « وهما »

(٦) سبق ص ٢٦

(٧) ط « ومثل هذه هجنة (لايكون) فى ابتداء القصيدة »

(٨) طلعت : أى وساس الآمال المذكورة فى البيت التالى وهو :

وساوس آمال ومذهب همة   مخيمة بين المطية والرحل

فى ديوانه ٤٢١ « طائر سهل »

وإنما سمع قول بعض الهذليين :

فلَوْ كانَ سلمى جارَهُ أو أجارَهُ رِيَاحُ بْنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طائرٌ كَهْلُ[١]

ووجدت فى تفسير أشعار هذيل : أن الأصمعى لم يعرف قوله : «طائر كهل» وقال بعضهم : كهل : ضخم .

وما أظنّ أحدًا قال : «طائر كهل» غير هذا الهذلى ، فاستغرب أبو تمام معنى الكلمة فأتى بها ، وأحَبَّ أن لا تفوته . فمثل هذه الألفاظ لا يستعملها شاعر [مقدم] إلاّ أن يأتى فى جملة شعره منها اللفظة أو اللفظتان ، وهى فى شعر أبى تمام كثيرةٌ فاشية .

وقد أنكر الرواةُ على زهير – مع ما قاله عمر فيه : «كان لا يتتبع حوشى الكلام» – قولَه :

نَقِيٌّ تَقِيٌّ لَمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَةِ ذِى قُرْبى وَلاَ بِحَقَلَّدِ[٢]

واستشنعوا[٣] «حقلد» وهو : السيئ الخلق ، ولا يُعْرف فى شعره لفظة هى أنكر منها ، وليس مجيئه بهذه اللفظة[٤] الواحدة قادحاً فيما وصفه به عمر رضى الله عنه .

وأكثر ما ترى هذه الألفاظ الْوَحْشِية فى أراجيز الأعراب[٥] ، نحو قول بعضهم .

---

(١) البيت لأبى خراش الهذلى ، كما فى اللسان ١٤/١٢٢ وأساس البلاغة ٢٤/٣٩ وفى ديوان الهذليين ٢/١٦٥ « يريد : سلمى بن معقل من بنى صاهلة ، ورياح بن سعد من بنى زليفة . وقوله طائر كهل ، أراد رجلا كهلا عظيم الشأن » وفى ك : « الهذليين ، وهو صخر الغى » .

(٢) ديوانه ٢٣٤ والصناعتين ٣٠ وصبح الأعشى ٢/٢١٦ النهكة : النقص والإضرار والحقلد : الضيق البخيل السيء الخلق . أى لم يكثر ما له بظلم قرابته وأخذ ما لهم .

(٣) ط « بحقلد وهى » وفى ك : « فاستبشعوا »

(٤) ك « الكلمة »

(٥) ك : « العرب وما شاكل ذلك . أنشد أبو حاتم »

[وأنشده أبو حاتم] :

* فَشَحَا جَحَافِلَهُ جُرَافٌ هِبْلَعُ[١] *

وقول آخر[٢] :

* غَرْباً جَرُوراً وجُلَالاً خُزَخِزْ[٣] *

[الغرب : الدلو . والجرور : العظيم . والجلال : الشديد والخُزَخِز : القوى] [٤]

وأنشد الأصمعى :

وآخذ طعم السقاء سَامِطُ وخَاثِرٌ عُجَالِطُ عُكَالِطُ[٥]

إذا ذهب عن اللبن حلاوةُ الحلَب[٦] ولم يتغير فهو سَامِط ، وإذا خَثَرَ اللبن جدًّا حتى يَتَكَبَّد[٧] فهو عُكَلِط [وعُجَلِط] .

---

(١) صدره : « وضع الخزير فقيل : أين مجاشع ؟ » وهو لجرير ، كما فى ديوانه ٣٤٥ واللسان ، ٥/٣١٩ ، ١٠/٢٤٦ ، ٣٦٩ وغير منسوب فى سر الفصاحة ٦٤ . الخزير : عصيدة فيها لحم .
وشحا : فتح ، وجحافل الخيل : أفواهها ، والجحفلة من الخيل والحمر والبغال بمنزلة الشفة من الإنسان والمشفر للبعير . ورجل جراف : شديد الأكل لا يبقى شيئا . والهبلع : العظيم اللقم الأكول
وفى ط « فشجا » وهو تحريف

(٢) ط « أنشد أبو تمام وقول »

(٣) م « غربا مروراً وجلالا فرفرة » وط « عربا مروراً وجلالا مرمر » وقال ناشرها الشيخ محمد محيى الدين : « مع طول البحث فيما بين يدى من كتب اللغة ومجاميع الشعر ، لم يتيسر لى العثور على تحقيق هذا الشاهد فأثبته كما هو فى أصول الكتاب غير متحمل تبعته » .
والشاهد فى الصحاح ٢/٨٧٤ واللسان ٧/٢١٢ وصدره فيهما : « أعددت للورد إذا الورد حفز » والرجز غير منسوب فى سر الفصاحة ٦٤
والورد : الماء الذى يورد ، ووقت يوم الورد بين الظمأين . وحفز : حث وساق ، أودنا . والغرب : الدلو الكبير الذى يستقى به . جروراً : أى يجر على شفير البئر لبعد قعرها . والجلال : البعير الضخم الكريم . والخزخز : القوى الشديد

(٤) الزيادة من ك

(٥) ط « وأجد . . للقاء » و فى ط و م « عجلط » وكذلك هو فى سر الفصاحة ٦٤

(٦) ط « الحليب »

(٧) ط « حتى ثخن فهو عكالط وقال آخر »

وقول الآخر أنشده الأصمعى :

[1] فى رَبْرَبٍ خِمَاصِ يَأْكُلْنَ مِنْ قُرَّاص

* وَحَمَصِيص وَاصِ *

واص : نبتٌ متصل بعضه ببعض .

وإذا كان هذا يُستهجَن[2] من الأعرابى القُحّ الذى لا يتعمَّل[3] له ولا يتطلَّبُه[4] ، وإنما يأتى به على عادته وطبعه ؛ فهو من المحدَثِ الذى ليس هو من لغته ولا من ألفاظه ولا من كلامه الذى تجرى عادتُه به – أحْرَى أن يُسْتَهجن .

ولهذا ما أنكر الناسُ على روْبة استعمالَه الغريب الوَحْشِىّ ، وذلك لتأخره وقرب عهده ، حتى زهد كثير من الرواة فى رواية شعره ، إلا أصحاب اللغة [والغريب] .

وقد ذكر أبو العباس عبدُ الله بن المعتز فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ومعايبهم ، عن العَنَزِىّ ، قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمى الذّارِع[5] ، قال : حدثنى ابن عائشة ، قال :

قال أبو العتاهية لابن مُنَاذر : إن كنت أردتَ بشعرك شعر العجاج

---

(١) قبله فى اللسان ٨ / ٣٣٨ « يارب شاة شاص » وشاص : متنصب . وخماص : ضامرات البطون : والقارص : اللبن الذى يحذو اللسان . والحمصيص : بقلة حامضة تجعل فى الأقط . تأكلها الناس والإبل والغنم . وآص : متصل مثل واص ، كما فى اللسان . والأبيات فى المعانى الكبير ١ / ١٨٠ . وما هنا فى سر الفصاحة ٦٤

(٢) ط « يستحسن » وزاد قبلها الناشر « لا »

(٣) م « لا يستعمل » وهو تحريف

(٤) م ، ط « ولا يطلبه »

(٥) ط « الزراع . . . ابن أبى عائشة » وهو خطأ . والخبر رواه المرزبانى فى الموشح ٢٩٥

ورؤية فما صنعت شيئاً ، وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا ، أرأيت قولك :

* وَمَنْ عَادَاكَ لاقى المَرْمَرِيسَا[١] *

أىُّ شىء فى المَرْمَرِيس[٢] [أعجبك] ؟

ووجدت أبا عبيدة ذكر فى كتاب الخيل فى باب ما يُسْتدل به على جَوْدة الفرس وهو يُحْضِرُ « بيضة مَرْمَرِيس [وهامة مَرْمَرِيس] ، وهى الضخمة » وأراد ابن مناذر الداهية .

وقد جاء أبو تمام بالدَّرْدَبيس ، وهى أخت المَرْمَرِيس ، فقال :

بنَدَاكَ يُوسى كل جُــرْح يَعْتَلِي رأبَ الأساة بدَرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ[٣]

[وهى : الداهية أيضاً ، وكذا القَنْطر][٤] .

(١) ط « يلق »

(٢) م « بالمرميس » . والزيادة من ط

(٣) م « بنداك يرأب » وقد سبق البيت فى ص ٣٠١

(٤) زيادة من ط

باب

فيما كثر فى شعره من الزِّحاف واضطراب الوزن[1]

وذلك هو[2] ما قاله دِعْبِلُ بن على الخُزاعي وغيره من المطبوعين : إن شعر أبى تمام بالخُطَبِ وبالكلام المنثور أشْبَهُ منه[3] بالكلام المنظوم.

١ ــ فمن ذلك قوله :

وَأَنْتَ بِمِصْرٍ غَايَتِى وَقَرَابَتِى ... بِهَا ، وَبَنُو أَبِيكَ فِيها بَنُو أَبِى[4]

وهذا من أبيات النوع الثانى من الطويل ، ووزنه « فَعُولُنْ مَفَاعِيلُن » وعروضه وضَرْبه « مَفَاعِلُنْ » فحذف نونَ « فَعُولُنْ » من الأَجزاء الثلاثة الأُوَل[5] وحذف الياء من « مفاعيلن » التى[6] فى المصراع الثانى . وذلك كله يسمى المقبوض ؛ لأنه [حذف][7] خامسه .

٢ ــ وكذلك[8] قوله من هذا النوع :

كَسَاكَ مِنَ الأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ ... وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ وَأَحْمَرُ سَاطِعُ[9]

(١) فى ك « الأوزان »

(٢) م « وهو »

(٣) ك ، م « منه بالمنظوم »

(٤) ديوانه ٢٥ وفى شرح التبريزى ١/١٦٢ « وبنو الآباء » وهما روايتان . يقول : أنت غاية مناى بمصر ، وأنت قرابتى لأنى أمت إليك بحرمة الأدب ووسيلته وإن لم يكن بيننا قرابة النسب بها ، يعنى بمصر

(٥) م « الأولة »

(٦) ط « التى هى » . مقبوضا

(٧) زيادة من ك ، ط

(٨) م « ومن ذلك »

(٩) ديوانه ٤٧٨

فحذف النون من أجزاء[١] «فعولن» كلها ، وهى أربعة ، وحذف الياء من «مفاعلين» التى فى المصراع الثانى أيضاً ، كما فعل فى البيت قبله .

٣ – ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضاً :

يَقُولُ فَيُسْمِعُ وَيَمْشِى فَيُسْرِعُ وَيَضْرِبُ فى ذَاتِ الإِلٰهِ فَيُوجِعُ[٢]

فحذف النون من «فعولن» الأولى[٣] ، والياء من «مفاعيلن» التى تليها ، ومن «فعولن» التى هى أول المصراع الثانى ، وذلك كله [أيضاً] يسمى مقبوضاً ، وهو[٤] من الزحاف الحسن الجائز إلا أنه إذا جاء على [هذا] التوالى والكثرة [فى البيت الواحد] قبح جدًّا .

٤ – وقال :

لَمْ تَنْتَقِضْ عُرْوَةٌ مِنْهُ وَلا قُوَّةٌ لٰكِنَّ أَمْرَ بَنِى الآمَالِ يَنْتَقِضُ[٥]

وهذا من النوع الأول من البسيط . ووزنه «مُسْتَفعِلُنْ فَاعِلُنْ» . وعروضه وضربه «فَعِلن» فزاد فى عروضه [وهو فَعِلُن] حرفاً فصار «فاعلن» لأنه قال : «قُوَّة» فشدد ، وذلك إنما يجب[٦] له فى أصل الدائرة لا فى هذا الموضع ، فإن خَفَّفها حتى تصير على وزن «فَعِلن» فيتَّزن البيت – كان مخطئاً من [طريق اللغة] .

---

(١) ط «من آخر»

(٢) ديوانه ١٩١ وشرح التبريزى ٢/٣٢٦ وفيه ٣٢٧ «وأخذ أبو تمام هذا البيت من قول عائشة رضى الله عنها فى وصف عمر : كان إذا قال أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع »

(٣) ط «الأول»

(٤) ط «وهى»

(٥) ديوانه ١٨١ وشرح التبريزى ٢/٢٨٦ «منه ولا بسبب» أى لم يؤثر فيه أحواله وفى العزل ولكن فى زمر عفاته

(٦) ط «إنما يحسب» دم «إلا فى»

ثم[1] نقص [من] «فاعلن» الأولى من المصراع [الثانى] الألف فصار «فعلن». وهذا يسمى مَخْبُوناً ؛ لأنه حذف ثانيه .

٥ – وقال :

إلى المُفَدَّى أبى يَزِيدَ الَّذِى   يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فى ثَمَدِهْ[2]

وهذا من النوع الأول من المنسرح . ووزنه :

مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُن

فحذف السين من مستفعلن [الأولى ومن مستفعلن] التى هى أول المصراع [الثانى] فبقى «متفعلن» وهذا يُنْقَلُ إلى «مفاعلن» ويسمى مَخْبُوناً ؛ لأنه حذف ثانيه .

وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة[3] فبقى «مستعلن» فينقل إلى «مُفْتعلن» ويقال له : مَطْوِىّ ؛ لأنه ذهب رابعه .

وحذَف الواو من «مَفْعُولات» الأولى والثانية ، فصار «فاعلات» ويقال له أيضاً : مَطْوِىّ ؛ فأفسد البيت[4] بكثرة الزحاف . وتقطيعُهُ :

إِلَلْمفدْ * دَا أَبِى يَ * زِيدَ الَّذِى * يَضِلْلُغَمْ * رُلْمُلوكِ * فِيثَمَدِهْ

مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفاعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُفْتَعِلُنْ

٦ – ثم قال فى هذه القصيدة :

جِلَّةُ أَنْمَارِهِ وَهَمْدَانِهِ   وَالشُّمُّ مِنْ أَزْدِهِ وَمِنْ أُدَدِهْ[5]

---

(١) ط «ثم حين نقص . . . الأول»

(٢) ديوانه ٩٢ وشرح التبريزى ١/٤٣٦ . ويريد بأبى يزيد : خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى . والثمد : الماء القليل . أى يقل كثير الملوك فى قليله

(٣) م «الآخرة فبقى مستفعلن»

(٤) ك «فأفسد وزن البيت» .

(٥) ديوانه ٩٤ وشرح التبريزى ١/ ٤٤٧ وم «والشمر»

فحذف الفاء من «مستفعلن» الأولى ، فعادت إلى «مفتعلن» وحذف الواو من «مفعولات» الأولى «ومفعولات» الثانية] فصارت « فَاعلات » .

وحذَف الفاء من «مستفعلن» الأخيرة فصارت «مفتعلن» . وتقطيعه :

جِلْلَتَاْنْ * مارِهِيوَ * هَمْذَانِهِى * وَشْشُمْمُمِنْ * أزْدِهِى وَ * مِنْأُدَدِهْ

مُفْتَعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُفْتَعِلُنْ

وهذه الزحافات جائزة فى الشعر وغير منكرة إذا قَلَّت ، فأما إذا جاءت فى بيت واحد فى أكثر أجزائه فإن هذا فى غاية[1] القبح ، ويكون بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون .

٧ ـ ومن هذا النوع من المنسرح قوله :

وَلَمْ يُغَيِّرْ وَجْهِى عَنِ الصِّبْغَةِ الْـ أُوْلى بِمَسْفُوعِ اللَّوْنِ مُلْتَمِعِهْ[2]

وتقطيعه :

وَلَمْ يُغَىْ * يِرْ وَجْهِيعَ * نِصْصِبْغَتِلْ * أُولىٰ بِمَسْ * فوعِلْلَوْنِ * مُلْتَمِعِهْ

مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولات * مُسْتَفعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولات * مُفْتَعِلُنْ

فحذف السين من « مستفعلن » الأولى فصارت « مفاعلن » وحذف الفاء من «مستفعلن» الأخيرة فصارت [«مُسْتَعِلن» فنقل إلى][3] «مفتعلن»

* * *

ومثل هذه الأبيات فى شعره كثير إذا أنت تَتَبَّعته ، ولا تكاد ترى فى أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً .

* * *

تم السفر الثانى من الموازنة على ما جزأه مؤلفه ، رحمه الله تعالى

والحمد لله رب العالمين

---

(١) ط « فى نهاية »

(٢) ديوانه ١٩٦ شرح التبريزى ٢/٣٤٥ « لم تغير » وفى م « بمسفوح » هو خطأ . يقال : سفع وجهه : إذا أصابته النار بحرها والشمس بوهجها فغيرت لونه ، والتمع منه ، يعنى أنه أعطاه بلا سؤال وحفظ ماء وجهه

(٣) الزيادة من ك

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرٍ الآمِدِيُّ :

لما[1] كنت خَرَّجت مساوىَ أبى تمام وابتدأت [منها] بسرقاته — وجب أن أبتدئ من مساوى البحترى بسرقاته ؛ فإنه [قد] أخذ من معانى مَنْ تقدَّم من الشعراء ، وتأخر[2] أخْذًا كثيرًا .

وحكى [أبو عبد الله محمد بن داود] بن الجراح فى كتابه [الذى سماه الورقة :][3] أن ابن أبى طاهر أعلمه أنه أخرج للبحترى ستّمائةِ بيتٍ مسروق ، ومنها ما أخذه من أبى تمام خاصة مائة بيت .

وكان[4] ينبغى أن لا أذكر السرقات فيما أخرِّجه من مساوى هذين الشاعرين ؛ لأنَّنى قد قدَّمت القولَ فى[5] أن مَنْ أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يَرَوْنَ سرقات المعانى من كبير مساوى الشعراء ، وخاصة المتأخرين إذ[6] كان هذا باباً [١٠١] تعرى منه متقدم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبى تمام ادعوا أنه أول[7] وسابق ، وأنه أصل فى الابتداع والاختراع ؛

---

(١) فى هامش ك : « وهو أول الجزء الثانى منقولا من نسخة عبد السلام البصرى »

(٢) ط « ومن »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « فكان »

(٥) م « وان »

(٦) م « أولى أن . . . بابا يعرى »

(٧) ط « أول سابق »

فوجب إخراج ما استعاره من معانى الناس ؛ ووجب[١] من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحترى أيضاً من معانى الشعراء . ولم أستقص بابَ البحترى ، ولا صرفت[٢] الاهتمام إلى تتبعه ؛ لأن أصحاب البحترى لم يدعوا[٣] ما ادعاه أصحابُ أبى تمام [لأبى تمام] ، بل استقصيت[٤] ما أخذه من أبى تمام خاصة : إذ كان من أقبح المساوى أن يتعمد[٥] الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحترى من [معانى] أبى تمام ، ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذى أخذه منها[٦] يزيد على مائة بيت ؟

فأما مساوى البحترى — من غير السرقات — فقد حرصت[٧] واجتهدت [فى] أن أظفر له بشىء يكون بإزاء ما أخرجتُه من مساوى أبى تمام فى سائر الأنواع التى ذكرتها ، فلم أجد فى شعره — لشدَّة تحرزه ، وجَوْدة طبعه ، وتهذيب ألفاظه[٨] — من ذلك إلا أبياتاً يسيرة أنا ذاكرها[٩] عند الفراغ من سرقاته إن شاء[١٠] الله تعالى .

---

(١) ط « فوجب »

(٢) ط « ولا قصدت »

(٣) م « لم يدعيا » وط « ما ادعوا »

(٤) م « بل استقضب »

(٥) م « يعتمد . . . ديوان كل »

(٦) ط « منه »

(٧) ط « دققت »

(٨) ك ، م « لألفاظه »

(٩) ط « أذكرها »

(١٠) فى ط « سرقاته ، فإن مر بى منها شىء ألحقته به . . . »

سرقات البحترى

١ ـ قال [البحترى] :

يُخْفِى الزُّجاجَةَ لَوْنُها فَكَأَنَّها ... فِى الْكأْسِ قائِمَةٌ بِغَيْرِ إناء[١]

أخذه من قول على بن جَبَلَةَ[٢] :

كأَنَّ يَدَ النَّدِيم تُدِيرُ مِنْها ... شُعاعاً لايُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ[٣]

٢ ـ وقال أيضاً :

كالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً ... مُنْقادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الأَصْيَدِ[٤]

أخذه من قول بَشَّار :

خُلِقُوا قَادَةً وكانوا سَوَاءً ... كَكُعُوبِ الْقَناةِ تَحْتَ السِّنانِ[٥]

وأخذه أبو تمام [أيضاً] فقال :

جَمَعْتَ عُرَى أعْمالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ ... إلَيْكَ كما ضَمَّ الأَنابِيبَ عامِلُ[٦]

---

(١) التشبيهات ١٧٣ وقد سبق ص ٢٨ وفى ك « فى الكف قائمة »

(٢) ط « جبلة حيث يقول »

(٣) التشبيهات ١٧٣

(٤) ديوانه ٤٦١ « خلف السنان »

(٥) ط « خلفوا . . . فكانوا »

(٦) ديوانه ٢٥٧ وشرح التبريزى ٣/١٢٢ « أى ضممت ما انتشر من أمور الملك » وفى ك : « عرى أعبائه » وفى الصناعتين ١٩٩ أنه أخذه من قول الحبال الربعى :

أولئك إخوان الصفاء رزئتهم ... فما الكف إلا إصبع ثم إصبع

وفى م « غرى أعيانه . . . عاسل »

٣ – وقال البحترى :

أَعْطَيْتَنِى حَتَّى حَسِبْتُ جَزِيلَ مَا أَعْطَيْتَنِيهِ وَدِيعَةً لَمْ تُوهَبِ[١]

أخذه من قول الفرزدق :

أَعطانِىَ الْمَالَ حَتَّى قُلتُ :يُودِعُنِى أَوْ قُلتُ :أَعطِىءَ الاقدَارَ آهُ لَنا[٢]

وبيت البحترى أجود .

٤ – وقال البحترى :

أَرُدُّ دُونَكِ يَقْظَاناً وَيَأْذَنُ لِى

عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنانا[٣]

أخذه من قول قَيْس بن الْخَطِيم :

مَاتَمْنَعِى يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ فِى النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ[٤]

٥ – وقال البحترى :

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّماحَ مَخَاصِرًا إِذا زَعْزَعُوهَا وَالدُّرُوعَ غَلائِلا[٥]

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الْفَقْعَسِى ، ولعله منه أخذه :

وَلاَ لاَقيا كَعْبَ بْنَ عَمْرٍو يَقُودُهُمْ أَبُو دهمٍ تسلِجُ الْحَدِيدِ ثِيَابُهَا[٦]

٦ – وقال البحترى :

كوعول الهضاب رُحْن وَمَا يَدْ لِكْنَ إِلاَّ صُمَّ الرِّمَاحِ قُرُونَا[٧]

---

(١) ديوانه ٦٠٢

(٢) ط « قلت أعطيت »

(٣) ديوانه ٤/١٤٩ م المعارف أمالى المرتضى ١/٥٤٥ وطيف الخيال ٣٤ نقلا عن الموازنة فى الكتابين

(٤) ديوانه ٥ وأمالى المرتضى ١/٥٤٥ وطيف الخيال ٣٤ وفى م « ومحسوب »

(٥) ديوانه ٧١٠ ، ٣/١٦٠٦

(٦) م « أبو دهر » ط « ثيابا »

(٧) ديوانه ٢٤٧

وهذا من نَادر[١] المعانى ، وما أعرف مثله إلا قول نصر بن الحجاج بن علاط السلمى ، ولعله منه أخذه :

تَرَى غَابَةَ الْخَطِّىِّ فَوْقَ مُتُونِهِمْ ... كما أَشْرَفَتْ فَوْقَ الصِّوَارِ قُرُونُها[٢]

٧ ـ وقال البحترى :

يَنال الْفَتَى ما لَمْ يُؤَمِّلْ وَرُبَّمَا ... أَتَاحَتْ لَهُ الأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَاذِرِ[٣]

أخذه من قول الآخر وأنشده ثَعْلَبٌ :

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِى ... لَمْ يَلْقَنِى . وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَحْذَرِ[٤]

٨ ـ وقال البحترى :

وَإِذا الأَنْفُسُ اخْتَلَفْنَ فَمَا يُغْـ ... ـنِى اتِّفَاقُ الأَسْمَاء وَالأَلْقَابِ[٥]

أخذه من قول الفرزدق :

وَقَدْ تَلْتَقِى الأَسْمَاءُ فى النَّاسِ والْكُنَى
كَثِيرًا وَلٰكِنْ فُرِّقُوا فِى الْخلائقِ[٦]

٩ ـ وقال البحترى :

لَمْ تَخْطُ بَابَ الدِّهْلِيزِ مُنْصَرِفاً ... إِلاَّ وَخَلْخَالُها مَعَ الشُّنُفِ[٧]

أخذه من قول أبى نُوَاس[٨] :

* قَدْ جَمَعُوا آذانَهُ وَعَقِبَهُ *

---

(١) ط « نوادر . . وما عرف . . . بن حجاج »

(٢) م « الخطى . . . كما أشرقت » ط « فوق بيوتهم » وفى ديوان المعانى ٢ / ٦١ « وقد أحسن القائل فى صفة الرماح على العواتق : ترى غابة . . فوق رؤوسهم » والصوار : القطيع من البقر ، كما فى اللسان ٦ / ١٤٦ .

(٣) ديوانه ٣٥٠ ، ٢ / ٩٦٢ وفى م « أناخت به الأقران »

(٤) فى ك « لم ينكبنى » وفى م « لم يكنى »

(٥) ديوانه ٥٦٤ « وإن الأنفس »

(٦) ديوانه ٢ / ٥٧٨ « فقد . . . ولكن لا تلاقى الخلائق »

(٧) ديوانه ٦٤٢ ، ٣ / ١٤١١

(٨) م « أبى نواس رجز »

١٠ – وقال البحترى :

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيانِ قَلْبِكِ لِى عَمْدًا ، إذا كانَ قَلْبِى فِيكِ يَعْصِينِى [١]

أخذه من قول الحُسَين [٢] بن الضحاك الخليع :

وتَطمعُ أنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سُعْدَى وَتزْعُمُ أنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكا ؟ [٣]

وبيت البحترى أجود .

١١ – وقال محمد بن وهيب [٤] :

هل الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِى وَشِيكا ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ تَتَفَرَّجُ [٥]

أخذه البحترى فقال :

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ غمرةٌ وَانْجِلاؤُهَا وَشِيكاً ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ وَانْفِرَاجُهَا [٦]

١٢ – وقال فى وصف الذئب :

فأَتْبَعْتُها أُخْرَى فَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ والرُّعْبُ وَالْحِقْدُ [٧]

وقال فى هذا المعنى :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِتْمَانِ [٨]

أخذه من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

والضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ [٩]

---

(١) ديوانه ٤١٨

(٢) م « الحسن » وهو تحريف

(٣) فى ك « أتطمع » .

(٤) م « فقال . . . وهب » وهو تحريف

(٥) م « فتفرج » والبيت فى الوساطة ١٩٢

(٦) ديوانه ٢١٧ والوساطة ١٩٢

(٧) ديوانه ١٧٣ ومعاهد التنصيص ٢/ ١٧٣ وفى م « فصلها » وهو تحريف وفى ك « فضلها »

(٨) الصناعتين ٢٣٤ .

(٩) الصناعتين ٢٣٤ ومعاهد التنصيص ٢/ ١٧٢ والمطول على التلخيص ١/ ٤٠٩ . وفى ك « أبيض صارم » .

إلا أن قول عمرو «والطاعنين مجامع الأضغان» فى غاية الجودة والإصابة ؛[١] لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم . فإذا وقع الطعن فى موضع الطعن فذلك غاية كل مطلوب .

١٣ ــ وقال البحترى :

إِلَى فَتًى يُتْبِعُ النُّعْمى نَظائِرَهَا ... كالبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجِ [٢]

أخذه من قول أبى دَهْبل الجمحى :

وَلَيْلَةٍ ذاتِ أَجْرَاسٍ وَأَرْوِقَةٍ ... كالبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجِ [٣]

وهذا إنما أراد قول امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ [أَرْخَى سُدُولَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي] [٤]

١٤ ــ وقال البحترى :

مُحرِّك رَأْسَه تَوَهُّمُهُ ... مِنْ عَظْسَةٍ قائماً عَلَى شَرَفِ [٥]

يشبه قول الآخر :

كأَنَّ أَبا السَّميّ إذا تَغَنَّى ... يُحاكِي عاطِساً فِي عَيْنِ شَمْسِ [٦]

١٥ ــ وقال البحترى :

سَقَمٌ دُونَ أَعْيُنٍ ذات سُقْمٍ ... وَعَذابٌ دُونَ الثَّنايا الْعِذَابِ [٧]

---

(١) فى ك « وإصابة المعنى »
(٢) ديوانه ٣٨٧ وفى م « إلى متى » وهو تحريف
(٣) الأجراس : جمع جرس ، وهو الوقت ، يقال : مر جرس من الليل، أى وقت وطائفة منه . وفى م « أحراس » والأروقة : جمع رواق ، وهو ستر الظلام
(٤) زيادة من ط
(٥) ط « محركا » وديوانه ٦٤٣ ، ٣/١٤١٤ « قد قام من عطسة على » .
(٦) ط « أبا الشمى » .
(٧) ديوانه ٥٦٣

أخذه من قول بشار :

ذات الثّنايا العِذابِ مِن دُونِهن عَذابٌ(١)

١٦ – وقال البحترى :

وكأنَّ في جِسْمى الّذِى فى ناظِرَيْكَ مِنَ السَّقَمْ(٢)

أخذه من قول منصور بن الفرج :

حَلَّ فِى جِسْمِىَ مَا كا نَ بِعَيْنَيْكَ رِخْيا(٣)

١٧ – وقال البحترى :

تَجِدُ بَدْرَ الدُّجَى يَدْنُو بِشَمْسٍ إلىَّ مِنَ الرَّحِيقِ الخُسْرُوَانِى(٤)

أخذه من قول الخليع :

قَمَراً يَحْمِلُ شَمْساً مِنْ رَحِيقٍ خُسْرُوَانِى(٥)

١٨ – وقال البحترى :

كأنَّ سُهَيْلاً شَخْصُ ظَمْآنَ جانحٍ

مَعَ الأُفْقِ فى نِهْيٍ مِنَ الأرْضِ يَكْرَعُ(٦)

أخذه من قول [محمد بن يزيد] الحصنى [السلمى](٧) يصف النجوم :

---

(١) ط « عذاب »

(٢) ديوانه ١٣ والوساطة ٢٢٢

(٣) الوساطة ٢٢٢ وفى ك ، م « فى جسمك » وهو تحريف

(٤) ديوانه ١٤٥ « تجد شمس الضحى تدنو » وكذلك ديوانه طبع مصر ٢ / ٢٧٨

(٥) ط « الخمر . . . الخسرواني »

(٦) ديوانه ٣٠٧ وفى م « فى نهر »

(٧) زيادة من ط قال المرزبانى فى معجم الشعراء ٤١٩ « أبو الأصبغ ، محمد بن يزيد بن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، يعرف بالحصنى . كان ينزل حصن مسلمة بديار مضر فنسب إليه . وهو شاعر محسن مكثر مدح المأمون وهجا عبد الله بن طاهر » وترجم له ابن المعتز فى طبقات الشعراء ٢٩٩ – ٣٠١ .

حَتَّى إذَا مَا الحُوتُ فِي   حَوضٍ مِنَ الدَّلْوِ كَرَعْ[1]

١٩ ـ وقال البحترى :

قَوْمٌ إذَا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَيَّرُوا   كُمَمَ الرِّمَاحِ جَمَاجِمَ الأَقْرَانِ[2]

أخذه من [قول] مسلم بن الوليد[3] :

يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ   وَيَجعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ[4]

وأخذه[5] مسلم من قول جرير :

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَـا

غَدَاةَ الْوَغَى تِيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا[6]

٢٠ ـ وقال البحترى :

وَلِمْ لا أُغالِي بِالضِّيَاعِ وَقَدْ دَنَا   عَلَيَّ مَدَاهَا وَاسْتَقَامَ لِعُوجَاجُهَا[7]

إذَا كَانَ لِي تَرْبِيعُهَا وَاغْتِلالُهَا   وَكَانَ عَلَيْكُمْ عُشْرُهَا وَخَرَاجُهَا[8]

أظنه ـ والله أعلم ـ حذا على قول شَبيب بن البَرْصَاء :

تَرَى إبلَ الجَارِ الغَرِيبِ كَأَنَّمَا   بِمَكَّةَ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ مَرَادُهَا[9]

يَكُونُ عَلَيْنَا نَقْصُهَا وَضَمَانُهَا   وللجَارِ، إنْ كانتْ تَزِيدُ، ازْدِيَادُهَا[10]

---

(١) الأنواء لابن قتيبة ٣٣

(٢) الكمم : جمع كمة وهى القلنسوة

(٣) م « مسلمة »

(٤) سبق ص ٨١ وفى م ، ك « نفوس الناكثين له »

(٥) ك و م « أو أخذه »

(٦) سبق ص ٨١

(٧) ديوانه ٢١٨

(٨) فى الديوان « وكان عليك كل عام خراجها » وفى م « تربيعها » وتربيعها : أخذ ريعها ، واغتلالها : استخراج غلتها

(٩) م « ثوى إبل » والأخشبان : جبلا مكة ، كما فى معجم ما استعجم ١/١٢٣ ومرادها : مواطن ارتيادها

(١٠) ط « يكون عليه » وهو خطأ

٢١ – وقال أبو صَخْر الهذلى :

[أَغَرُّ أســيدىٌّ تَرَاهُ كأَنَّهُ إذا جَدَّ يُعْطِى مَالَهُ وَهْوَ لاعِبُ

أخذه البحترى فقال] [1] :

وَادِعٌ يَلْعَبُ بِالدَّهْرِ إذا جَدَّ فى أُكْرُومَةٍ قُلْتَ هَزَلْ [2]

٢٢ – وقال عبد الصمد بن المعذَّل :

ظَبْىٌ كأَنَّ بِخَصْرِهِ مِنْ دِقَّةٍ ظَمَأً وَجُوعَا [3]

إنِّى عَلِقْتُ لِشِقْوَتى يَا قَوْمِ مَمْنُوعاً منوعا [4]

أخذه البحترى فقال :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فلوَ أنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ [5]

فزاد على عبد الصمد بقوله : « فلو انها بذلت لنا لم تبذل » .

٢٣ – وقال البحترى :

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا [6]

---

(١) زيادة من ط

(٢) ديوانه ٣٣٣

(٣) البيتان له فى الصناعتين ٢٣٤ والأول غير منسوب فى ديوان المعانى ١/٢٥١ « من ضمره » وفى ط « من رقة »

(٤) م « ممنوعا ممنوعا » و ط « ممنوعا منيعا » ورواية صدره فى الصناعتين : « ومن البلية أنى »

(٥) ديوانه ٧٣٠ والصناعتين ٣٣٤ وفى إعجاز القرآن ٣٣٩ « فالبيت – على ماتكلف فيه من المطابقة وتجشم الصنعة – ألفاظه أوفر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد وضع العبارات فى مثله ، ولو قال : هى ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ، ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان »

(٦) ديوانه ٦٨٤ والوساطة ٢٥٢

وهذا مثل قول الحِنْتِف بن السِّجْف الضَّبِّى[١] ويجوز أن يكون أخذه منه :

وَفَرَّقْتُ بين ابْنَىْ هُتَيْمٍ بطَعْنَةٍ لَهَا عانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إزارا[٢]

قوله : « لها عاند » يعنى الدم .

٢٤ ـ وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى[٣] :

وَإِنِّى لَيَدْعُونِى لِأَنْ أَسْتَزِيدَها فُؤَادِى ، فأَخْشَى سُخْطَها وَأَهَابُها[٤]

ونحوه قول البحترى ويجوز أن يكون منه أخذ[٥] .

وَعَتَبْتِ مِنْ حُبِّيكِ حَتَّى إِنَّنِى أَخْشَى مَلامَكِ أَنْ أَبُثَّكِ مَابِى[٦]

٢٥ ـ وقال أبو نُوَاس :

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ[٧]

---

(١) قال الشيخ « محمد محيى الدين عبد الحميد » : « لم يتم لنا مع كثير المراجعة تحقيق هذا الاسم » .

وقد ترجم له الآمدى فى المؤتلف والمختلف ١٠٧ ، وقال : « وهو الذى قتل ابنى هتيم العامريين : عامراً ، وطارقا ، من بنى عوف بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . عادى بينهما فقتلهما ، وهزمت بنو عامر ، فقال الحنتف فى ذلك :

وفرقت بين ابنى هتيم بطعنة لها عاند يكسو السليب إزارا
وجدت بنفس لا يجاد بمثلها وقد كان نبح النابحات هرارا
حفاظا وذبا عن حريمى ونصرة ولم أتحمل فى المواطن عارا

(٢) ط « ابنى هيم » . وفى الوساطة ٢٥٢ « ابنى هشيم » وهو تحريف فيهما . ويؤكد صواب المخطوطة ورواية المؤتلف والمختلف أن الفرزدق قال فيهما ـ كما فى ديوانه ٨٥٨ ـ :

ونحن قتلنا ابنى هتيم وأدركت بجيراً بنا ركض الذكور الصلادم

وفى النقائض ٣٨٨ : « ابنى هتيم : هما من بنى عمرو بن كلاب ، قتلهما بنو ضبة يوم دارة مأسل ، وهو يوم أخذوا إبل النعمان » . وفى الوساطة « لما عائد » وهو تحريف .

(٣) ط « عبد الرحمن » وهو تحريف . ويؤيد ما فى م فى شرح الحماسة التبريزى ١/١٠٨ ، ٢/٣٤٤ والمرزوقى ١/١١٠ ، ٢/٨٧٩

(٤) ط « وأخشى » .

(٥) ط « أخذه منه » .

(٦) ديوانه ٣٤١ .

(٧) ديوانه ٥٩ طبع الحلبى . وفى م و ط « منك يبكى » .

أخذه البحترى فقال :

فَكَمْ لَكَ فى الأَمْوَالِ مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ
طَـويلٍ مِنَ الأَهْوَالِ فِيهِ عَوِيلُها[1]

٢٦ ــ وقال جابر بن السُّلَيك الهمْدانِى :

أَرْمى بِهَا اللَّيْلَ قدَّامِى فَتَغْشِمُ بِى إذ الكَوَاكِبُ مِثْلُ الأَعْيُنِ الحُولِ[2]

أخذه البحترى فقال :

وَخَـدَانُ القِلاَصِ حُولا إذا قَا بَلْنَ حُولاً مِنْ أَنجُمِ الأَسْحَارِ[3]

٢٧ ــ وقال عُرْوَة بن الوَرْد :

مُطِلاًّ عَلَى أَعْـدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَاتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ[4]
فإنْ بَعُدُوا لا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّرِ[5]

---

(١) ديوانه ١٧٨٢/٣ م « من الأموال » وهو تحريف

(٢) ط « فيهشم » وهو تحريف . ومعنى فتغشم بى : أى تمضى مسرعة لا تلوى على شيء

(٣) ديوانه ٤٤٥ ، ٩٨٧/٢ وعبث الوليد ١٠٧

(٤) ديوانه ٧٨ ، ٨٠ وجمهرة أشعار العرب ١١٥ والشعر الشعراء ٦٥٨/٢ والأصمعيات ٣٩ وشرح الحماسة للمرزوقى ٤٢٣/١ ، ٤٢٤ والتبريزى ٣٩٥/١ والكامل ١١٦/١ وشرح الشواهد الكبرى للعينى بهامش الخزانة ٦٥٢/٣ والخزانة ١٩٦/٤ واللسان ٧٥/٧ والميسر والقداح ٦٤ . مطلا : أى مشرفا على أعدائه ، أى يغزوهم أبدا فهو مطل عليهم ، يعنى عاليا عليهم . يزجرونه أى يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب به . والمنيح ههنا : الثامن من القداح وهو لا نصيب له ، وإنما يجال لتكثير القداح . وقبل البيت :

ولكن صعلوكا صفيحــة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

قال المرزوقى يقول : ولكن الفقير الوضىء الوجه الذى يبذل جهده ويبتذل نفسه فى طلب غناه ويقصر سعيه على ما يبلغ عذره فيشرف على أعدائه غازيا ومغيرا وهم يزجرونه حالا بعد حال ، ويكر هو عليهم وقتا بعد وقت كما يزجر هذا القدح فى خروجه ومع ذلك يرد »

(٥) يقول : إن بعد أعداؤه لم يهله بعدهم أن يغزوهم ولا يأمنون ذلك منه ، فهم ينتظرونه فى كل ساعة كما ينتظر أهل الغائب غائبهم متى يقدم ، فأعينهم إليه يتشوفونه

أَلَمَّ به البحترى فقال :

فَتَرَى الأَعَادِى ما لَهُمْ شُغُلٌ إلا تَوَهُّمَ مَوْقِعِ يَقَعُهْ[١]

٢٨ ــ وقال البحترى :

عَلَىَّ نَحْتُ الْقَوَافِى مِنْ مَقَاطِعِها وَمَا عَلَىَّ لَهُمْ أن تَفْهَمَ الْبَقَرُ[٢]

ذكر «على بن يحيى المنجّم» أن البيت للمجنّم[٣] الرَّاسِبِى ، وكان شاعرًا اتصل بمحمد بن منصور بن زياد فكسب معه [ألف] ألف دينار[٤] فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكى فأساء صحبته ، فهجاه ، فقال[٥] :

شَتَّان بَيْنَ مُحَمَّدٍ ومُحَمَّدٍ حَىٌّ أَمَاتَ وَمَيِّتٌ أَحْيَانِى
فَصَحِبْتُ حَيًّا فِى عَطَايا مَيِّتٍ وَبَقِيتُ مُشْتَمِلاً عَلَى الخُسْرَانِ

* * *

فهذا ما مرَّ بى من سرقات[٦] البحترى من أشعار الناس على تَتَبُّع فخرَّجتها. ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات أبى تمام أو تزيد[٧] عليها ، وعلى أنى قد بيضت فى آخر الباب[٨] ، فمهما مر بى [من] شىء [منها] ألحقته به ، إن شاء الله تعالى .

(١) ديوانه ٢٣٧ ، ٢/ ١٢٥٠
(٢) ديوانه ٦٧٣ وفى ط «على إذا لم»
(٣) م «وأن البيت للمختمر»
(٤) ك ، ط «درهم»
(٥) م «وقال»
(٦) ط «سرقة»
(٧) م «أو زيد»
(٨) ط «انى . . . الكتاب»

وهذا ما أخذه البحترى من معانى أبى تمام خاصة

مما نقلته من صحيح ما خرَّجه أبو الضياء : بشر بن يحيى[1] الكاتب ؛ لأنه استقصى ذلك استقصاءً بالَغ فيه حتى تجاوزه[2] إلى ما ليس بمسروق . فكفانا مؤونة الطلب .

١ ـ قال أبو تمام :

فَسَوَاءٌ إجابَتِى غَيْرَ داعٍ ... وَدُعائى بِالْقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ[3]

فقال البحترى :

وَسَأَلْتَ من لا يَسْتَجِيبُ فَكُنْتَ فى ... استخْبارِه كَمُجِيبِ مَنْ لا يَسْأَلُ[4]

* * *

٢ ـ وقال أبو تمام :

فكادَ بأَنْ يُرَى لِلشَّرْقِ شَرْقاً ... وَكادَ بأَنْ يُرَى لِلغرْبِ غَرْبَا[5]

فقال البحترى :

فأَكُون طَوْرًا مَشْرِقاً لِلمَشْرِقِ الْـ ... أَقْصى وَطَوْرًا مَغْرِباً لِلمَغْرِبِ[6]

* * *

٣ ـ وقال أبو تمام :

وإِذَا أَرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ[7]

---

(١) ط « بشر بن تميم »

(٢) ط « تجاوز »

(٣) ديوانه ٣٦ والموشح ٣٣١ وفى شرح التبريزى ١/١٢٦ « يقول : لست من يقف على الأطلال يخاطبها ويبانها ويشركها فى زعمه فى لوعته ويستحملها على تقديره بعض جزعه ، فسواء عندى فى الاستحالة أن أجيب من غير أن أدعى ، وأن أدعوها لا يجيب . » وفى م « ودعائى الفقر » وهو تحريف .

(٤) ديوانه ٢٥ ، ٣/١٧٥٤ والموشح ٣٣١ وفى ط « وسألت مالا . . وكنت »

(٥) الموشح ٣٣٩

(٦) ديوانه ٦٠١ والموشح ٣٣٩

(٧) سبق ص ١٣٨

فقال البحترى :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إذا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْها بِحاسِدِ[١]

٤ ـ وقال أبو تمام :

فإنْ تَكُنْ وَعْكَةٌ قَاسَيْتَ سَوْرَتَها فالوِرْدُ حِلْفٌ لِلَيْثِ الْغَابَةِ الأَضم[٢]
إنَّ الرِّياحَ إذا مَا أَعْصفَتْ قَصَفَتْ عِيدانَ نَجْدٍ وَلَمْ يَعْبأْنَ بالرَّتَم[٣]

فقال البحترى :

وَلَسْتَ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفاً رياحَ السَّمُومِ الآخِذات مِنَ الرَّنْدِ[٤]
وَلاَ الْكَلْبَ مَحْمُوماً وَإنْ طَالَ عُمْرُهُ أَلَا إنَّمَا الحمَّى عَلَى الأَسَدِ الْوَرْدِ[٥]

٥ ـ وقال أبو تمام :

رَأَيْتُ رَجَائِى فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً وَلَكِنَّهُ فى سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ[٦]

فقال البحترى :

ثَنَى أَمَلِى فَاحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ وَالآمالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ[٧]

---

(١) ديوانه ٥٤ والموشح ٣٣٩ وأخبار أبى تمام ٧٧ والمختار من شعر بشار ٧٠ وزهر الآداب ١/٢٠٢ وفى م، ك « ولن تستثير »

(٢) ديوانه ٣١٥ وشرح التبريزى ٣/٢٧٩ « فإن يكن وصب عانيت سورته » وفى ط « تكن وقعة » والورد : الحمى ، والأضم : الغضبان

(٣) فى شرح التبريزى : « يقال عصفت الريح وأعصفت ، بمعنى . والعيدان : جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة ، وربما استعمل ذلك فى السدر . والرتم : ضرب من الشجر »
وأخطأ الشيخ محيى الدين فى قوله : « نجد : شجر » وهو فى هذا الخطأ تابع لمحيى الدين الخياط الذى يقول فى تعليقه على الديوان : « النجد : شجر كالتيرم » ! وفى م ، ك « ولم يعرضن للرتم »

(٤) ديوانه ٢١٤ « عود القتادة » وفيه وفى ط « سموم الرياح »

(٥) هذا البيت مقدم على سابقه فى الديوان وروايته : « وما الكلب » والورد : الذى يشبه لونه لون الورد ، كما فى اللسان ٤/٤٧٠

(٦) ديوانه ١٩٢ وشرح التبريزى ٢/٣٣٣

(٧) ديوانه ٧٢ وفى م « والآمال فيك »

٦ـ وقال أبو تمام :

بمُحَمَّدٍ وَمُسَوَّدٍ وَمُحَسَّدٍ وَمُكَفَّرٍ ومُمَدَّحٍ وَمُعَذَّلِ[1]

فقال البحترى :

ذاكَ المُسَـــوَّدُ والمُمَجَّ دُ والمكَفَّرُ وَالْمُحَسَّدْ[2]

٧ـ وقال أبو تمام :

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى البَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الأَرْضَ الْعَزَازَ رَكائِبُهْ[3]

فقال البحترى :

أَدَارَ رَجاهُ فاغْتَدَى جَنْدَلُ الفَلا تُرَابًا ، وَقَدْ كانَ التُّرَابُ جَنادِلَا[4]

٨ — وقال أبو تمام :

رَافِــعٌ كَفَّهُ لِبرِّى فَمَا أَحْ سَبُهُ جاءنى لِغَيْرِ اللَّطَامِ[5]

فقال البحترى :

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسٍ انْ قِبَاضِهِمُ أَوَعْدٌ أَمْ وَعِيدُ[6]؟

---

(١) ديوانه ٢٣٦ وشرح التبريزى ٣ / ٤٤ وقبله :

حتى تقر عيـــوننا وقلوبنا بالمـــاجد المتقبل المستقبل

وفى الديوان « بمحمد ومكند » وهو تحريف صوابه : « ومكفر » كما فى الشرح ، والمكفر : المعظم من قولهم : كفر الذى إذا وضع يديه على صدره وهو يريد التعظيم للرئيس والخضوع له . كما قال الشاعر :

فإذا سمعت بحرب قيس بعدها فضعــوا السلاح وكفروا تكفيرا

(٢) ديوانه ٥٨٣ « المرجى والمبجل والمؤمل والمحسد » و ط « المحمد والمسود والمكرم »

(٣) شرح التبريزى ١/٢٣٣ وفى الديوان ٤٥ « العرار » وهو تحريف . والعزاز : الصلب من الأرض

(٤) ديوانه ٧١١ وفى م « أدار رواه »

(٥) فى ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزى ٣/٢١٠ « رافعاً » وفى الديوان و ط « لسبرى » وشرحه الشيخ محيى الدين بالاختبار ، وهو خطأ

(٦) ديوانه ٤١٤

٩ ـ وقال أبو تمام :

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلَى ... عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّماعِ[١]

فقال البحترى :

نَشْوَانَ مِنْ طَرَبِ السُّؤَالِ كَأَنَّمَا ... غَنَّاهُ مَالِكُ طَيِّئٍ أَوْ مَعْبَدُ[٢]

١٠ ـ وقال أبو تمام :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ ... فإذا لُقُوا فكأَنَّهُمْ أَغْمَارُ[٣]

فقال البحترى :

مَلِكٌ لَهُ فِى كُلِّ يَوْمِ كَرِيهةٍ ... إِقْدَامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مُجَرَّبِ[٤]

١١ ـ وقال أبو تمام :

لا المَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزْكُو فى مَقاوِمِهِ ... يَوْماً ، ولا حُجَّةُ المَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ[٥]

فقال البحترى :

إنْ أَغْفَلوا حُجَّةً لم يُلْفَ مُسْتَرِقاً ... لَهَا ، وَإن وَجِمُوا فى الأَمرِ لم يَجِمِ[٦]

١٢ ـ وقال أبو تمام :

مَجْدٌ رَعَى تَلَعاتِ الدَّهْرِ وَهْوَ فَتًى ... حَتَّى غَدا الدَّهْرُ يَمْشِى مِشْيَةَ الْهَرِمِ[٧]

---

(١) ديوانه ١٩٤ وشرح التبريزى ٢/٣٣٩ « معتف يرجوه » وقد وضع هذا البيت فى م مكان بيت البحترى السابق

(٢) ديوانه ٦٩٠ والوساطة ٢٠١ وأخبار أبى تمام ٨١ « يطرب السؤال » وكذلك فى ك

(٣) سبق ص ٧٨

(٤) ديوانه ٦٠٢ « إقدام ليث »

(٥) شرح التبريزى ١/٢٥٤ وفى الديوان « حجة الملهوب » وهى خطأ . وشرحها ناشره بقوله : الملهوب : المتهيج ، ونقل هذا الشرح الشيخ محيى الدين ! والمقاوم : جمع مقام

(٦) ديوانه ٦٥٤ وط « وإن يهموا فى القول لم يهم » ولم يهم : لم يخطىء

(٧) ديوانه ٢٦٩ وشرح التبريزى ٣/١٨٧ وفى اللسان ١٩/٣٨٥ « والتلعة : أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع إلى تلعة أسفل منها . وهى مكرمة من المنابت » وفى م « قلعات » وهو تحريف

فقال البحترى :

صَحِبُوا الزَّمَانَ الفَرْطَ إلا أنَّهُ ... هَرِمَ الزَّمَانُ وعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمِ[1]

١٣ـ وقال أبو تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالْوَرَى ... مَعِي ، ومتى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِى[2]

فقال البحترى :

أَأَشْكُو نداهُ بَعْدَ ماوَسِعَ الْوَرَى ... وَمَنْ ذَا يَذُمُّ الغَيْثَ إِلَّا مُذَمَّمُ[3]

١٤ـ وقال أبو تمام :

الْبِيدُ وَالعِيسُ واللَّيْلُ التَّمامُ مَعاً ... ثَلاثَةٌ أَبَدًا يُقْرَنَّ فِى قَرَنِ[4]

فقال البحترى :

أُطْلُبا ثالِثاً سِــواىَ فإنِّى ... رَابعُ العِيسِ وَالدُّجى وَالبِيدِ[5]

١٥ـ وقال أبو تمام :

وما نَفْعُ مَنْ قَدْ ماتَ بالأَمْسِ صَادِياً ... إذا مَا سماء اليَوْمِ طالَ انْهِمَارُهَا[6]

فقال البحترى [وقصر] :

واعْلَمْ بأَنَّ الغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... لِلنَّاسِ ما لَمْ يَاتِ فى إبَّانِهِ[7]

---

(١) ديوانه ١٢٥ ، ٤ /٢٠٨٤ المعارف والفرط : المتقدم

(٢) ديوانه ١٢٩ وشرح التبريزى ٢/ ١١٦ ومعاهد التنصيص ١/ ٣٧ وأخبار أبى تمام ٢٠٤ وهبة الأيام ١٥٥ وسر الفصاحة ٩٥ . وفى ط « وإذا ما لمته »

(٣) ديوانه ٦٨ وفى ط « بعد أن »

(٤) سبق ص ٨٣

(٥) سبق ص ٨٤

(٦) ديوانه ٣٩٩ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤٠ ولكن الشيخ محيى الدين عدها غلطا وصوبها « بات » لتوافق رواية الديوان . وفى ط « إذا ما السماء »

(٧) ديوانه ٧٠٦

١٦ ـ وقال أبو تمام :

تَـكادُ مَغانِيهِ تَهَشُّ عِراصُها ... فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إلَى كُلِّ راكِبِ[١]

فقال البحترى :

لَوْ أنَّ مُشْتاقاً تَكَلَّفَ فوق ما ... فِى وُسْعِهِ لَمَشَى إلَيْكَ الْمِنْبَرُ[٢]

١٧ ـ وقال أبو تمام :

وَكَيْفَ احْتمالِى لِلسَّحَابِ صَنِيعَةً ... بِإسْقَائِهَا قَبْرًا وفى لَحْدِهِ الْبَحْرُ[٣]

فقال البحترى :

مَلْآنُ مِنْ كَرَمٍ ، فَلَيسَ يَضُرُّهُ ... مَرُّ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَهْوَ جَهامُ[٤]

١٨ ـ وقال أبو تمام :

فَلْيَشْكُرُوا جِنْحَ الظَّلَامِ وَدَرْوَذًا ... فَهُمُ لِدَرْوَذَ والظَّلامِ مَوَالِى[٥]

فقال البحترى :

نَجا وَهْوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَها ... عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُولَ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرِ[٦]

---

(١) ديوانه ٤١ وفى شرح التبريزى ٢١٢/١ « العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، واستعار لها المشاشة التى هى البشر والأريحية . يقول : من شهوته لإعطاء المال وبذله تكاد عراص مغانيه تسير إلى من يسير إليها طالبا نيله »

(٢) ديوانه ١٨ ، ١٠٧٣/٢ و ط « ولو . . . غير ما »

(٣) سبق ص ٩٢

(٤) ديوانه ٤٨٩ ، ١٩٥٠/٣ والجهام : السحاب الذى فرغ ماؤه

(٥) شرح التبريزى ١٣٩/٣ وفى الديوان ٢٦٢ و ط « ودروزافهم لدروز » وفى م « واشكروا فهم له رود » وهو تحريف

(٦) ديوانه ٤٠٠ ، ٩٨٥/٢ « مضى وهو »

١٩ـ وقال أبو تمام :

أَنْتَ الْمُقِيمُ فَمَا تَغْدُ رَوَاحِلُهُ وعَزْمُهُ أَبَدًا مِنْه عَلَى سَفَرِ[١]

فقال البحترى :

مُسَافِرٌ وَمَطَـايَاهُ مُحَلَّلَةٌ غُرُوضُهَا وَمُقِيمٌ وَهْوَ مُرْتَحِلُ[٢]

٢٠ـ وقال أبو تمام :

وَتَشَرَّفُ الْعلْيا ، وَهَلْ بِكَ مَذْهَبٌ عَنْهَا وَأَنْتَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمُ ؟[٣]

فقال البحترى :

مُتَقَلْقِلِ الْعَزَمَاتِ فى طَلَبِ الْعُلا حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمَا[٤]

٢١ـ وقال أبو تمام :

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِـدِ وَلا الْمَجْدُ فى كَفِّ امْرِئٍ وَالدَّرَاهِمُ[٥]

فقال البحترى :

لِيَفِرْ وَفْرُكَ الْمُوَفَّى وَإِنْ أَعْ وَزَ أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهْ[٦]

---

(١) ديوانه ٤٠٠ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤١ وفى ط « فما تغدوا » وفى م « فما تسرى . . وعزمه . على سهر » وفى ك « فما نسرى رواحله وطرفه . . على سهر »

(٢) ديوانه ٧١٨ ، ١٧٦٤/٣ والغروض : جمع غرض ، وهو حزام الرحل . وفى م «مسافرون . . . عروضها » وهو تحريف

(٣) تشرف : أى تطلع لها . وضبط فى ط تبعا لضبط الديوان بضم التاء وكسر الراء ، وهو خطأ . وفى م و ك « على المعالى » .

(٤) ديوانه ٢٣٠ وفى م و ك « مقلقل الأحشاء . . . على المعالى »

(٥) ديوانه ٢٨٦ وفى شرح التبريزى ١٧٨/٣ « أى كما لا يجتمع السير نحو الشرق والغرب فى حالة واحدة من سائر واحد ، كذلك لا يجتمع الشرف والمعالى لرجل مع إمساكه المال ؛ لأن المجد يكتسب ببذل المال وإتلاف الرغائب »

(٦) ديوانه ٥٠٧ ، ٢/٢ ٩١٢ المعارف « وفرك الملقى » وفى م « ليضر وفرك . . أن تجمع » وهو تحريف

٢٢ – وقال أبو تمام :

فَوَقَّرْتَ يَافُوخَ الْجَبَانِ عَلَى الرَّدَى   وَزِدْتَ غَدَاةَ الرَّوْعِ فِى نَجْدَةِ النَّجْدِ[١]

فقال البحترى :

وَيَغْدُو وَنَجْدَتُهُ فى الْوَغَى   تُدَرِّبُ نَجْدَاتِ فُرْسَانِهِ[٢]

٢٣ – وقال أبو تمام :

ما زالَ وَسْوَاسِى لِعَقْلِىَ خادِعاً   حَتَّى رَجا مَطَرًا وَلَيْسَ سَحَابُ[٣]

فقال البحترى :

وَعَجِيبٌ أَنَّ الْغُيُوثَ يُرَجِّيـ   ـهِنَّ مَنْ لا يَرَى مَكَانَ الْغُيُومِ[٤]

٢٤ – وقال أبو تمام :

بكلِّ صَعْبِ الذُّرَى مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظٍ   أَقَامَ مُتَّئِدًا أَمْ سَـــارَ مُعْتَزِمَا[٥]

فقال البحترى :

لا يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوْفِى صَرِيمَتَهُ   أَقَامَ مُتَّئِدًا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمَـــا[٦]

٢٥ – وقال أبو تمام :

لَرَدَدْتُ تُحْفَتَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَلَتْ   عَنْ ذاكَ وَاسْتَهْدَيْتُ بَعْضَ خِصَالِهِ[٧]

---

(١) ديوانه ١٣٢ وفى شرح التبريزى ١٢٣/٢ « ووقرت : من الوقار ، يقال : هو مطمئن الهامة عند الفزع : إذا كان رابط الجأش» وفى م « وزدن غداة » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٥٧٣ وفى م « نجدان » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٤٨٨ وشرح التبريزى المخطوط ٧٠١ وفى م « زجا » وهو تحريف

(٤) ديوانه ١٩٣٧/٤٧٠ وفى ط « أن الغيوم »

(٥) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ١٦٩/٣ « إن حل متئداً أو » « من مصعب : أى من بنى مصعب رهط إسحاق بن إبراهيم المدوح . والمعنى : من كل صعب الذرى يقظ من بنى مصعب يقول : أكثرت القتل بمعونة كل صعب جسور من بنى مصعب ، متيقظ فى حالتى حلوله ومسيره »

(٦) ديوانه ٥٣٢ « عزيمته » وفى اللسان ٢٢٧/١٥ « والصريمة : العزيمة على الشىء وقطع الأمر » .

(٧) ديوانه ٢٣٩ وفى شرح التبريزى ٥٧/٣ وقبله :

لو كان يهدى لامرئ ما لا يرى   يهـــدى لعظم فراقــه وذياله

—

وقال أبو تمام أيضاً[١] :

وَانْفحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً ... إنْ كانَتِ الأَخْلاقُ مِمَّا تُوهَبُ[٢]

فقال البحترى :

لا تَسَلْ رَبَّكَ الكَثِيرَ وَسَلْهُ ... خَصْلَةً تَسْتَفِيدُهَا مِنْ خِصَالِهْ[٣]

٢٦ ـ وقال أبو تمام :

غَرِيبَةٌ تُؤْنِسُ الآدَابَ وَحْشَتُهَا ... فَمَا تَحُلُّ على قَوْمٍ فَتَرْتَحِلُ[٤]

فقال البحترى :

ضَوَارِبَ فى الآفَاقِ لَيْسَ بِبَارِحٍ ... بِهَا مِنْ مَحَلٍّ أَوْطَنَتْهُ ارْتِحَالُهَا[٥]

٢٧ ـ وقال أبو تمام :

كأنَّمـا خامَرَهُ أَوْلَقٌ ... أَوْ غَازَلَتْ هامَتَهُ الْخَنْدَرِيسْ[٦]

فقال البحترى :

وَتَخَالُ رَيْعانَ الشَّبابِ يَرُوعُهُ ... مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ[٧]

= أى لوكان يهدى لامرئ ما لا يتهيأ إهداؤه لعظم فراقه إذا زال عن صاحبه ـ لرددت تحفته وسألته أن يهدى لى بعض خصاله المحمودة ، ولكن لا سبيل إلى ذلك . وفى م « ازددت لحفته . . . وإن غليت فى السوم » . وفى ك : « وإن غلت فى السوم »

(١) م « وقوله »

(٢) ديوانه ٤٠ وفى شرح التبريزى ١/ ١٤٤ « يقول : خذ العبد إليك ، وأعطنى من أخلاقك ما هو أحسن منه ، وإن كان الكريم إذا رفد رفداً لم يرتجعه »

(٣) ديوانه ٥٧٢ « الخطير وسله خصلة تستعيرها »

(٤) ديوانه ٢٢٩ يقصد بالغريبة : قصيدته

(٥) ديوانه ٢٢٤ ، ٣ / ١٦٩٤ ويريد بالضوارب : قصائده الغريبة . وفى ط « ليس بنازح »

(٦) ديوانه ١٧٩ وشرح التبريزى ٢/ ٢٨٠ . خامره : أى خالط هذا الفرس الموصوف . أولق : جنون ، وغازلت من مغازلة النساء ، ذكره مستعاراً . والخندريس : الخمر القديمة . وفى م و ك « أو خالطت »

(٧) ديوانه ٧٣٢ ، ٣/ ١٧٤٨ « وتظن » والأفكل : الرعدة كما فى اللسان ١٤/ ٤٥

٢٨ ـ وقال أبو تمام :

حَمْدٌ حُبِيتَ بِهِ وَأَجْـرٌ حَلَّقَتْ ... مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبُ (١)

فقال البحترى :

فَأَنْتَ تُصِيبُ الحَمْدَ حَيْثُ تَلَأْلَأَتْ

كَوَاكِبُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُصِبِ الأَجْرا (٢)

٢٩ ـ وقال أبو تمام :

تُدْعَى عَطاياهُ وَفْرًا وَهْيَ إِنْ شُهِرَتْ ... كانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَعْفُوهُ مُؤْتَنِفَا (٣)

فقال البحترى :

وإذا اجْتَدَاهُ المجْتَدُونَ فإِنَّهُ ... يَهَبُ الْعُلَى فى سَيْبِهِ المَوْهُوبِ (٤)

٣٠ ـ وقال أبو تمام :

وَتَلْبَسُ أَخْـلاقاً كِراماً كأَنَّهَا ... عَلَى الْعِرْضِ مِنْ فَرْطِ الْحصَانَةِ أَدْرُعُ (٥)

فقال البحترى :

قَوْمٌ إِذا لَبِسُوا الدُّرُوعَ لِمَوْقِفٍ ... لَبِسُوا مِنَ الأَحْسَابِ فِيهِ دُرُوعَا (٦)

---

(١) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزى ١٣٤/١ يعنى غلاما كان وهبه له الحسن بن سهل . يقول كما قال الصولى : قد جلب إليك هذا الغلام حمداً وشكراً لما أهديته إلى ، ولكن ليس لك فى إهدائه أجر ، لأنك أهديته لأسومه الحرام ، فكأن أجره طارت به عنقاء مغرب . وفى م « مجد . . . به وأخر . . . . معرب » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٥٥٩ و م « وأنت . . . المجد »

(٣) ديوانه ٢٠١ وشرح التبريزى ٣٦٥/٢ ومؤتنفا : أى مستقبلا ، ويعفوه : يسأله ، ووفراً : أى غنى ؛ لأن كل من أعطاه هذا فقد استغنى عن الناس كلهم ، وهو يعطى سرا وجهراً ، فعطاياه فى السر إن شهرت كانت فخراً مؤتنفاً وشرفاً مستطرفا لسائله ، لأنه شريف العطاء ، فمن أعطاه أكسبه إعطاؤه فخراً وغنى

(٤) ديوانه ١٧٧ « فى نيله الموهوب » والسيب والنيل : العطاء ، واجتداه : سأله . ٢٤٨/١ معارف

(٥) ديوانه ٣٧٣

(٦) ديوانه ٢٥٨ ، ١٢٥٥/٢ « لبستهم الأعراض فيه دروعا » وفى م و ك « لبستهم الأجساد » .

٣١ـ وقال أبو تمام :

لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهِيَ شُهُودِي(١)

فقال البحترى :

وَمُعْتَرِضِين إنْ حاوَلْتُ أَمْرًا بِهِمْ شَهِدُوا عَلَيَّ وَهُمْ شُهُودِي(٢)

٣٢ـ وقال أبو تمام :

أَنْضَرَتْ أَيْكَتِي عَطاياكَ حَتَّى صارَ ساقاً عُودِي وكانَ قَضِيبَا(٣)

فقال البحترى :

حَتَّى يَعُودَ الذِّئْبُ لَيْثاً ضَيْغَماً وَالْغُصْنُ سَاقاً وَالْقَرَارَةُ نِيقَا(٤)

٣٣ـ وقال أبو تمام :

* فَمَا تَصْطادُ غَيْرَ الصَّيدِ(٥) *

فقال البحترى :

* تصطاد الفوارس صيدها(٦) *

(١) ديوانه ٨٤ وشرح التبريزى ١/٤٠١ « يقول : أصغيت إلى قولى وتحققت أمرى فكف أعدائى فعلك معى »

(٢) ديوانه ٢٨٤ : إن عظمت أمراً » وفى ط « ومعترضون »

(٣) ديوانه ٢٨ وفى شرح التبريزى ١/ ١٧٩ « أى جعلتها نضيرة ، والنضارة : الخضرة ، وأصل الأيكة الشجر الملتف » وفى ك « حتى عاد غصنى ساقا »

(٤) ديوانه ٧٢٥ والصناعتين ٢٢٨ . والنيق : الجبل الطويل كما فى اللسان ١٢/ ٢٤٢

(٥) بقية البيت كما فى ديوانه ٨٢ وشرح التبريزى ١/ ٣٨٩ :

وحشية ترمى القلوب إذا اغتدت وسنى فما . . . . .

قال المرزوقى : « وحشية : يجوز أن يكون أراد أنها فى حسنها كالوحشية ، ويجوز أن يكون أراد أنها تنفر عن الريب ، فكأنها وحشية . وقوله : فما تصطاد غير الصيد ، يجوز أن يكون على أنه لا يرومهن ولايهم بهن إلا الكبار من الرجال المتكبرون، لعزتهن وجلالهن فى النفوس، ويجوز أن يكون أراد أنهن لا يتواضعن إلا لرمى الرجال المعجبين بأنفسهم ظرفاً وعزة . قال الصولى : ووسنى : كأنها ناعسة من النعمة

(٦) تتمته كما فى ديوانه ٤٦٥ :

على أنى أخشى على دار أمنها بنى الروع يصطاد . . .

٣٤ ـ وقال أبو تمام :

الآنَ حِينَ غَرَسْتُ فِى تِلكَ الرُّبَى تِلْكَ الْمُنَى وَبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ[١]

فقال البحترى :

غُفْلُ الرِّجالِ بَنَوْا عَلَى جَدَدِ الثَّرَى لَمَّا بَنَوْا ، وبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ[٢]

٣٥ ـ وقال أبو تمام :

فَعَلامَ الصُّدُودُ فى غَيْرِ جُرْمٍ والصُّدُودُ الْفِراقُ قَبْلَ الْفِراقِ[٣]

فقال البحترى :

عَلَى أنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى لَدَىَّ ، وَعِرْفَانَ الْمَشِيبِ هُوَ العَذْلُ[٤]

٣٦ ـ وقال أبو تمام :

وَفَتًى إذا جَنَفَ الزَّمَانُ فَمَا يُرى إلاَّ إلى عَزَمَاتِهِ يَتَظَلَّمُ[٥]

فقال البحترى :

وَلَوْ أَنْصَفَتْنِى سُرَّ مَرَّاءُ لَمْ أَكُنْ إلى العِيسِ مِنْ إيطَانِهَا أَتَظَلَّمُ[٦]

---

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزى ٢/٢٥٢ « فالآن . . . فى كرم الثرى » وفى ط « فى كرم النـدى » .

(٢) فى ديوانه ٣٨٦ :

فإذا بنى غفل الرجال بنى على جدد بنيت على ذرى وأساس

(٣) ديوانه ٤٥٣ وشرح التبريزى المخطوط ٦٨٤ .

(٤) الوساطة ٢٣٢ وفى ديوانه « النوى المشت وعرفان » .

(٥) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزى ٣/٢١٤ « ظلم الزمان » وهما روايتان . وفى م و ك « خيف »

(٦) ديوانه ٦٧ وفى ط « من قطانها » وإيطانها : اتخاذها وطنا ،

وقال الشيخ محيى الدين « العيس : جمع أعيس ، وهو الكريم من الإبل ، وأراد بها الرجال الكرام » وقد أصاب، فى نقل معنى العيس ، وأخطأ فى بيان المراد منها . ذلك أن البحترى لم يرد من العيس أى شىء غيرها ؛ لأنه يقول : لو أنصفتنى مدينة سرمن رأى لأقمت بها ولم أعمد إلى العيس متظلما من توطنها لتزيل ظلامتى بالارتحال عنها ، وبعد البيت :

لقد خاب فيها جاهد وهو ناطق وأعطى منها وادع وهو مفحم

٣٧ ـ وقال أبو تمام :

مِنْ دَوْحَةِ الكَلِمِ الَّذِى لَمْ يَنْفَكِكْ ... وَقْفاً عَلَيْكَ رَصِينُهُ مَحْبُوسا[1]

فقال البحترى :

وَلَكَ السَّلامَةُ والسَّلامُ فإنَّنِى ... غَادٍ وَهُنَّ عَلى عُلاكَ حَبائِسُ[2]

٣٨ ـ وقال أبو تمام :

وكَذَاكَ لَم تُفْرِطْ كآبة عاطِلٍ ... حَتَّى يُجاوِزَها الزَّمَانُ بِحَالِ[3]

فقال البحترى :

وَقَدْ زادَها إفْرَاطَ حُسْنٍ جِوَارُهَا ... خَلائِقَ أَصْفارٍ مِنَ المَجْدِ خُيَّبِ[4]

٣٩ ـ وقال أبو تمام :

وما العُرْفُ بالتَّسْويفِ إلاَّ كَخُلَّةٍ ... تَسَلَّيْتَ عَنْها حِينَ شَطَّ مَزارُها[5]

فقال البحترى :

وكُنْتُ وَقَدْ أَمَّلْتُ مُرًّا لِحَاجَتِى ... كَطالِبِ جَدْوَى خُلَّةٍ لا تُوَاصِلُ[6]

٤٠ ـ وقال أبو تمام :

آسادُ مَوْتٍ مُخْدِرَاتٌ مالَها ... إلا الصَّوَارِمَ والقَنَا آجامُ[7]

---

(١) ديوانه ١٧٨ وشرح التبريزى ٢/٢٧٣ « الكلم التى . . . رصينها »

(٢) ديوانه ٣٨١ وقبله :

هذى القصائد قد زففت صباحها ... تهدى إليك كأنهن عرائس

(٣) ديوانه ٢٦٠ وشرح التبريزى ٣/١٣٢ « بحالى »

(٤) ديوانه ٧٥ والضمير فى زادها يعود على أخلاق الممدوح المذكورة فى البيت السابق ١/١٩٢ من ك .

(٥) ديوانه ٣٩٩ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤٠ « وما النفع » والخلة : الخليلة ، وشط : بعد .

(٦) ديوانه ٦٦٢ ، ٣/١٨٦٨ فى هجاء مر بن على بن مر ، الطائى ، وفيه « مراً لنائل » .

(٧) ديوانه ٢٨١ وشرح التبريزى ١٥٦ والمخدر : الذى اتخذ الأجمة خدراً . وفى م و ك « ما لها غير »

فقال البحترى :

حشدَتْ حَوْلَها سِباع المَوَالِى وَالعَوَالِى غابٌ لِتِلْكَ السِّباعِ [١]

٤١ ــ وقال أبو تمام :

ولاذَتْ بِحِقْوَيْهِ الخِلافَةُ والتَقَتْ عَلَى خِدْرِها أَرْماحُهُ ومَناصِلُهْ [٢]

فقال البحترى :

لاذَتْ بِحقْوَيْهِ الخِلافَةُ ؛ إنَّهَا قِسْمٌ لأَفْضَلِ هاشِمٍ فالأَفْضَلِ [٣]

٤٢ ــ وقال أبو تمام :

قَدْ جاءَنا الرَّشَأُ الَّذِى أَهْدَيْتَهُ خِرْقاً وَلَوْ شِئْنا لَقُلْنا المَرْكَبُ [٤]

فقال البحترى :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ فى سَبِيلِ فُتُوَّةٍ هِىَ الثَّغْرُ خَلْفَ المَجْدِ بَلْ تَفْضُلُ الثَّغْرَا [٥]

٤٣ ــ وقال أبو تمام :

وقَدْ تَأْلَفُ العَيْنُ الدُّجَى وَهْوَ قَيْدُها وَيُرْجَى شِفَاءُ السُّمِّ والسُّمُّ قاتِلُ [٦]

---

(١) ديوانه ١٣٢ ، ٢/١٢٤٤ والعوالى : الرماح

(٢) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزى ٣/٢٦ وفى م « فالتقت » وهو تحريف . والحقو : الخصر ومشد الإزار من الجنب . والعرب تقول : عذت بحقود : إذا استجرت به واعتصمت ليمنعك

(٣) ديوانه ١٦ « عاذت بحقواك » ، ٣ / ١٦٢٧ « بحقويك »

(٤) ديوانه ٤٠ وفى شرح التبريزى ١/١٤٢ « يعنى الغلام الذى أهداه إليه الحسن بن وهب . والخرق : الذى قد دهش وتحير كأنه رشأ ، وهو مع ذلك يصلح للتمتع . وأصل الخرق الضعف فى القوائم من النعمة »

(٥) ديوانه ٥٥٩

(٦) ديوانه ٢٥٩ وفى شرح التبريزى ٣/١٢٨ « قال المرزوقى : المرذول من الأمور والمعضول من الأسباب قد يعلق الرجاء بهما إذ مست الحاجة إليهما ودعت الضرورة نحوهما ، كما أن العين الرمدة تنتفع بالظلمة وإن كانت قيداً لشعاعها . والسم كلحوم الحيات وما أشبهها يتداوى به وإن كان قاتلا فى نفسه »

فقال البحترى :

وَيَحْسُنُ دَلُّها والمَوْتُ فيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيل[١]

٤٤ ـ وقال أبو تمام :

أَوْرَقْتَ لِي وَعْدًا وَثِقْتُ بِنُجْحِهِ بِالأَمْسِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُثْمِرِ[٢]

فقال البحترى [وقصر] :

والوَعْدُ كالْوَرَقِ الْجَنِيِّ تَأَوَّدَتْ مِنهُ الغُصُونُ ونُجْحُهُ أَن يُثْمِرَا[٣]

٤٥ ـ وقال أبو تمام :

إِنَّ الهِلالَ إِذا رَأَيْتَ نُمُـوَّهُ أَيقَنْتَ أَنْ سَيَكونُ بَدْرًا كامِلا

فقال البحترى :

مِثْلُ الهِلالِ بَدَا فَلَمْ يَبْرَحْ بِهِ صَوْغُ اللَّيالِي فِيهِ حَتَّى أَقْمَرَا[٤]

٤٦ ـ وقال أبو تمام :

نَرْمِي بِأَشْباحِنَـا إِلى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مالِهِ ومِنْ أَدَبِهْ[٥]

فقال البحترى :

نَغْدُو فَإِمَّا اسْتَمَحْنا مِنْ مَوَاهِبِهِ فَضْلاً وَإِمَّا اسْتَفَدْنا مِنْهُ آدابَا[٦]

---

(١) ديوانه ٣٠٠ ، ٣ / ١٨٢٢

(٢) م « لنا وعداً »

(٣) فى ديوانه ٣٧٧ « كالورق النضير . . . ونجحها » ولم يرو هذا البيت فى م و ك وورد بدله :

أفديك مورق موعـد لم يفدنى من قـول باع إنه لم يثمـر

وليس له ، وإنما هو لأبى تمام ، كما فى ديوانه ٣٩٧ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤٧

(٤) ديوانه ٣٧٨ ، ٢/٩٧٩ .

(٥) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزى ١/٢٧٦ . ترمى : أى العيس . وفى م « بنا أشباحنا » وفى أخبار أبى تمام ١٧٧ « تحمل أشباحنا »

(٦) م « استجنا » . . وفيها وفى ك : « وإما استمرنا »

٤٧ ـ وقال أبو تمام :

وَمَا خَيْرُ بَرْقٍ لاحَ فِى غَيْرِ وَقْتِهِ ... وَوَادٍ غَدَا مَلْآنَ قَبْلَ أَوَانِهِ (١)

فقال البحترى :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِى إِبَّانِهِ (٢)

٤٨ ـ وقال أبو تمام :

لا يَكْرُمُ النَّائِلُ الْمُعْطَى وَإِنْ أُخِذَتْ
مِنْهُ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ (٣)

فقال البحترى :

عَلَّمْتَنِى الطَّلَبَ الشَّرِيفَ ورُبَّمَا ... كُنْتُ الْوَضِيعَ مِنَ اتِّضَاعِ مَطَالِبِى (٤)

٤٩ ـ وقال أبو تمام :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ ... نَفَساً بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِينَا (٥)

فقال البحترى :

رَاحَت بِرَبعِكَ الرِّيَاحُ مَرِيضَةً ... وَأَصَابَ مَغْنَاكَ الْغَمَامُ الصَّيِّبُ (٦)

---

(١) ديوانه ٣٢٠ وشرح التبريزى ٣/٢٩٦

(٢) ديوانه ٧٠٦ وسبق ص ٣٢٨

(٣) ديوانه ٤٨ وشرح التبريزى ١/٢٥٠ « لن يكرم الظفر . . . به الرغائب » وفى ط « السائل المعطى » قال المرزوقى : « إنما العرف يكرم والنوال يشرف ، متى صين طلب العافى الزائر من المطل ، ولم يهن ولم يبتذل بالتسويف والدفاع »

(٤) ديوانه ٦٩٨ وفى ط « وإنما كنت » . ١ / ١٦٢ معارف

(٥) سبق ص ١٠٧ ، ١٦١

(٦) سبق ص ١٦٢ وفى ط « ضعيفة » (٦٨٢)

٥٠ ـ وقال أبو تمام :

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى ولكِنْ رِفْدُهُ لِلْأَبْعَدِ الْأَوْطَانِ دُونَ الْأَقْرَبِ[١]

فقال البحترى :

بَلْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَيْبِهِ سَبَباً مَنْ كانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِه رَحِمَا[٢]

٥١ ـ وقال أبو تمام :

شَرْخٌ مِنَ الشَّرَفِ المُنِيفِ يَهُزُّهُ هَزَّ الصفِيحَةِ شَرْخُ عُمْرٍ مُقْبِلِ[٣]

فقال البحترى :

أَدْرَكْتَ مَا فَاتَ الكُهُولَ مِنَ الحِجَى

فى عُنْفُوان شَبَابِكَ المُسْتَقْبَلِ[٤]

٥٢ ـ وقال أبو تمام :

بَعَثْنَ الْهَوَى فِى قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِمـاً

فَقُــلْ فى فُؤَادٍ رُعْنَــهُ وَهْوَ هَائِمُ[٥]

---

(١) سبق ص ١٧٥

(٢) سبق ص ١٨٨ وفى م « من حزمه » وهو تحريف

(٣) شرح التبريزى ٣/٥٠

وقد ظن الشيخ محيى الدين أن قوله : « شرخ عمر مقبل » خطأ فغيره إلى « عمر مبقل » ليوافق ما فى الديوان ص ٢٣٧ وقال فى شرحه نقلا عن هامش الديوان أيضاً : « الشرخ : العرق . والمنيف : العالى ، والصحيفة : السيف العريض . والشرخ الثانى : أول الشباب ، والغمر : الكريم ، والمبقل : الذى نبت شعر وجهه » .

ورواية الديوان محرفة . والمراد بالشرخ الأول : الأصل . والممدوح بالبيت أبو الوليد بن أحمد بن أبى دؤاد الإيادى .

(٤) ديوانه ٦٨٢ ولم يرد هذا البيت فى م و ك وورد بدله فيهما :

فاسلم لشرخ مكـــارم مستقبل أنف وبرد شبيبة مستقبل

والبيت ليس للبحترى ولكنه لأبى تمام فى ديوانه بعد بيته السابق ، وروايته فيه : « فاسلم لجدة سؤدد . . »

(٥) ديوانه ٢٨٥ وشرح التبريزى ٣/١٧٧ بعثن : أى الحمائم المذكورة فى البيت قبله .

فقال البحترى :

فَبَعَثْنَ وَجْدًا لِلْخَلِيِّ وَزِدْنَ فِى بُرَحَاءِ وَجْدِ الْهَائِمِ الْمُسْتَهْتَرِ[١]

٥٣ ــ وقال أبو تمام :

غُرَّةٌ بُهْمَةٌ أَلَا إِنَّما كُنْـ تُ أَغَرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا[٢]

فقال البحترى :

عجبتْ لِتَفْوِيفِ الْقَذَالِ وَإِنَّمَا تَفْوِيفُهُ لَوْ كانَ غَيْرَ مُفَوَّفِ[٣]

٥٤ ــ وقال أبو تمام :

وَما زالَتْ تُجِدُّ أَسًى وَشَوْقاً لَهُ وَعَلَيْهِ إِخْلَاقُ الرُّسُومِ

فقال البحترى :

فَهَيَّجَ وَجْدِى رَبْعُهَا وَهْوَ سَاكِنٌ وَجَدَّدَ شَوْقِى رَسْمُهَا وَهْوَ مُخْلِقُ[٤]

٥٥ ــ وقال أبو تمام :

تَرَاهُ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ الْمَعَالِى فَتَحْسِبُهُ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ[٥]

فقال البحترى :

حامَى عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مُجْتَهِدًا ذَبَّ الْمُحَامِى عَنْ مَالِهِ وَدَمِهْ[٦]

---

(١) ديوانه ٣١ « وجد العاشق »

(٢) ديوانه ٢٩١ وشرح التبريزى ٣/٢٢٣ ، « والبهمة : من قولك : فرس بهيم ، وهو الذى لا يخالط لونه غيره ، كأنه أبهم عن الشيات أى أغلق دونها من أبهمت الباب إذ أغلقته . وجاز أن يجعل نفسه بهيما لأنه أراد الشعر وأنه أيام كان أسود لم تكن له غرة ، أى شيب » . وفى ك : « غرة مرة » .

(٣) ديوانه ٣/١٤١٦ والشهاب ٧ فى الصحاح ٤/١٤١٢ « وبرد مفوف : أى فيه خطوط بيض . وفى م « وإنما تقويفه . . . مقوف » ! والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان .

(٤) ديوانه ٥١٨ « فحرك بى . . . وجدد وجدى »

(٥) ديوانه ٢٨٨ وشرح التبريزى ٣/١٦١ .

(٦) ديوانه ١٩٥ « جهد المحامى » . ٤/٤٠٦٤ .

٥٦ – وقال أبو تمام :

تَنَصَّلَ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالوِدَادِ[١]

فقال البحترى :

أُقِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلاً ... إِلَيْكَ ، عَلَى أَنِّى إِخَالُكَ أَلْوَمَا[٢]

٥٧ – وقال أبو تمام :

وَتَنِدُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إِلَّا عُلًى ... جُعِلَتْ لَهَا مِرَرُ القَصِيدِ قُيُودَا[٣]

فقال البحترى :

وَالْمَجْدُ قَدْ يَأْبِقُ عَنْ أَهْلِهِ ... لَوْلَا عُرَى الشِّعْرِ الَّذِى قَيَّدَهْ[٤]

٥٨ – وقال أبو تمام :

شَكَّ حَشَاهَا بِخُطْبَةٍ عَنَنٍ ... كَأَنَّهَا مِنْهُ طَعْنَةٌ خَلْسُ[٥]

فقال البحترى :

فرَّجْتَ جونتها بِخُطْبَةِ فَيْصَلٍ ... مِثْلُ لَهَا فى الرَّوْعِ طَعْنَةُ فَيْصَلِ[٦]

---

(١) ديوانه ٨١ وشرح التبريزى ١/٣٨٦ . ربها : أى صاحب القصائد المنزهة عن السرق المكرمة عن المعنى المعاد ، كما قال فى البيت الذى قبله

(٢) ديوانه ٩٥

(٣) ديوانه ٩٠ وشرح التبريزى ١/٤٢٦ . تند : أى تشرد وتذهب ماضية على وجوهها . عندهم : عند العرب الأول . والمرر بكسر الميم – جمع مرة ، وأصلها الحبل الذى أجيد فتله . يقول : إن المكارم إذا لم تقيد بالشعر تتفرق وتتبدد . وفى م و ك « مرر القريض » .

(٤) ديوانه ٣١٥ .

(٥) ديوانه ١٦٨ وشرح التبريزى ٢/٢٣١ والضمير فى « حشاها » يعود على حومة الخطاب التى قد فرجها الحسن بن وهب ببلاغته وبيانه ، كما قال أبو تمام فى بيته السابق . والعنن : المعترضة ، من قولهم : عن الشىء يعن ، إذا بدا لك ، وخلس أى مختلسة سريعة .

(٦) م « فرجت حوضها » . ولم يرد البيت فى ديوان البحترى .

٥٩ ـ وقال أبو تمام :

جَمٌّ التَّوَاضُعِ والدُّنْيَا بِسُؤْدَدِهِ تَكادُ تَهْتَزُّ مِنْ أَقْطَارِها صَلَفَا(١)

فقال البحترى :

أَبْدَى التَّوَاضُعَ لما نَالَها رِعَةً عَنْهَا ونالتهُ فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيها(٢)

٦٠ ـ وقال أبو تمام :

إِذَا أَطْلَقُوا عنهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ تَيَقَّنَ أَنَّ المَنَّ أَيْضاً جَوَامِعُ(٣)

فقال البحترى :

وَفِى عَفْوِهِ لَوْ تَعْلَمُــونَ عُقُوبَةٌ
تُقَعْقِــعُ فى الأَعْرَاضِ إِنْ لَمْ يُعَاقِبِ(٤)

٦١ ـ وقال أبو تمام :

قصُرْ بِبَذْلِكَ عُمْرَ مَطْلِكَ تَحْوِلِى حَمْدًا يُعَمَّرُ عُمْرَ سَبْعَةِ أَنسُرِ(٥)

---

(١) شرح التبريزى ٢/٣٦٤ وديوانه ٢٠١ « لسؤوده » وفى م « بادى التواضع » والصلف : التيه . أى هو كثير التواضع والدنيا تتكبر بمكانه

(٢) ديوانه ٢٨ « نالمادعة » وهو تحريف وفى ط « فنالته » والرعة : الورع

(٣) ديوانه ٤٨٠ يفخر بقومه . عنه أى عن الأسير الذى إذا أسروه لم يأسر البغى عفوهم عنه ، كما قال فى البيت قبله . وفى ط « أطلقوه عن » وفى م « غلة » وهو تحريف . والجوامع : جمع جامعة ، وهى الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه

وقد أخطأ الشيخ محيى الدين إذ فسرها بقوله : « وهى ضرب من الحلى يجمع اليدين إلى العنق » !!! والغل : القيد

قال التبريزى فى شرحه المخطوط ٧٨١ « يقول : إذا منوا على الأسير فأطلقوه تيقن أنه من الصنيعة فى جوامع تمنعه من أن يحاربهم أو يعرض لهم بما يكرهون . وكأنه من قول الخارجى : غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها »

(٤) ديوانه ٧٢١ وفى ط « يعلمون » وفى م « فى الأعواذ وإن لم تعاقب » . ١/٨٢ معارف

(٥) ديوانه ٣٩٧ وشرح التبريزى المخطوط ٧٣٧ وفى ط « وعدك تحولى شكراً » وفى م « وعدى تحتوى » . وفى ك « شكراً يعمر »

فقال البحترى :

وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ وَعْدِكَ قَاصِرًا عُمْرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ المَوْعِدِ[١]

٦٢ – وقال أبو تمام :

دَعَا شَوْقُهُ يا ناصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى وَوَابِلُه[٢]

فقال البحترى :

نَصَرْتُ لَهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِعَبْرَةٍ تَلاَحَقُ فى أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا[٣]

٦٣ – وقال أبو تمام :

مِنْ لَيْلَةٍ فِى وَبْلِهَا لَيْلَاء فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاء[٤]

فقال البحترى :

أَشْرَقْنَ حَتَّى كادَ يُقْتَبَسُ الدُّجَى وَرَطِبْنَ حَتَّى كادَ يَجْرِى الْجَنْدَل[٥]

٦٤ – وقال أبو تمام :

بِرٌّ بَدَأْتَ بِهِ ودَارٌ بابُها لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ وَوَجْهٌ مُقفَلُ[٦]

فقال البحترى :

إِلاَمَ بابُكَ مَعْقُودٌ عَلَى خُلُقٍ وَرَاءَهُ مِثْلُ مَدِّ النِّيلِ مَحْلُولِ[٧]

* * *

فهذا ما أخذ البحترى من أبى تمام .

(١) ديوانه ٤٦١ « تلو قولك » وفى ط « نيلك تلو »

(٢) سبق ص ٢٢١

(٣) ديوانه ٣٥٥ « بأدمع تلاحقن » وفى م « قصرت له » وفى ط « تواصل فى أعقاب »

(٤) ديوانه ٤١٣ وشرح التبريزى المخطوط ٧٥٣ والأول فيهما مؤخر عن الثانى

(٥) ديوانه ٢٦ طبع بيروت وأشرقن : أى أيام المتوكل

(٦) ديوانه ٢٤٠ وشرح التبريزى ٣/ ٥٨ وفى م « بدأن »

(٧) ديوانه ٢٧٦ « معقوداً . . . مثل ماء المزن »

ولعل قائلا يقول : [إنى] قد تجاوزت فى هذا الباب ، وقَصَّرْت ، ولم أستقص[1] جميع ، ما خرّجه «أبو الضياء : بشر بن يحيى »[2] من المسروق . وليس الأمر كذلك ، بل قد استوفيتُ جميعه [فأوضحت] [3] ، وتسامحت بأَنْ ذكرتُ ما لعلّه لا يكونِ مسروقاً ، وإن اتفق المعنَيَانِ أو تَقاربا. غير أنى اطَّرحت سائر ما ذكر «أبو الضياء » بعد ذلك لأنه لم يقنع بالمسروق الذى يشهد التأملُ الصحيحُ بصحّته[4] حتى تعدَّى ذلك إلى التكثير ، وإلى أن أدخل فى الباب ما ليس منه ، بعد أن قَدَّم مقدمة افتتح بها كلامه ،فقال :

" ينبغى لمن نظر فى هذا الكتاب أن لا يَعْجَل بأن يقول :[5] هذا مأخوذ من هذا ، حتى يتأمل المعنى دون اللفظ ، ويُعْمل الفكر فيما خفى . وإنما المسروق[6] فى الشعر ما نُقل معناه دون لفظه ، وأبعد آخذُه فى أخذه " .

قال : " ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل[7] امرئ القيس وطَرَفة حين لم يختلفا إلا فى القافية ، فقال أحدهما : «وتجمَّل »[8] ، وقال الآخر : «وتجلَّد » .

قال : " فنى الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليل من اللفظ مع المعنى[9] ، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة [اللفظ] [10] الظاهر ، وهم قليل " .

---

(١) ط « ولم تستقص »
(٢) ط « بشر بن تميم »
(٣) من ط وفيها « وسامحت »
(٤) م و ك « لصحته . . . ذاك إلى »
(٥) ط و ك « ما هذا »
(٦) ط و ك « السرق »
(٧) ط « بيت » وفى ك « بيتى »
(٨) م « وتجمل » .
(٩) م « مع النفى »
(١٠) الزيادة من م

فجعل هذه التقدمة[1] توطئة لما اعتمده من الإطالة والحَشْر[2] ، وأن يُقْبَلَ منه كلٌّ ما يورده ، ولم يستعمل – مما وصَّى به من التأمل وإعمال الفكر – شيئاً ، ولو فعل ذلك لرجوتُ[3] أن يُوَفَّقَ لطريق الصواب ، فيعلم أن السرقة[4] إنما هى فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر ، لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية فى عاداتهم ، ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنَّة فيه عن الذى يورده أن يقال : [إنه] أخذه من غيره .

غير أن « أبا الضياء » استكثر من هذا الباب ، وخلَطَ به ما ليس من السَّرَقِ فى شىء ، ولا بين المعنيين[5] تناسب ولا تقارب ، وأتى بضَرْب آخر ادّعى أيضاً فيه السرق والمعانى مختلفة ؛ وليس فيه إلا اتّفاق ألفاظ[6] ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر ؛ إذ كانت الألفاظ مباحة غير محظورة ، فبلغ غرضه فى توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب .

وأنا أذكر [فى كل باب] من هذه الأبواب أمثلة يستدل بها[7] على صحة ما ذكرناه[8] ، ونجعلها قياساً على ما لم نذكره ؛ فإن فى البعض غِنًى عن الإطالة بذكر الكل .

١ – فمما أورده « أبو الضياء » من المعانى المستعملة الجارية مجرى[9]

---

(١) ط « المقدمة »

(٢) ط « والحشد » وفى ك « الحشو »

(٣) م و ك « لجوزت وأن » وهو تحريف

(٤) ط و ك « السرق إنما هو »

(٥) م « بين النقيضين »

(٦) م و ك « الألفاظ . . ما احتاج »

(٧) ط « تدل على . . ما ذكرناه ونجعلها »

(٨) فى ك « ما ذكرته . . . ما لم أذكر »

(٩) ط « مجارى »

الأمثال ، وذَكَر أن البحترى أخذه من أبى تمام ـ قول أبى تمام :

جَرَى الْجُودُ مَجْرَى النَّوْمِ مِنْهُ ؛ فَلَمْ يَكُنْ
بِغَيرِ سَمَاحٍ أَوْ طِعَانٍ بِحالِمِ [1]

وقول البحترى :

وَيَبِيتُ يَحْلُمُ بالْمَكَارِمِ والْعُلَى   حَتَّى يكُونَ الْمَجْدُ جُلَّ مَنَامِهِ [2]

وهذا المعنى [3] موجود فى عادات الناس ، ومعروف فى [معانى] [4] كلامهم ، وجارٍ [5] كالمثَلِ على ألسنتهم ، بأن يقولوا لمن أحب شيئاً أو استكثر منه : فلان لا يَحْلُم إلاّ بالطعام ، وفلان لا يحلم إلا بفلانة من شدة وَجْده بها ، وهذا الزَّنْجى ما حُلْمه إلا بالتمر ، ولا يقال لما [6] كانت هذه سبيله : سَرَق ، وإنما يقال له : اتفاق ، فإن كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر واحْتذاه [7] فإنما ذكر معنًى قد عرفه واستعمله ، لا أنه أخذه أخْذَ سرق [8]

٢ ـ وأنشد لأبى تمام :

إذَا القَصَائدُ كانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ   يَوْماً فَأَنْتَ لَعَمْرِى مِنْ مَدائِحها [9]

وذكر أن البحترى أخذه فقال :

---

(١) ديوانه ٣٨٥ « جرى المجد » وشرح التبريزى المخطوط ٦٥٥ وفيهما « بغير طعان أو سماح » . وفى ك « مجرى الروح »

(٢) ديوانه ٤٣٢

(٣) ط « وهذا الكلام . . . ومعروف فى معانى »

(٤) الزيادة من ك

(٥) م « وحاز »

(٦) ط « لمن »

(٧) ك و م « فاحتذاه فإنما ذكره بمعنى »

(٨) ط « سرقة »

(٩) ديوانه ٧٤ وشرح التبريزى ١/٣٥٧ وفى م و ك « فى مدائحهم » يقول : كما يفتخر هؤلاء بالقصائد تفتخر بك القصائد .

وَمَنْ يَكُنْ فاخِرًا بِالشِّعْرِ يُذْكَرُ فِى أَضْعَافِهِ فَبِكَ الأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ[١]

وهذا غلط على البحترى ؛ لأن الناس لا يزالون يقولون : فلان يَزِينُ الثياب ولا تزينه ، ويجمِّل الولايةَ ولا تجمِّله ، وفلانة تزيدُ فى حسن الحلى ولا يزيد فى حسنها ، وفلان تفخر[٢] به الأنسابُ ولا يفخَر بها . وهذا ليس من المعانى التى يجوز أن يدعى أحد من الناس أنه ابتدعها واخترعها أو سَبَق إليها ، ولا يجوز أن يكون مثل هذا – إذا اتفق فيه خطيبان ، أو شاعران – أن يقال : [إن][٣] أحدهما أخذ من الآخر .

٣ – وأنشد لأبى تمام :

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونَ وَأَهْلُها فَكَأَنَّها وَكَأَنَّهُمْ أَحْلامُ[٤]

وذكر أن البحترى أخذه فقال :

وَأَيامُنَا فِيكَ اللَّوَاتِى تَصَرَّمَتْ مَعَ الوَصْلِ أَضْغَاثٌ وَأَحْلامُ نَائِمِ[٥]

وكأنه ما سمع الناس يقولون : ما كان الشباب إلا حلماً ، وما كانت أيامنا[٦] إلا نومة نائم ، وما أشبه ذلك من اللفظ ، فكيف يجوز أن يكون ذلك[٧] مسروقاً ؟

٤ – وذكر أن من ذلك قول أبى تمام :

* قَدْ يُقْدِمُ الْعَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَى الأَسَدِ[٨]

---

(١) ديوانه ٦٥٧ ، ٩٥٨/٢ المعارف « بالشعر يمدح » وفى م « فالشعر يذكر وأصنافه قبل » وهو تحريف

(٢) ط « تفتخر »

(٣) زيادة من ط

(٤) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ١٥٢/٣

(٥) ديوانه ٤٤٧ « الوصل أم أضغاث أحلام » وفى م و ك « وأيامنا فيها »

(٦) ط « أيامه » (٧) فى ك « مثل ذلك »

(٨) صدره : « أطلت روعك حتى صرت لى غرضاً » كما فى ديوانه ٤٩٥ وشرح التبريزى المخطوط . ٧١٢

وقول البحترى :

فَجَاءَ مَجِيءَ الْعَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ إِلَى أَهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ تَدْمَى أَظَافِرُهْ[١]

أَوَ لم يسمع ما[٢] هو كالمجمع عليه من أن الْعَيرِ إذا رأى السبعَ أقبل إليه من شدة خوفه منه ، حتى صار مثلا يُتَمثل به ، كما يُتَمثل بالفَراشة إذا تهافَتَتْ فى النار ، وفى ذلك أشعار وأمثال كثيرة ، ما أظن علمَها سقط عن البحترى .

٥ ــ ومن ذلك قول أبى تمام :

هَيْهَاتَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ثَوَى بِالصِّينِ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصِّينُ[٣]

وقول البحترى :

يُضْحِى مُطِلاًّ عَلَى الأَعْدَاءِ لَوْ : «وَقَفُوا

بالصِّينِ فى بُعْدِها مَا استَبْعَدَ الصِّينا»[٤]

وهذا جارٍ على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل فى البعد بالصين ، وأن يوقعوا التهديد[٥] به ؛ فيقولوا : لو أنك بالصين لما بعدت علىّ ، فكيف لا يهتدى البحترى إلى مثل[٦] هذا ؟

٦ ــ ومن ذلك قول أبى تمام :

كأَنَّ بَنِى نَبْهانَ يَوْمَ وفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ[٧]

---

(١) ديوانه ٢٥١ وأهرت الشدقين : واسعهما

(٢) فى ك « بما »

(٣) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣/٣٢١ « لم يعلم : أى بابك الخرمى »

(٤) ك وط « لو وقعوا فى الصين من بعدها» . وفى ديوانه ٤/٢٢٠٣ المعارف « يمسى قريبا من الأعداء » وفى ط : « بالصين من بعدها » .

(٥) م « التهدد »

(٦) ليست فى ك

(٧) سبق ص ٧٢

وقول البحترى :

فَإذا لَقيتَهُمُ فَمَوْكِبُ أَنْجُمٍ زُهْرٍ وَعَبْدُ اللهِ بَدْرُ الْمَوْكِبِ(١)

وهذا معنى متقدِّم مبتذَل ،[قد](٢)جاء به النابغة وغيره ، وكثر على الألسُنِ حتى صار أشهر من كل مشهور(٣) .

وبيت أبي تمام خاصة فإنما سَرَقه على ساقته(٤) من مريم بنت طارق ترثى أخاها :

كُنَّا كأَنْجُمِ لَيْلٍ بَينَهَا قَمَرٌ يَجْلُوالدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنا الْقَمَرُ(٥)

[أو من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

أمسى بنوه وقد جَلَّتْ مصيبتهم مثل النجوم هوى ما بينها القمر](٦)

٧ – ومن ذلك قول أبي تمام :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حضِيضُ(٧)

وقول البحترى :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قائِمٍ فى كُلِّ نائِبةٍ وَجَدٌّ قاعِدِ(٨)

وهذان المعنيان جنسهما واحد ، ولفظهما مختلف ، وهما شائعان [فى الكلام](٩) وجاريان فى الأمثال ، يقال(١٠) : فلان عالى الهمة ، وهمته فى

---

(١) ديوانه ١٢٣

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « مشتهر »

(٤) ط « سياقه » وفى ك « سياقته »

(٥) سبق ص ٧٢ وفى ك « بيننا »

(٦) سبق ص ٧٢ وفى ك : « من بينها »

(٧) سبق ص ١٢٦

(٨) ديوانه ٤٦٤ « كل نازلة » وفى م « متحيز » وهو تحريف

(٩) زيادة من ط وك

(١٠) م و ك « بأن يقولوا »

الثريا وحاله فى الحضيض ، وفلان يسامى[1] بهمته [النجم] ولكن [قد] قعد به حَظُّه ، ونحو هذا من اللفظ ؛ فليس يجوز أن يَعْتَوِرَ هذا المعنى شاعران فيقال : [إن] أحدهما أخذ من الآخر .

٨ – ومن ذلك قول أبى تمام :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إِلَّا ... لِمَوْقُوفٍ عَلى تَرَحِ الْوَدَاعِ[2]

وقول البحترى :

مَا لِشَيْءٍ بَشَاشَةٌ بَعْدَ شَيْءٍ ... كَتَلَاقٍ مُواشِكٍ بَعْدَ بَيْنِ[3]

وهذا معنى مستفيض معروف ، ومنه قول الحجاج [بن يوسف][4] : لولا فَرْحَة الأَوبات لما عذبتهم[5] إلا بالأسفار .

وغرض كل واحد من هذين الشاعرين فى هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه ؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم إلا مَنْ شَجَاهُ وحَزَنه[6] التوديع .

وأراد البحترى أنه ليس شىء من المسرة والجذَل إذا جاء فى أثر شىء ما كالتلاقى[7] بعد التفرق .

فليس – وإن كان جنس المعنيين واحدًا – يصح[8] أن يقال : إن أحدهما

---

(١) ط « سام » .

(٢) ديوانه ١٩٣ وفى شرح التبريزى ٢/٣٣٦ « أى لم يعرف ترح الوداع من قولهم : وقفت فلانا على أمرى فهو موقوف عليه ، أى من لم يجد ألما للفراق لم يجد فرحا باللقاء »

(٣) ديوانه ٤٠٥ وطبع مصر ٢/٢٩٤ وفى ط « بين بعد »

(٤) من ط

(٥) ط « لما عرفتهم » وهو تحريف

(٦) ط « وأحزنه» وفى اللسان ١٦/٢٦٦ « حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ، وقد قرئ بهما »

(٧) م و ك « التلاق »

(٨) م و ك « وجب أن »

أخذ من الآخر : لأن هذا قد صار جارياً فى العادات ، وكثيرًا على الألسن ، فالتُّهمَةُ ترتفع عن أن يأخذه[1] واحد من آخر .

٩ – ومن ذلك قول أبى تمام :

لَهُمْ نَشَبٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سَمَاحٌ وَأَجْسَامٌ وَلَيْسَ لَهُمْ قُلوبُ[2]

وقول البحترى :

خَلْقٌ ممَثَّلَةٌ بِغَيْرِ خَلاَئِقٍ تُرْجى ، وَأَجْسَامٌ بِلا أَرْوَاحِ

وهذا المعنى[3] أيضاً هو أعْرَفُ فى كلامهم وأشْهَرُ من أن يحتاج شاعرٌ أن يأخذه من آخر ، وهم دائماً يقولون : ما فلان إلاّ شَبَحٌ من الأشباح ، وما هو إلاّ صورة فى حائط ، أو جسد فارغ ، ونحو هذا من القول الشائع المشتهر .

١٠ – ومن ذلك قول أبى تمام :

لاَ تَدْعُوَنْ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً لِلْخَطْبِ إلاّ أَنْ يَكُونَ جَلِيلا[4]

وقول البحترى :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ ! ومَا أَنْتَ بالْمَدْ عُوِّ إلاّ لِكُلِّ أَمْرٍ كُبارِ[5]

ونسى قولَ الناسِ : اخْتَرْ لعظيم الحوائج العظيمَ من الناس[6] ، ولكبار الأمور كبيرهم ، وقال رجل لابن عباس : إن لى إليك حاجة صغيرة ، فقال : اطلب لها رجلاً صغيرًا .

---

(١) ط « يأخذ أحد عن أحد »

(٢) م « لهم نسب » وهو تحريف

(٣) ط « وهذا الكلام »

(٤) ديوانه ٢٤٤ وشرح التبريزى ٣ / ٧٠

(٥) ديوانه ٤٤٦ والكبار : الكبير ، والبيت فى مدح أبى جعفر بن حميد

(٦) ك « عظيم الناس »

١١ ـ ومن ذلك قول أبي تمام :

بِيضٌ فَهُنَّ إذا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُوَرٌ ، وَهُنَّ إذا رَمَقْنَ صِوَارُ[١]

وقول البحترى :

أَنَّى لَحَظْتِ فَأَنْتِ جُؤْذَرُ رَمْلَةٍ وَإذا صَدَدْتِ فَأَنْتِ ظَبْيُ كِنَاس[٢]

وهذا يشبه[٣] أعين النساء بأعين البقر : ويمثلهن بالصِّوَار ، وبالظباء . وجُلّ كلام العرب عليه يجرى ؛ فلا يكون الشعراء فيه إلاَّ متفقين .

١٢ ـ ومن ذلك قول أبي تمام :

ولَقَدْ جَهَدْتُم أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ فإذا أَبَانٌ قَدْ رَسَا وَيَلَمْلَمُ[٤]

وقول البحترى :

وَلَنْ يَنْقُلَ الحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعدَمَا تَمَكَّنَ رَضْوَى واطْمأَنَّ مُتَالِعُ[٥]

وهذا المعنى أيضاً شائع من معانيهم[٦] ، وكثير فى أشعارهم ، ومنه قول الفرزدق :

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنا ثَهْلانَ ذا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ؟[٧]

---

(١) ديوانه ١٤٥ وفى شرح التبريزى ١٦٧/٢ « يقول : إذا رآهن الناظر فكأنهن صور من حسنهن ، وقوله : وهن إذا رمقن صوار ، أى عيونهن تشبه عيون بقر الوحش إذا نظرت »

(٢) ديوانه ٣٨٥ ، ١١٣٤/٢ « إما » وفى ط « أنى لحظت » وفى ك « إما لحظت » والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، كما فى اللسان ١٩٤/٥

(٣) ط و ك « تشبيه . . . تمثيلهن والظباء »

(٤) ديوانه ٢٧٤ وشرح التبريزى ٢٠٠/٣ وفى م « جهدتهم عن وجهدتم . . . » وهو تحريف. وفى ك « ولقد جهلتم عزه وجهدتم » وأبان ويلملم : جبلان ، كما فى معجم ما استعجم للبكرى ٩٥/١ ، ١٣٩٨/٤

(٥) ديوانه ٧٣ ورضوى ، ومتالع ـ بضم الميم ـ جبلان كما فى معجم ما استعجم ٦٥٥/٢ ، ١١٨١/٤

(٦) م « من معانيه » و ط « من أشعارهم »

(٧) ديوانه ٧١٧/٢ وفى اللسان ١٨٤/١٣ « ما يتحلل » أى ما يتحرك عن مكانه . وثهلان جبل باليمن أو بالعالية ، كما فى معجم ما استعجم ٣٤٧/١ وفى هامش ك : « الذى أعرف ثهلان ذو بالرفع »

وقوله يخاطب جريرًا [أيضاً] [١] :

* فَرُمْ حَضَناً فانْظُرْ مَتَى أَنْتَ ناقِلُهْ [٢] *

أفترى البحترى ما سمع بهذا [٣] من قول الفرزدق ولا من قول غيره فنقله كما سمعه أبو تمام فنقله ؟

١٣ – ومن ذلك قول أبى تمام :

وَفى شرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلُ صِدْقٍ لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ [٤]

وقول البحترى :

عَلَى أَنَّا نُوَكَّلُ بِالأَدَانِى وَتُخْبِرُنا الفُرُوعُ عَنِ الأُصُولِ

وهذا معنى شائع فى الكلام أيضاً ، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا : [إن] [٥] العروقُ عليها ينبتُ الشجر ، ومَنْ أشبه أباه فما ظلم ، والعَصَى [٦] من العُصَيَّة ، والغصن من الشجرة ، ودلَّتْ على الأم السَّخلَةُ ، ومثل هذا لا يكون مأخوذًا مستعارًا .

١٤ – ومن ذلك قول أبى تمام :

ولِذَاكَ قِيلَ : مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ ،وفِى بَعْضِ القُلوبِ عُيُونُ [٧]

وقول البحترى :

وَإِذا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْماً فسواء ظَنُّ امْرِئٍ وَعِيانُهْ [٨]

---

(١) زيادة فى ط

(٢) صدره كما فى ديوانه ٧٣٧ « فإن كنت ترجو أن توازن دارماً » وحضن جبل ، كما فى معجم ما استعجم ٢/٤٥٥

(٣) ط « سمع هذا . . . غيره حتى سمعه »

(٤) ديوانه ٢٨٩ وشرح التبريزى ٣/١٦٣

(٥) ديوانه ٣/١٦٧١

وتستولى الشكوك عليه مالم تخبر الأصول عن الفروع

(٦) الزيادة من ك

(٧) ديوانه ٣٢٩ وفى شرح التبريزى ٣/٣٢٦ « من قولهم : إن المؤمن ينظر بنور الله » وفى م « ولذلك »

(٨) ديوانه ٣١٩

وهذا أيضاً من الأمثال المشهورة المتداولة[1] السائرة ، وهو قولهم : ظنٌّ [العاقل] كيقين [غيره] ومنه[2] قول أوْس بن حَجَر :

الألمعيّ الذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّـ ... ـنَّ كأنْ قدْ رَأى وقَدْ سَمِعَا[3]

١٥ ـ و [من ذلك] قول أبي تمام :

لا نَجْمَ مِنْ مَعْشَر إلاّ وهِمَّتُهُ ... عَلَيْكَ دائرَةٌ يا أيُّها القُطبُ[4]

[وقول البحترى :

ما دارَ للمكْرُمَاتِ مِنْ فَلَكٍ ... إلا وزَاكِي أفْعَالِه قُطُبُهْ] [5]

وكأنه ما سمع قول الناس : فلان قُطْبُ هذا الأمر ، وعلى فلان مَدار القصة ، ونحو هذا من القول الذى يستغنى الإنسان بما جَرَى منه فى عاداته أن يستعيره من غيره .

١٦ ـ ومن ذلك قول أبي تمام :

وأقلُّ الأشْيَاء مَحْصُولَ نَفْعٍ ... صِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفَعَالُ مَرِيضُ[6]

وقول البحترى :

وَمَا لِمِثْلِي فِى القَوْلِ مِنْكَ رِضاً ... والْقَوْلُ فى الْمَجْدِ غَيرُ مَحْسُوبِ[7]

---

(١) ط « المشهورة المبذولة »

(٢) ط « ومن ذلك »

(٣) فى اللسان ٢٠٣/١٠ « قال الأزهرى : الألمعى : الخفيف الظريف . وأنشد قول أوس ابن حجر » والبيت فى الكامل ١٢٠٥/٣ ومعاهد التنصيص ١٨٢/١ وفى ك « يظن لك »

(٤) ديوانه ٥٠ وشرح التبريزى ٢٦١/١ وفى م « فى معشر »

(٥) ديوانه ١٩٨ وجاء فى ط مكان هذه الزيادة : « بقى بيت البحترى لم يذكره ، وهو هذا :

ودارت بنو ساسان طرا عليهم ... مدار النجوم السائرات على القطب »

وكان خليقاً بالشيخ محيى الدين أن يضع هذا الكلام فى هامش الكتاب أو يضعه بين علامتين ويشير إلى أنه من تعليق بعض القراء ، وليس من صلب الكتاب

(٦) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزى ٢٩٣/٢ وفى م « والفعال قريض » وهو تحريف

(٧) ديوانه ٦٦٥ « ولا لمثلى » وفى م « وما كمثلى » ٢٦٧/١ معارف

وأبو تمام زعَم أن رَوْنَق القول بالمواعيد لا يتحصَّل منه نفع إذا لم يكن فعال ، وجَعل الصحة فى القول والمرض فى الفعل[١] مثلين على[٢] الاستعارة .

والبحترى إنما[٣] ذكر أنه لا يرضى بالقول ؛ لأن القول لا يُحْتَسب به للماجد بغير فعل ؛ فالغرضان مختلفان ؛ والمعنى معنى واحد شائع جارٍ فى عادات الناس أن يقولوا[٤] : إنما زيد كلام ، وإنما عمرو قول بلا فعل . ومثل هذا – مع كثرته على الأَلْسُنِ – لا يقال : إنه مسروق .

١٧ – ومن ذلك قولُ أَبى تمام :

سَتَرَ الصَّنِيعةَ فَاسْتَمَرَّ مُلَعَّناً ... يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ[٥] الْمَظْلُومُ

وقول البحترى :

لَكَافِرٌ مِنْكَ فَضْلَ نُعْمَى ... وَسَتْرُ نُعْمَى الكَرِيمِ كُفْرٌ[٦]

فذكر أَبو تمام رجلا ذمَّهُ بِسَتْر الصنيعة[٧] ،وجعله مُلَعَّناً يدعو عليه النائل [المظلوم][٨] ، على الاستعارة .

والبحترى ذكر أن سَتْرَ النُّعمى كفر . وكِلَا اللفظين مستعملان[٩] شائعان [جاريان] على الأَلسن ؛ فلا يقال لمن تكلم بأَحد[١٠] اللفظين: إنه استعارهُ من آخر[١١]

---

(١) ط « فى الأفعال »

(٢) فى ط « فى »

(٣) ك « فإنما »

(٤) م « يقول »

(٥) ديوانه ٣٠١ وشرح التبريزى ٣/٢٩٣ «سرق الصنيعة فاستمر بلعنة». و فى ط « واستمر »

(٦) ديوانه ٧١ « لذاكر»

(٧) ك « يستره للصنيعة » –

(٨) زيادة من ط

(٩) م « مستعملين . . . ولا »

(١٠) ك « بأحدهما »

(١١) ط « من الآخر»

١٨ ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

شَهِدْتُ جسيماتِ العُلَى وَهُوَ غَائِبٌ   وَلَوْ كانَ أَيْضاً شَاهِدًا كانَ غَائِبَا[١]

وقول البحترى :

بَشِيرًا لَكُمْ فِيهَا نَذِيرًا لِغَيْرِكُمْ   لدى شاهِدٍ عَنْ مَوْضِعِ الفَهْمِ غائب[٢]

وهذا المعنى أيضاً جارٍ على الأفواه ، ومستعمل فى الكلام ، يعرفه العام[٣] كما يعرفه الخاص . وذلك قولهم :فلان شاهد كغائب ، وحاضر كمَنْ لم يحضر ، وفلان سَوَاء والعَدَمُ .

١٩ ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

دَعِينِى عَلَى أَخْلَاقِىَ الصُّمِّ لِلَّتى   هِىَ الوَفْرُ أَوْ سِرْبٌ تَرِنُّ نَوَادِبُهْ[٤]

وقول البحترى :

وَخْدُ القِلَاصِ يَرُدُّنِى لَكَ بالْغِنَى   فى بَعْضِ ذَا التَّطْوَافِ أَوْ يُرْدِينِى[٥]

وهذان المعنيان أصلُهما واحد ، وهو قول امرئ القيس :

* نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[٦] *

---

(١) ديوانه ١٧ وشرح التبريزى ١٤٩/١ وجسيمات العلى : ضخامها . وفى م « حسيمان » وهو تحريف

(٢) م « لكم فيه بدراً » وط « له شاهد . . . غائب » والذى فى ديوانه :

نصحتكم لو كان للنصح موضع   لدى سامع عن موضع النصح غائب
نذيراً لكم منه بشيراً لكم بـه   وما لى ،فى هاتين قولة .. كاذب

(٣) ط « العامة كما تعرفه الخاصة » .

(٤) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزى ٢٢٧/١ وفى م « التى» ويروى : « أخلاق الصميل» وهى جمع صامل ، وهو الصلب الشديد . يريد أنه إذا عزم على أمر لم يسمع قول العاذل ، فكأن أخلاقه صم على معنى الاستعارة . وقوله : للتى هى الوفر ، أى للرحلة التى تؤدينى إلى الوفر ، أى المال . والسرب : الجماعة من النساء . يقول : دعينى أرتحل فإما أن أتمول وإما أن يقوم على سرب نساء يندبن » .

(٥) ديوانه ٢١١ وقبله وهو المطلع :

ليس الزمان بمعتبى فـذرينى   أرمى تجهم خطبـه بجبينى

والبيت فى ديوانه.طبع مصر ٢٨٠/٢ وإن قال الشيخ محيى الدين : « لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر » ! ! والوخد : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو فى المشى. والقلاص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل ، بمنزلة الجارية الفتاة من النساء . البيت فى ديوانه ٢٢٣٣/٤ المعارف

(٦) صدره كما فى ديوانه ٧٢ « فقلت له لاتبك عينك إنما »

وشهرته وكثرة استعمال الناس إياه ، يغنى البحترى عن أن يقال : إنه أخذه أو استعاره .

٢٠ ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

كُحِلتُ بقُبحِ صُورَتِهِ فأَمْسى لَها إِنْسَانُ عَيْنِى فى السِّياق[1]

وقول البحترى :

شَكَوْتَ قَذًى بعَيْنِكَ بَاتَ يَدْمِى كأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إِلَى طمَاسِ[2]

وهذا أيضاً من المعانى التى تمنع شهرتُها وابتذالُ العامة والخاصة لها من أن يقال : [إنها مسروقة ، و][3] إن واحدًا يشتم[4] فيها بآخر .

* * *

١ ـ ومما جاء به « أبو الضياء » على أنه مسروق ، والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب ـ قول أبى تمام :

واقْسِمِ اللَّحْظَ بَيْنَنَا إِنَّ فِى اللَّحْـ ظِ لَعُنْوَانَ مَا يُجِنُّ الضَّمِيرُ[5]

وقال البحترى :

سَلَامٌ وَإِنْ كانَ السَّلامُ تَحِيَّةً فَوَجْهُكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِى المُسَلِّمَا[6]

وأبو تمام سأل مَنْ يُخَاطبه أن يُقْبِل عليه ، ويجعل قِسْطاً من النظر له ؛ لأن[7] إدامة النظر تدلُّ على المودة ، كما أن الإعراض يدل على البغضة[8] .

---

(١) ديوانه ٥٠١ وشرح التبريزى المخطوط ٧٢٦ « فأضحى » وهو فى هجاء ابن الأعمش
(٢) ديوانه ٧٣٦ وطماس : اسم المهجو
(٣) زيادة من ط
(٤) ط « اتم »
(٥) ديوانه ٣٩٨ وشرح التبريزى المخطوط ٧٣٤
(٦) ديوانه ١٢٨ ، ٢٠٨٩/٤ المعارف
(٧) ط « فإن »
(٨) ط « البغض »

والبحتريُّ إنما سَلَّم على الهيثم الغَنَوِى ، وذكر أن السلام تحية ، وأن وجهه لجماله وطلاقته يكفِى المسلِّم قبل رَدِّه [السلام] . والمعنيان مختلفان ، وليس لواحد[1] منهما من الدقة والغرابة ما ينسب أحدهما [إلى] أنه مَحْذُوٌّ[2] على الآخر أو مسروق [منه][3] .

٢ –ومن ذلك قولُ أبى تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ[4]

وقول البحترى :

مَفَازَةَ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ لِيَسْلُكَها فَرْدًا سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ[5]

فأبو تمام ذكر أن رَحْبَ صَدْرِ الممدوح و[أن] سَعَته تزيد على سعة الأرض ، فأسرف ،وأخطأ فى المعنى بما قدمت ذكره[6] فى باب خطئه فى المعانى .

والبحتريُّ ذكر سَعَة صدر الممدوح ، وجعل له مفازة على الاستعارة ، وذكر أنه لو تطرق لم يكن ليسلكها سُلَيكٌ الذى لم يكن [ليكبر][7] عليه سلوكُ أرض[8] وإن عَرُضت وطالت .

وإنما[9] أرادا جميعاً سعةَ صدر الممدوح ، كما جرت العادة بهذا الضرب

(١) لكوم « بواحد . . . من الدقة »
(٢) م « مجذو »
(٣) زيادة من ط
(٤) سبق ص ٢٠٣
(٥) سبق ص ٢٠٤ . . . وفى م « بسلكها »
(٦) ط « بما قد ذكرته . . . خطائه »
(٧) زيادة من ط
(٨) ط « الأرض »
(٩) ك وم « فإنما . . جمعاً »

من المدح ، فأفرطا ، ولكن سَلَكَ كل واحد منهما معنًى غير معنى صاحبه [كما ترى] (١) .

٣ – ومن ذلك قول أبي تمام :

إِنَّمَا البِشْرُ رَوْضَةٌ فإِذَا ما كانَ بِرٌّ فرَوضَةٌ وغَدِيرُ (٢)

وقول البحترى :

فَإِنَّ العَطاءَ الجَزْل ما لَمْ تُحَلِّهِ بِبِشْرِكَ مِثْل الرَّوْضِ غَيْرَ مُنَوَّرِ (٣)

فأراد (٤) أبو تمام [أن] البشر مع البر كالروضة والغدير .

وأراد البحترى أن العطاء متى (٥) لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور.

فليس بين المعنيين اتفاق إلا فى ذكر البشر والروض ، والألفاظ غير محظورة على أحد (٦) .

٤ – ومن ذلك قول أبي تمام :

وَإِنِّيَ مَا حُورِفتُ فِى طَلَبِ الغِنَى وَلكِنَّمَا حُورِفْتُمُ فِى المَكَارِمِ (٧)

وقول البحترى :

إِذَا ابْتَدَا بُخَلاءُ النَّاسِ عارِفَةً يَتْبَعُهَا المَنُّ فالمَرْزُوقُ مَنْ حُرِمَا (٨)

فأراد (٩) أبو تمام أنه ليس بمَحْدود ولا مُحَارَف فى ملتمساته ومطالبه ،

---

(١) زيادة من ط و ك

(٢) ديوانه ٣٩٨ وشرح التبريزى المخطوط ٧٣٤ « إن فى البشر . . كان ببذل » وفى ك « كان و بر »

(٣) ديوانه ٢٨٠ ، ٢ / ٨٩١ المعارف « وكان العطاء »

(٤) م و ك « وأراد »

(٥) ط « ما لم »

(٦) ط « واحد »

(٧) سبق ص ١٠٣ وفى م « ما جوزفت . . . العلى . . جوزفتم » وفى ك « العلى »

(٨) ديوانه ٥٢١ « إذا بدا »

(٩) م « وأراد . . . ولا مجازف »

ولكن الذى أَمَّهم[١] وطلب ما عندهم حُورِفوا[٢] فى مكارمهم . وأحسن فى المعنى واللفظ كلَّ الإحسان .

وأراد البحترى أن البخيلَ إذا امتنَّ بمعروفه فالمرزوق من حُرم ذلك المعروف.

فهذا المعنى غير معنى أبى تمام ، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب .

٥ ــ ومن ذلك قول أبى تمام :

إذا شَبَّ نَارًا أَقْعَدَتْ كُلَّ قائِمٍ ... وَقامَ لَها مِنْ خَوْفِه كلُّ قاعِدِ[٣]

وقول البحترى :

ومُبَجَّل وسَطَ الرِّجَالِ خُفُوفُهُمْ ... لِقِيامِه وَقِيامُهُمْ لِقُعُودِهِ[٤]

وليس أحد المعنيين من الآخر فى شىء ؛ لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شبَّ نار الحرب أقعدت كل قائم [أى كل قائم] لقتاله ومنابذته : أى[٥] تُزْعج كلَّ واحد خوفاً وفَرَقاً . وذلك مأخوذ من قول الفرزدق :

أَتانِى وَرَحْلِى بِالْمَدِينةِ وَقْعَةٌ ... لِآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كلَّ قائِمِ[٦]

وقوله : « وقام لها من خوفه كل قاعد » أى : [أنه] زال[٧] عن الطمأنينة [والهدوء] والقرَار فقام ، وإنما يريد انزعاج الخائف ؛ فجعل ذلك قياماً له.

والبحترى إنما[٨] ذكر أن الرجال [إنما][٩] يَخِفُّون لقيام ممدوحه ، أى :

---

(١) ك « أملهم »
(٢) م « أملهم . . . جوزفوا »
(٣) ديوانه ٣٦٦ وشرح التبريزى المخطوط ٦٣٦
(٤) ديوانه ٦٥٩
(٥) م وك « ومنابذته أو أراد الحجر لها كل أحد »
(٦) ديوانه ٢/٨٥٣
(٧) م « أزال »
(٨) م وك « فإنما »
(٩) زيادة من ط

يُسْرِعون بين يديه إذا قام ، فإذا قعد قاموا إجلالا وهَيْبَةً ، لأن[1] من شأنه أن لا يجلس أحد بجلوسه ، وأن يكون الناس كلهم قياماً إذا جلس .

فالمعنيان مختلفان ، وليس بينهما اتفاق إلا فى ذكر القيام والقعود ، والألفاظ مباحة .

٦ – ومن ذلك قولُ أبى تمام :

وَرُب يَوْمٍ كأَيَّامٍ تَرَكْتَ بِهِ ... مَتْنَ الْقَناةِ وَمَتْنَ القِرْنِ مُنْقَصِفَا[2]

وقول البحترى :

فِى مَعْرِكٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ القَنا ... بَيْنَ الضُّلُوعِ إذا انْثَنَيْنَ ضُلُوعا[3]

وليس بين المعنيين اتفاق إلا فى أن الشاعرين وصَفا حال الطعن بالقنا[4] كيف يقع ؛ فذكر ذلك أن ممدوحه يَقْصِفُ مَتْنَ القِرْن ومتن القناة ، وشَبَّه هذا انطواء الرماح واعوجاجَها – إذا وقعت[5] بضلوع القوم – باعوجاج ضلوعهم . وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة ، وهو المعنى الذى استغربه واستحسنه أبو تمام [لما أنشد البحترى محمد بن يوسف القصيدة ، وذلك أول اجتماعهما وتعارفهما] على ما يرويه الشاميون .

٧ – ومن ذلك قول أبى تمام :

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها ، قَلَّما تَعْـ ... ـرِفُ فَقْدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا[6]

---

(١) ط « وأن »

(٢) ديوانه ٢٠٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٧١ وفى م « منقضفا »

(٣) سبق ص ٩ وفى م وك « إذا انحنين »

(٤) م وك « القنا »

(٥) م « إذا وقفت »

(٦) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزى ١ / ١٦٦ وقبله :

وكعابا كأنما ألبستها ... غفلات الشباب بردا قشيبا

وفى ط « يعرف فقد »

وقول البحترى :

فَاضَلَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ عُسْرِىَ فِى ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَفَاضَلَتْ شُهُبُهْ[١]

وليس بين المعنيين تناسب [ولا تقارب] ؛ لأن أبا تمام ذكر أن موضع فقدها بَانَ ، وأنه[٢] قليلا ما يعرف فقد الشمس إلا بعد غروبها . وهذا جارٍ فى عادات الناس واستعمالهم ، أن يقولوا : لا تَعْرف فضل الإنسان حتى تفقده ، ولا تَعرف فضل[٣] العافية إلا عند البَلِيَّةِ ، [ولا] قَدْرَ الدرهم إلا عند الحاجة [إليه].

والبحترى أراد أن عُسْرَه بَيْنَ له عن مراتب إخوانه ، وفَضْل بعضهم على بعض [فى معونته وبرّه ، كما تتفاضل الشهب فى ظلمة الليل وبين[٤] فضل بعضهم على بعض] ، وأراد بالشهب الكواكب . وهذا معنى لطيف جدًّا ، [و] ليس من معنى[٥] أبى تمام فى شىء .

* * *

[هذا][٦] ، ومما ادعى فيه «أبو الضياء» على البحترى السَّرِقَة والاتفاق فى أكثر ذلك إنما[٧] هو فى الألفاظ التى ليست بمحظورة على أحد ، وقد مضى فيما قبل من هذا الباب أبيات .

١ ــ فمن ذلك قول أبى تمام :

إِنَّ الصَّفائحَ مِنكِ قدْ نُضِدَتْ عَلى مُلْقَى عِظامٍ لَوْ عَلِمْتِ عِظامِ[٨]

---

(١) ديوانه ١٩٨ « الإخوان عدمى» وفى م « إخوانى .. وعن » وفى ك « وعن ظلماء »

(٢) ط « وأنه قلما »

(٣) ك « قد »

(٤) ط « ويبين »

(٥) ط «من معانى »

(٦) زيادة من ط

(٧) ط « فى ذلك أكثر فإنما هو من الألفاظ .. محظورة »

(٨) ديوانه ٢٧٥ وقبله :

ياتربة المعصوم تربك مودع ماء الحياة وقاتل الإعدام

وفى شرح التبريزى ٣/٣٠٣ « ياحفرة » وفى م « نضدت لمحامع إلى » وهو تحريف

وقول البحترى :

مَسَاعٍ عِظامٌ لَيْسَ يَبْلى جَدِيدُهَا وَإنْ بَلِيَتْ مِنْهُمْ رَمَائمُ أَعْظُمِ[١]

فأراد[٢] أبو تمام أن عِظام الرجل الذى رثاه عظام[٣] القدر .

وأراد البحترى أن مساعى القوم عظام لا يبلى جديدها وإن بَلِيَتْ عظامهم .

وليس ههنا اتفاق إلا فى لفظ العظام لا غير .

٢ – ومن ذلك قول أبى تمام :

لا يَدْهَمَنَّكَ من دَهْمائِهِمْ عَدَدٌ فإنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كلَّهم بَقَرُ[٤]

وقول البحترى :

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِى مِنْ مَقَاطِعِهَا وَما عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ[٥]

فأراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر إلى كثرة عددهم ، فإن أكثرهم بقر.

وذكر البحترى أن عليه أن يُجيد القول ، وليس عليه أن تفهمه البقر .

وما ههنا [أيضاً] اتفاق إلا فى لفظ[٦] البقر .

٣ – ومن ذلك قول أبى تمام :

* لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقولَ وَتَفْعَلا[٧] *

---

(١) ديوانه ٤٨٧ ، ٣ / ١٩٤٨

(٢) م « وأراد . . . الذى رباه »

(٣) ط « عظيم »

(٤) ديوانه ١٥٠ وشرح التبريزى ٢/١٨٦ « فإن جلهم » أو « كلهم » وفى ط « أو جلهم » من دهمائهم : أى من جماعتهم .

(٥) سبق ص ٣٢٣ .

(٦) ط « لفظة » .

(٧) عجزه كما فى ديوانه ٢٥٢ وشرح التبريزى ٣/٩٨ — : « ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا » أى لقد هان علينا أن نسأل بالقول ، وتعطى أنت بالفعل ، ونمدحك ببعض ما فيك من الفضائل وتكافئنا بالإفضال علينا »

وقول البحترى :

إنَّ الخليفةَ لَيْسَ يَرْقُبُ فى الَّذِى حاوَلْتُ إلَّا أنْ نَقُولَ ويَفْعَلا[١]

والاتفاق ههنا إنما هو فى القول والفعل[٢] .

٤ – ومن ذلك قول أبى تمام :

ومَا يَوْمُ زُرْتَ اللَّحْدَ يَوْمُكَ وَحْدَهُ عَلَيْنَا ، ولٰكِنْ يَوْمُ زَيْدٍ وحاتِمِ[٣]

وقول البحترى :

بأَبْيَضَ وَضَّاحٍ كَأَنَّ قَمِيصَهُ يُزَرُّ عَلى الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحاتِمِ[٤]

أَفَتَرى البحترى ما سمع بذكر زيد الخيل ولا[٥] حاتم الطائى اللذين تَفْخَرُ بهما اليمن كلها ، فيشبه ممدوحه بهما – إلا من بيت أبى تمام ؟

٥ – ومن ذلك قول أبى تمام :

لَعَمْرُكَ مَا كَانوا ثَلاثَةَ إخْوَةٍ وَلكِنَّهُمْ كانوا ثَلاثَ قَبَائِلِ[٦]

وقول البحترى :

كانُوا ثلاثَةَ أَبْحُرٍ أَفْضَى بهِمْ وَلَعُ الْمَنُونِ إلَى ثَلاثَةِ أَقْبُرِ[٧]

فجعلهم أبو تمام ثلاثَ قبائل ، وجعلهم البحترى ثلاثة أبحر .

---

(١) ديوانه ٣ / ١٨٧٧ « طالبت . . تقول فيفعلا » م « أن يقول »

(٢) م « وهو فى يقول ويفعلا »

(٣) ديوانه ٣٨٦ وشرح التبريزى المخطوط ٦٥٥ « يوم عمرو وحاتم » والبيت فى رثاء هاشم ابن عبد الله الخزاعى

(٤) ديوانه ٤٤٨ « بأروع من طى كأن »

(٥) م و ك « وحاتم »

(٦) ديوانه ٣٨١ وشرح التبريزى المخطوط ٦٥٠ ثلاثة أخوة ، يعنى بهم أبا نصر محمداً وهو الأكبر ، ومحمدا وقحطبة ، بنى حميد .

(٧) ديوانه ٦٨٠ ، ٢ / ١٠٣٢ « أفضى بها » .

وليس ههنا اتفاق إلا فى لفظ[١] ثلاثة .

٦ ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

كَساكَ مِنَ الأَنْوَارِ أَبْيَضُ ناصِعٌ   وأحمــر قانٍ وأَصْفَرُ فاقِعُ[٢]

وقول البحترى :

مِنْ وَاضِحٍ يَقَقٍ وأَصْفَرَ فاقِعٍ   وَمُضَرَّجٍ جَسَدٍ وأَحْمَرَ قانِى[٣]

أفترى البحترى لم يكن ليهتدى إلى أصفر فاقع وأحمر قانٍ لولا بيت أبى تمام ؟

٧ ـ ومن ذلك قول أبى تمام :

لَوْلَا مُرَاقَبَةُ فيكمْ لَغَادَرَكُمْ   فَرِيسَةَ الْمُرْهَفَيْنِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ[٤]

وقول البحترى :

زِنْتَ الْخِلَافَةَ إِشْرَافاً وحِيطَةً   وَذُدْتَ عَنْ حَقِّها بالسَّيْفِ والْقَلَمِ[٥]

وكذلك أيضاً لم يكن البحترى يهتدى إلى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما [له] أبو تمام !

---

(١) ط « فى ذكر »

(٢) سبق ص ٣٠٦ باختلاف . وقد سقط من شرح التبريزى المخطوط . وفى م و ك « وأحمر ساطع »

(٣) ديوانه ٦٢٦ ومضرج : أى ملطخ ، والجسد : الدم ، كما فى اللسان ٤/٩٤

(٤) ديوانه ٢٧٠ وشرح التبريزى ٣/١٩١ « لولا مناشدة القربى لغادركم حصائد » ويروى : « لولا مناشدة فيكم »

(٥) ديوانه ٦٥٤ « سست الخلافة .. عن حوضها » وفى ط « إشرافا وقد حبطت » وفى م و ك « إشراقا »

٨ ــ ومن ذلك قول أبي تمام :

أَبَى لِيَ نَجْرُ الْغَوْثِ أَنْ أَرْأَمَ الَّتِي　　أُسَبُّ بِهَا ، وَالنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ(١)

وقول البحترى :

سَيِّدٌ نَجْرُ الْمَعَـالِي نَجْرُهُ　　يَمْلِكُ الْجُودُ عَلَيْهِ ما مَلَكْ(٢)

وقد كان ينبغى لأبى الضياء أن لا يُخَرِّج مثل هذا فى السَّرق ، ولا يَفْضَح نفسه .

٩ ــ ومن ذلك قول أبى تمام :

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ فِى طَلَبِ الْعُلَى　　وَالْمَجْدِ ثَمَّةَ تَسْتَوِى الأَقْدَامُ(٣)

وقول البحترى :

حُزْتَ الْعُلَى سَبْقاً ، وَصَلَّى ثانِياً　　ثُمَّ اسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ الأَقْدَامُ(٤)

١٠ ــ ومثله قول أبى تمام :

فِى غَذَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كانَ فِيهَا　　نَاضِرُ الرَّوْضِ لِلسَّحَابِ نَدِيمَا(٥)

---

(١) ديوانه ٤٧٥ « بحر الغوث » وشرح التبريزى المخطوط ٧٧٥ وفى م « لى بحر . . . التى أبت بها والبحر . . البحر » قال التبريزى : «النجر : الأصل . والغوث من طىء» وكل من لزم شيئا وألفه وأحبه فقد رئمه

(٢) ديوانه ٤٠٨ وسيد : يريد به عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

(٣) ديوانه ٢٨٢ وقبله :

فبنو أبيك على نفاسة قدرهم　　فيهم وأنهم هم الأعـلام

وفى شرح التبريزى ١٥٨/٣ « متوطئو » ، يقول : أنت المقدم فى طلب العلى ، وعشيرتك يقتدون بك ويطئون على عقبيك ، ثم يتقارب التفاضل بين الناس »

(٤) ديوانه ٤٨٩ /٣/ ١٩٥٢ وفى م « جزت . . . من بعدك الأقوام »

(٥) شرح التبريزى ٣/ ٢٣٠ وفى ديوانه ٢٩٣ و م و ك « فى غذاة » والغذاة : أرض طيبة التراب بعيدة من الماء ، ولذلك قالوا : أرض غذية ، أى أنها لا تحتاج إلى السقى لأنها لا تفتقر إلى ذلك . ومهضوبة : أى قد أصابتها هضبة من المطر ، أى دفعة منه

[وقول البحترى :

قد تَعـالَتْ بك المُروءَةُ حتى قد حَسِبْناكَ لِلسِّماكِ نَدِيمَا] [١]

وما يَجعل مثل هذا مسروقاً إلا مَنْ لا معرفة له بجلىّ المعانى فضلاً عن خفيها .

١١ ــ ومن ذلك قول أبى تمام يصف الفرس :

مِنْ نَجْلِ كلِّ تَلِيدَةٍ أعراقُهُ طِرْفٍ مُعِمٍّ فِى السَّوابِقِ مُخْوِلِ [٢]

وقول البحترى :

وَافِى الضُّلوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمٍّ مُخْوِلِ [٣]

وما فى « معمٍّ مخول » من الغرابة حتى يتلقنه البحترى من أبى تمام على كثرته [٤] على الألسن ، وقول الناس فى مدح الفرس : كريم الآباء والأمهات ، وشريف الأنساب ، [ونحو هذا] ؟

١٢ ــ ومن ذلك قول أبى تمام :

فأَذْرَتْ جُماناً مِنْ دُمُوعٍ نظامُهَا عَلَى الْخَدِّ إِلَّا أَنَّ صَائِغَها الشُّفْرُ [٥]

---

(١) ديوانه ٢٧٤ « بك المآثر حتى » وفى م « حبسناك »

(٢) ديوانه ٢٣٥ وشرح التبريزى ٣/٤٣ والمراد بالتليدة هنا : الناقة الأصيلة الموروثة عن الآباء وطرف : كريم النسب كثير الآباء إلى جده الأكبر . وفى اللسان ١٥/٣١٨ « والعرب تقول : رجل معم مخول : إذا كان كريم الأعمام والأخوال كثيرهم ، قال امرؤ القيس * بجيد معم فى العشيرة مخول * »

(٣) ديوانه ٧٣١ وفى نقده يقول الباقلانى فى إعجاز القرآن ٣٤٨ ــ : « نبل المحزم مما تمدح به الخيل ، فهو لم يأت فيه ببديع . وقوله : يشد عقد حزامه ، داخل فى التكلف والتعسف لا يقبل من مثله وإن قبلناه من غيره ، لأنه يتتبع الألفاظ وينقدها نقداً شديداً ، فهلا قال : يشد حزامه ، أو يأتى بحشو آخر سوى العقد ؟ فقد عقد البيت بذكر العقد . ثم قوله : يوم اللقاء ، حشو آخر لا يحتاج إليه »

(٤) م « على كثرة » وفى ك « على كثرة ذكره »

(٥) شرح التبريزى المخطوط ٧٧٤ وفى ديوانه ٤٧٤ « فأبدت » و م و ك « وأذرت . . . نظامه . . . صائغه الشفر » وفى الديوان وشرحه « على الصدر »

وقول البحترى :

جَرَى فِى نَحْرِهَا مِنْ مُقْلَتَيْها جُمَانٌ يَسْتَهِلُّ عَلَى جُمَانِ[1]

فالاتفاق ههنا إنما هو فى لفظ «جُمَانٌ» وقول ذاك[2] : «نظامها[3] على الخد» وقول هذا : «جرى فى نحرها» لا[4] يقتضى أن يكون أحدهما مأخوذًا من الآخر ؛ لأن الدمع على الخد يجرى[5] ، وإلى النحر يَصِل . وهذه حال لا يجهلها أحد ممن[6] وصف الدمع .

١٣ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَهَلْ لِلْقَرِيضِ الْغَضِّ أَوْمَنْ يَحُوكهُ عَلَى أَحَدٍ — إلا عَلَيْكَ — مُعوَّلُ[7]

وقول البحترى :

وَعَلَيْكَ سُقْيَاهُمْ لَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِى نَوْمَةٍ إِلَّا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ[8]

فحظَر على البحترى لفظة «معول» وحرَّمها عليه من أجل أن أبا تمام لفظ بها !

١٤ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَإِذا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكأَنَّها مِنْ مَالِهِ[9]

---

(١) ديوانه ٢١٢ ويستهل : ينصب بشدة

(٢) ط «ذلك»

(٣) م و ك «نظامه»

(٤) ط «فلا»

(٥) ط «جريه»

(٦) م و ك «من»

(٧) ديوانه ٢٤٥ وشرح التبريزى ٧٤/٣

(٨) ديوانه ٦٦٦ وفى طبعة مصر ٣٠٩/٢ وإن قال الشيخ محيى الدين : «لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر» !

(٩) وشرح التبريزى ٦٠/٣ وقد سبق ص ٧١ . وفى ك «أهدى إلى» .

وقول البحترى :

حَازَ حَمْدِى ، وَلِلرياحِ اللَّواقِى تَجْلِبُ الْغَيْثَ مِثلُ حَمْدِ الْغيُومِ [١]

فمعنى أبى تمام مشترك بين الناس ، وليس مخترعاً [له] : لأنك تسمع أبدا قول القائل - إذا بلغ حاجته بشفاعة - أن يقول للشفيع : ما أعتدُّ هذا إلا من الله ومنك ، فليس لأبى تمام فيه شىء أكثر من أن عَبَّر عنه [٢] بعبارة حسنة مكشوفة ، فالبحترى لم يأخذ المعنى منه ؛ لأنه فى العادات موجود ، ولكنه أبدع [٣] فى التمثيل ، وأغرب وأحسن .

* * *

(١) ديوانه ٤١٩ ، ٤ / ٢٠٧٢ المعارف وفى م و«حاز شكرى»
(٢) ط «عبر فيه»
(٣) ط «أحسن . . . وأبدع»

وهذا الآن ما أخطأ فيه البحترى من المعانى

١ – قال البحترى :

ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ[1]

هذا خطأٌ من الوصف ؛ لأن ذَنَب الْفَرَس – إذا مس الأَرض – كان عيباً ، فكيف إذا سَحَبه . وإنما الممدوح من الأذناب ما قَرُبَ من الأرض ولم يمسَّها ، كما قال امرؤ القيس :

* بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ[2] *

فقال « فويق » أى : فوق الأَرض بقليل .

وقد عِيبَ[3] على امرئ القيس قوله :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعَرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَها مِنْ دُبُرْ[4]

---

(١) سقط من ديوانه طبع بيروت وهو فى طبعة المعارف ٣/ ١٧٤٦ وفى إعجاز القرآن ٣٥٢ « البيت وحسن الابتداء منقطع عما سبقه من الكلام . . وكان يحتاج أن يقول : ذنب كالرداء ، فقد حذف والوصل غير متسق ولا مليح . . . ثم قوله : كما سحب الرداء ، قبيح فى تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم فى العبارة إلا على إضمار أنه ذنب يسحبه كما يسحب الرداء . وقوله : يذب عن عرف ، ليس بحسن ولا صادق ، والمحمود ماذكره امرؤ القيس ، وهو قوله : * فويق الأرض ليس بأعزل * » .

* نقل البغدادى فى الخزانة ٢١/٤ هذا الكلام إلى قوله : « وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يمس الأرض »

(٢) ديوانه ١٣٤ وشرح المعلقات العشر ٤٤ وصدره : « ضليع إذا استدبرته سد فرجه » وفى المعانى الكبير ١ / ١٤٩ « ضاف : سابغ ، سد فرجه : أى فرج ما بين فخذيه ، يريد كثرة الذنب . والعزل : أن يعزل ذنبه فى أحد الجانبين ، وذلك عادة لا خلقة »

(٣) ك « عيب امرؤ القيس بقوله »

(٤) ديوانه ٨١ . وانظر ما سبق ص ٣٨ و ٢٧٣

وما أرى العيب يلحق[١] امرأ القيس في هذا ؛ لان العروس وإن كانت تسْحَبُ ذيلها ، وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض فهو عيب ؛ فليس بمُنكر[٢] أن يشبه الذنب به [و] إن لم يبلغ [إلى] أن يمس الأرض ؛ لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قاربه[٣] ، أو دنا[٤] من معناه ، فإذا شابهه[٥] في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ، ولَاقَ به . ولان[٦] امرأ القيس لم يقصد طولَ الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط ، وإنما أراد السبوغ[٧] والكثرة والكثافة . ألا تراه قال : « تسد به فرجها من دُبُرْ » .

وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ، بل [قد] يكون رقيقاً[٨] نَزْرَ الشعر خفيفاً فلا يسد فرج[٩] الفرس ، فلما قال : « تسد به فرجها » علمنا أنه [إنما] أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإذا أشبه[١٠] الذنبُ الطويلُ [ذيلَ العروس][١١] من هذه الجهة ، وكان في الطول قريباً منه ؛ فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب ، ولا أن يكون ذنبُ الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضاً أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض .

---

(١) ط « لحق . . . العروس إذا كانت »
(٢) ط « ينكر »
(٣) ط « إذا قرب منه »
(٤) م « أو ضامن »
(٥) ط « فإذا أشبهه »
(٦) م و ك « لأن امرؤ »
(٧) م « الشيوع »
(٨) م و ك « دقيقاً » والزيادة من ك
(٩) ك « فروج »
(١٠) ط « فإنما »
(١١) زيادة من ط

وإنما العيب[١] فى قول البحترى : «ذنبٌ كما سُحِب الرداء» فأفصح بأن الفرسَ يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قولُ خِدَاش بن زُهَير :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْل الْهَدِيِّ إِلَى جُؤْجُؤٍ أَيِّدِ الزَّافِرِ[٢]

الهدىّ : العروس التى تُهْدَى إلى زوجها ، وأَيِّد : شديد ، والزافر : الصدر ؛ لأنها تزفر منه . وإنما أراد[٣] بذيل العروس طولَه وسُبُوغَه ، فشبه الذنبَ [الطويل] السابغ به ، وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يَمَسَّ الأَرض .

ومما يصحح[٤] ذلك قولهم : فرسٌ ذَيَّال ؛ إذا كان طويلا طويل الذنب ، وإن[٥] كان قصيرًا طويل الذنب قالوا : ذائل[٦] ، وإنما قالوا ذلك تشبيهًا للذنب بالذيل لا غير ، قال النابغة [الذبيانى] :

بِكلِّ مُدَجَّج فى البَأْسِ يَسْمُو إلى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ[٧]

رفنّ ورفلّ واحد ، وهو : الطويل الذنب .

وقد استقصيت الاحتجاج لصحة بيت[٨] امرئ القيس فيما بينته من سهو [أبى العباس عبد الله][٩] بن المعتز فيما ادعاه على امرئ القيس من الغلط ، فى كتابه الذى جمع فيه «سرقات الشعراء» .

---

(١) م «وإنما أجيب»
(٢) المعانى الكبير ١ / ١٤٩
(٣) ط «فإنما»
(٤) م «يصح»
(٥) ط «فإذا»
(٦) فى المعانى الكبير ١ / ١٥٠ بعد ذلك : «والأنثى ذائلة»
(٧) المعانى الكبير ١ / ١٥٠ وفى م و ك «فى الناس» وفى ط وديوانه ١٩٠ «كالليث»
(٨) ط «لبيت»
(٩) زيادة من ط

٢ ـ وقال البحترى :

هَجَرَتْنا يَقْظَى وكَادَتْ عَلَى عَا دَاتِها فِى الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى[١]

وهذا [أيضاً] عندى غلط ؛ لأن خيالها يَتمثَّلُ له فى كل أحوالها ، كانت يقظى أو وَسْنَى [أو ميتة] . والجيد قوله :

أَرُدُّ دُونَكِ يَقْظاناً ، ويَأْذَنُ لِى عَلَيْكِ سُكْرُ الكرى إنْ جِئْتُ وَسْنانَا[٢]

فصحح المعنى وأتى به على حقيقته .

وكذلك قوله :

إذا ما تَبادَلْنا النَّفائِسَ خِلْتَنَا مِنَ الجَدِّ أَيْقاظاً ونَحْنُ نِيامُ[٣]

وقوله :

* نُعذَّبُ أَيْقاظاً وَنَنْعَمُ هُجَّدًا[٤] *

جيد أيضاً ؛ لأنه حملها[٥] على أن حالها مع خياله إذا نامت كحاله مع خيالها إذا نام ، وإن كان واحد منهما ينعَم منفردًا[٦] مع خيال صاحبه ؛ لأنهما ينعمان معاً فى حال واحد[٧] إذا نام أحدهما فرأى خيال الآخر .

وإنما أخذ معنى بيته الأول ـ وعليه بنى أكثر أوصافه للخيال ـ من[٨] قول قيس بن الخطيم :

---

(١) ديوانه ٢١٤٣/٤،٣٥٧ المعارف وأمالى المرتضى ٥٤٤/١ وطيف الخيال ٣٤ وفى م « وكانت »

(٢) سبق ص ٣١٤ .

(٣) فى ديوانه ٣٦٣ « ما تباذلنا » وأمالى المرتضى ٥٤٤/١ وهو فى طيف الخيال ٧٠

(٤) ديوانه ١٣٣ وصدره « ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا » .

(٥) م « حلمه لأن » وفى ك « حمله »

(٦) ط « مفرداً »

(٧) ط و ك « واحدة »

(٨) م « فى قول »

أَنِّي سَرَبْتَ وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبِ ... وَتُقَرِّبُ الأَحْلامُ غَيْرَ قَرِيبِ[1]
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ ... فِى النَّوْمِ غَيْرَ مُصرَّدٍ مَحْسُوبِ

وما أظن أحدًا سبق قيساً إلى هذا المعنى فى وصف الخيال ، وهو حسن جدًّا ، ولكنْ فيه أيضاً مقال لمعترض . وذلك هو الذى أوقع البحترى فى الغلط ؛ لأن قيساً قال : « ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه فى النوم » فأراد أنها أيضاً تؤتيه[2] نائمة ، وخيال المحبوب يتمثل فى حال يوم المحبوب[3] ويقظته كما ذكرت .

وكان الأجود لو قال : ما تمنعى فى اليقظة فقد تؤتينه فى النوم : أى ما تمنعينه فى يقظتى فقد تؤتينيه فى حال نومى ، حتى يكون النوم واليقظة معاً منسوبين[4] إليه ، إلا أنه يتسع من التأول[5] [فى هذا] لقيس ما لا يتسع للبحترى ؛ لأن قيساً قال : «فقد تؤتينه فى النوم »[ولم يقل : فقد تؤتينه نائمة] فقد يجوز أن يُجْعل[6] على أنه أراد ما تمنعى يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه فى [النوم ، أى فى] نومى . ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى ؛ لأن البحترى قال «وَسْنَى » ولم يقل فى الوسن[7] .

---

(١) ديوانه ٥» وأمالى القالى ٢/٢٧٣ وطيف الخيال ٣٦ وزهر الآداب ٢/٨٨٠ وأمالى المرتضى ٢ / ٣٩٣ ، ٥٤١ وحماسة ابن الشجرى ١٨٩ وغير سروب أى غير مبعدة

(٢) م « تؤتينه »

(٣) ط « المحب »

(٤) ط « منسوبة »

(٥) ط « التأويل »

(٦) ك « يحمل »

(٧) قال الشريف المرتضى فى أماليه ٢ / ٢٤٥ « وقد يمكن من التأويل للبحترى ما أمكن مثله لقيس ؛ لكن الآمدى قد ذهب عن ذلك ؛ لأن البحترى لما قال : وسنى ، دل على حال الوسن ، والحال =

٣ ـ وقال البحترى فى مدح المعتز بالله :

لا الْعَذْلُ يَرْدَعُهُ وَلا الـ ـتَّعْنِيفُ عَنْ كَرَم يصُدُّهْ[1]

وهذا عندى من أهجى[2] ما مدح به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفة أو يصُده ؟ إن هذا ابالهجو أولى منه بالمدح .

٤ ـ وقال البحترى :

تَشُقُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ كلَّ عَشِيَّةٍ جُيُوبَ الْغَمَامِ بَيْنَ بِكْرٍ وَأَيِّمِ

وهذا أيضاً غلط ؛ لأنه ظن أن الأيم هى الثيب ، وقد غلط فى مثله أبو تمام ، وذكرته فى أغاليطه ، وسها أيضاً فيه «بعضُ كبار الفقهاء[3]» فظن البحترى أن الأيم هى الثيب ، فجعلها فى البيت ضدَّ البكر . والأيم : هى التى لا زوج لها ، بكرًا كانت أو ثيباً ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ﴾[4] أراد جل ثناؤه اللواتى لا أزواج لهن ؛ والثيب والبكر جميعاً داخلتان تحت الأيِّم[5] فتكون بكرًا وتكون ثيباً .

[فإن قيل : إن الأيم قد تكون ثيباً وإنما أراد الثيب .

= المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها فى النوم بالعادة ، كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة ؛ فقوله : وسنى ، ينبئ عن كونه هو أيضاً نائما ؛ وإنما أراد المقابلة فى زنة اللفظ بين يقظى ووسنى . وقوله : يقظى ، متى لم يحمل أيضا على هذا المعنى لم يصح ؛ لأنه لابد أن يريد بذلك : هجرتنا فى أحوال اليقظة ، ويكون معنى يقظى يتعدى إليه ؛ ألا ترى أن الآمدى حمل قول قيس : يقظى على معنى : وأنا يقظان ، وإن لم يبين الوجه ، فكيف ذهب عليه مثل ذلك فى قول البحترى ! وقوله : وسنى ويقظى مثل قول قيس : يقظى ، ولو مكن قيسا وزن الشعر من أن يقول : وسنى فى مقابلة يقظى لقاله وما عدل عنه إلى النوم؛ لأنه لم يكن عليه فى « وسنى » إلا ما عليه فى « يقظى » وما يتأول له فى أحد الأمرين يتأول له فى الآخر » وقد كرر هذا الكلام بنصه فى كتابه طيف الخيال ٣٥

(١) ديوانه ٦٣٣

(٢) ط « أهجن »

(٣) يقصد الشافعى ، كما سبق بيانه فى ص ١٦٩

(٤) سورة النور : ٣٢

(٥) م « تحت الآية قد تكون بكراً وقد تكون ثيبا . . . إنما أراد الثيب »

قيل : أجل إنها تكون ثيباً] وتكون بكرًا ومعنسة [أيضاً] وكعابا ، إلا أن لفظة «أيم» لا تدل[١] على شيء من هذه الأوصاف ، وليست عبارة[٢] إلا عن التى لا زوج لها لا غير ، وقد شرحت هذا المعنى شرحاً شافياً فى غلط أبى تمام[٣] .

٥ ــ وقال البحترى :

شَرْطِيَ الإنْصَافُ إنْ قِيلَ اشْتَرِطْ ... وَصَدِيقِي مَنْ إذا صافَى قَسَطْ[٤]

وكان يجب أن يقول « أقسط » أى[٥] : عَدَلَ ، وقَسَط ــ بغير ألف ــ [إنما] معناه جار .

[قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكانوا لِجَهَنَّمَ حَطباً[٦] ﴾ وقال : ﴿ إنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِين ﴾[٧]][٨] .

٦ ــ وقال البحترى :

صِبْغَةُ الأُفْقِ بين آخِرِ لَيْلٍ ... مُنْقَضٍ شَانُهُ وأَوَّلِ فَجْرِ[٩]

يصف فرساً أشقر أو خلوقيًّا ، والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر ، وهو عندى[١٠] فى هذا غالط ، لأن أول الفجر الزرقة ، ثم البياض ،

(١) ط « لا تزول عن »
(٢) م « عبارة الأيم إلا عن » وفى ك « عبارة الأيم إلا عبارة عن »
(٣) راجع ص ١٦٨ – ١٦٩
(٤) ديوانه ٧٤١ « وخليل » وفيه ٢ / ١٢٢٧ « لو قيل : اشترط وعدوى » وفى ط « إذا قال »
(٥) م و ك « إذا »
(٦) سورة الجن : ١٥
(٧) سورة المائدة : ٤٢
(٨) زيادة من ط
(٩) ديوانه ٣٧٢
(١٠) م « عندى غلط فى هذا . . الفجر البياض ثم الزرقة » وهو تحريف

ثم الحمرة عند بدوّ قَرْنِ الشمس ، كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة ، ثم البياض ، ثم الزرقة وهى آخر الشفق . و [قد] قال البحترى :

وَأَزْرَقُ الْفجرِ يبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ رَشٌّ ثمَّ يَنْسَكِبُ[١]

وقال آخر :

وأَنْ يَسْجَعَ القُمْرِىُّ فيها إذا غَدَا بركبانها قَرْنٌ مِنَ الشمسِ أَزْرَقُ[٢]

وكأن البحترى أراد أن يقول : بين آخر ليل منقض شأنه وأول نهار ؛ فيكون قد قابل بين الليل والنهار ، والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول النهار ، كما تكون بين آخر النهار وأول الليل ؛ فقال : «وأول فجر»[٣] [ضرورة] .

والجيد فى [مثل] هذا [المعنى] قول أبى تمام يصف فرساً أشقر :

[ضُمِّخَ منْ لَوْنِه فجاء] كأَنْ قَدْ كُسِفَتْ فِى أَدِيمِهِ الشَّمسُ[٤]

٧ ــ وقال البحترى :

قِفِ العِيسَ قَدْ أدنى خُطاهَا كَلاَلُها وَسَلْ دَارَ سُعْدى إنْ شَفَاكَ سُؤالها[٥]

هذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد : لأنه قال : «قد أدنى خطاها كلالها» أى قارَبَ من خطوها الكَلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التى تعرَّض لأن يشفيه سؤالها ، وإنما وقف لإعياء المطىّ .

---

(١) ديوانه ٧٠٨ «يأتى قبل . . . الغيث طل»

(٢) ط «بركبانه»

(٣) م «الفجر»

(٤) ديوانه ١٦٨ وشرح التبريزى ٢٢٨/٢ «ضمخ : أى لطخ . وفى الشمس قولان : أحدهما أنه ضمخ الشمس من لون هذا الفرس ، فجاء الفرس كأن قد كسفت فى أديمه وجلده لأنها توصف بشدة الاصفرار فى حال كسوفها . والثانى : أنه أراد ضمخ سائر ألوان الصفر من لون هذا الفرس ، فجاء هذا الفرس وكأن الشمس كاسفة فى لونه»

(٥) ديوانه ٢٥٦ ، ١٦٢٩/٣

والجيد قول عنترة ؛ لأنه[١] لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبه ناقته بالقَصْر ، فقال :

فَوَقَفْت فِيهـا ناقَتِي وَكَأَنها فَدَنٌ لِأَقْضِيَ حاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ[٢]

قال ذلك ليعلم أنه لم يقفها[٣] ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة عن هذا المعنى فأحسن [فيه] وأجاد ، فقال :

أَنَخْت بها الوَجْنَاءَ لاَ مِن سَآمَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اَثْنَينِ جَاءٍ وذاهبِ

يقول : أنختها لأصَلّي ، لا من سآمة بها . وقوله « لثنتين » يريد [ركعتى العصر] اللتين يَقصُرهما المسافر « بين اثنين جاء » يريد الليل « وذاهب »[٤] يريد النهار .

فإن قيل : إنما قال : « قد أدنى خطاها كلالها » ليعلم أنه قصد الدار من شُقة بعيدة .

قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فيقول الرجل لصاحبه أو صاحبيه ؛ قِفْ ، وقِفا . ولو كان هناك قصد إليها لكانوا إذا وصلوا لا يقولون : قف « ولا قفا] وإنما ذلك تعريج على الديار ، فى مسيرهم[٥] وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار .

٨ ــ وقال البحترى :

غَرِيبُ السَّجَايا مَا تَزَالُ عُقولُنا مُدَلَّهَةً فِى خَلَّةٍ مِنْ خِـلالِهِ[٦]

---

(١) م و ك « فإنه »

(٢) ديوانه ١٤٣ وشرح القصائد العشر ١٧٣ والفدن : القصر ، والمتلوم : المتمكث ، وعنى بالمتلوم نفسه

(٣) ط « لم يقف بها »

(٤) ك « يعنى »

(٥) ط « فى سيرها »

(٦) ديوانه ١٩٦ ، ١٦٢٤/٣

إذا مَعْشَرٌ صانوا السَّماحَ تَعَسَّفَتْ بِهِ هِمَّةٌ مَجْنونَةٌ فِى ابْتِذَالِهِ[1]

قوله : « إذا معشر صانوا السماح » معنى ردىء ؛ لأن البخيل ليس من أهل السماح فيكون له سماح يصونه . وسواءٌ عليه قال : صانوا السماح ، أو صانوا السخاء ، أو صانوا الجود ، أو صانوا الكرم ؛ فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً ، وهو منهم بعيد ، فكيف يصونونه ؟

فإن قيل : إنما أقام السماح مُقام الشىء الذى يُسْمَح به ، وفى مَجَازات العراب ما هو أبعد من هذا .

قيل : البحترى لا يسوغ [له] مثل ذلك ، ولا يجوز له ؛ لأنه متأخر ، ولا سيما[2] وليست ههنا ضرورة ؛ لأنه قد كان يمكنه أن يقول : « صانوا الثراء »[3] مكان « صانوا السماح » .

---

(١) فيه « صانوا التلاد »

(٢) ط « ولا سيما أن ليست »

(٣) م « الثوى » وهو تحريف

وهذا ما عيبَ به البحترى وليس بعيبٍ

وإنما ذكرته لئلا يظن ظان أنه صحيح ، وأنى [1] تخطَّيته .

فمن ذلك ما نعاه عليه أَصحاب أَبى تمام ، وهما بيتان ، وقد ذكرت احتجاج أَصحاب البحترى فيهما فى[2] الجزء الأَول من هذا الكتاب[3] ، وأَنا أعيد ذكرهما [ها هنا] لزيادةٍ عندى فى الاحتجاج يحتاج إليها .

١ ــ أَنكروا عليه قوله :

يُخْفِى الزُّجاجَةَ لَوْنُها فَكأَنَّها ... فِى الكَفِّ قائِمَةٌ بِغَيْرِ إناءِ

وقالوا : لو ملِىء الإناءُ دِبْساً لكانت هذه حاله .

والمعنى عندى صحيح لاعيب فيه ، ولا قَدْح ، وذلك أَن الرجل قد دَلَّ بهذا الوصف على أَن شُعاع الشراب [فى غاية الغلبة ، وأَن الكأْس] فى غاية الرقة ، واعتمد أَنْ وَصَفَ الإناءَ وما فيه ووَصْفَ الهيئةِ على ما هى عليه .

وإنما أَخذ المعنى من قول على بن جَبَلَةَ :

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْها ... شُعاعاً لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ[4]

أَلا ترى أَن هذا أَيضاً قد دل على أَن الكاس فى غاية الرقة ؟

ومثله قول الآخر :

---

(١) م « وأسند خطاته » وهو تحريف . وفى ك « خطأته »

(٢) م و ك « فيهما فيما قبل »

(٣) راجع ص ٢٧ – ٣٧

(٤) سبق ص ٣٤ و ٣١٣ .

إنّما نعجُتنا موْسُومـــةٌ ضُمنتْ حمراءَ تَرْمِي بالزَّبَدْ؟[1]
وإذا ما نَزَلَتْ فى كأْسِها فَهْيَ وَالكاسُ مَعًا شَيْءٌ أَحَدْ[2]

وقد أنشد «أبو العباس ثعلب» بيت البحترى هذا فى «أماليه» ، وقال : إنه أخذ المعنى من قول الأعشى :

تُريكَ القَذَى مِنْ دُونِها وهْيَ دُونَه إذا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ[3]

[و] قال «أبو العباس» فى[4] هذا البيت : [إنه] أجود ما قيل فى وصف الخمر ؛ لأنه جمع بين اللون والطعم ، ونحوه قول الآخر [وهو الأخطل][5] :

وَلَقَدْ تُباكِرُنى عَلى لَذَّاتِها صَهْباءُ عَارِيَةُ القَذَى خُرْطُومُ[6]

يريد أنها صافية ، فالقذى فيها لا يستتر .

ولم يعب[7] «أبو العباس» البحترى ، ولا طعن فى بيته ، بل دلّ[8] إنشاده [له] وذكرُهُ فى موضع السرق ، على استجادته [له] واستحسانه إياه .

---

(١) كذا فى ط وفى م و ك «لقحتنا» ولست أعرف وجه الصواب فيها

(٢) م «ما بذلت» ورواه المؤلف فيما سبق ص ٣٤ «فإذا ما مزجت» .

(٣) ديوانه ١٤٧ وفى اللسان ١٢/٢٢٢ «التمطق والتلمظ : التذوق والتصويت باللسان ، وقيل : هو إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت ، وذلك عند استطابة الشيء . . . والتمطق بالشفتين : أن يضم إحداهما بالأخرى مع صوت يكون منهما ، وأنشد : * تراه إذا ما ذاقها يتمطق * »

(٤) ط «قال . . . وهذا الخمرة»

(٥) زيادة فى ط

(٦) ديوانه ٨٤ والشعر والشعراء ١/٢٢١ والخزانة ١/٥٥٢ وفيهما «عالية القذى والخرطوم : الخمر السريعة الإسكار

(٧) م «ولم يغلب»

(٨) ط «بل يدلك»

٢ ـ وأنكروا قوله :

ضَحِكاتٌ فى إثْرِهِنّ العَطَايا وبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودهْ[١]

وقالوا : أقام الرعود مُقَام العطايا[٢] ، وإنما كان ينبغى أن يقيم الغيوث مُقَام العطايا .

وهذا جهل ممن قاله بمعانى[٣] كلام العرب ، ومعنى التمثيل فى البيت صحيح ؛ لأن الرعد مقدِّمة الغيث ، وقَلَّ[٤] رعدٌ لا يتلوه المطر ، وإذا كان هذا هكذا فقد صار[٥] كأنه أوله .

وإنما أخذ البحترى المعنى من قول بشار :

وَعْدُ الْجَوَادِ يَحُثُّ نَائِلَهُ كالْبَرْقِ ثم الرَّعْدِ فِى أثَرِهْ

[٦] فأقام الرعد مُقام الغيث ، ونحوه قول بشار أيضاً :

حَلَبْتُ بحمدى رَاحتَيْه فَدَرَّتَا سَمَاحاً كما دَرَّالسحابُ على الرَّعْدِ[٦]

وأظنهما جميعاً أخذا المعنى من قول الأعشى :

وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْـ تَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلا[٧]

وأنشد ابن الأعرابى فى نوادره :

فَإنْ لَمْ أُصَدِّقْ ظَنَّهُمْ بِتَيَقُّنِى فَلا سَقَتِ الأَوْصالَ مِنِّى الرَّوَاعدُ

---

(١) سبق ص ٢٨ و ٣٣ و ٣٥

(٢) م « العظايا » محرفة

(٣) م « معانى » محرفة

(٤) م « وكل » محرفة

(٥) ط « صار المعنى »

(٦-٦) ما بين الرقمين فى ط مؤخر عن بيت الأعشى

(٧) ديوانه ١٥٧ وسبق ص ٣٥

فجعل التى تسقى هى الرواعد .

وقال الكميت :

وَأَنْتَ فِى الشَّتْوَةِ الْجَمَادِ إذا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدها[١]

ومثل هذا كثير فى كلامهم لا ينكره منكر .

وقد قال أبو تمام :

وكَذا السَّحائِبُ قَلَّمَا تَدْعُو إلى مَعْرُوفِهَا الرُّوَّادَ مَا لَمْ تبْرِقِ[٢]

فجعل البرق عند الرواد دليلَ الغيثِ ، وقد يكون برق لا مطر معه كثيرًا ، وبرق الخلَّب تلك[٣] حاله .

فالبحترى فى أن أقام الرعد مُقَامَ الغيث أعْذَرُ من أبى تمام ؛ لأنه قد يرتفع سحاب[٤] ويبرق ولا يمطر ، فإذا أرعد فلا يكاد يخلف .

٣ — ومن ذلك قول[٥] البحترى :

يا هِلالاً أَوْفَى بِأَعلى قَضِيبٍ وَقَضيباً على كَثيبٍ مَهِيلِ[٦]

وقالوا : هذا خطأ ؛ لأن الكثيب — إذا كان مَهيلاً — فإنه يذهب ولا يستمسك ، وذلك مذموم من الوصف .

---

(١) سبق ص ٣٥

(٢) سبق ص ٩٥

(٣) ط « هذه »

(٤) ط « سحاب وبرق لا مطر فيه . . . لا يكاد » وفى م « أن يخلف » .

(٥) ك « قوله »

(٦) ديوانه ٦٠٣ ، ١٦٧٧/٣ وفى اللسان ١٩٦/٢ « قال الفراء الكثيب : الرمل ، والمهيل : الذى تحرك أسفله فينهال عليك أعلاه »

قالوا : والجيد قوله :

كالبَدْر غير مُخَيَّلٍ والغُصنِ غيرَ مُمَيَّلٍ والدِّعْصِ غَيْرَ مُهَيَّلِ [1]

وقالوا : فقد تراه هنا كيف شرط فى الدِّعْصِ – لما شبه العَجُزَ به – أن جعله غير مهيل ؛ لأن العرب إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل شَرَطَت فيها أن تكون ندية ، وأن تكونَ مَمْطُورَة ، [كما قال الراجز :

جِئْنَ بأَعْجازٍ لَهُنَّ ناوِيَهْ] كأنَّها الكُثْبانُ غِبَّ سارِيَهْ

ناوِيه : سِمان * ، من النِّى وهو الشحم ، كقول الآخر :

* مِثْلُ الْكَثِيبِ إذا ما بَلَّهُ الْمَطَرُ *

وكما قال مِرْدَاس [2] بن أبى عامر السُّلَمِى :

إذا هِى قَامَتْ فى النِّسَاءِ حَسِبْتَ مَا فُوَيْقَ نِطَاقِ الْعَقْدِ صَعْدَةَ سَأْسَمِ [3]

---

(١) ديوانه ٧٣١ ، ١٧٤٢/٣ غير مخيل : غير محجوب بغيم . والدعص : الكثيب من الرمل

قال الباقلانى فى إعجاز القرآن ٣٤٠ « التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ، ولا فضيلة فى التشبيه بنحو ذلك.وإنما يبقى تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فى البيت ،وهذا أيضا قريب ؛لأن المعنى مكرر . ويبقى له بعد ذلك شىء آخر ، وهو تعمله للترصيع فى البيت كله إلا أن هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كاف ، فإذا زاد فقال : كالغصن غير معوج ، كان ذلك من باب التكلف خللا ، وكان ذلك زيادة يستغنى عنها . وكذلك قوله : كالدعص غير مهيل ، لأنه إذا انهال خرج أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى »

(*) اللسان ٢٢٤/٢٠

(٢) م « داس بن عامر » وهو تحريف . ومرداس بن أبى عامر ، أحد أزواج الخنساء ، ووالد العباس بن مرداس الشاعر ، راجع الأغانى ٦٤/١٣

(٣) م « فوق » والنطاق : كل ما يشد به الوسط . والعقد : موضع ربط الإزار . والصعدة : القناة التى تنبت مستوية. والسأسم : شجرتتخذ منه القسى . وفى ط « مأسم » وهو تحريف . والنجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذى قد أراق ماءه ثم مضى . والسماك :النجم المعروف . والمجسم : الضخم المرتفع وفى م « المخيم » .

وقد ضبط الشيخ محمد محى الدين كلمة « العقد » بكسر العين لأنه فهم أن الشاعر « شبه عنق المرأة فى استوائه بالقناة » ولم يذهب الشاعر إلى هذا التشبيه ، بل ذهب إلى تشبيه ما فوق خصرها بالقناة المستقيمة ، وما تحته بالكثيب الذى أصابه المطر . وفى هذا المعنى يقول بعض الشعراء :

خلقت غير خلقة النسوان إن قمت فالأعلى قضيب بان

وإن توليت فدعصتان وكل إد تفعل العينان

وَأَسْفَلُ مِنْهُ ظَهْرُ دِعْصٍ أَصَابَهُ نَجَاءُ السِّمَاكِ فى الكَثِيبِ الْمُجَسِّمِ[١]

وقال الأَخْضَر بن جَابر الفَزَارى[٢] :

تَلُوثُ أَثْنَاءَ اللِّفَاعِ الأَتْحَمِى بِمِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُدَيَّمِ[٣]

أراد الذى قد بَلته[٤] الدِّيمة ، وهى السحابة .

وقال جنْدل بن المُثنَّى الطُّهَوِىُّ :

لا بَلْ كَدَعْصَاءَ نَفَاهَا مُثْرِى عَفْرَاءَ حُفَّتْ بِرِمَالٍ عُفْرِ[٥]

وقال امرؤ القيس :

كَحِقْفِ النَّقَا يَمْشِى الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ

بِمَا احْتَبَسَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وَتَسْهَالِ[٦]

والْحِقف : المستدير من الرمل ؛ لأن الريح تنخله[٧] وتجمعه ، وقال : « يمشى الوليدان فوقه » لأن الندى أصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة.

وقد شبه امرؤ القيس أيضاً كَفَلَ الفرس بالدِّعْصِ النَّدى ، فقال :

لَهُ كَفَلٌ كالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدَى إلى كاهِلٍ مِثْلِ الرِّتَاجِ الْمُضَبَّبِ[٨]

---

(١) فى ك « المخيم »

(٢) ترجم له الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٣٤

(٣) ط « بكرت » وهو تحريف ، والأثناء : جمع ثنى وهو ما انثنى من الثوب ، وهى معاطفه وتضاعيفه . واللفاع الأتحمى : الثوب الأحمر خاصة ، أو المخطط بالصفرة . وفى م و ك « تلوث أنبار »

(٤) م « بلت »

(٥) الدعصاء : أرض سهلة فيها رملة نداها مثرى : أى كثير . وفى هامش ك « نداها » و ط « نفاها » وهو تحريف تكلف فى شرحه ناشرها ص ٢٢٣ والعفرة : الغبرة فى حمرة

(٦) ديوانه ١٤٠ وفى م « فما احتسبا » وفيها وفى ك : « وإسهال »

(٧) ط « تنحله »

(٨) ديوانه ٣٦ وله هناك رواية أخرى . والرتاج : الباب ، والمضبب : الملبس بالحديد . وفى « مثل الرياج » وهو تحريف

[وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وَإِنْ مَالَ الضَّجيع بهَا فَدِعْصٌ   مِنَ الْكُثْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَطِيرُ] [١]

[و] قالوا : هذا [هو] الوصف المحمود[٢] ، والمعنى الصحيح من معانى العرب . ولولا أن تشبيه[٣] أردافه بالكثيب المُنْهَال خطأٌ لما قال البحترى فى بيته الآخر : « والدعص غير مهيل » .

وهذا المذهب الذى ذهبوا إليه لعمرى صحيحٌ من مذاهبهم ، إلا أن الشعراء إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل[٤] ثُم وصفتها بالانهيال فإنما تقصد[٥] إلى تحرك أعجازهن عند المشى ، كما قال [رؤبة بن] [٦] العجاج :

إذا وَصَلْنَ الْعَوْمَ بِالْهِرْكَلِّ   رَجْرَجْنَ مِنْ أَعْجَازِهِنَّ الْخُزْل [٧]

* أَوْرَاكَ رَمْلٍ وَالِجٍ فى رَمْلِ *

فقال : « أوراك رمل والج فى رمل » ووُلُوجه ، [هو] [٨] تحرُّكه ودخول بعضه فى بعض وكما قال الأعشى :

رَوَادِفُهُ تَثْنِى الرِّدَاء تَسَانَدَتْ   إلى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيِّلِ [٩]

---

(١) زيادة من ط و ك

(٢) ط « المجود »

(٣) م « يشتبه الردافة » وهو تحريف . وفى ك « تشبيه الرادفة بالكثيب المهيل »

(٤) ط « ووصفتها »

(٥) م « يقصد »

(٦) زيادة من ط

(٧) الزيادة من ك

(٨) ديوانه ١٣١ وفى م « وخرجن من أعجازهن » والعوم : السباحة ، وسير الإبل والسفينة ، كما فى اللسان ١٥/٣٢٧ والمراد هنا : السير السريع . والهركلة : ضرب من المشى فيه اختيال وبطء . والخزل : الثقيلة

(٩) ديوانه ٢٢٦ وفى م و ك « ورابية »

نِيَافٌ كَغُصْنِ الْبَانِ تَرْتَجُّ إنْ مَشَتْ
دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ فى كلِّ مَنْهَلِ (١)

فدل بقوله : « ترتج إن مشت » على أن قوله : « إلى مثل دعص الرملة المتهيل » إنما أراد تحرك(٢) عجزها فى حال مشيها .

وكذلك قول رُؤْبة :

مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ الْمُنْهَالْ   عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ مُعْطِى الأَسْهَالْ (٣)

* صَوْبُ السَّوَارِى مَتْنَهُ بالتَّهْتَالْ *

التهتال والتهتان واحد (٤) ، فقال : « مثل الكثيب المنهال » لما قال : [إنها] « ميالة » أى : أنها تتثنّى فى مشيتها وتتحرك روادفها(٥) ، وشرط أنه « عزز منه صَوْبُ السوارى » أى شَدَّهُ ليمنع من سيلانه وذهابه ، وإنما أراد حالا بين الحالين ، ألا تراه قال : « وهو معطى الأسهال » [أى شدة] ضرب السوارى وهو مع ذلك يتهيل (٦) .

---

(١) نياف : مرتفعات مشرفات . ويقال : امرأة نياف : تامة الطول والحسن

(٢) م « تجرى عجزها » وهو تحريف

(٣) الثانى والثالث مع شرحهما فى اللسان ٧/٢٢٤ ، ١٤/٢١٣ وثلاثتها فيه ١٢/٣٤٩ « قال العجاج يصف الجارية : فهى ضناك كالكثيب . . . الضناك : الضخمة . كالكثيب الذى ينهال . عزز منه : أى سدد من الكثيب . ضرب السوارى : أى أمطار الليل ، فلزم بعضه بعضاً . شبه خلقها بالكثيب وقد أصابه المطر . وهو معطى الأسهال : أى يعطيك سهولة ما شئت » ورواية الأول فى اللسان كرواية ملحق ديوان العجاج ٨٦ وفى م « صوب السوارى » .

(٤) فى اللسان ١٤/٢١٣ « التّهتال : مثل التّهتان ، وسحائب هتل وهتّن : هطل ، وقيل متتابعة المطر قال العجاج : غزز . . . » وفى م و ك « . . والتّهتان بمنزلة واحدة . . . مثل الكميت » والكلمة الأخير محرفة

(٥) م و ك « أردافها ثم شرط . . »

(٦) ط « ضرب » وفى م ، ك « . . . مع ذلك سهل »

وقال ابن أبى[1] سفيان الغَامِدِى :

ذَات شَوَى خدْلٍ وَخَصْرٍ أَبْتَلِ   وَكَفَلٍ مِثْلِ الكَثِيبِ الأَهْيَلِ[2]

فأراد بالأهيل الذى يترجرج[3] عند المشى .

وقال الْمُقَنَّع الكِنْدِى :

إذا قامَتْ تَنُوءُ بِمُرْجَحِنٍّ   كَدِعْص الرَّمْلِ يَنْهَال انْهِيَالا[4]

فجاء[5] بذكر الانهيال من أجل ذكره للقيام ، ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفاً .

وقال عبد الرحمن بن الحَكم[6] :

كأَنَّ ما بَيْنَ قُصْرَاهَا وخِنْصَرِهَا   مِنْهَا نَقًا دَمِثٌ مِنْ عَالجٍ هَارِ[7]

---

(١) ط « ابن أخى »

(٢) فى اللسان ١٩/١٧٨ « الشوى : اليدان والرجلان » والخدل : العظيم الممتلئ ، ويقال : امرأة خدلة وخلاء : ممتلئة الساقين والذراعين . وفى ط « شوى عبل » والعبل : الضخم . والمراد بالأبتل : الدقيق الضامر . وفى م « وكهل مثل » وهو تحريف

(٣) م ط « الذى يتدحرج »

(٤) تنوء بمرجحن : أى بعجز مهتز ، جاء فى اللسان ١/١٦٩ « والمرأة تنوء بها عجيزتها : أى تثقلها ، وهى تنوء بعجيزتها : أى تنهض بها مثقلة »

(٥) م و ك « فحسن ذكر الانهيال »

(٦) راجع ترجمته فى الأغانى ١٢/٧٢ — ٧٦

(٧) النقا : الكثب من الرمل . والدمث : السهل اللين . وفى اللسان ٣/١٥١ « وعالج : رمال معروفة بالبادية . . . وعوالج الرمال : جمع عالج ، وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض » وهار : منهار

ويقول الشيخ « محمد محيى الدين عبد الحميد » : « القصرى : الضلع التى تلى الشاكلة بين الجنب والبطن . والقصيرى — مصغرة — مثله . وأراد بما بين قصراها وخنصرها : بطنها » ! ! !

وعلى هذا يكون الشاعر قد وصف محبوبته بأن بطنها تتحرك إذا مشت كما يتحرك الكثيب من الرمال عند إرادة الانهيال !

وسياق البيت يأبى هذا التفسير لأن الآمدى قد أورد قبله أربعة عشر بيتاً كلها فى تشبيه الردف بالكثيب ، ثم أعقب البيت بما يوضح معناه إذ يقول : « فدل بقوله : هار على أنه أراد تحرك روادفها » ولو لم يسق الآمدى البيت هذا المساق ولم يشرحه هذا الشرح لما كان هناك مندوحة عن الذهاب إليه ؛=

قُصْرَاها : آخر الأَضلاع ، وهى القُصْرى[١] والقُصَيْرَى ، فدل بقوله : « هار » على أنه أَراد تحرك رِدَافَتِها[٢] .

وكذلك قول البحترى :

* وقَضِيباً على كَثيبٍ مَهِيلٍ *

إنما أَراد تحرك أَردافه ، وقد دل على المشى بقوله :

* يا هلالاً أَوْ فَى بأَعْلى قَضيب *

فالمعنيان لا يتناقضان ؛ لأَن الشاعر إن ذكر الانهيال فإنه أَراد الحركة عند المشى ، وإن لم يذكر ذلك وشَرَطَ فى الكثيب الندى أَو[٣] إصابة الغيث فإنما قصد أَن يَنُصَّ[٤] على اجتماعه واستمساكه ؛ كما قال رؤبة :

* مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ المُنْهَالْ *

ثم قال :

عَزَّزَ منه وهو مُعْطِى الأَسْهالْ صَوْبُ السَّوارى مَتْنَه بالتَّهْتَالْ[٥]

فانتظم الوجهين[٦] جميعاً .

= لأن الشاعر قد حدد مراده تحديداً دقيقاً .

وبديهى أن ما يرى من المرأة المدبرة مهتزاً مترجرجا بين قصيرها وخنصريها إنما هو ردفها لا بطنها ، وجمال البطون فى ضمورها ودقة خلقها . وقبحها فى عظمها وتكرشها ، فإذا استرخت وترجرجت نبت عنها الأنظار والأذواق .

(١) ك : « القصيرة » .

(٢) ط « روادفها » وفى اللسان ١١/١٤ « والروادف : الأعجاز . . قال ابن سيده : ولا أرى أهو جمع ردف نادر ، أم هو جمع ردافة » وفى ك « رادفتها »

(٣) ط « الندى وإصابة »

(٤) ك « أن يبق »

(٥) ط « ضرب »

(٦) ط « الوجهان » وهو تحريف لأنه يريد أن يقول : إن رؤبة قد أصاب فى شعره المعنيين معا وحققهما

والذى شَرَح هذين المعنيين أتمَّ الشرح ، وأبرَّ فى الوصف على كل محسن — تميمُ بن أبىّ بن مقبل ، فى قوله يصف مشى النساء :

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقا لانَتْ جَـوَانِبُهُ ... يَنْهَالُ حِيناً وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا[1]

إنما[2] أراد بقوله : «ينهال حيناً» تحركَ أعجازهنَّ إذا مَشَيْنَ كما يتحرَّك جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى ، وهذا لا شىء أوضح منه .

٤ — ومن ذلك قوله :

مَتَى أَرَدْنا وَجَدْنا مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ ... مَسْعَاتِهِ أَوْ فَقَدْنا مَنْ يُدَانِيهِ[3]

وقالوا : ليس هذا بالجيد ؛ لأنه وصفٌ يَشْرَك ممدوحَه فيه البقَّالُ [والحمّال][4] والمرَّاق وباعةُ الدواء ولُقَّاط النوى ؛ لأن هؤلاء أيضاً متى شِئنا وجَدْنا من يقصر عن مسعاتهم ، وهو الحجام والكنَّاس والنَّبَّاش .

والبيت عندى صحيح ، وغرض البحترى فيه معروف ، ومثله [أو نحوه] قول الأعشى :

وأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ ... وَيَعُدْنَ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ[5]

وهو لا يشاء ذلك [بحال ، و] إنما أراد أنَّ ذلك سهلٌ موجود فى النساء .

وكذلك قول البحترى : «متى أردنا وجدنا» أى : أن ذلك موجود سهل حاصل ، وإن لم يكن هناك إرادة ولا طلب ؛ لأن تلك حال قد عُلمت منه ، وقد صَحَّح المعنى ووكَّد المدحَ بقوله : «أو فقدنا من يدانيه» والبقال

(١) ط «مالت» وانظر ما سبق ص ١٥٨

(٢) ك «فإنما»

(٣) الزيادة من ك

(٤) ديوانه ١٧٥ وفى ط «وفقدنا»

(٥) ديوانه ٩٨ «منه ويكن»

والمراق وأمثالهما غير مفقود من يدانيهم ؛ فجعل البحترىُّ أحدَ القسمين فى البيت معلقاً بالآخر : أى ذلك كله سهل موجود ، ولو اقتصر على نصف البيت[1] الأول كان لعمرى [للقدح][2] فيه متعلّق .

٥ ـ ومن ذلك قوله :

تَهَاجُرٌ أَمَمٌ لا وَصْلَ يَخْلِطُه ... إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفَيْنا إِذَا هَجَدا[3]

قالوا : والطيفانِ لا يهجدان[4] ، وإنما أراد [أن يقول :][5] إذا هجدنا ، فقال : « إذا هجدا » .

وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندى من الصواب ، وهو أن قال : إنه أراد إلا تزاور نفسينا إذا هجدا ، فأقام الطيف مُقام النفس ، وقال : « هجدا » ولم يقل : « هجدنا » للفظ الطيف وهو مذكر .

وقال : إن النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[6] .

فقيل له : النفس لعمرى يطلق عليها النوم ، فإذا نامت رأت خيالاتِ الأشياء التى ترى حقائقها فى اليقظة ـ فالنفس غير الخيال ، وقد تتمثل للنفس فى حال يقظتها [خيالات الأشياء الغائبة عنها وصورها على ما هى تعرفها النفس فى حال يقظتها][7] وإن لم ترها العين ؛ فليس النفسُ من الخيال فى شىء .

---

(١) ط « على النصف الأول »

(٢) الزيادة من ك ، م

(٣) ديوانه ٤٦ وطيف الخيال ٣٧ وفى ط « هجرا » وهو تحريف من أجل ذلك قال الشيخ محيى الدين « لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر » وهو فيه ١ / ١٣٤

(٤) ط « لا يهجران . . . هجرنا . . . هجرا » وهكذا فى بقية الكلام

(٥) الزيادة من ك

(٦) سورة الزمر : ٤٢

(٧) الزيادة من ك

فقال[1] : فإذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم ، فلم لا أسميهما خَيَالَيْنِ – وإن كان أحدهما خيالا والآخر نفساً – على المجاز الذى تفعله العرب ؟

وهذا عندى احتجاج صحيح ، ويصح عليه معنى البيت .

٦ – ومما نسبوا فيه البحترى إلى سوء القسمة [2] قوله :

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمُحَجَّبَ مَحْفِلٌ   وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدُ[3]

وقالوا : إنه ليس فى المصراع الثانى من الفائدة إلا ما فى الأول ؛ لأن مجلسه المحجّب هى خلوته الخفية ، وقوله : « محفل » كقوله : « مشهد » .

والمعنى عندى صحيح ؛ لأن المجلس المحجّب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم ، وفى الأكثر الأعم لا يسمى مجلساً إلا وفيه قوم ، ألا ترى إلى قول مُهَلْهِل :

* وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ[4] *

أى : أهل المجلس ، على الاستعارة ؟

فجعل البحترىُّ مجلسَه الذى احتجَب فيه مع من يخصه كالمحفل ، والمحفل : هو الجمع الكثير ، والخلوة الخفية قد يكون فيها منفرداً ، وقد يكون معه محبوب[5] فيها ، وبين المجلس والمحفل فرق ؛ فكأنه إذا خلا خلوة خفية ففيها[6] معه من يشاهده – ومن يشاهده يجوز أن يكون واحداً

(١) ط « قال »

(٢) ط « التقسيم »

(٣) ديوانه ٦٩٠ .

(٤) صدره : « نبيت أن النار بعدك أوقدت » كما فى شرح الحماسة للمرزوقى ٢ / ٩٢٨

(٥) م « محبوبة » وفى ك : « محبوبة فبينها وبين المجلس فرق »

(٦) ط « وفيها »

أو اثنين — والمحفل لا يكون إلا عددًا كثيرًا . فهذا أيضاً فرق صحيح [بين المحفل والمشهد] .

وإنما أراد البحترى أنه لا يفعل فى مجلسه المحجّب إلا ما يفعله فى المحفل ، ولا يفعل فى خلوته الخفية إلا ما يفعله[1] مع مَنْ يشاهده ، ينسبه إلى شدة التصوُّن وكرم السريرة .

٧ — ومثله قوله :

أَمِينَ اللهِ ، دُمْتَ لَنَا سَلِيماً وَمُلِّيتَ السَّلامَةَ وَالدَّوَامَا[2]

قالوا : فقوله[3] : « دمت لنا سليما » هو قوله : « ومُلِّيت السلامة والدواما » وهذا قبيح جدًّا .

وليس الأَمر عندى كذلك ، بل القسمة صحيحة ؛ لأَنه لما تقدم ذكر السلامة والدوام فى أول البيت قال فى عجزه : « ومليت السلامة » أى : أديمت لك تلك السلامة [وذلك الدوام . وأَجود من هذا أن يكون لما قال : دمت لنا سليما وَكَّدَ بذكر السلامة وفيها الأَلف واللام ؛ لأَنها اسم الجنس ، وكذلك الدوام . فكأَنه قال : مليت السلامة كلها والدوام كله . ثم إنه][4] ليس بمنكر أن يقول [القائل فى الدعاء][5] « دام لك الدوام » كما يقول : طال طولك ، وقر قرارك ، وضلّ ضلالك ، وزال زوالك . وذلك كلام مستعمل حَسَن . ومعنى « مُلِّيت » : [أى] أُطِيلت لك وأديمت ، مثل تَمَلَّيت

---

(١) ك : « ما يفعله إذا حضره من يشاهده »

(٢) ديوانه ٣١

(٣) ط « وقوله . . . فإن هذا »

(٤) فى ط بدل هذه الزيادة « والملاوة — بكسر الميم وضمها وفتحها ، ذكر ابن السكيت لها ثلاث لغات وذلك الدوام وليس » وهى ليست من أصل الكتاب

(٥) الزيادة من ك

[جيبك] وهو مأخوذ من الْمَلاوة والْمَلَّاوَة[١] وهما الدهر ، والملوان : الليل والنهار ، ومنه قولهم : وَقَفْتُ مَلِيًّا .

٨ ــ وقال البحترى :

الْيَوْمَ أُطْلِعَ لِلْخِلَافَةِ سَعْدُهَا وَأَضَاءَ فِينَا بَدْرُها الْمُتَهَلِّلُ[٢]

لَبِسَتْ جَلالَةَ جَعْفَرٍ فَكَأَنَّها سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ[٣]

وقالوا : هذا معنى فاسد ؛ لأَن السَّحَر طُرَّة النهار وأوله وبدء ضيائه ، والشيء فى مثل هذا لا يتجلل أَوله ؛ لأَن التجلل هو : أَن يشتمل عليه ويغطيه ، والسحر أَمام النهار أَبدًا ، فلا يجوز أَن يتغشَّاه ؛ لأَنه المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها ، فهو يدور حول «كرة الأَرض» دائماً على صورة واحدة لا يتغير .

وهذه[٤] عندى معارضة صحيحة ، إلا أَن هذا معنى يُتَجَاوز فى مثله ؛ لأَن البحترى إنما أَراد تجلله النهار فى رأى أَعيننا وما نشاهده ؛ لأَن زُرْقة السحر لما استطار الضوء كان كأَنه[٥] شىء غَطَّى عليها ، وإن كانت حقيقتها أَنها انتقلت[٦] إلى قطر آخر من الأَرض .

٩ ــ وقال البحترى :

لم أَرَ كالْهَجْرِ لَمْ يُرْحَمْ مُعَــذَّبُهُ وَالْوَصْلِ لم يَعْتَمِدْ مُعْطَاهُ بِالْحَسَدِ[٧]

وهذا كان بعضهم يراه سهواً ، ويقول : إن المعذب بالهجر مرحوم ،

---

(١) ط «والملوة»

(٢) ديوانه ٢٥ «وأضاء فيه وفيه ٣/ ١٧٥٤ وفى ك : «وأضاء فيها» وهما فى مدح المتوكل

(٣) فى ديوانه طبع بيروت ، وفيه طبع المعارف «تجلله الصباح» «يجلله النهار»

(٤) ط «وهذا»

(٥) ط «صار»

(٦) ط «انقلبت»

(٧) ديوانه طبع مصر ١ /١٧٨ وفى م «لم يركم» وهو تحريف . وفى ط «وهذا بعضهم كان»

فأما من [1] يواصله حبيبه فمغبوط أبدًا ومحسود ، وقد قيل في ذلك من الأشعار ما هو أشهر وأكثر ، فمنها قولُ يزيد بن الطَّثْرية :

أَعُوذُ بِخَدَّيْكِ الْكَرِيمَيْنِ أَنْ يَرى لَنَا حَاسِدٌ فِي غُبَّرِ الْوَصْلِ مَطْمَعَا [2]

وقول أبي صخر الهذلي :

فَقَدَ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الطَّيْرَ أَنْ أَرَى أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لَمْ يُرَوِّعْهُمَا النَّفْرُ [3]

وقول جرير :

وَنُحْسَدُ أَنْ نَزُورَكُمُ - وَنَرْضَى بِدُونِ الْبَذْلِ - لَوْ عَلِمَ الْحَسُودُ [4]

وقول جميل بن معمر :

لَوْلاَ الوُشاةُ لَزُرْتكُمْ بِبِلادكُمْ لكنْ أَخَافُ مَقَالَةَ الْحُسَّادِ

وقول عُتْبة بن بُجير [5] الحارثي :

أَيَّامَ تَهْجُرُنِي لَيْلَى وَأُحْسَدُها وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ عِنْدِي مُضْغَةُ الْحَسدِ

أي : هي تهجرني وأنا أُحْسَدُها : أي أُحْسَد عليها .

وليس الأمر عندي في هذا البيت [على] ما تأوَّله [هذا] المتأول وظَنَّه ، وذلك لأن البحتري لم يرد بقوله : « لم أر كالهجر » جنس الهجر [6] ، ولا جنس الوصل ، فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل ، [كما] يقال : أَهْلَكَ الناسَ الدينارُ والدرهم ، وإنما أراد « لم أر كالهجر لم

---

(١) ط « الذي »

(٢) في م و ك « في غير » وغبر الوصل : بقيته

(٣) شرح الحماسة أبي تمام للمرزوقي ١٢٣١/٣ وفي أمالي القالي ١٤٩/١ « أغبط الوحش . . . لا يردعهما الذعر » وفي ك : « لا يروعهما » وانظر تخريج الأستاذ عبد العزيز الميمني له في السمط ٣٩٩/١ .

(٤) ديوانه ١٦٠ « وتحسد » وفي ط « ويحسد . . . ويرضى »

(٥) ط « ابن مجر » وهو تحريف

(٦) ط « حسن . . ولا حسن » وهو تحريف

يرحم معذبه » أي : كالهجر الذى هذه حاله [على طريق التعجب والوصل . ولم يعتمد معطاه بالحسد ، أى والوصل الذى هذه حاله . وهذا كما تقول : لم أر كالرجل يسيء فلا يذم . ويحسن فلا يشكر . أى كالرجل الذى هذه حاله] ولم يرد كل الرجال .

وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول :

وَنُحْسَدُ أَنْ تَسْرِى إِلَيْنَا مِنَ الْهَوَى عَقابيلُ يَعْتَادُ الجَوَى باعْتِيادِها[1]

فَكَمْ نَافَسُوا فِى حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ تَعَجُّبُ مِنْ أَنْفَاسِنا وَٱمْتِدادِها

فقد ترى كيف يزعم أنه يُحْسَد على الْجَوَى وعلى الْحُرَقِ ، فكيف على الوصل ؟

١٠ – وقال البحترى :

أَىُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقٍ؟[2]

عابه بعضهم بهذا ، وقالوا : قد يكون بَرْقٌ لا غيث معه ، وهو برقُ الخلَّب . والرجل لم يقل : لا برق إلا ومعه مطر ، وإنما قال : لا مطر إلا ومعه برق .

١١ – وسمعت من يعيب قوله :

كالرَّوْضِ مُؤْتَلِقاً بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ وبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ[3]

ويقول : النَّور هو الأبيض [خاصة] [4] ، والزهر هو الأصفر لا محالة ،

---

(١) ديوانه ١٠٩ « بعتاد الهوى » وفى م « يغتاد . . باغتيادها » وهو تحريف . والعقابيل : بقايا العشق

(٢) ديوانه ٤٣٦ وفى أمالى المرتضى ١ / ٦٠١ « أو سماء تندى » وفى م « أرى ليل » وهو تحريف وفى ط « يندى »

(٣) ديوانه ٧٠٠ والمشبه كتابة الحسن بن وهب وحكمه ١٦٥/١ معارف

(٤) الزيادة من ك

فإذا قلت : « فى هذا الروض أنوار مختلفةٌ » جاز ذلك ؛ لأنك تضم إلى البياض غيره فيجرى الاسم[1] على الجميع ، على سبيل المجاز ، كما يقال[2] : « الْعُمَرَانِ » لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، و « الْقَمَرَانِ » للشمس والقمر ، وما أشبه ذلك .

وكذلك إذا قلت : « فيها أزهار كثيرة » جاز ذلك وإن كان فيها أبيض وأحمر وما سواهما مع[3] الصفرة تَوَسُّعاً ومجازًا ؛ فإذا فصلت مُعْتمدًا[4] لأن تخص كل جنس باسم ، كما فَعل البحترى – لم يجز[5] أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص ؛ فتقول حينئذ : يعجبنى مِنْ هذا الموضع صفرةُ زَهْرِهِ ، وبياضُ نَوْرِهِ ، وحُمْرة شقائقه . ولا يجوز أن تقول : يعجبنى حُمْرة نَوْره ، ولا بياض زهره ، كما قال البحترى ؛ لأن ذلك ؛ خطأ فى اللغة على ما استعملته العرب .

ولعمرى إن هذا هو الأشهر فى كلامهم ، والأغلب فى المأثورعنهم ، إلا أنهم قد جعلوا الزَّهر نَوْرًا ، والنَّوْرَ زَهَرًا ، وجاء ذلك فى الشعر ، قال عَدِىّ ابن زَيْد :

حتى تعاوَنَ مُسْتَكٌّ لَهُ زَهَرٌ مِنَ التَّناوِيرِ شَكْلَ الْعِهْنِ فى اللُّؤَم[6]

---

(١) ط « الرسم »

(٢) ط « تقول »

(٣) ط « من »

(٤) ط « فصلت مقيدا [اضطرت] » وهو تحريف اضطره لهذه الزيادة

(٥) ط « ولم » وهو تحريف .

(٦) « فى اللسان ١٦/٤ وفى ١٤/٢٢٨ « من التهاويل » والمستك : الملتف . وتنويز الشجرة : إزهارها . يقال : أنارت الشجرة وأنورت : أى حسنت خضرتها ، من الإنارة ، وقيل أطلعت نورها . وقد سمى إدراك الزرع تنويرا ، وجمعه عدى به زيد فقال « وذى تناوير . . . » وفى اللسان ١٤/٢٣٨ « التهاويل : ما على الهوادج من الصوف الأحمر والأخضر والأصفر . ويقال للرياض إذا تزينت بنورها وأزاهيرها من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر – : قد علاها تهويلها » . وفى ك « مشتك »

اللؤم : جمع لأمَة ، ولُؤْمَة ، وهى مَتَاعُ الرَّحْلِ من الأَشِلَّة (١) والوَلايا وتكون مُوَشَّاة بالعِهْن والصوف المصبوغِ بالحمرة وغير ذلك من الألوان ؛ فقال : «زهر» ثم قال : «من التناوير» وقال : «شكل العهن» .

وقال زُهَير بن مسعود [الضَّبِّى] :

ومُنَوِّرٍ غَدِقُ النَّدَى قُرْيانُهُ ... مِثْلُ الْعُهُونِ مِنَ الحَوَاضِرِ مُقْفِرُ (٢)

وقال أبو النَّجْم :

فالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِى دَجْوَائِهِ ... مُخْتَلِفُ الأَلْوَانِ فِى أَسْمَائِهِ (٣)

نَوْرٌ تَحَارُ الشَّمْسُ فى حَمْرَائِهِ ... مُكَلَّلاً بِالنَّوْرِ مِنْ صَفْرائِهِ (٤)

فقال : «بالنَّوْر من صَفْرائه» .

وقال حُمَيد بن ثَوْر :

كَأَنَّ عَلى أَشْداقِهِ نَوْرَ حَنوَةٍ ... إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا (٥)

---

(١) الأشلة : جمع شليل ، وهو الحلس . والولايا : جمع ولية ، وهى البرذعة أو ما تحتها من كل ما ولى الظهر من كساء أو غيره

(٢) م « غدق الثرى قربانه وفى ك « غدق الثوى » ط « من الخواطر مقمر » والغدق : الكثير . والقريان : جمع قرى – بفتح فكسر – وهو مجرى الماء فى الروض . وفى حديث قس : وروضة ذات قريان . الحواضر جمع حاضر ، ويعنى به القوم النزول على الماء . ومقفر : خال . يريد أنها روضة أنف أى لم يرعها أحد

وقال ناشر ط « أراد بالخواطر : الخطر ، وهى جمع خطرة ، مثل سدرة وسدر ، والخطرة : عشبة معروفة لها قضبة يجهدها المال ويغرز عليها » وهذا القول منقول من اللسان ٥/٣٣٧ وبعده « والعرب تقول : رعينا خطرات الوسمى ، وهى اللمع من المراتع والبقع . ومقمر : كثير أو أبيض أو مائل إلى الخضرة

(٣) ط « نور فى حوائه » ومعنى فى دجوائه : أى فى عظمه وسعته وطول نبته وفى اللسان ١٨/٢٢٧ « الحواء مثل المكاء : نبت يشبه لون الذئب ، الواحدة حواءة »

(٤) م « نورا . . . من حمرائه »

(٥) ديوانه ٢٥ والشعر والشعراء ١/٣٥٠ وعيون الأخبار ٢/١٨٨ وفى اللسان ١٨/٢٢٤ « قال أبو زياد : من العشب الحنوة ، وهى شديدة الخضرة طيبة الريح ، وزهرتها صفراء وليست بضخمة ، قال جميل :

بها قضب الريحان تندى وحنوة ... ومن كل أفواه البقول بها بقل »

يصف فرخ الحمامة وصُفْرة أشداقه ، ويشبهها بصفرة [زهر الحنوة لامحالة فقال] : نَوْر حَنْوة ؛ ولم يقل زهر حنوة .

وقال الأعشى :

وَشَمُولٍ تَحْسِبُ الْعَيْنُ - إذَا صُفِّقَتْ - وَرْدَتَها نَوْرَ الذُّبَحْ[1]

والذُّبَح نبت ، ونَوْره أحمر شديد الحمرة ، ويقال [له] : « الذُّبَح »[2].

وهذا كله دليل على أن هذه الأسماء تستعمل فى هذه الألوان كما ترى على اختلافها .

١٢ - وسمعت من يعيب قوله :

فَمُجدَّلٌ ومُرَمَّلٌ وَمُوَسَّدٌ وَمُضَرَّجٌ وَمُضَمَّخٌ وَمُخَضَّبُ[3]

ويقول[4] : إن قوله : « مضرج ومضمّخ ومخضَّب » بمعنى واحد . وذكر أنه لو[5] أراد رجلا واحدًا أنه مُضَرَّج ومضمخ ومخضب - جاز ؛ لأن [كل] لفظة تكون مؤكدةً للأخرى ، قال : ولكنه [إنما][6] أراد فمنهم[7] مضرَّج [ومنهم مضمخ ومنهم] مخضَّب ، كما قسم[8] فى صدر البيت .

ولعمرى إن البحترى كذلك أراد ، وليس بمكنر [عندى ؛] لأن المضرّج[9]

---

(١) ديوانه ١٦٢ واللسان ٧١/١٢ وفيه ٢٦٥/٣ « إذا صفقت فى دنها » ويروى : بردتها لون الذبح » بردتها : لونها . ومعنى صفقت : حولت من إناء إلى إناء . والوردة : الحمرة ، يقال : عشية وردة : إذا احمر أفقها عند غروب الشمس

(٢) راجع اللسان ٢٦٥/٣

(٣) ديوانه ٦٨٤ وهو فى وصف قتلى الممدوح

(٤) م « ويقال » ط « ويقولون »

(٥) ط « أنه إن »

(٦) ط « منهم »

(٧) الزيادة من ك

(٨) ط « كما فهم »

(٩) ط « لأن التضرج من التضريج »

من الضَّرج وهى الحمرة المشرقة التى ليست بقانية ، والمضمَّخ يريد [به] غلظ الدم وأنه [قد صار] فى متانة الطيب الذى يتضمخ به ، والمخضب أراد أن الدم قد خَضَّبه كما يخضَّب بالحناء ؛ ففى كل لفظة ما ليس فى الأخرى ، وإن كانت الحمرة قد شَمِلت الجميع ؛ لأن المضرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم : أى منهم حديث عهد بالقتل ومضمَّخ[1] مَنْ قد خَثُر عليه الدم كأنَّ قتله قد تقدم قَبْل [قتل] الآخر ، والمخضَّب يجوز أن يكون [من قد][2] مضى لقتله يوم أو أكثر فقد اسودَّ عليه الدم .

وهذه معانٍ كلها[3] محتمل .

وقد يجوز أن يريد بقوله : «مضرج» سائر جسده ، وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضه وتحت لحيته ، وذلك موضع من مواضع التضميخ[4] بالطيب ، وأراد بالمخضَّب أن السيف أخذ فى رأسه وفى يديه ورجليه ، وذلك موضع الخِضاب ، وقد يكون المضرج : المقطع [يقال][5] : «ضَرَّجَه» إذا قطعه .

وهذه معان لطيفة[6] ويجوز أن يعتدّ بها ، والوجه القوىُّ هو الأول .

١٣ ــ وسمعت قوماً ينكرون قوله فى وصف الخمر :

وَفَوَاقِعٌ مِثْلُ الدُّمُوعِ تَرَدَّدَتْ   فِى صَحْنِ خَدِّ الكاعِبِ الْحَسْنَاءِ[7]

ويقولون : إن الدموع لا تترددُّ فى الخد كما يتردد الحَباب فى الكأس ، وإنما الدمع يجرى ويتتابع .

(١) ط « والمضمخ »
(٢) الزيادة من ك
(٣) م و ك « كلها معان كلها » و ط « محتملة »
(٤) ط « التضمخ »
(٥) زيادة من ط وفيها « ضرجته إذا قطعته »
(٦) ط و ك « وقد يجوز أن يعتذر بها »
(٧) ديوانه ٤٧٥ (١/٤ مصر)

والمعنى صحيح ، ولا عيب فيه ؛ لأن التردُّد قد يكون الْجَوَلان ، وقد يكون التتابع والتواتر ، يقال : قد تَتَابعت كُتُبى إليك ، وتردَّدت : بمعنى ، وتواترت رُسُلى وتتابعت ، والكتاب الأَول[1] غير الثانى ، وكذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثانى : وإنما حَسُن أن يقال : تتابعت وتردَّدت لأن كل واحد [من الكتب يقال له : كتاب ، ويقال لكل واحد] من الرسل : رسول ؛ فلما ضَمَّهم اسم واحد حَسُن استعمالُ التتابع والتردد ، وإن كانت أشخاصاً متباينة ، وكل واحد غير الآخر .

وكذلك الدمع يحسن[2] أن يقال : قد تَتابعت دموعُه على خده ، وتردَّدت ، وإن كانت كلُّ دمعة غير الأخرى . والْحَبابُ وإن جال فى الْقَدَح دائراً[3] فيه فإنهُ ربما جَرَى فيه على جهَةٍ واحدة ، كما يجرى الدمع على جهة واحدة .

وهذا من أحسن التشبيه وأليقه ؛ لأن الخمر قد يكون منها [ما هو] أحمر إلى التوريد الخفيف كحمرة الخد ، وخاصّة إذا أُرِقَّت بالماء ، كما قال الشاعر :

كُمَيْتٌ إذا فُضَّت ،أوفى الكأْس ورْدَةٌ لها فى عِظامِ الشَّـارِبينَ دَبِيبُ

فإذا شبِّهت الخمرة بالخدّ وذكر الحَباب[4] فمن أليق ما شبه به وأحسنه وأصحّه الدمع ؛ لأن الدمع قد يقف فى الخد كوقوف الحَباب فى صحن الكأْس . وباب اختلاف حركة الحَباب و[5] حركة الدمع ، فليس كل شىء

---

(١) ط « هو غير »
(٢) ط « حسن »
(٣) ط « حائراً » .
(٤) م « ممن »
(٥) ط « أو »

يُشَبَّه بشيء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيئاً[١] قد يكون ، إنما شبه به ببعض ما فيه لا بكله .

١٤ – ورأيتَ مَنْ عاب قوله :

فَصَبَغْتُ أَخلاقى بِرَوْنَقِ خُلْقِهِ   حَتَّى عَدَلْتُ أَجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ[٢]

وقالوا : إنما كان ينبغى لما ذكر الأجاج والعذب أن يقول : « فمزجت » لا أن يقول : « فصبغت » ، أو لما قال : « فصبغَّت أَخلاقى » أن يقول : « حتى عدلت أَلوانها[٣] بحسن لونه » .

وليست هذه المعارضة بشيء . والمعنى صحيح . وذلك أنه ليس هناك صَبْغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافأَ المعنيان ، ولا مشروب عذب ولا أجاج على الحقيقة فيستعمل ذكر[٤] المزاج ، و [إنما] هذه استعارات ينوب بعضها عن بعض . ويقوم بعضها مقام بعض ؛ لأَنها ليست بحقائق فيما استعيرت له . أَلا ترى أَنك تقول : فلان قد شابك[٥] فلانا ، وخالطه ، ومازجه [وداخله] . وانصبغ به . بمعنى واحد وإن كان بعضها أَوكد من بعض ، ولا يكون هناك مُدَاخلة ولا ممازجة لجسم[٦] فى جسم ولا مخالطة على الحقيقة ؟

١٥ – ومما عيب عليه من التعسُّف والتعقيد فى اللفظ قوله :

فَتًى لَمْ يَمِلْ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ الْعُلى   إلى غَيْرِهَا شَيْءٌ سِوَاهُ مُمِيلُهَا[٦]

---

(١) ط « شيء وقد »

(٢) ديوانه ٧٠٠

(٣) ط « ألوانهن »

(٤) ط « بذكر »

(٥) ط « شارك »

(٦) ديوانه ٣ / ١٧٨٠ « يميلها » م « ممازجة فى جسم فى جسم »

وكان بعض الناس يرى أنه لاحنٌ [فيه] ، ويقول : إنه إنما أراد فتى لم يملْ بنفسه عن العلى شيء مميل نفسٍ سواه ، أى : ما يميل النفسَ عن المعالى من اللهو واللعب والدَّعة وحبِّ الراحة والضَّنِّ بالمال ، ونحو هذا من الأشياء الشاغلة عن السؤدد ، فقدَّم «سِوَاه» وكنى عن النفس بقوله «مميلها» بعد أن حَذَفَها .

قال : وذلك غير جائز ؛ لأنك إذا قلت : «لن يضرب هامة عمرٍو [أحد ضارب هامة غيره» ، فقدمت هامة غيره] فقلت : لن يضرب هامةَ عمرو واحدٌ[1] غير ضاربها ، وجعلت الهاء فى «ضاربها» كنايةً عن الهامة لتقدمها — لجاز[2] : إلا أن البصريين من النحويين يقولون : «هامة غيره[3] ضاربها هو» كما أنه لو قال : «شيء نفسُ سِوَاهُ مميلها هو» جاز .

فإن فَكَكْتَ[4] الإضافة وأسقطت «هامة» وقدمت غيره[5] فقلت : «لن يضرب هامةَ عمرو أحد غيره[6] ضاربها» لم يجز : لإسقاطك الهامة التى كنايتها الهاء فى قولك : «ضاربها» ، ولا تجوز الكناية عن غير مذكور [فى] مثل هذا ، فكذلك لا يجوز فى البيت «شيء سواه مميلها» وهو يريد شيء نفس سواه مميلها ؛ لأن الهاء فى قوله «مميلها» كناية عن النفس ؛ فلا يجوز إسقاط النفس .

وهذا لعمرى إن كان البحترى أراده فهو غالط ، غير أنه — والله أعلم —

---

(١) ك : «هامة غيره ضاربها»

(٢) ط «جاز»

(٣) ط «غير»

(٤) ط «فإن فصلت»

(٥) ط «غير»

(٦) ط «واحد غير»

إنما أراد فتًى لم يمل[1] بالنفس منه عن العلى إلى غيرها شىء ، بخفض «شىء» على أن الممدوح هو الذى لم يمل بنفسه عن العلى إلى شىء غيرها ، ثم قال «سواد مميلها» على الابتداء والخبر : أى لكن[2] سواد من الناس مميلها ، فأضمر «لكن» وهذا سائغ ، وأنشد سيبويه :

عَلَى الحَكَمِ الْمَأْتِىِّ يَوْماً إذَاقَضَى   قَضِيَّتَهُ أَنْ لا يَجُورَ ، وَيَقْصِدُ[3]

قال : أراد ولكنه يقصد ، فأضمر «لكن» فلذلك رفع «يقصد» .

وعلى أنه مستعمل كثير فاش[4] فى كلام الناس أن يقولوا : زيد لا يقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها ، وأنا لا أجفوك[5] بكر [هو] الجافى لك ؛ فيكون الكلام مستغنياً بنفسه ؛ فلا يحتاج إلى إضمار .

فإن سلم البيت من عيب اللحن لم يَسْلَم من عيب التعسف . ولست أعرف بيتاً تعسف فى نظمه غير هذا [البيت] .

١٦ ـ ومن ردىء التجنيس وقبيحه قوله :

أَمِنَّا أَنْ تُصَرَّعَ عَنْ سَمَاحٍ   وَلِلْآمَال فى يَدِك اصْطِراعُ[6]

يقول : أمنا أن يغلبك غالبٌ يَصْرعك عن السماح ويمنعك منه ، وللآمال فى يدك اصطراع : أى تنافس وتغالب وازدحام ، وقوله : «فى يدك» لأن العطاء إليها ينسب .

---

(١) ط «لا يميل»

(٢) ط «أى لأن»

(٣) البيت فى كتاب سيبويه وشرح الشواهده (١ / ٤٣١) لعبد الرحمن بن أم الحكم

(٤) ط «فى الكلام أن تقول»

(٥) ط «إنما بكر»

(٦) ديوانه ٢٢٨ ، ٢ / ١٢٤٦ فى مدح إبراهيم بن المدبر

وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر ، فقال يصف أخلاق الممدوح :

يَتَصَرَّعْنَ لِلرَّجَاءِ دُنُوَّ آلْ مُزْنِ وَالْوَدْقُ خارِجٌ مِنْ خِلالِهْ[١]

وهى ههنا أقل قبحاً منها فى البيت الأول . ولو [كان][٢] قال : « يتدانين للرجاء دُنُوَّ المزن » كان أحسَنَ فى اللفظ ، وأوْفَقَ من أجل التجنيس ، ولكن « يتصرعن » أوكد فى المعنى ؛ لأنه بمعنى[٣] يتساقطن ويتطرحن ، يريد الإسراع إلى الرجاء من غير ترفق ولا توقٍّ للانحطاط والوقوع ، ليدل على الحرص والشهوة .

وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر ، وأوقعها موقع الذم ، فقال :

مَنْ يَتَصَرَّعْ فى إثْرِ مَكْرُمَةٍ فَدَأْبُهُ فى اتّباعهـــا دَأَبُهْ[٤]

يريد مَنْ يتساقط[٥] فى إثر مَكرُمة إذا سَعَى لطلبها ولم يكن له نهوضٌ فيها فدأب الممدوح دأبه المعروف المشهور منه ، أى : جِدُّه وإلحاحُه . وحرك الدأب الثانى وسكن الأول ، ومعناهما واحد .

ويجوز أن يكون أراد فدَأبه فى اتباعها : أى عادته فى اتباعها دأبه ، أى : سَعْيُه وحَرَكته ، وهو أجود .

١٧ — ومن ردىء التجنيس أيضاً قوله :

حُيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ مِنْ مَعْهُودَةٍ عَهْدِى غَدَتْ مَهْجُورَةً مَا تُعْهَدُ[٦]

---

(١) ديوانه ٥٧١ ، ١٨٤٣/٣٥ « دنو الغيم » وقبله

موسر من خلائق تتراءى من ضروب الربيــع أو أشكاله

(٢) الزيادة من ك

(٣) سقطت من ك .

(٤) ديوانه ١٩٩ « فى ابتغائها »

(٥) ط « تساقط »

(٦) ديوانه ٦٨٩ وبعده :

لو كنت سامعة لبحت بلوعتى ولقلت : ما فعل الحسان الخرد

ويروى : «سقيت من معمورة» يخاطب الدِّمَنَ ، أى : عهدى بها معمورة[١] .

ومن رواه[٢] : «معهودة عهدى» أى : عهدى بها معهودة[٣] .

وقد يكون العهد[٤] من التعهُّد . ويكون قوله : «ما تعهد» أى : قد نسِيتِ ، وهذا يشبه[٥] تجنيسات أبى تمام .

(١) ط «معمورة معهودة»
(٢) ط «روى»
(٣) ط و ك «معهودة فقدت معهودة ما تعهد»
(٤) ط «تعهد»
(٥) ط «وهذه شبه»

باب
فى اضطراب الأوزان

وما رأيت شيئاً مما عيبَ به أبو تمام إلَّا وجدت فى شعر البحترى مثلَهُ ، إلا أنه فى شعر أبى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل .

فمن ذلك اضطراب الأوزان فى شعر أبى تمام .

١ ـ وقد جاء فى شعر البحترى بيتٌ هو عندى أقبح من كل ما عيب به أبو تمام في هذا الباب ، وهو قوله :

ولِمَــاذا تَتَبَّعُ النَّفْسُ شَيْئاً　　　جَعَلَ اللهُ الْفِرْدَوْسَ مِنْهُ بَوَاء[1]

وكذلك وجدته فى أكثر النسخ . وهذا خارج عن الوزن ، والبيت من العروض هو البيت الأَوَّلُ من الخفيفِ [وهو] سُداسِيٌّ [ووزنه] :

فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ * فَاعِلاتُنْ[2] مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ

وتقطيعه :

وَلِمَاذَا * تَتَبْبَعُنْ * نَفْسُشَيْئًا جَعَلَلْلَاهُلْ * فِرْدَوْسَمِنْ * هُبَوَاءَ

---

(١) ديوانه ٤٤٤ « يجعل » وفى عبث الوليد لأبى العلاء المعرى ٢٦ :

ولماذا تكره النفس شيئا　　　جعل الله الخلد منه بــواء

كان فى النسخة : « جعل الله الفردوس منه بواء » وهو كسر ، والتغيير الذى ذكره ابن العميد : « جعل الله لخلد منه بواء » وقد جاء أبو عبادة فى شعره بمثل هذا وفى غير موضع ، من ذلك قوله :

وأحق الأيام بالحسن أن يؤ　　　ثر عنه يوم المهرجان الكبير

تقويمه : ذو المهرجان الكبير ، أو نحو ذلك . وهذا كسر متجانس ؛ لأنه زيادة حرفين الأول متحرك والثانى ساكن فى الوزن الذى يسمى الخفيف »

(٢) م « فاعلان . . فاعلان »

فَعِلاتُنْ * مَفَاعِلنْ * فَاعِلاتُنْ[١] فَعِلاتُنْ * مُستفْعِلُنْ – فَعِلاتُنْ

فحذف ألف «فاعلاتن» الأولى والثانية والأخيرة فصارت فعِلاتن ، وسين «مستفعلن» الأولى فصارت مَفَاعلن ، وذلك كله زحاف جائز .

وزاد فى البيت سَبَباً ، وهو حرفان : الهاء من اسم الله عز وجل ، واللام من لفظ الفردوس ، وهو[٢] : هل إكفاء . ولا أعرف مثل هذا البيت .

وقد رأيت فى بعض النسخ : «جَعَلَ اللهُ الْخُلْدَ مِنْهُ بَوَاء»[٣] فإن يكن هكذا قال فقد تخلّص من العيب ، ويكون تقطيع البيت[٤] :

* جَعَلَلْلاَ * هُلْخُلْد مِنْ * هُبَوَاءَ *

فعلاتن * مستفعلن * فعلاتن

٢ – وقال البحترى :

حَلَّأْتنا عَنْ حاجَةٍ مَمْنُوعٍ مُبْتَغَاها وَحاجَةٍ مَمْطُولَهْ[٥]

وهذا من العروض هو البيت الأولُ من الخفيف ، وتقطيعه :

حَلْلَأْتَنَا * عَنْحَاجَتِنْ * مَمْنُوعِنْ مُبْتَغَاها * وَحَاجَتِنْ * مَمْطُولَهْ

فَاعِلاتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولُنْ فَاعِلاتُنْ * مَفَاعِلُنْ * مَفْعولُنْ

وكان يجب أن تكون عروض البيت – وهى مفعولن الأولى – «فاعلاتن» ، ولا يجوز فيها «مفعولن» ، بل لو كان البيت مُصَرَّعًا لجاز فى عروضه

---

(١) م «فعلان»

(٢) ط «وهو إكفاء»

(٣) م «البيت من مستفعل هو افعلان وقال البحترى»

(٤) ديوانه ٤٧٥ «عن رفده فى منام» وحلأتنا : أى منعتنا سعدى البخيلة مما يسأل المحب

(٥) م «منوع»

« مفعولن » كما جاز فى ضَرْبه – وهى القافية – وذلك قوله : « ممطولة » . وأما جَعْله « مفاعلن » فى موضع « مستفعلن » الثانية فى البيت ، فذلك جائز من الزِّحاف .

وقد غير قومٌ هذه اللفظة فى البيت – وهى ممنوع – فقالوا : « بممنوع مبتغاها » أى : حلأتنا عن حاجة [بمانع] [١] منع مبتغاها من عائقٍ أو والٍ عليها ، ويكون « مبتغاها » فى موضع نصب بممنوع ، وهو [وجه] محتمل [٢] .

* * *

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشر بن يَحيى الآمِدِىُّ :

وأنا أذكر بإذن الله الآن فى هذا الجزء [أنواع] المعانى التى يَتَّفق فيها الطائيان ، وأُوَازِن بين معنًى ومعنًى ، وأقول : أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه . فلا تطالبنى [٣] أن أتعدَّى هذا إلى أن أُفصح لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق ؛ فإنى غير فاعل ذلك ؛ لأنك إنْ قَلَّدتنى [٤] لم تحصل لك الفائدة بالتقليد .

وإن طالبت بالعلل والأسباب التى أوجبت التفضيل ، فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى مِنْ نَعْتِ مذهبيهما ، وذكر مساويهما [٥] فى سرقة المعانى من الناس [وانتحالها] [٦] ، وغلطهما فى المعانى والألفاظ ، و [فى] إساءة مَنْ أساء منهما فى الطِّباق والتجنيس والاستعارة ورَدَاءة النظم واضطراب الوزن ، وغير ذلك مما أوضحته فى مواضعه وبينته ، وما سيعود ذكره فى

---

(١) الزيادة من ك
(٢) فى ك « آخر معايب البحترى »
(٣) ط « فلا تطلبنى »
(٤) م « قلدتنى بشىء »
(٥) ط « وذكر مطلوبيهما فى سرقة معانى »
(٦) زيادة من ط

الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة ، وما ستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعاتهما[١] ؛ فإنى أوقع الكلامَ على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما فى الأشعار التى أرتبها فى الأبواب ، وأنص[٢] على الجيد وأفضّله ، وعلى الردىء وأرذله ؛ وأذكر من علل الجميع ما ينتهى إليه التخليص ، وتُحيط به العبارة[٣] . ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهو[٤] علة ما لا يُعْرف إلا بالدُّرْبَة ودائم التجربة وطول الملابسة . وبهذا يَفْضُل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة[٥] مَنْ سِواهم ممن نقصت تجربته[٦] ، وقلّت دُرْبَتُه ، بعد أن يكون هناك طَبْع فيه تقبُّل لتلك الصناعة[٧] وامتزاج [بها] ، وإلا فلا[٨] .

ثم أَكِلُكَ بعد هذا إلى اختيارك ، وما تقضى عليه فِطْنَتك وتمييزك ؛ فينبغى أن تنعم[٩] النظر فيما يرد عليك ، ولن ينتفع بالنظر إلا من يُحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ، ومن إذا علم أنْصَف .

ثم إن العلم بالشعر [قد] خُصّ بأن يَدّعيه كلُّ أحد ، وأن يتعاطاه مَنْ ليس من أهله ؛ فلم لا يدعى أحد هؤلاء المعرفة بالعِين والوَرِق والخيل والسلاح والرقيق والبَزّ والطيب وأنواعه ، ولعله قد لا بس من أمر الخيل وركوبها

(١) ط « اختراعهما »
(٢) ط « وأنبه . . . وأفضله على الردىء وأبين الردىء وأرذله »
(٣) ط « به العناية . . . ما لم »
(٤) ط « وهى »
(٥) م « فن »
(٦) ط « قريحته »
(٧) ط « لتلك الطباع » وهو تحريف
(٨) ط « وإلا لا يتم ذلك وأكلك بعد ذلك »
(٩) ط « أن تتم »

والسلاح والعلم به[١] ، أو الرقيق واقتنائه أو الثياب ولبسها أو الطيب واستعماله — أكثَرَ مما عاناه من أمر الشعر وروايته ؛ فلا يتّهم نفسَه فى المعرفة بالشعر[٢] تُهَمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وزاوله[٣] . وما بالُه — وقد ركب الخيل كثيرًا — لمّا راقه من الفرس ملاحةُ سَبِيبه[٤] ، واستدارةُ كفَلِه ، وبريقُ شعره ، وحسن إشراقه [وجوده خُضْره — توقف عن ابتياعه حتى يشاور من يخبر[٥] أمره فى جنسه] وعِتْقِه[٦] ، وموضع نتاجه ، وصحة قوائمه ، وسلامة أعضائه ، وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة .

وكذلك السيف لَمّا بَهَرَه جلاؤه ، وصِقَاله وصَفاء حديدته[٧] — لم يُمْض فيه اختياره على غيره من السيوف ، حتى شاور مَنْ يعرف حسنه[٨] وطبعه وجوهره وفِرِنْدَه ومضاءَهُ .

وكذلك لما أعجبه من ثوب الوشى حسنُ طَرْزِه[٩] ، وكثرة صوره ، وبديع نقوشه ، واختلاف[١٠] ألوانه — لم يبادر إلى إعطاء ثمنه حتى رجع إلى أهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجَوْدة رُقْعته وصحة نساجته وخلاص[١١] إبْرَيْسَمِه .

---

(١) ط « والعلم بذلك »
(٢) سقطت من ك
(٣) ط « وتناوله »
(٤) فى اللسان ٤٤٢/١ « السبيب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية » وفى ك « شيبته »
(٥) ط « يجيز »
(٦) ط « إشرافه وعنقه »
(٧) ط « حديده » و م : « فلم يجعل فى اختياره »
(٨) ك « جنسه »
(٩) م « و ك « طروحه »
(١٠) ط « واختلاط »
(١١) ك « وخالص »

فكيف لم يفعل ذلك فى الشعر لَمَّا رَاقَهُ حسنُ وَزْنه وقوافيه ، ودقيق معانيه ، وما يشتمل عليه من مواعظ وأدب وحكم وأمثال[١] ؛ فلم يتوقَّف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بألفاظه ، واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلم منه فى مواضعه ، وكثرة مائه ورَوْنقه ؛ إذ كان الشعر لا يُحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه ؟ !

أَلا ترى أنه قد يكون فَرَسَان سليمان من كل عيب ، موجودٌ فيهما سائرُ علامات العِتْق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضَلَ من الآخر بفَرْق لا يعلمه إلا أهلُ الخبرة والدربة الطويلة .

وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال ، المتقاربتان فى الوصف ، السليمتان من كل عيب : قد يَفْرق بينهما العالمُ بأمر الرقيق ، حتى يجعل بينهما فى الثمن فضلا كبيرًا ، فإذا قيل له [وللنخَّاس][٢] : من أين فضلت أنت هذه الجارية على أختها ؟ ومن أين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه ؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما ، وإنما يعرفه كلٌّ واحد منهما بطبعه ، وكثرة دربته ، وطول ملابسته .

وكذلك الشعر : قد يتقارب البيتان الجيِّدان النادران ، فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدًا ، أو أيهما أجود فى معناه إن كان معناهما مختلفاً .

وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سَلاّم الجُمَحى[٣] وأبو على : دِعْبِل ابن على الخُزَاعى ، فى كتابيهما .

---

(١) م و ك « لم »
(٢) زيادة من ط و ك
(٣) راجع طبقات فحول الشعراء بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ٦ — ٨.

وحكى إسحاق الموصلى قال : قال لى المعتصم : أخبرنى عن معرفة النَّغَم وبَيِّنْهَا لى . فقلت : إن من الأشياء أشياء تُحيط بها المعرفة ، ولا تؤديها الصفة .

قال : وسألنى محمد الأمين عن شعرين متقاربين ، وقال : اختر أحدهما ، فاخترت ، فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان ؟

فقلت : لو تفَاوتا لأمكننى التبيين ، ولكنهما تقاربا وفضلت[1] هذا بشىء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان .

وقد قيل لخلف الأحمر[2] : إنك لا تزال تردُّ الشىء من الشعر ، وتقول : هو ردىء ، والناس يستحسنونه !

فقال : إذا قال لك الصَّيْرَفى : إن هذا الدرهم زائفٌ فاجهد جَهْدَك أن تنفقه فإنه لا ينفعك قولُ غيره : إنه جيد .

فمِنْ سبيل مَنْ عرف بكثرة النَّظَر فى الشعر والارتياض به وطول الملابسة له ـ أن يُقْضَى له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه[3] ، وأن يسلَّم له الحكم فيه ، ويُقْبل منه ما يقوله ، ويعمل على ما يمثله[4] . ولا يُنازَع فى شىء من ذلك ؛ إذ كان من الواجب أن يسلَّم لأهل كلِّ صناعة صناعتهم ، ولا يخاصمهم فيها ، ولا ينازعهم إلا مَنْ كان مثلهم نظيرًا[5] فى الخبرة وطول الدُّرْبَة والملابسة[6] .

---

(١) ط « وفضل »
(٢) راجع طبقات فحول الشعراء ٨
(٣) م و ك « بأعوانه » !
(٤) ط « على تمثاله »
(٥) ط « نظرا »
(٦) ط « فإنه »

وإنه ليس فى وُسْع كل أحدٍ [منهم] [1] أن يجعلك أيها السائل المتعنت أو المسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد إلى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده أو مَنْ هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ، ولا حجة باهرة ، وإن كان ما اعترضت به اعتراضاً صحيحاً ، وما سألت عنه سؤالاً مستقيما ؛ لأن ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام ، لا يجوز أن يحيط [محيط] به فى ساعة من نهار .

ثم إن العلم بالذى لا يُعْلم [2] فى أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشافهة [3] لا يعرف حق المعرفة بالقول [4] والصفة ، وقد قيل : ليس الخبر كالمعاينة . وعلة ذلك بينة واضحة ، ومعلومة [5] ظاهرة ، وهى : أنه لا يمكنه أن يشاهد بك [6] جميع المعلومات التى اختبرها [7] وعلم علمه [منها] بملابستها فى السنين الطويلة . فمن المحال أن يقدر [على أن يصور لك عشرة آلاف فرس أو] أن يصف لك عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر [والأوصاف] فيجعلك مشاهداً لذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ، ومُخبراً [8] لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس فى تلك الساعة ، وهو إنما عَلِم ذلك على مرور

---

(١) الزيادة من ك

(٢) ط « الذى لا يعلم به »

(٣) ط « والمشاهدة »

(٤) م « فى الصفة »

(٥) ط « ومعلوم ظاهر هى أنه لا يمكن »

(٦) م « كل جميع »

(٧) ط « التى احتواها »

(٨) م و ك « ومجريا لك كل »

الأيام وطول الزمان ، وهذا محال[١] لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه [أحد][٢] إلا خالق الخلق وبارئ البشر .

وبعد : فلم لا تصدق نَفْسَك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ عليك [العلم][٣] بالشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانةَ كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء[٤] ؟ وأنك ربما قَلَبْتَ ذلك وتصفحته أو حفظت القصيدة والخمسين منه ؟

فإن كان ذلك هو الذى قَوَّى ظنك ، ومَكَّن ثقتك بمعرفتك ، فلم لا تدعى المعرفَةَ بثياب بدنك ورحْل[٥] بيتك ونفقتك ؟ فإنك دائماً[٦] تستعمل ذلك وتستمتع به ، ولا تخلو من ملابسته ، كما تخلو فى كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته[٧] ، حتى إذا رُمْتَ تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدنانير أو ابتياع ثوب أو شىء من الآلة — لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ، ولم لَمَّا خِفْتَ الغَبِينة فى مالك فأذعنت وسلَّمت وأقررت بقلَّة المعرفة — لم[٨] تخش الغبينة والوَكْس فى عقلك فتسلِّم العلم بالشعر إلى أهله ؟ فإن الضرر فى غَبَن العقل أعظم من الضرر فى غبن المال .

فإن قلت : وما العلم بالخيل والبزِّ والرقيق والذهب والفضة التى لم

---

(١) ط « مجال »
(٢) الزيادة من ك
(٣) م « عليك العلم والشعر . . . أن عندى »
(٤) ط « وأنت . . . أو صحفته »
(٥) م « ورجل » ويعنى برحل منزله : أثاثه
(٦) ط « ونفقاتك . . دأبا »
(٧) فى ط « ودراسته وإنشاده »
(٨) ط « ولم »

يُطْبع الإنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طُبع على الكلام ؛ فكان كل أحد [يكون] متكلمًا ، وليس كل أحد صيرفيًا ولا بزازًا ولا نَخَّاسا ؟

قيل : ولا كل أحد يكون شاعرًا ، ولا خطيباً ، ولا فى منطقه بارعاً ولا بليغاً[١] ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحدا يتكلم [فيستحسن كلامه ولا يستعاد[٢] ، وآخر يتكلم] فيُضْحَك منه ، فالإنسان المتكلم يعلم معانى ألفاظ. لغته ، ولايعلم جيدها من رديئها [ومُتَخَيَّرَها من مرذولها][٣] ، كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ، ويميز بين أجناسها ، ولا يعلم جيد كل جنس[٤] من رديئه ، وأرْفَعَه من أدونه[٥] . فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة ، فكذلك المعرفة بأجناس الكلام[٦] [من الشعر] والخطابة صناعة . فإذا رجعت فى[٧] المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضاً [فى المعرفة] بهذه إلى أهلها .

وبعد : فإنى أَدُلُّك على ما[٨] يَنْتهى بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك فى معرفتك بهذه[٩] الصناعة أو الجهل بها ، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فإن عَرَفت علَّة

---

(١) ط « ولا منطيقا بليغا ولا بارعاً »
(٢) ك « ولا يستفاد »
(٣) زيادة من ط و ك
(٤) م « كل نفس »
(٥) ط « دونه »
(٦) م « بكل أجناس الكلام والحكاية » ! وط « بكل جنس من أجناس الكلام »
(٧) م « إلى »
(٨) ط « ما تنتهى إليه البصيرة »
(٩) ط « بأمر هذه »

ذلك فقد علمت ، وإن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك أن تتأمل شعر أَوْسِ ابن حجَر والنابغة الجعدى ؛ فتنظر من أين فَضَّلوا أوسا ، وتنظر فى شعرى[1] بشر بن أبى خازِم وتميم بن أُبَىّ بن مُقْبِل ، فتنظر من أين فَضَّلوا بشرا[2].

وأخبرنى بعضُ الشيوخ عن أبى العباس ثعلب عن ابن الأعرابى عن المفضَّل : أن سائلاً سأله عن الرَّاعى وذى الرُّمَّة أيهما أشعر ؟ فصاح عليه صَيْحَةً منكرة : أى لا يقاس ذو الرمة بالراعى ، وكذلك غَيْرُ المفضل لا يَقِيسه به ولا يقارب بينهما .

فتأمل أيضاً شعرَىْ هذين[3] فانظر من أين وقع [تفضيل الراعى أو غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر فينظر من أينْ وقع][4] التفضيل .

فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده .

فإن علمت من ذلك ما علموه ، ولاحت[5] لك الطريقُ التى بها قَدّموا من قَدّموه وأخَّرُوا من أخروه ؛ فَثِقْ حينئذ بنفسك ، واحكم يسمع[6] حكمك .

وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم أنك بمَعْزِل عن الصناعة .

ثم إن كنت شاعرًا فلا تظهرن[7] شعرك ، واكتمه كما تكتم سرك .

فإن قلت : إنه[8] قد انتهى بك التأمُّلُ إلى علم ما علموه — لم يقبل

---

(١) ط « فى شعر كثير بن [عبد الرحمن و] بشر »

(٢) ط « كثيرا »

(٣) م « هذين تفضيل الراعى ، أو غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر فتنظر من أين »

(٤) الزيادة من ك

(٥) ط « ولاح »

(٦) ط « يستمع »

(٧) ط « فلا تظهر »

(٨) ط « إنك »

ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك فحتى تعلم شواهده[١] من فهمك ، ودلائله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردىء .

ثم إنى أقول بعد ذلك : لعلك - أكرمك الله - اغْتَرَرْت بأن شارفت شيئاً من تقسيمات المنطق ، أو جُمَلا[٢] من الكلام والجدل . أو علمت أبواباً من الحلال والحرام ، أو حفظت صدراً من اللغة ، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية ، وأنك لما أخذت بطَرَف نوع من هذه الأنواع بمُعَاناة ومزاولة ومُتَّصِلِ عِناية فتوجهت[٣] فيه ومهرت - ظننتَ أن كل ما لم تُلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى . وأنك متى تعرّضت له وأَمْرَرْتَ[٤] قريحتك عليه نَفَذَت فيه ، وكشفت [لك] عن معانيه . هيهات ! لقد ظننت باطلاً ، ورُمْت عسيراً ؛ لأن العلم - [من] أىّ نوع كان - لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه ، والجد فيه ، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه .

ثم قد يتأتى جنسٌ من العلوم لطالبه ويتسهّل[٥] ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر : لأن كل امرئ إنما ييسر [٦] له ما فى طينته قبولُه ، وما فى طباعه تعلُّمه .

فينبغى - أصلحك الله - أن تَقفَ حيث وُقِفَ بك ، وتقنع بما قُسِمَ لك ، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك .

(١) ط « شواهد ذلك . . . ودليله »
(٢) ط « وجملا . . . والجدال »
(٣) ط « فتوحدت . . . وميزت »
(٤) م « وأبرزت »
(٥) ط «ويسهل» .
(٦) ط « يتيسر له ما فى طبعه قبوله وما فى طاقته تعلمه »

باب
فى فضل أبى تمام

وجدتُ أهل النَّصَفَة[١] من أصحاب البحترى ، ومَنْ يُقَدِّم مطبوعَ الشعر دون متكلِّفِه ـ لا يَدْفَعُون أبا تمام عن لَطيف المعانى ودقيقها ، والإبداع والإغراب فيها ، والاستنباط لها ، ويقولون : إنه وإن اخْتَلّ فى بعض ما يورده [منها] فإن الذى يوجد فيها من النادر المستحسن أكثر [مما يوجد من السخيف المسترْذل ، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر][٢] من اهتمامه بتقويم ألفاظه ، على شدة[٣] غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة ، وإنه إذا لاح له أخرجه بأى لفظ استوى من ضعيف أو قوىٍّ .

وهذا من أعدل[٤] ما سمعته [من القول] فيه .

وإذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذى هو ضَالَّة الشعراء وطَلِبَتهم ، وهو لطيف المعانى .

وبهذه الخلة دون ما سواها فُضِّل امرؤ القيس ؛ لأن الذى فى شعره ـ من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة ـ فوق[٥] ما فى أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام ، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع أو أنواع ، ولولا لطيفُ المعانى

---

(١) ط « أهل البصرة » !
(٢) زيادة من ط ، ك
(٣) ط « على كثرة »
(٤) ط « أعدل كلام سمعته »
(٥) ط « ما استعار سائر » !

واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها[١] — لما تقدم على غيره ، ولكان كسائر الشعراء[٢] [من] أهل زمانه : إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا لألفاظه من الجزالة والقوة ما ليس لألفاظهم .

ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجّوا فى تقديمه بأن قالوا : هو أول من شَبَّه الخيل بالعِصِى ، وبالوحش[٣] والطير ، وأول من قال : « قَيْد الأوابد » وأول من قال كذا ، وقال كذا ، فهل هذا التقديم له إلا[٤] من أجل معانيه؟

وقالوا : وإذا[٥] كان قد اضطرب لفظُ أبى تمام واختلّ فى بعض المواضع ، فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو محدث ؟

هذا الأعشى يَختل[٦] لفظه كثيرًا ، ويُسَفْسِف دائماً ، ويرقّ ويضعف ، ولم يجهلوا حقّه وفَضْلَه حتى جعلوه نظيرًا للنابغة ، وألفاظ النابغة فى الغاية من البراعة والحسن ، وعديلاً لزهير الذى صَرَف اهتمامه كلّه إلى تهذيب ألفاظه وتقويمها ، وألحقوه بامرئ القيس الذى جمع الفضيلتين ؛ فجعلوهم طبقةً ، وصار فضلُ كل واحد من غير الوجه الذى فضل منه[٧] صاحبه .

ولو أن أبا تمام حتى[٨] يخلو من كل لفظ جيد البتة ، أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية :

---

(١) م « فيها » و ك « وإقباله قبلها »
(٢) ط « شعراء »
(٣) ط « وذكر الوحش »
(٤) ط « إلا لأجل »
(٥) م و ك « وماذا يكون إذا اضطرب »
(٦) ط « يحيل »
(٧) م و ك « به »
(٨) ط « حى » فضل !

وَإِذا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لهَا لِسَانَ حَسُودِ[١]

لَوْلا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيما جَاوَرَتْ ... مَا كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ[٢]

أو قال :

هِيَ البَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا ... إلى كلِّ مَنْ لاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدَّدِ[٣]

أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يفسر[٤] لنا [ذلك] مفسر بكلام عربي منثور ، أما كان يكون هذا شاعرًا محسناً يثابر شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه ؟ فكيف وبدائعهُ مشهورة[٥] ، ومحاسنه متداولة ، ولم يأت إلا بأبلغ لفظ وأحسن سَبْك ؟

---

(١) سبقا ص ١٣٨ ، ٣٢٤

(٢) ط « فضل عرف »

(٣) ديوانه ١٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢٣ « تودد وجهها : حسنة ، وأن كل أحد يحبه » وفى م « يغنيها تبلد »

(٤) ط « يفسره لى محسنا باعشا »

(٥) ط م و ك « المشهورة . . المتداولة »

باب
فى فضل البحترى

ووجدت أكثر أصحاب أبى تمام لا يَدْفَعُون[١] البحتريَّ عن حُلْو اللفظ ، وجَوْدة الرّصف[٢] ، وحُسن الديباجة ، وكثرة الماء ؛ وأنه[٣] أقرب مأْخذًا ، وأسلم طريقاً من أبى تمام ، ويحكمون[٤] — مع هذا — بأن أبا تمام أَشْعَرُ منه .

وقد شاهدتُ وخاطبت منهم على ذلك عددًا كثيرًا .

وهذا[٥] مذهب مَنْ جُلُّ ما يراعيه من أمر الشعر دقيقُ المعانى ، ودقيق المعانى موجود فى[٦] كل أمة ، و [فى] كل لغة .

وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حُسْن التأتّى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام[٧] ، ووَضْع الألفاظ فى مواضعها[٨] ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة[٩] لمعناه ؛ فإن الكلام لا يكتسى البهاء والرَّوْنَق إلا إذا كان بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحترى .

---

(١) م « لا يدفع »
(٢) ط « الوصف »
(٣) ط « فإنه »
(٤) ك « ثم يحكمون »
(٥) ط « وهذا رجل ما يراعيه » !
(٦) ط « فى كلامه »
(٧) م و ك « الكلم »
(٨) م « وإن لم يورد »
(٩) ك : « نافرة »

قالوا : وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر ؛ لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة إنما هى إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سَهْلة عذْبة مستعملة سليمة من التكلّف [كافية] ، لا تبلغ الهَذَر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية ، وذلك كما قال البحترى :

والشعر لَمْحٌ تكْفى إشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[1]

وكما قال أيضاً :

وَمَعانٍ لَوْ فَصَّلَتْها القَوَافى هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ وَلَبِيدِ[2]

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكَلامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعقِيدِ

وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكْـ ـنَ بِهِ غَايَةَ المرَادِ البَعيدِ

فإن اتفق – مع هذا – معنى لطيف ، أو حكمة غريبة ، أو أدب حسن ؛ فذاك[3] زائد فى بهاء الكلام ، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه ، واستغنى عما سواه .

قالوا : وإذا كانت طريقةُ الشاعر غيرَ هذه الطريقة ، وكانت عبارته مقصرة عنها ، ولسانه غير مدركٍ لها حتى[4] يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان أو حكمة[5] الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونَسْج مضطرب ، وإن اتفق فى تضاعيف ذلك شىء من

---

(١) ديوانه ٢٠٥ ، ١/٢٠٩ معارف

(٢) ديوانه ٦٩٤ فى مدح كتابة محمد بن عبد الملك الزيات . وجرول : اسم الحطيئة وفى ط « اللفظ الغريب . . . غاية المرام . والغريب . . . غاية المرام » والغريب تحريف يجعل المدح قدحا

(٣) ط « فذلك »

(٤) ط « مدرك لما يعتمد »

(٥) ك : « حكم » . . . « أو آداب »

صحيح الوصف وسليم النظر[١] ــ قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيما ، أو سميناك فيلسوفاً ، ولكن لا نسميك شاعرًا ، ولا ندعوك بليغاً ؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم ، فإن سَمَّيناك بذلك لم نُلْحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء .

وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة[٢] اللفظ يذهَب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعمِّيه حتى يحوج[٣] مستمعه إلى [طول] تأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عُظْم شعره .

وحسنُ التأليف وبراعةُ اللفظ يزيد المعنى المكشوفَ بهاء وحسناً ورَوْنَقاً حتى كأنه قد أحدث فيه غرابةً لم تكن ، و زيادةً[٤] لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولهذا[٥] قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام .

وإذا جاء لطيف المعانى فى غير بلاغة[٦] ولا سَبْك جيد ولا لفظ حسن ، كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الْخَلق ، أو نقش[٧] العبير على خدّ الجارية القبيحة الوجه .

* * *

وأنا أجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم

---

(١) ط « الوصف وسليمه » وفى ك : « وسليم النظم »

(٢) ط « وردىء »

(٣) ط « يحتاج »

(٤) م « وتارة »

(٥) ط « ولذلك »

(٦) ط « غرابة » !

(٧) ط « أو نفث » ولست أدرى كيف ينفخ العبير أو ينقل على خدها ؟

بالشعر : زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء [وهى] : جودة الآلة ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء إلى تمام[١] الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها .

وهذه الخِلالُ الأربع ليست فى الصناعات وحدها ، بل هى موجودة فى جميع الحيوان والنبات .

ذكرتِ الأوائلُ أن كل مُحدَث مصنوع يحتاجُ[٢] إلى أربعة أشياء : علة هيولانية وهى الأصل ، وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية .

فأما الهيولانية[٣] فإنهم يعنون : الطينةَ التى يبتدعها البارى جل جلاله ويخترعها ليصور ما شاء تصويره [منها] من رجل أو فرس أو جمل أو غيرها من الحيوان ، أو بُرَّة[٤] أو كَرْمَة أو نخلة أو سِدْرَة أو غيرها من سائر أنواع النبات .

[والعلة الصورية : هى المعنى الذى يقصد البارى - جل جلاله - تصويره من رجل][٥] .

والعلة التامية هى[٦] : أن يُتمَّهَا تبارك اسمه ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها .

---

(١) ط « إلى نهاية . . . نقص منها

(٢) ط « محتاج »

(٣) ط « الهيولى »

(٤) فى اللسان ٥ / ١٢٠ « قال ابن دريد : البر أفصح من قولهم : القمح والحنطة ، واحدته برة »

(٥) الزيادة من ك

(٦) ط « هو »

وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علَّمه الله عز وجل إياها : لا تستقيم له وتَجُود إلا بهذه الأشياء الأربعة ؛ وهى :

آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار ، وفضة الصائغ ، وآجُرّ البنّاء ، وألفاظ الشاعر والخطيب ، وهذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الأصل .

ثم إصابة الغرض فيما يقصد[1] الصانع صَنْعتَه ، وهى العلة الصّورية التى ذكروها[2] .

ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب ، وهى العلة الفاعلة.

ثم أن ينتهى الصانعُ إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها ، وهى العلة التّامية .

فهذا قولٌ جامع لكل الصناعات [و] المخلوقات .

* * *

فإن اتّفق الآن لكل صانع بعدَ هذه الدعائم الأربع أن يُحْدِثَ فى صنعته معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا فى الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض — فذلك زائد فى حُسْن صنعته وجوْدها ، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها .

وقد ذكَر بزرْجمَهر فضائل الكلام ورذائله ، وبعض ذلك داخل[3] فى الشعر ، فقال : إن فضائل الكلام خَمْسٌ إن نقصت[4] منها فضيلة واحدة

(١) ط « فيها بقصد » !

(٢) ط « ذكرتها » !

(٣) ط « دليل » !

(٤) ط « لو نقص »

سَقَطَ فضلُ سائرها ، وهى : أن يكون الكلام صدقًا ، وأن يوقَع موقع الانتفاع به ، وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة .

قال : ورذائله بالضد [من ذلك] ؛ فإنه إن كان صدقاً ولم يُوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه .

وإن كان صدقاً وأُوقع موقع الانتفاع به [ولم يُتكلم به فى حينه — لم يغنه الصدق ولم يُنتفع به .

وإن كان صدقاً وأُوقع موقع الانتفاع به] وتُكلِّم [به] فى حينه ولم يحسن تأليفه — لم يستقرّ فى قلب مستمعه ، وبطل فضل الخلال الثلاث منه .

وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه وأحسن تأليفه ، ثم استعمل منه فوق الحاجة — خرج إلى الْهَذَر ، أو نقص عن التمام — صار مبتورًا وسقط منه فضل الخلال كلها .

وهذا إنما أراد به بُزُرْجمهر الكلامَ المنثور الذى يخاطبُ به الملوك ، ويقدّمه المتكلم أمام حاجته ، والشاعر لا يطالَبُ بأن يكون قوله صدقاً ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ؛ لأنه قد يقصد إلى أن [1] يوقعه موقع الضرر ، ولا أن يجعل له وقتاً دون وقت ، وَبقِيَت الخلتان الأُخْرَيان [وهما] واجبتان فى شعر كل شاعر . [وذلك] : أن يحسن تأليفه ، ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته .

فصحة التأليف فى الشعر وفى كل صناعة هى أقوى دعائمه بعد صحة

---

(١) ط « إلى أنه »

المعنى ، فكل من[١] كان أصحَّ تأليفاً كان أقوم بتلك الصناعة ممن[٢] اضطرب تأليفه[٣] .

* * *

وقد انتهيت الآن إلى الْمُوَازَنة [بينهما][٤] ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعْراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى إليها المقصد ، وهى المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وتَرْك التحامل ؛ فإنه جلّ اسمه حسبى ونعم الوكيل[٥] .

* * *

وأنا أبتدئ بإذن الله من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدِّمَن والأطلال ، والسلام عليها ، وتَعفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ؛ والدعاء بالسُّقيا لها والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يَخْلُف قَطِينها الذين كانوا حُلُولاً بها من الوحش ، وفى تعنيف الأصحاب[٦] ولومهم على الوقوف عليها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدّم من ذلك [ذكر] ابتداءات قصائدهما[٧] فى هذه المعانى ، إن شاء الله .

---

(١) ط « وكلما كان »

(٢) ط « مما »

(٣) فى ط بعد ذلك : « والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما »

(٤) الزيادة من ك

(٥) هذا آخر ما نسخه ك

(٦) ط « الصحابة . . . بها »

(٧) ط « قصائدهم »

الابتداءاتُ بذكر الوقوف على الديار

١ ـ قال أبو تمام :

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ نَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبُعِ الْأَدْرَاسِ[١]

وهذا ابتداء جيد بالغ[٢] .

وقوله : « الأَدْرَاس » جمع دارس ، وقلَّما[٣] يُجمع فاعل على أفعال ، ومنه[٤] : شاهد وأشهاد ، وماجد وأمجاد ، وصاحب وأصحاب .

٢ ـ وقال أيضاً :

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ نَاشِدِ[٥]

أراد[٦] لنشدان الناشد الذى يقول : أين أهلُكِ يا دارُ ؟ كما ينشد الناشد الضَّالة إذا طلبها .

٣ ـ وقال أيضاً :

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عُلاثَا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا[٧]

علاثة : اسم صاحبه ، أراد قف يا علاثة .

وهذان ابتداءان صالحان .

---

(١) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٢

(٢) ط « صالح »

(٣) ط « وقليل ما »

(٤) ط « ومثله » وفى شرح التبريزى : « والأدراس إن جعل جمع دارس فهو مثل شاهد وأشهاد وصاحب وأصحاب ، وإن جعل جمع دريس فهومثل يتيم وأيتام وشريف وأشراف »

(٥) ديوانه ١١٦ وشرح التبريزى ٢ / ٦٨ وفى م « لنشوان » وهو تحريف

(٦) م « أراد أن ينشد »

(٧) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزى ١ / ٣١٤ والقطين : أهل الدار . والرثاث جمع رث وهو البالى

٤ ــ وقال أيضاً :

قِفْ نُؤَبِّنْ كِنَاسَ ذاك الْغَزَال إنَّ فِيها لَمَسْرَحاً لِلْمَقَالِ[١]

التأبين : مَدْح الهالك ، والكِناس هنا : الرَّبْع ، وإنما يريد الْخَيْمة أو البيت من بيوتهم ، سماه كناساً لأنه جَعَل المرأة غَزَالا : أى قِف بنا نَنْدبه فإن المقال يتّسع فيه .

وهذا أيضاً بيتٌ جيد ومعنى حسن مستقيم .

٥ ــ وقال :

لَيْسَ الْوُقُوفُ يَكُفُّ شَوْقَكَ فَانْزِلِ وَابْلُلْ غَلِيلَكَ بِالْمَدَامِعِ يُبْلَلِ[٢]

وهذا معنى ظريف ، وقد جاء مثله فى الشعر ، قال الأصم الباهلى ــ واسمه عبد الله بن الحجاج[٣] ــ ولا أعرف غيره ، وأظن أبا تمام عَثَر به واحتذى عليه ؛ لأنه كان مُولعاً بغرائب الألفاظ والمعانى :

أَتَنْزِلُ الْيَوْمَ بِالْأَطْلالِ أَمْ تَقِفُ لا بَلْ قِفِ الْعِيسَ حَتَّى يَمْضِيَ السَّلَف

السلف : المتقدمون ، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المطىّ ، ولا يكادون يذكرون نزولاً .

وأنشد منشد قول كُثَيِّرٍ وهو[٤] يسمع :

وَقَضَّيْنَ مَا قَضَّيْنَ ثم تَرَكْنَنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَاعِدا أَتَلَدَّدُ[٥]

---

(١) ط « هذا الغزال »

(٢) ديوانه ٢٣٣ « غليلا بالدموع فيبلل » وفى شرح التبريزى ٢ / ٣٢ « بكفء شوقك . . تبلل فتبلل » يقول : شوقك يعظم أن يكون وقوفك كفواً له ، فانزل بمطيتك فى هذا الربع ؛ لأنه يستحق أن ينزل فيه » وفى م « فازل ذبلك عليلا » وهو تحريف

(٣) فى المؤتلف والمختلف ٤٤ « . . . شاعر خبيث إسلامى ، له قصائد يهجو فيها الفرزدق »

(٤) ط « وكثير »

(٥) ديوانه ١ / ١١٤ ومعجم ما استعجم ٣ / ١٠٣٨ « وأزمعن بيناً عاجلا وتركننى . . . قائما أتبلد » وفيفا خريم : اسم مكان . وفى م « بهيفا »

فقال كثير : [أنا][1] ما قلت كذا ، أترانى قاعدًا أصنع ماذا ؟ قيل : فجالساً ؟ قال : ولا هذا ! أجالساً كنت أبول ، قيل : فما قلت ؟ قال : واقفاً . يريد واقفاً على مطيته ، فهذا هو المعروف من عاداتهم .

وقد قال كثير :

خَلِيلَىَّ هـذَا رسم عَزَّةَ فَاعْقِلاَ قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حلَّتِ[2]

والقَلُوص لا يَعْقلها راكبها إلا إذا نزل عنها ، والعَقْل فوق الركبة .

١ ــ وقال البحترى :

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وُقُوفِ الرِّكَابِ فِي مَغَانِى الصِّبا وَرَسْمِ التَّصَابِى[3]

التصابى : التفاعل من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاق ، وإذا فعَلَ فِعْلَ الصبى .

٢ ــ وقال أيضاً :

ذَاكَ وَادِى الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا من مَلاَمَتِى أَوْ مُطِيلاَ[4]

[وهذان ابتداءان فى غاية الجودة][5] .

٣ ــ وقال :

قِفِ الْعِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلاَلُهَا وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[6]

وهذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ؛ لأنه قال : « [قد] أدنى خطاها

(١) زيادة فى ط
(٢) فى ديوانه ١/٣٦ وط : « هذا ربع »
(٣) ديوانه ٥٦٢ د ١/٨٣ معارف القول الفائق ٨ ظ
(٤) ديوانه ٦٨٦ « من صبابة » وفى ط « عن »
(٥) زيادة من ط
(٦) سبق فى أخطاء البحترى ص ٣٧٩ .

كلالها » أى : قارَبَ من خطوها الكلالُ ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار التى تَعَرَّض لأن يشفيه ، وإنما وقف لإعياء المطى .

والجيد قولُ عَنْتَرَة :

فَوَقَفْت فيهَا ناقتِى وكأَنَّهَا فَدَنٌ لأَقْضِىَ حاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ[1]

فإنه لما أراد ذكر الوقوف احتاط بأن شبَّه ناقته بالفَدَن ، وهو القَصْر ، ليُعلم أنه لم يقفها ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد ، فقال :

أَنَخْتُ بها الْوَجْنَاءَ لا مِنْ سَآمَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ جاءٍ وَذَاهِبِ[2]

يقول : أنختها لأصلى[3] ، لا من سآمة ، كذا فسروه . وقوله « لثنتين » يعنى [ركعتى العصر] اللتين يقصرهما المسافر « بين اثنين جاء » يريد الليل « وذاهب » يعنى[4] النهار .

فإن قيل : إنما قال : « [قد] أدنَى خطاها كلالها » ليُعْلَم أنه قصد الدار من شقة بعيدة [فيكون أبلغ فى المعنى] .

قيل : لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فإن كانت [واقعة] على سَنَن طريقهم[5] قال الذى له أَرَبٌ فى الوقوف لصاحبه أو أصحابه ؛ قِفْ ، وقِفا ، وقِفُوا . وإن لم تكن على سَنن الطريق قال : عُوجَا وعَرِّجَا ، وعُوجُوا وعَرِّجوا . كما قال امرؤ القيس :

(١) سبق فى أخطاء البحترى ص ٣٧٩

(٢) سبق فى أخطاء البحترى ص ٣٧٩

(٣) ط « لأن أصلى . . . هكذا »

(٤) ط « يريد »

(٥) ط « الطريق »

عُوجا عَلى الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَـا
نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابنُ حِذَامِ (١)

وإذا عَرَّجوا كان التعريج أشقَّ على الركب والركاب [من الوقوف] ؛ لأَن لها فى الوقوف حيث انتهت راحة ، والتعريج فيه زيادة فى تَعَبها وكَلاَلها ، وإن قَلَّت المسافة ، كما قال أبو تمام :

وَمَا بِكَ إِرْكابِى مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَباً ألا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّكائِبِ (٢)

لأَن هذا القول منه دلّ على التعريج والتردد فى الرسوم ، أو أن (٣) صاحبه أَراد أَن يستمرَّ فى السير ولا يتعوّق (٤) بالوقوف فيعود ذلك عليها بضرر وإن أكسبها راحة ما فى الوقوف ، فقال [له] (٥) أبو تمام : « إنما حاولت رشد الركائب » لا رشدى .

فأَما الأَصمعى فإنه يرى التعريج أيضاً وقوفاً لا عدولا ، قال أبو حاتم : قلت له : ما معنى عَرَّج ؟ قال : وقفَ ، فقلت : يقال : عَرَّج إذا عَدَل ، فقال : لا ، وأنشد بيت ذى الرمة :

يا حَادِيَىْ بنتِ فضاضٍ أَمَا لَكُمَا -حَتَّى نكَلِّمَهَا- هَمٌّ بِتَعْرِيجِ (٦)

---

(١) ديوانه ١٧٦ والمحيل : المتغير وقال ناشر ط « الطلل المحيل ومثله المحول : الذى أتى عليه الحول » !

(٢) ديوانه ٤١ وشرح التبريزى ١/٢٠٨ « قال المرزوقى : يخاطب لائمه فى الوقوف على الدار ، يقول : ليس بك – فيما تتكلفه من لومى – هدايتى وصرفى عن غيى إلى رشادى وإنما شق عليك وقوف الإبل بأحمالها ، فحملك الإشفاق عليها والحد فى المنع من حبسها على الإسراف فى العتب وتغليظ القول ، فأما أن يكون بك صلاحى فلا »

(٣) ط « وأن أصحابه أرادوا »

(٤) ط « ولا يترفق فى الوقوف » !

(٥) زيادة من ط

(٦) ديوانه ٧١ « يا جارتى بنت فصاص » وفى م « يكلمها »

أى : هَمٌّ بوقوف ، وهذا لا يمنع أن يكون هَمٌّ بعدول ، ونفس الاشتقاق يدل على العدول ، والله أعلم .

وقال كثير يصف السَّيْلَ :

فَطَوْرًا يَسِيلُ عَلَى قَصْدِهِ وَطَوْرًا يُعَرِّجُ أَلَّا يَسِيلا[١]

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم أو منه وحده[٢] لما لاموه ، ولا عنفوه على احتباسه وإطالته ، ولا استعجلوه وهو دائباً يسألهم التلوُّمَ عليه والتوقف معه .

وهذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار ، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره ، وتلك سبيل سائر المحدَثِين ، وطريقة الطائيَّيْنِ : ما عَدَلاَ عنها ، ولا خرجا إلى غيرها . ألا ترى إلى قول أبى تمام :

مَا فِى وُقوفِكَ سَاعَةً مِنْ باسِ نَقْضِى ذِمَامَ الْأَرْبُعِ الْأَدْرَاسِ[٣]

كيف سأل صاحبه أن يقف [عليه] ساعةً ، ثم قال بعد بيت آخر :

لا يُسْعِدُ الْمُشْتَاقَ وَسْنَانُ الْهَوَى يَبِسُ الْمَدَامِعِ بارِدُ الْأَنْفاسِ[٤]

وقوله [أيضاً] :

لا تَمْنَعَنِّى وَقْفَةً أَشْفِى بهَا دَاءَ الفِرَاقِ فإنها مَاعُونُ[٥]

وقال البحترى :

يَا وهب هب لِأَخِيكَ وَقفَةَ مُسْعِدٍ يُعْطِى الأَسَى مِنْ دَمْعِهِ المَبْذُولِ[٦]

---

(١) فى ملحق ديوانه ٢٣٧

(٢) ط « ومنهم وحده » !

(٣) سبق ص ٤٣٠

(٤) فى شرح التبريزى ٢٤٣/٢ « الوسنان : الناعس ، واستعاره ها هنا للهوى ولم يستعمل ذلك من قبل الطائى . يقول : لا يسعد المشتاق إلا مشتاق مثله ، فأما من هواه ضعيف ومدامعه فاقدة للبكاء ، فهو سال لا يعين باكيا » .

(٥) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣٢٣/٣

(٦) ديوانه ٦١٠ ، ١٦٦٢/٣

[وقوله أيضاً :

قِفْ بهـا وقفةً تردُّ عليهـا أَدْمُعاً رَدَّها الهوى أَنْضَاءَ(١)

وقوله أيضاً :

ماذا عليكَ مِنَ انتظارِ مُتَيَّمٍ بَلْ ما تَضُرُّكَ وقْفةٌ فى منزلِ] (٢)

قوله أيضاً :

خَلِّيَاهُ وَوَقفـةً فِى الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ الْمَكْتُومِ (٣)

ثم إنَّا ما علمنا أحدًا قَصَدَ دارًا عَفَت من شقَّة بعيدة ، واحدًا كان أو فى جماعة ، للتسليم(٤) عليها ، والمسأَلة لها ، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا ، فإن(٥) هذا ما سُمِع به ، ولا هو من أغراضهم ، إذ ليس فيه جدوى ، ولا يؤدِّى إلى فائدة ، لأَن المحبوب إن كان حيًّا موجودًا فقَصْدُ رِباعه ومَوَاطنه التى هو قاطنها والإلمامُ به فيها أَولى وأَجْدى(٦) ، وإن كان ميتاً فالإلمام بناحية الأرض التى فيها حُفرته أولى وأَحْرى ، وعلى أنهم لا يكادون يَزُورون القبورَ ، وإنما وَقَفوا على الديار ، وعَرَّجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها ؛ لأَنهم تذكروا عند مُشَارفتها أَوطارَهم فيها ، فنَازَعَتهُم نفوسهُم إلى الوقوف عليها ؛ والتلوُّم بها ، ورأَوا أن ذلك من كَرم العهد وحُسْن الوفاء ، أَلا ترى إلى قول أَبى تمام :

أَمَوَاقِفَ الفِتْيَان تَطوِى لَمْ تَزُرْ شَوْقاً وَلَمْ تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدًا(٧)

---

(١) ديوانه ٧١٢ وفى م « ردها الكوى » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٧٣١ « ما يضرك » وانظر نقد الباقلانى للبيت فى إعجاز القرآن ٣٤٢ – ٣٤٣

(٣) ديوانه ٥٩٤

(٤) م « للسلام . . والمسألة نجالها »

(٥) ط « وإن . . . من أغراضها وليس »

(٦) ط « وأحرى »

(٧) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزى ١ / ٤١٢ ويروى : الفتيات ، ولم نزر ، ولم نندب ويروى شرفا . وتطوى : أى تمر فيها وشرفا : أى مرتفعا ، وفى م « لم يرد اشعفا » وفى ط « أمواطن »

ويروى : «لم نزر شَعَفًا » أى : كيف نطوى هذه الرسوم والدمن التى هى مواقف أهل الفتوة[١] ، يريد الكرام ، ولم نزر[٢] حَزْناً لها ولا سَهْلا ؛ لأنه أراد بالشعف ما ارتفع[٣] من الأرض وعلا ، وأراد بالصعيد ما اطمأنّ من الأرض وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذى فيه التراب ، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض ، لا فيما علا ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوّة والمروءة ، وأنّ طَيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد . وما أحسن ما قال أبو نُوَاس :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلى الدِّيارِ مُسَلِّماً   فَلِغيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الهِجْرَانُ[٤]

على[٥] طريقة القوم [المعتادة] .

وقال البحترى يخاطب نفسه أو صاحباً معه :

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلالُهَا
وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[٦]

فمن زعم أن البحترى بهذا القول كان قاصدًا للدار وغَيْرَ مجتاز ، احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه ، ولا سبيل له إلى ذلك .

فإن قيل : [و] لم لا يكون للمطية حق على من بلّغته منازلَ أحبابه[٧] يوجب أن يكرمها ويريحها ، كما قال أبو نُواس :

(١) م « أهل العيوم »

(٢) م « ولم تزر وعلا والصعيد ما اطمأن وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذى فيه التراب حزنا لها » وهو خطأ

(٣) م « ما ارتفع من التراب ، وأكثر ما يكون فيما »

(٤) ديوانه ٥١ طبع الحلبي

(٥) م « فعلى »

(٦) سبق ص ٣٧٨ ، ٤٣٢

(٧) الأحباب »

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ[١]
قَرَّبْنَنَا مِن خيْرِ مَنْ وَطِئَ الحَصى فَلَهَـا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

قيل : هذا أصلٌ آخر طريقُه غير طريق الوقوف على الديار ، ولا يقاس أصل على أصل، وإنما يقاس على الأَصل فروعُه التى تتفرَّع منه ، وهذا الشرط فى كل علم[٢] .

وقال أبو نُوَاس فى موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً :

فلَمْ أَجْعَلْكِ للغِرْبانِ نُحْـلًا وَلَمْ أَقُلِ: اشْرَقِى بِدَمِ الْوَتِينِ[٣]

يريد قول الشَّمَّاخ ، والشَّمَّاخ إنما قال :

إِذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بِدَمِ الْوَتِينِ[٤]

لأَنه رأى ناقته قد شفَّها السيرُ وهَزَلها وأنضاها حتى دَبِرَت ، وذلك قوله :

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِى تَشَكَّى كُلوماً بَعْدَ مَحْفِدِها السَّمِينِ[٥]

فيقول : إذا بلغتنى[٦] عَرابةَ فلا أبالى أن تهلكى ، وهذا ليس بدُعاء عليها ، وإنما أراد أنك إذا بَلَّغتِنيه فقد بلغتُ الغنى وأدركتُ العوض منك ؛ فهذا معنى ، وقولُ أبى نواس [له] معنى آخر ، وليس بضد لقول الشماخ ،

---

(١) ديوانه ٥٥ والخزانة ١/٥٥٤ ويريد بمحمد : الخليفة الأمين

(٢) م « كل عل » !

(٣) ديوانه ٥٦ ومحاضرات الراغب ١/٣٣٢ والصناعتين ٢١١ « إشرقى » والنحل : العطاء والهبة

(٤) ديوانه ٩٢ والخزانة ١/٤٥٣ ، ٢/٢٢٢ والكامل ١/١١٣ ، ١١٤ ، ٢/٦٤٥ والصناعتين ٢١٠ ومحاضرات الراغب ١/٣٣٢

(٥) يعنى بالكلوم : الجراح التى يحدثها طول السير فى ظهرها وقد قال الشيخ محمد محيى الدين « المحفد بزنة المجلس أو بزنة المنبر — شيء كالمكتل تعلف فيه الإبل » ! والصواب : أن المحفد : السنام ، كما فى اللسان ٤/١٣٢ ورواية الديوان : « مقحدها » وشرحها الشيخ أحمد الشنقيطى بقوله: « المقحد » السنام . والمعنى : أهزلتها بسيرى عليها بعد سمنها » ورواية الخزانة كرواية الديوان ، وشرحها الرضى بالسنام ٢/٢٢٦

(٦) م « إذا بلغتنيه فلا »

وإنما يضاده قول المرأة التى قالت : يا رسول الله ، نَذَرْتُ إن بَلَّغَتْنى ناقتى هذه إليكَ أن أَنْحَرَها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَبِئْسَ مَا جَزَيتِها»[1] لأن هذه قصدَتْ أن جعلت جزاء التبليغ النحر ؛ فهذان المعنيان يتضادان ، وقول الشماخ خارج عنهما ، لأنه[2] أصل ثالث .

والوجه الذى جاء به البحترى فى الوقوف على الديار وتحرز منه[3] عنترة وذو الرمة — وجه غير هذه الوجوه ، وطريقة غير هذه الطرق ، ولم أقل إنه خطأ ،

وإنما قلت : إن المعنى غير جيد ، فإن التمسنا[4] العذر للبحترى قلنا : إنه وصف حقيقة أمر العِيسِ عند الوصول إلى الدار ، وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى أن يَصِفُوا الشىء على ما هو ، وكما[5] شوهد ، من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع [فربما ورد هذا الوجه على ألسنتهم أحسن من كل معنى بديع مستغرب] ، وربما[6] وقع فيه مثلُ هذا الخلل لقلة التحرّز[7] .

وسترى للبحترى وغيره — فى هذا الكتاب — مِنْ هذا النوع فى مواضعه ما هو أجود من كل جيد ، إن شاء الله .

٤ — وقال البحترى :

عَرِّجْ بِذِى سَلَمٍ فَثَمَّ الْمنْزِلُ فيَقُولُ صَبٌّ مَا أَرَادَ وَيَفْعَلُ[8]

وهذا ابتداء جيد ، وقد رواه قوم : «ليقولَ صب ما أراد ويَفْعَلُ»

---

(١) ورد فى الخزانة

(٢) ط «فإنه»

(٣) م «من مثله ذو الرمة»

(٤) ط «التمست»

(٥) ط «وعلى ما شوهد»

(٦) ط «وإنما»

(٧) ط «التجوز» !

(٨) سبق ص ٢٩ «ليقول»

والنصب أجود [فى الروايتين] ، والرفع له وجه ، والمتأخرون لا [يكادون] يَسْلَمُون من اللحن ، وهو فى أشعارهم كثير جدًّا .

٥ ـ وقال (أيضاً) :

كَمْ مِنْ وُقُوفٍ عَلى الأَطْلالِ وَالدِّمَنِ   لَم يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشَّوْقِ ذَا شَجَنِ[1]

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

٦ ـ وقال أيضاً :

اسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ فى أَطْلالِهِمْ وَقِفَا   وَإِنْ أَجَدَّ بِلَى مَأْثُورِهَا وَعَفَا

يقال : أجد فى أمره من الانكماش ، وجَدّ . وهذا ابتداء صالح .

٧ ـ وقال :

قِفَا فِى مغَانِى الدَّارِ نَسْأَلْ طُلُولَها   عَنِ النَّفَرِ اللاَّئِينَ كانُوا حُلُولَها[2]

وليس هذا الابتداء بالجيد ؛ من أجل قوله « اللائين » لأنها لفظة ليست بالحلوة ، وليست[3] مشهورة .

فهذا ما ابتدآ به من ذكر الوقوف ، وأجعلهما فيه متكافئين ؛ من أجل براعة بيتى البحترى الأولين ، وأنهما أجود من سائر أبيات أبى تمام ، ولأن للبحترى[4] فى الباب التقصير الذى ذكرته وليس لأبى تمام مثله .

---

(١) ديوانه ٥٨١

(٢) ديوانه ٥١١ وفى ١٧٩٦/٣ « عن الأنس المفقود كانوا »

(٣) م « ولا مشتهاة »

(٤) ط « البحترى . . . التقصير . . . ذكرته له »

التسليم على الديار

١ ـ قال أبو تمام :

دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقالَ سلامُ ... كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الإِلْمَامُ[١]

هذا المصراع الأول فى غاية الجودة والبراعة والحسن [والصحة] والحلاوة ، وعجز البيت أيضاً جيد بالغ .

٢ ـ وقال :

سَلِّمْ عَلَى الرَّبْعِ منْ سَلْمَى بِذِى سلَمِ ... عَلَيْه وَسْمٌ مِنَ الأَيَّامِ وَالقِدَمِ[٢]

وهذا ابتداء ليس بالجيد ؛ لأنه جاء بالتجنيس فى ثلاثة ألفاظ ، وإنما يحسن إذا كان بلفظتين ، وقد جاء مثله فى أشعار الناس ، والردىء لا يُؤتم به ، قال الأبيْرد بن المُعَذَّر الرِّياحى[٣] :

جَزِعْتَ وَلم تَجْزَعْ مِنَ البَيْنِ مَجْزَعَا ... وَكُنْتَ بِذكرِ الْجَعْفَرِيَّةِ مُولَعَا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرئ القيس على هذا الوزن ، وذلك باطل[٤] .

وما ينبغى للمتأخر أن يَحْتَذِى الأخذَ إلا للجيد المختار ؛ لِسَعة محاله ، وكثرة أمثلته .

---

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣/١٥٠

(٢) ديوانه ٢٦٧ وشرح التبريزى ٣/١٨٤ « ذو سلَم : موضع . ووسم غير معجمة ، أى علامة من الأيام والقدم ، وذلك إذا أنه نظر إليه علم أنه قد أتت عليه السنون والأحقاب » .

(٣) ط ، م « المعذل » والتصويب من المؤتلف والمختلف للآمدى ٢٤ وفى الأغانى ١٢/١٠ « ابن المعذر بن عبد بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح . . . شاعر فصيح بدوى . من شعراء الإسلام وأول دولة بنى أمية وليس بمكثر ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم »

(٤) فى ديوان امرئ القيس ، مما نسب إليه ، وروايته هناك ١١٤ « ولم أجزع . . . وعزيت قلبا بالكواعب مولعا » ، وفى م « ركبت بذكر »

وقال البحترى :

١ ـ هَذِى المَعَاهِدُ مِنْ سُعَادَ فَسَلِّمِ ۝ وَاسْأَلْ وَإِنْ وَجَمَتْ فلم تَتَكَلَّمِ[١]

٢ ـ وقال أيضاً :

أَمَحَلَّتَىْ سَلْمَى بِكاظِمَةَ اسْلمَا ۝ وَتَعَلَّمَا أَنَّ الهَوَى مَا هِجْتُمَا[٢]

وهذان ابتداءان جيدان .

٣ ـ وقال أيضاً :

حُيِّيتُما مِنْ مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ ۝ كانَا مَحَلَّىْ زَيْنَبٍ وَصَدُوفِ[٣]

هذا ابتداء صالح .

٤ ـ وقال أيضاً :

مِيلُوا إلى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحَيِّيهَا ۝ نَعَمْ وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِيهَا[٤]

وهذا بيت[٥] ردىء ؛ لقوله « نعم » وليس بالمعنى إليها حاجةٌ ، فجاء بها[٦] حَشْوًا . ومن الحشو ما لا يقبح ، و « نعم » ههنا قبيحة ، وقد أولع بها كُثَير بن عبد الرحمن فى ابتداءاته ، فقال :

أَمِنْ أم عَمْرٍو بِالْخَرِيقِ دِيَارُ ۝ نَعَمْ دَرِاسَاتٌ قَدْ عَفَوْنَ قِفَارُ[٧]

(١) ديوانه ١٢٤ ، ٢٠٨٠/٤ المعارف و ط « ولم »
(٢) ديوانه ٢٢٨ ، ١٩٥٨/٣ « أن الجوى »
(٣) ديوانه ٦٣٥ « من متربع » ، ١٤٠٣/٣
(٤) ديوانه ٢٦
(٥) ط « البيت »
(٦) ط « جاء »
(٧) ط « أمن آل » وهما روايتان ، وفيها وفى م : « بالحريق » والتصويب من معجم ما استعجم ٤٩٥/٢

وقال :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّكْبُ أَمْ أَنْتَ سَائِلُ
نَعَمْ والْمَغَانى قَدْ دَرَسْنَ مَوَاثِلُ

وقال :

أَهاجَكَ لَيْلَى إِذْ أَجَدَّ رحِيلُها نَعَمْ وَثَنَتْ لَمّا احْزَأَلَّتْ حَمُولُها[١]

احْزَأَلت : انتصبت وارتفعت[٢].

وقال :

أَبَائِنَةٌ سُعْدَى ؟ نَعَمْ سَتَبِينُ كما انْبَتَّ مِنْ حَبْلِ القَرِينُ قَرِينُ

وهى فى كل هذه الأَبيات رديئة ، وموضعها من هذا البيت الأَخير أصلح ؛ لأَن إسقاطها من الجميع يَحْسن ، ولا يحتاج الاستفهام فيها إلى جواب ، إلا هذا البيت فإن الاستفهام فيه يقتضى أن يكون «نعم» جواباً له ، ومع هذا فليس لها حلاوة ولا حسن . ولكُثَير استفهامات لا جواب لها على عادات الشعراء المحسنين .

منها قوله :

أَمِنْ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمُ[٣]

وكل أبيات كُثَير أجود من بيت البحترى ؛ لأَن «نعم» فيها جواب ، وهى فى بيت البحترى حَشْو ، وقال البحترى فى بيته : «نحييها» والأَجود

---

(١) ط «أهاجتك»

(٢) كتب هذا التفسير فى م على الهامش . وفى م «اجزألت»

(٣) أمالى المرتضى ٣٣/٢ . وفى معجم ما استعجم ٥٤٨/٢ «آل قتله» وفى م «ظلل تلوح» وفى ط «من آل»

« نحيِّها » لأنه جواب الأمر ، وقد يكون « نحييها » رفعاً على الحال ، والجواب ههنا أجود من الحال .

* * *

فهذا ما وجدته من تسليمها على الديار ، وأبو تمام عندى – فى قوله : « دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلام » – أشعر من البحترى فى سائر أبياته .

وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبى نُوَاس :

وَإذا مَرَرْتُ عَلى الدِّيَار مُسَلِّمًا ... فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الْهِجْرَانُ[1]

* * *

---

(١) سبق ص ٤٣٧ .

ما ابتدآ به من ذكر تعفية[1] الدهور والأزمان للديار

قال أبو تمام :

لَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ   أَنُحْلُ المَغَانى لِلْبِلَى هِىَ أَمْ نَهْبُ[2]

أراد أَنُحْلٌ المغانى [هى] لِلْبِلى فحذف التنوين [3] ، والْحُقْبُ : الدهر ، وجمعه أحقاب ، والحِقَبُ : السِّنُون ، واحدتها حِقْبة ، وقال : « لقد أخذت » فأَنَّثَ والْحُقْبُ مذكر ، وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه ، ويقال : الحقب ثمانون سنة ، فعلى هذا قال « أَخَذَتْ » [فأَنث] .

وقال أيضاً :

قَدْ نَابَتِ الْجَزْعَ مِنْ أُرْوِيَّةَ النُّوَبُ   وَاسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً من رَبْعِها الْحِقَبُ[4]

« واستحقبت » أى جعلتِ الحِقَبُ – وهى السنون – جِدَّةَ الربع فى حقيبتها .

والحقيبة : ما يحتقبه الراكب ، وهو وعاء يجعله خلفه إذا ركب ويُحْرِز فيه متاعه وزاده ، وهذه استعارة حسنة ، وإنما يريد أن الحقب سلبت الربع جدّته وذهبت بها[5] .

---

(١) م « ابتداء ما ابتدآ . . تعقبة »

(٢) ديوانه ٣٠ وشرح التبريزى ١ / ١٨٤ « والنحل : العطية . تقديره : أنحل المغانى للبلى أم نهب ؟ فحذف التنوين للضرورة . يقول : أصيرت المغانى للبلى نحلا أم نهبا ؟ » وفى م « مارية »

(٣) م « البنون » !

(٤) شرح التبريزى ١ / ٢٤٤ وفى الديوان ٤٦ « من دارها » وفى ط « من ماوية » والجزع : المحلة قال التبريزى : « قوله : من أروية ، فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أروية أو من أجزاعها أو نحو ذلك ، ليصح دخول « من » إذ كانت للتبعيض

(٥) قارن شرح الحقيبة هنا بشرحها فى التبريزى

وقال البحترى :

أَرُسُومُ دَارٍ أَمْ سُطُور كِتَابِ دَرَسَتْ بَشَاشَتُهَا عَلَى الأَحْقابِ [١]

أى : على مر السنين ، وهذا البيت أبرع من بيتى[٢] أبى تمام لفظاً ، وأجود سَبْكاً ، وأكثر ماء ورونقاً ، وهو من الابتداءات النادرة العجيبة ، المشبهة لكلام الأوائل ؛ فهو فيه أشعر من أبى تمام .

---

(١) ديوانه ٣٤٠ ، ١/٢٩٤ معارف

(٢) م « بيت »

وفى إقواء الديار وتعفّيها

١ ــ قال أبو تمام :

طَلَلَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا
وَكَفَى عَلَى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا[١]

أراد «وكفى بأنه مضى حميدًا شاهدًا على أنى رزئت» . وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى برزئى[٢] شاهدًا على أنه مضى حميداً ، وقد استقصيت الكلام فى هذا فيما تقدم من أغاليط[٣] أبى تمام :

٢ ــ وقال أيضاً :

أَجَلْ أَيُّهَا الرَّبْعُ الذِى بَانَ آهِلُهْ
لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهْ[٤]

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

٣ ــ وقال أيضاً :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِى وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائعُ مِنْ بُرْدِ[٥]

وهذا بيت ردىء مَعِيب ؛ لأن الوشيعة والوشائع هو الغَزْلُ الملفوف من

---

(١) سبق ص ٢١٦ . وفى م « رزه نداك » وهو تحريف

(٢) ط « رزئى »

(٣) ط « فى غلط »

(٤) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٣/ ٢١ « خف آهله » قال المعرى : « هذا لا يمكن أن يكون إلا على كلام متقدم ، لأن أجل فى نعم نعم ، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام من غيرك . فكأنه ادعى أن الربع كلمه وشكا إليه ، فقال له : أجل أيها الربع ؛ وخف أهله : ارتحل من كان فيه من السكان » .

(٥) سبق ص ١٩٢

اللحمة التى يُدَاخِلُها[١] الناسجُ بين السَّدى ، والبرد الذى تمت نساجته ليس فيه شىء يسمى وَشِيعة ولا وشائع ، وقد ذكرت هذا فى أغاليطه .

١ ــ وقال البحترى :

تِلْكَ الدِّيارُ وَدَارِسَاتُ طُلُولِهَا ‏ ‏ ‏ طَوْعُ الْخُطوبِ دَقِيقَها وَجَلِيلِهَا[٢]

٢ ــ وقال أيضاً :

يا مَغَانِى الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا ‏ ‏ ‏ وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُومَا[٣]

٣ ــ وقال أيضاً :

لَمْ يَبْقَ فِى تِلْكَ الرُّسُومِ بِمَنْعِجِ ‏ ‏ ‏ إِمَّا سَأَلتَ مُعَرَّجٌ لِمُعَرِّجِ[٤]

٤ ــ وقال أيضاً :

هَلَّا سَأَلتَ بِجَوِّ تَمْهَدْ ‏ ‏ ‏ طَلَلاً لِمَيَّةَ قَدْ تَأَبَّدْ[٥]

هذه كلها ابتداءات جيدة[٦] بارعة اللفظ صحيحة المعنى .

وأبيات أبى تمام أيضاً رائعة . ولكن فيها ما ذكرته .

---

(١) ط « يدخلها »

(٢) ديوانه ٣٤٥

(٣) ديوانه ٢٧٣

(٤) ديوانه ٤٢٨ ١/٣٩٩ معارف

(٥) ديوانه ٥٨٢ وفى اللسان ٣٥/٤ « تأبد المنزل : أى أقفر وألفته الوحوش »

(٦) ط « جياد »

تعفية الرياح للديار

قال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبُعُ الْحِلاَّتِ لِلأَرْبَعِ المُلْدِ لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مُغْرِبَةِ القَدِّ [١]

الحلات : جمع حِلَّة ، وهو الموضع الذى يَحُلُّونه ، يقال : حلَّة ومَحَلَّة ، والأربع الملد : يريد أَرْبَعَ نسوة [٢] مُلْد ، من قولهم : غصْنٌ أُمْلُود ، وهو [الغصن] الناعم ، و «أملود» لا يجمع على «مُلْد» و [ملد] هو جمع أَمْلد .

و «هضيم الكشح» يريد ضامرة البطن .

وقوله : «مغربة القد» يريد أغربَ قدُّها : أى [٣] لها قَدٌّ غريبٌ فى الحسن ، وإنما أراد عَفَتْ أَربَعُ حِلال : أى مواطن ، لأَربع نسوةٍ [٤] ، وهذه تَكْلِفةٌ شديدة ، جاءت بلفظٍ غير حسن ولا جميل .

وكذلك «مغربة القد» من قول الشعراء المتأخرين : غريبُ الحسنِ ، وغريب القد . والكلمة إذا لم يؤتَ بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت .

وقوم يروونه : «أَرْبُع الحلاَّت» جمع رَبْع ، وذلك غلط . وإنما أراد الرجلُ العدَدَ : أى عفتْ أَرْبُعٌ لأَربَع .

---

(١) ديوانه ١٣٠ وشرح التبريزى ٢/١١٨ «مجدولة القد» قال المرزوقى : «أى عفت ديار هؤلاء الجماعات لمفارقة هؤلاء النسوة الأربع . والملد : جمع ملداء ، وهى الناعمة . والحلات : جمع حلة ، وهى جماعة من الناس وجماعة من بيوتهم»

(٢) ط «نساء ملد»

(٣) م «أى أنها قد غربت»

(٤) ط «وهذا تكلف شديد وقد» وفى اللسان ١١/٢١٨ يقال : حملت الشىء تكلفه : إذا لم تطقه إلا تكلفا ، وهو تفعلة»

ولا أعرف[1] لأبي تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت . وهو ردىء اللفظ. قبيح النسج .

١ – وقال البحترى :

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فاللِّوَى والأَجْرَعِ دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ[2]

وهذا من ابتداءاتِهِ العجيبة[3] النادرة وإحسانه فيه الإحسان المشهور .

وقوله : «بين الشقيقة فاللوى» كقول امرئ القيس : «بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ» والأصمعى يرويه بالواو ، وأهل العربية يقولون : الدخول مواضع متفرقة[4] .

[وأكثر الشعراء يستعملون الفاء فى هذا الموضع] .

٢ – وقال البحترى :

أَصَبَا الأَصَائِلِ إنَّ بُرقَةَ مُنْشِدِ تَشْكُو اخْتِلافَكِ بِالْهُبوبِ السَّرْمَدِ[5]

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : إنهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر فى هذا المعنى أَحْسَنَ من هذا البيت ، ولا أبرعَ لفظاً ، ولا أكثر ماء ولا رونقاً ، ولا ألطف معنًى .

٣ – وقال البحترى :

لا أَرَى بِالْبِرَاقِ وَسْماً يُجِيبُ أَسْكَتَتْ آيةُ الصَّبا والجَنُوبُ[6]

وهذا ابتداء صالح .

---

(١) ط «ولا أعلم»

(٢) ديوانه ٧٢٧ ، ٢ / ١٢٨٦ «فالأجرع»

(٣) ط «الحسنة»

(٤) راجع معجم ما استعجم ٢/٥٤٨

(٥) ديوانه ٤٥٨ وفى ط «برقة ثهمد»

(٦) ديوانه ١ / ٨١ طبع مصر د ١ / ١١٢ معارف القول ١٤ ظ

وفى البكاء على الديار

١ ـ قال أبو تمام :

عَلى مِثْلِهَـا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلاعِبِ أُذِيلَتْ مَصُوناتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ[١]

قد أنكر بعضهم قوله : « مصونات الدموع السواكب » ، وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مَصُون ؟

وإنما أراد أبو تمام [أذيلت] مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ، ولفظه يحتمل ما أراده ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .

٢ ـ وقال أيضاً :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا فَلا تَكُفَّنَّ مِنْ شَأْنَيْكَ أَوْ يكِفَا[٢]

هذا ابتداء حسن .

٣ ـ وقال أيضاً :

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيَّمُ والدَّمْعَ فِى دِمَنٍ عَفَتْ لا يُسْجَمُ[٣]

٤ ـ وقال أيضاً :

قِرَى دارِهِمْ مِنِّى الدُّمُوعُ السَّوَافِكُ وَإِنْ عَادَ صُبْحِى بَعْدَهُمْ وَهْوَ حَالِكُ[٤]

وهذان ابتداءان جيدان .

---

(١) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزى ١ / ٢٠٥ « أذيلت أى أهينت »

(٢) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٥٩ « شأنيك تثنية شأن ، وهى مجارى الدمع » ويروى « عن شانيك »

(٣) ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٢

(٤) ديوانه ٢٢٣ وشرح التبريزى ٢ / ٤٥٦ وفى اللسان ١٢ / ٣٢٣ « سفك الدمع يسفكه سفكا فهو مسفوك وسفيك — : صبه »

٥ – وقال أيضاً :

تَجَرعْ أَسًى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَعُ الْفَرْدُ ... وَدَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ مَاءَهُ الْوَجْدُ[١]

الجرع والأجرع والجرعاء : أرض ذاتُ رملٍ وحجارة مختلطة [وهى أرض] خشنة ، وقد قيل : رملة سهلة .

والحِسْىُ : ماء المطر يغيض فى الرمل [شيئاً][٢] قليلاً ثم يصل[٣] إلى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب[٤] ، وجمعه أحساء .

١ – وقال البحترى .

مَتَى لاحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ ... جَرَى مُسْتَهِلٌّ لا بَكِيءٌ وَلا نَزْرُ[٥]

وهذا بيت حَسْبُك به جودةً [وحسناً] وبراعة وفصاحة .

٢ – ونحوهُ قوله :

لَهَا مَنزِلٌ بَيْنَ الدَّخُولِ فَتُوضِحِ ... مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّمِ تَسْفَحِ[٦]

هذا مثل قول امرئ القيس : «بين الدخول فحومل» .

وهذا أيضاً بيت جيد ، وليس كالأول .

٣ – وقال أيضاً :

أَفِى كُلِّ دَارٍ مِنْكَ عَيْنٌ تَرَقْرَقُ ... وَقَلْبٌ عَلَى طُولِ التَّذَكُّرِ يَخْفُقُ[٧]

---

(١) ديوانه ١٢٠ وشرح التبريزى ٢/٨٠

(٢) م «سنا»

(٣) ط «يصير»

(٤) فى اللسان ١٨/١٩٣ «الحسى : الرمل المتراكم أسفله جبل صلد ، فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذى أسفله أمسك الماء ، ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء ، فإذا اشتد الحر نبث وجه الرمل عن ذلك الماء ، فنبع بارداً عذباً»

(٥) ديوانه ٨٦ ، ٢/٨٤٣ المعارف

(٦) ديوانه ٦٣١

(٧) ديوانه ٥١٧ ، ٣/١٤٩٢

وهذا أيضاً غاية فى جودته وبراعته وكثرة مائه .

٤ ـ وقال أيضاً :

أَلَمَّا يَكْفِ فِى طَلَلٍ زَرُودِ بُكَاؤُكَ دَارِسَ الدِّمَنِ الْهُمُودِ[١]

٥ ـ وقال أيضاً :

أَعَنْ سَفَهٍ يَوْمَ الْأُبَيْرِقِ أَمْ حِلْمِ وُقُوفٌ بِرَبْعٍ أَوْ بُكَاءٌ على رَسْمِ[٢]

هذه الأبيات الثلاثة كأنه منكر [فيها] على نفسه البكاء وقد أحسن فيما اعتمد من ذلك وأجاد ، وهو ضد ما ذهب إليه أبو تمام فى أبياته .

٦ ـ وقال البحترى وهو حسن جدًّا :

وُقُوفُكَ فِى أَطْلالِهِمْ وَسُؤَالُهَا يُرِيكَ غُروبَ الدَّمْعِ كَيْفَ انْهِمَالُهَا[٣]

٧ ـ وقال [أيضاً] :

عِنْدَ الْعَقِيقِ فَمَاثِلاتِ دِيَارِهِ شَجَنٌ يَزِيدُ الصَّبَّ فى اسْتِعْبَارِهِ[٤]

٨ ـ [وقال :

يَأْبَى الْخَلِيُّ بُكَاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِى وَالنَّوْحَ فِى دِمَنٍ أَقْوَتْ وَأَطْلالِ][٥]

٩ ـ وقال :

أَبُكَاءً فِى الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسُلُوًّا بزَيْنَبٍ عن نَوَارِ[٦]

---

(١) الهامد : البالى

(٢) ديوانه ١٩٠

(٣) ديوانه ٢٢٢

(٤) ديوانه ٢٤٠ ، ٢ / ٨٦٦ المعارف

(٥) زيادة من ط .

(٦) ديوانه ٤٤٤ ، ٢ / ٩٨٨ وفى ط « عن زينب بنوار »

وهذا من البحترى تصرّف[١] فى البكاء على الديار حسن ، ومعان فيه مختلفة عجيبة ، كلها جيد نادر ، وأبو تمام لزم طريقة [واحدة][٢] لم يتجاوزها .

والبحترى فى هذا الباب أشعر .

(١) ط « وصف »
(٢) زيادة من ط

سؤال الديار واستعجامها عن الجواب

١ ـ قال أبو تمام :

الدَّارُ نَاطِقَةٌ وَلَيْسَتْ تَنْطِقُ لِدُثُورِهَا ؛ إنَّ الْجدِيدَ سَيَخْلُقُ

٢ ـ وقال فى مثل معناه :

وَأَبِى الْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونُ وَعَلى الْعُجُومَةِ إنها لتُبِينُ[١]

وهذا قسم[٢] شائع على ألْسُن العرب أن يقولوا[٣] لمن يعقل : [وأبيك لقد أحسنت] وأبيك لقد أجملت ، وكثرت على الألسن حتى تعدوا[٤] بها إلى ما لا يعقل ، قَسَماً وغير قسم ، وكذلك قالوا : لأمك الْهَبَل ، ولأبيك[٥] الْوَيْلُ ، ثم قالوا [مثل] ذلك لما لا أم له وقام مُحْرِز[٦] بن المُكَعْبَرِ [الضبى] يرثى بِسْطَام بن قيس :

لِأُمِّ الأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ بحيثُ أَضَرَّ بالْحَسَنِ السَّبِيلُ[٧]

فجعل للأرض أمًّا .

---

(١) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٣

(٢) ط « معنى »

(٣) ط « تقول » و م « لما »

(٤) ط « حتى حمدوا »

(٥) م « ولأمك »

(٦) ترجم له المرزبانى فى معجم الشعراء ٤٠٥

(٧) الحسن اسم مكان قتل به بسطام بن قيس بن خالد الشيبانى ، كما فى معجم ما استعجم ٢/٤٤٨ ، ٤ / ١٣١٩ وفيه : « وقال ابن عنمة الضبى يرثى بسطاما ، وكان مجاوراً فى بنى بكر فأراد أن يتخلص منهم بتأبين بسطام : لأم الأرض . . . ما ألمت . . . » وهى أبيات . وفى اللسان ١٦ / ٢٧٣ « . . قال عبد الله بن عنمة الضبى فى الحسن ، يرثى بسطام . . »

وقد قال البحترى :

لَعَمْرُ أَبِى الأَيَّامِ ما جَارَ حُكْمُهَا عَلَىَّ ، وَلا أَعْطَيتُهَا ثِنْى مِقْوَدِى[١]

فجعل للأيام أباً .

وقوله « شجون » جمع شَجَن ، وما أقلَّ ما يجمع فَعَل على فُعُول . قالوا : أسد وأسود ، وليس هو ببابه ، والشجن : الحاجة ، والشجن : الهم والحزن .

٣ ـ وقال أبو تمام :

منْ سجَايَا الطُّلولِ أَنْ لا تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلتِى أَنْ تَصُوبَا[٢]

صدر هذا[٣] البيت جيد ، وقوله « فصواب » [لفظة] ليست بجيدة فى هذا الموضع ، وإنما أراد التجنيس .

١ ـ وقال البحترى :

لا دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلا طَلَلُ تَرُدُّ قَوْلًا على ذِى لَوْعَةٍ يَسَلُ[٤]

وهذا ابتداء جيد لفظه ومعناه .

٢ ـ وقال [البحترى] :

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفحَماتِ طُلُول مِنْ مَائل بال وَمِنْ مَسْئولِ[٥]

أراد أنه بال[٦] والطلول بالية . وهذا ابتداء صالح .

---

(١) ديوانه ٢٣١ ، ٧٧٢/٢ المعارف

(٢) سبق ص ١٠ .

(٣) ط « هذا . . صدره . . . بالجيدة »

(٤) ديوانه ٧١٥ ، ١٧٥٨/٣

(٥) ديوانه ٦١٠ ، ١١٦١/٣ وط « سائل باك »

(٦) ط « باك . . باكية »

٣ ـ وقال [البحترى] :

عَزَمْتُ على المَنَازِل أن تُبِينَا   وَإنْ دِمَنٌ بَلِينَ كما بَلِينَا[١]

أى : عزمت عليها أن توضح لنا ، ويكون «تبين»[٢] بمعنى تُفصح هى فى نفسها ، يقال : بانَ الشئُ وأبَانَ .

وقوله : «وإن دِمَن بلين كما بلينا» أى : عزمت عليها أن تُبين لنا القولَ وإن كانت قد بَلِيَتْ كما بِنا نحن ، وهذا البيت ردىء العجز[٣].

٤ ـ وقال [البحترى] :

أَقِمْ عَلَّها أَنْ تَرْجعَ القَوْلَ أَوْ عَلِّى   أُخَلِّفُ فِيهَا بَعْضَ مَابى مِن الخَبْلِ[٤]

وهذا أيضاً بيت ردىء الصدر لفظه ومعناه ؛ لأنه أراد أن يقول : قف لعلها أن تَرْجع القولَ أو لعلّى ، فقال «أقم» مكان قِفْ ، وليست هذه اللفظة نائبةً عن تلك ؛ لأن الإقامة ليست من الوقوف فى شىء ، والدليل على أنه أراد أن يقول قف قولُه بعد هذا :

فَإنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعةً   فَقِفْها عَلى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِى

وقال : «علها أو عَلى» وهما[٥] وإن كانتا لفظتين عربيتين فَلَعَلَّ أحسن من عَلَّ وأبرع ، وزاد فى تهجينها أنه كرَّرها فى مصراع .

وقوله : «أخلِّف فيها بعض ما بى من الْخَبْل» عَجُز حسن ، [أى][٦]

---

(١) ديوانه ٥٥٣ ، ٤ / ٢٢٠٧ المعارف وفى م «نبينا»

(٢) م «نبين . . يتضح»

(٣) م «التفخر» !!

(٤) ديوانه ٣٦١ ، ٣ / ١٨٠٥

(٥) م «فهما»

(٦) زيادة من ط

أطْرَحه عنى ، أى : لعلى أبكى فأُخفف بعض ما بى من البكاء ، وإلى هذا المعنى[1] ذهب ، وإن لم يذكر[2] البكاء فى البيت فقد ذكره من بعد .

٥ ــ وقال :

بِاللهِ يَا ربْعُ لَمَّا زدْتَ تِبْيانَا فَقُلْتَ لى الْحَىُّ لَمَّا بَانَ لِمْ بَانَا[3]

٦ ــ وقال أيضاً :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أَنْتَ قَائِلُهْ
وَأَبْدَى الْجَوَابَ الرَّبْعُ عَمَّا تُسَائِلُهْ[4]

وهذا بيت غير جيد ؛ لأن عَجُز البيت مثل صدره سواء فى المعنى ، وكأنه بنى الأمر على أن الدار غير الربع ، وأن السؤال إن وقع وقع فى محلين[5] اثنين .

والبيت أيضاً لا يقوم بنفسه ؛ لأنه[6] جعله مَعلّقاً بالبيت الثانى وهو قوله :

أَفِى ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوًى أَلْهَبَ الْحَشَا
تَوَقُّــدُهُ وَاسْــتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهْ[7]

٧ ــ وقال [أيضاً] :

هَلِ الرَّبْعُ قَدْ أَمْسَتْ خَلاءً مَنَازِلُهْ مُجيبٌ صَدَاهُ أَوْ يخَبِّرُ سَائلُهْ[8]

(١) م « إلى . . المغنى »
(٢) ط « لم يكن »
(٣) ديوانه ٤ / ٢١٤٩ المعارف م « ازددت » وفى ديوانه ٤/٢١٤٩ « لما ازددت تبياناً ... وقلت . . . . »
(٤) ديوانه ٥١ ، ٣ / ١٦١٠ وفى ط « ما أنت سائله »
(٥) م « بمجلين »
(٦) م « بنفسه وجعله »
(٧) م « العين خابله » !
(٨) ديوانه ٣ / ١٨٧٨ و م « يجيب »

وهذا ابتداء صالح .

٨ ــ وقال أيضاً :

عَسَتْ دِمَنٌ بالأَبْرَقَيْن خَوَالى   تَرُدُّ سَلامِي أَوْ تُجيبُ سُؤَالى[١]

وهذا ابتداء حسن .

* * *

فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات فى الباب ، وليس [لهما][٢] فيه بيت بارع .

والجيد [فيه] للبحترى قوله :

* لا دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلاَ طَلَلُ[٣] *

وقوله :

* عَسَتْ دِمَنٌ بِالأَبْرَقَيْنِ خَوَالى *

والجيد لأبى تمام بيتاه الأولان ، ومعناهما غير معنى هذين البيتين [وألطف] .

وبيتا البحترى أجود لفظاً ، وأصح سَبْكاً ، فاجعلهما[٤] فى هذا الباب متكافئين .

---

(١) ديوانه ٧٨٣ ، ٣ / ١٧٠١

(٢) زيادة من ط

(٣) سبق البيت فى ص ٤٥٦

(٤) ط « سبكا وهما فى هذا متكافئان »

فيما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب معناه

١ ـ قال أبو تمام :

أَطْلاَلُهُمْ سُلِبَتْ دُمَاها الْهيفَا واسْتُبْدِلَتْ وحْشاً بِهِنَّ عُكوفَا[١]

وهذا [أيضاً] بيت جيد لفظه ومعناه .

٢ ـ وقال أيضاً :

أَأَطْلالَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِنْ هِنْدِ
أَقَايَضْتِ حُورَ العَيْنِ بِالعِينِ والرُّبْدِ[٢]

العِينُ : بقر الوحش والظباء ، والرُّبد : النعام ، وقايضت : أبدلت .

وهذا بيت ليس بالجيد ، ولا [هو] بالردىء .

٣ ـ وقال أيضاً :

أَرَامَةُ كُنْتِ مَألَفَ كُلِّ رِيمٍ لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بالأُنْسِ القَديمِ[٣]

وهذا ابتداء[٤] جيد .

وقال البحترى :

١ ـ رَبْعٌ خَلاَ مِنْ بَدْرِهِ مَغْنَاهُ وَرَعَتْ بِهِ عِينُ المَهَا الأَشْبَاهُ[٥]

وهذا بيت حسن حلو .

---

(١) ديوانه ٢٠٥ وشرح التبريزى ٢ / ٣٧٦

(٢) ديوانه ١١٤ وشرح التبريزى ٢/ ٥٩

(٣) شرح التبريزى ٣/١٦٠ وفى الديوان ٢٨٧ وم « المقيم » وهما روايتان . وقد سبق فى الأمثال

(٤) ط « وهذا بيت »

(٥) « وزعت به »

٢ ـ وقال البحترى أيضاً :

عَهْدِى بِرَبْعِكَ مَأْنُوساً مَلاَعِبُهُ أَشْبَاهُ آرامِهِ حُسْناً كَوَاعِبُهُ[١]

وهذا بيت فى غاية الجودة والبراعة لفظهُ ومعناه .

٣ ـ وقال أيضاً :

عَهْدِى بِرَبْعِك مُثَّلاً آرَامُهُ يُجْلَى بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظَلاَمُهُ

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى ، ولفظ الأول أعلى[٢] وأبرع .

وقوله : « يجلى بضوء خدودهن ظلامه » حسن جدًّا .

٤ ـ وقال أيضاً :

أَرَى بَيْنَ مُلْتَفِّ الْأَرَاكِ مَنَازِلاَ مَوَاثِلَ لَوْ كانَتْ مَهَاهَا مَوَاثِلا[٣]

وهذا أيضاً بيت من أبرع ابتداءاته .

* * *

فهذا ما وجدته لهما فى هذا النحو ، والبحترى فى أبياته أشعر من أبى تمام فى أبياته .

---

(١) ديوانه ٧٨٦ وفى م « تربعك ما توساه . . أشباه أزال به » وهو تحريف

(٢) ط « أحلى »

(٣) ديوانه ٣ / ١٦٠٣

وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها

١ ـ قال أبو تمام :

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيساً وَقِرَى ضُيُوفِكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا[١]

وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها .

١ ـ وقال البحترى :

مَغَانِى سُلَيْمَى بِالعَقِيقِ ودُورُهَا أَجَدَّ الشَّحَى إخْلاقُها وَدُثُورُهَا[٢]

وهذا بيت فى جودة بيت أبى تمام وبراعته .

٢ ـ وقال [أيضاً] :

لَعَمْرُ المَغَانِى يَوْمَ صَحْرَاءِ أَرْثَدٍ لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْداً عَلى ذِى تَوجُّدِ[٣]

٣ ـ وقال أيضاً :

مَا جَوُّ خَبْتٍ وَإِنْ نَـأَتْ ظُعُنُهْ تَارِكَنَا أَوْ تَشُوقَنَا دِمَنُهْ[٤]

وقال أيضاً :

كُلَّمَا شَاءَتِ الرُّسُومُ المُحِيلَهْ هَيَّجَتْ مِنْ مَشُوقٍ صَدْرٍ غَلِيلَهْ[٥]

وهذه كلها ابتداءات جِياد ، وهى مع بيت أبى تمام متكافئة .

---

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزى ٢ / ٢٦٢ « القشيب : الجديد هنا . واللوعة : حرقة القلب : والرسيس : ما يجده الإنسان فى قلبه من حزن أو هوى » وفى م « نقرى » وصوابها « تقرى » وهى رواية أخرى .

(٢) ديوانه ٣٨٣

(٣) ديوانه ٢٣٠ « لعمرى » وفى ط « صحراء أربد » وفى م « ذى توحد »

(٤) ديوانه ٣٣٤ وفى اللسان ١٨ / ١٧٣ « قال الأزهرى : الجو : ما اتسع من الأرض واطمأن وبرز وفى بلاد العرب أجوية كثيرة كل جو منها يعرف بما نسب إليه . فمنها جو غطريف إلخ » وخبت : اسم موضع

(٥) ديوانه ٤٧٥ « مشوق قلب » ، ٣ / ١٦٣٩

الدعاء للدار بالسقيا

١ ـ قال أبو تمام :

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ   وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ[١]

٢ ـ وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبَلُ الْعِهَادِ   وَرَوَّضَ حَاضِرٌ منه وَبَادِى[٢]

وهذان ابتداءان جيدان .

٣ ـ وقال أيضاً :

يَا بَرْقُ طالِعْ مَنْزِلاً بِالأَبْرَقِ   وَاحْدُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الأَيْنُقِ[٣]

قوله : « طالع » لفظة رديئة فى هذا الموضع قبيحة ، وقوله : « واحْدُ السحاب[٤] له حداء الأينق » لفظه ومعناه جيدان فصيحان ، وإنما خص

---

(١) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٣/٢٨٩ « أسقى وسقى بمعنى واحد . والمراد بالأجش : الرعد . والهزيم : يحتمل أن يكون من الصوت ، من ذلك قولهم : تهزم الأديم إذا تكسر وتشقق »

(٢) ديوانه ٧٨ وشرح التبريزى ١ / ٣٧٢

والسبل بالتحريك : المطر . والعهاد : جمع عهد ؛ وهو مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوله وفى الشرح . « وروض حاضر ، يعنى المكان الذى فيه الحاضر ؛ وكذلك المكان الذى فيه البادى ، سمى المكان باسم الناس ، لأن القوم إذا حضروا الماء قيل لهم : حاضر ، ولا يمتنع أن يعنى فى هذا البيت : الإنس إذ كان يمكن أن يقال : قد روضوا : إذا نبت لهم الروض » وفى ط « صوب العهاد وروى حاضر منهم »

(٣) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزى ٢ /٤٠٦ « يقول للبرق : سق سحابك برعده وصوبه إليه ، كما تساق النوق بالحداء » .

(٤) م « واحد المجاز . . . لفظ ومعنى » وهو تحريف

البرق لأنه دليل الغيث .

٤ ــ وقال أيضاً :

أَيُّها الْبَرْقُ بِتْ بِأَعْلَى الْبِرَاقِ ... وَاغْدُ فِيها بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ[1]

الْبِرَاق: جمعُ بُرْقة ، مثل بُرْمة وبِرام ، وهى الأرض ذات الطين والْحَصَى تكون ذات ألوانٍ مختلفة .

وهذا بيت جيد ، ووَصَله ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نـأتى به إن شاء الله تعالى فى بابه .

٥ ــ وقال :

يا دارُ دَارَ عَلَيْكِ إرهَامُ النَّدَى ... وَاهْتَزَّ رَوْضُكِ فِى الثَّرَى فَتَرَأَّدَا[2]

يقال : أرهمت السماء ، إذا أتت بالرِّهَمة ، وهو المطر اللين ، يقال : رِهَمة وأرهام مثل[3] أكَمَة وآكام ، فإن قلت : «أرهام الندى» كان ذلك سائغاً .

وترأَّد : تثنَّى لكثرة مابه وغَضَاضته ومنه «امرأة رُودُ الشباب» أى : غَضَّته .

وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النَّسْجِ .

١ ــ وقال البحترى :

نَشَدْتُكَ اللهَ مِنْ بَرْقٍ عَلَى إضَمٍ ... لَمَّا سَقَيْتَ جَنُوبَ الْحَزْنِ فَالْعَلَمِ[4]

---

(١) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزى ٢ / ٤٤٧ والغيداق : الكثير الماء والجرى

(٢) ديوانه ١٢٥ وشرح التبريزى ٢ /١٠١

(٣) ط « كأكة »

(٤) ديوانه ٦٥٣ ، ٣ / ١٩٧٣ وفى م « حبوب »

وهذا بيت بارع اللفظ ، جيد المعنى ، وزاد فى جَوْدته قوله : «نشدتك الله» .

٢ ــ وقال أيضاً :

سُقِيتِ الْغَوَادِى مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعٍ وَحُيِّيتِ مِنْ دَارٍ لِأَسْمَاء بَلْقَعِ[١]

وهذا أيضاً بيت جيد اللفظ والمعنى ، ويدخل فى باب التسْليم على الديار لقوله : «وحييت من دار» .

٣ ــ وقال أيضاً :

أناشِدُ الْغَيْثَ كَىْ تَهْمِى غَوَادِيهِ عَلى الْعَقِيقِ وَإِنْ أَقْوَتْ مَغَانِيهِ[٢]

وهذا [أيضاً] بيت جيد .

٤ ــ وقال أيضاً :

أَقام كُلُّ مُلِثٌّ الْوَدْقِ رَجَّاسِ عَلى دِيَارٍ بِعُلْوِ الشَّامِ أَدْرَاسِ[٣]

ملثّ : دائم كثير ، ورجّاس : مُصَوِّت[٤] ، يريد الرعد .

وهذا [illegible] كـ[illegible] الماء والرَّوْنَقِ .

٥ ــ وقال أيضاً :

لا يَرِمْ رَبْعَكِ السَّحَابُ يَجُودُهْ تَبْتَدِى سَوْقَهُ الصَّبا أَوْ تَقُودُهْ[٥]

---

(١) ديوانه ٨٨ ، ٢ / ١٢٣٧

(٢) ديوانه ١٧٤ وفى ط « هل تهمى »

(٣) ديوانه ٧٩٣ . والودق : المطر ، وأدراس : باليات

(٤) م « مصوب » وهو تحريف

(٥) ديوانه ١٨٨ لا يرم : لا يبرح . يجوده : يسقيه . وفى ط « تجوده »

٦ – وقال أيضاً :

سقَى دَارَ لَيْلى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا
عِهَادٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ وُطْفٌ غُيُومُها[١]

وهذان ابتداءان جيدان ، وليسا مثل ما تقدم .

٧ – وقال أيضاً :

سَقَى رَبْعَها سَحُّ السَّحَابِ وَهَاطِلُهْ وَإِنْ لَمْ يُخَبِّرْ آنِفاً مَنْ يُسَائِلُهْ[٢]

وهذا بيت[٣] ردىء العجز ؛ من أجل قوله « آنفاً » لأنها حَشْوٌ لا حاجة بالمعنى إليها .

* * *

فهذا ابتداء [به] من الدعاء للديار بالسقيا ، وهما عندى متكافئان .

(١) ديوانه ١٠٧ والعهاد : جمع عهد ، وهو المطر المتتابع . والوسمى : مطر الربيع ووطف : جمع وطفاء ، وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها . والغيوم : جمع غيم ، وهو السحاب

(٢) ديوانه ٢٢٥ ، ٣/١٦٩٦

(٣) ط « البيت . . . لأنه . . . لا حاجة للمعنى به »

فى لوم الأصحاب فى الوقوف على الديار

١ ـ قال أبو تمام :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إِدْمَانِى عَلَى الدِّمَنِ وَحَمْلِىَ الشَّوْقَ مِنْ بَادٍ وَمكْتَمِنِ[1]

[وهذا ابتداء صالح] .

٢ ـ وقال أيضاً :

مَا عَهِدْنا كَذَا نَحِيبَ المَشُوقِ كَيْفَ وَالدَّمْعُ آيةُ المَعْشُوقِ[2]

وهذا بيت ردىء جدًّا ، وقد ذكرتُ ما فيه فى باب ما[3] ذكر له فى وسط الكلام فى تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار ، وهذا البيت ابتداء ، وإنما ذكرته هناك لأن معناه يتضح بالأبيات التى بعده ؛ فجعلته فى ذلك الباب .

وليس لأبى تمام ابتداء صالح فى لوم الأصحاب ، غير هذين البيتين .

فأما البحترى فإنه تصرف فيه فى ابتداءاتٍ جياد حسان بارعة حلوة .

١ ـ فمن ذلك قولُه :

فيم ابْتِدَارُكُمُ المَلَامَ وَلُوعَا أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا[4]

وهذا بيت حسن ، وفيه سؤال ، وهو أن يقال : إنما لاموه على بكائه على الدِّمْنَةِ والربوع ، فما وجه اعتذاره بأنه لم يبك إلا دمنة وربوعا ؟

---

(١) ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٧ والمكتمن : المضمر الخافى

(٢) شرح التبريزى ٢ / ٤٣٠ وفى ديوانه ٢١٥ « بكاء المشوق » وهما روايتان

(٣) م « ما ذكرناه فى وسط »

(٤) ديوانه ٢٥٧ ، ٢ / ١٢٥٣ وفى ط « ابتداركما » « أنكيت إلا » وهو تحريف وقد سبق ص ٨

والجواب : أنه[1] أراد أبكيت إلا ما مِثْلُهُ يُبْكى ، وقد تقدَّمنى الناسُ فيه ولم ينكر ذلك على أحد ؟

٢ ـ وقوله :

خُذَا مِنْ بُكائِى فى المَنَازِلِ أَوْدَعَا وَرُوحَا على لَوْمى بِهِنَّ أَوِ ارْبَعَا[2]

وهذا بيت جيد [حسن] .

٣ ـ وقوله أيضاً :

ذاكَ وَادِى الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاً مُقْصِرًا من مَلامَتِى أَوْ مُطِيلاً[3]

وهذا بيت جيد حسن ، بارع اللفظ والمعنى ، وقد ذكرته أيضاً فى باب الوقوف على الديار .

٤ ـ وقوله :

أَحْرَى الْخُطُوبِ بِأَنَ يَكُونَ عَظِيما قَوْلُ الْجَهُولِ : أَلا تَكُونُ حَلِيمَا[4]

٥ ـ وقوله :

مَا أَنْتَ لِلكَلِفِ المَشوق بِصَاحِبِ فَاذْهَبْ عَلى مَهَلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ[5]

٦ ـ وقوله :

فى غيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِى وَأَصِيلِى وَسِوَى سَبِيلِكَ فِى السُّلوِّ سَبِيلِى[6]

---

(١) « ما أراد ما بكيت »

(٢) ديوانه ٧٠٢ ، ٢ / ١٢٦٣ « من بكاء » ومعنى اربعا : ارفقا واقتصرا

(٣) ديوانه ٦٨٦ « من صبابة »

(٤) ديوانه ٢٨٦ ، ٣/١٩٦٤

(٥) ديوانه ٦٩٦

(٦) ديوانه ١٧٧

٧ ـ وقوله :

بَعْضَ هٰذَا العِتَابِ وَالتَّفنيدِ   لَيْسَ ذَمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ(١)

* * *

ولهما [أيضاً] فى تأنيب العُذَّال فى غير الوقوف على الديار ، ابتداءات ليس بضائر ذكرها ههنا .

١ ـ فمن ذلك قول أبى تمام :

تَقِى جَمحاتِى لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِى   وَلَيْسَ جَنِيبِى إِنْ عَذَلْتُ بِمُصْحِبِ(٢)

٢ ـ وقوله أيضاً :

دَأْبُ عَيْنِى الْبُكَاءُ وَالْحُزْنُ دَابِى   فَاتْرُكِينِى ـ وُقِيتِ مَا بِى ـ لِمَا بِى(٣)

٣ ـ وقوله أيضاً :

كُفِّى وغاكِ فَإِنَّنِى لَكِ قَالِى   لَيْسَتْ هَوَادِى عَزْمَتِى بِتَوَالِى(٤)

٤ ـ وقوله أيضاً .

لامَتْهُ لامَ عَشِيرُهَا وَحَمِيمُهَا   مِنهَا خَلائِقَ قَدْ أَبَرَّ ذَمِيمُهَا(٥)

---

(١) ديوانه ٦٩١

(٢) ديوانه ٢٣ وفى شرح التبريزى ١ / ١٥٣ « تق : أمر من تقاه يتقيه مخففا . و « جمحاتى » : من جمح الفرس إذا عز فارسه . وقوله : « لست طوع مؤنبى » : أى لست مطيعه . و « الجنيب » : المجنوب ، وهو هواه وقلبه ، وإنما يجنبهما غيره ، ولكن أضافهما إلى نفسه لتعلقهما به . يخاطب عاذلته ، يقول : عذلك لا يجدى نفعاً . ويقال : أصحب الرجل : إذا تابع وانقاد . والمعنى : اتقينى فيما أتصعب فيه ، فإنى لا أطاوع المؤنب إذا أنب ، وليس قلبى بمنقاد لى إذ ألمت » وفى ط والديوان « وليس جيبى » وهو تحريف .

(٣) ديوانه ٣٥٥

(٤) وشرح التبريزى ٣ / ٧٦ وفى ديوانه ٢٤٦ « يكفى وغاك »

(٥) ديوانه ٣١٠ وشرح التبريزى ٢٧٢/٣ وعشيرها : معاشرها . وحميمها : قريبها . ويروى « قد أبن ذميمها » وأبن بالشىء : إذا لزمه

٥ ــ وقوله أيضاً :

مَتَى كانَ سَمْعِي خِلْسَةً لِلَّوَائِم وَكَيْفَ صَغَتْ للعَاذِلاتِ عَزَائِمِي[1]

وقوله أيضاً :

قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الْغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرائِى[2]

وهذه كلها ابتداءات صالحة ، إلا هذا البيت الأخير ؛ فإن الناس عابوه . ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجرَّاح فى كتابه : أن مما عيب من ابتداءات الطائى قوله :

[* قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الْغُلَوَاءِ *

وقوله] :

* كذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ *

وقوله :

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِى خُشَيْنِ *

فأما قوله : « خشنت عليه » فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة ، وعهدت مُجَّانَ البغداديين يقولون : قليل نورة يذهب بالخشونة .

وأما قوله : « كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر » فليس بمعيب عندى ، وقد ذكرته فى ابتداءات المراثى ، وأخبرت بمعناه .

وأما قوله : « قدك اتئب أربيت فى الغلواء » فإنها ألفاظ صحيحة فصيحة من ألفاظ العرب ، مستعملة فى نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف ألفاظهم ، ولا وحشىّ كلامهم : ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أنْ جمعها فى مصراع

---

(١) ديوانه ٢٩٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٩ وفى ط « للعاذلين »

(٢) سبق ص ٢٦ و ٣٠١ .

واحد ، وجعلها ابتداء قصيدة ، ولم يفرق بينها بفواصل[1] فقال : «قدك اتئب أربيت في الغلواء» فصار قوله «قدك اتئب» كأنهما كلمة واحدة على وزن مُسْتَفعل ، وضم إليه «أربيت في الغُلَواء» فاسْتُهْجنت .

ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكروه ؛ لأن الأعرابي إنما ينظم كلامه المنثور الذي يستعمله في مخاطباته[2] ومحاوراته ، ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى في كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه إلا : حَسْبُك اسْتَحى زِدْتَ وَغَلَوْتَ. وهذا كلام حسن بارع .

قال : فمن شأن الشاعر الحضَرى أن يأتى في شعره بالألفاظ [العربية] المستعملة في كلام الحاضرة ، فإن اختار أن يأتى بما لا يستعمله أهلُ الحضرِ ، فمن سبيله أن يَجْعله من المستعمل في كلام أهل البدْوِ دون الوحشى الذى يقلّ استعمالهم إياه ، وأن يجعله متفرقاً في تضاعيف ألفاظه ، ويضعه في مواضعه : فيكون قد اتسع مجاله[3] بالاستعانة به ، ودل على فصاحته وعلمه ، وتخلّص من الهُجنة . كما أن الشاعر الأعرابي إذا أتى في شعره بالوحشىّ الذى يقل استعماله إياه في منثور كلامه وما يجرى[4] دائماً في عادته — هَجّنه وقَبحه ، إلا أن يضطر إلى اللفظة واللفظتين ، ويقلل ، ولا يستكثر ؛ فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شيء مع غير جنسه باينَه ونافره وأظهر قبحه .

وقد تَصَرّف البحترى في هذا الباب أَحْسَنَ تصرف وأبلغه وأعجبه .

---

(١) ط : «إلا بفواصل [يسيرة]» والكلمة الأخيرة زادها الناشر ليستقيم له الكلام ، ولكن أين هذه الفواصل اليسيرة ؟

(٢) م «فى خطابه»

(٣) ط «مجاله بالاستعارة ودل»

(٤) ط «وما جرى»

١ – فمن ذلك قوله :

أَتَارِكِي أَنْتَ أَمْ مُغْرًى بِتَعْذِيبِي
وَلَائِمِي فِي الْهَوَى إِنْ كَانَ يُزْرِي بِي[١]

٢ – وقوله أيضاً .

يُفَنِّدُونَ وَهُمْ أَدْنَى إِلَى الْفَنَدِ وَيُرْشِدُونَ وَمَا الْعُذَّالُ من رَشَدِي[٢]

٣ – وقوله أيضاً :

إِنَّما الغَيُّ أَنْ يَكُونَ شَدِيدًا فَانْقُصَا مِنْ مَلَامِهِ أَوْ فَزِيدَا[٣]

٤ – وقوله أيضاً :

أَلَمْ يكُ فِي وَجْدِي وَبَرْحِ تَلَدُّدِي نِهَايَةُ نَهْيٍ لِلعَذُوِّ الْمُفَنِّدِ[٤]

٥ – وقوله أيضاً :

مَرَنَتْ مَسَامِعُهُ عَلَى التَّفْنِيدِ فَقَضَى الْمَلَامَ لِأَعْيُنٍ وَخُدُودِ[٥]

٦ – وقوله أيضاً :

شُغْلَانِ مِنْ عَذْلٍ وَمِنْ تَفْنِيدِ وَرَسِيسُ حُبٍّ طَارِفٍ وَتَلِيدِ[٦]

٧ – وقوله أيضاً :

أَقْصِرَا لَيْسَ شَأْنِيَ الإِقْصَارُ وَأَقِلَّا لَنْ يُغْنِيَ الإِكْثَارُ[٧]

---

(١) ديوانه ٣٢٦ وفى ط « فى هوى »
(٢) ديوانه ١١٣ « وما التعذال » وفى ط « فى رشدى »
(٣) ديوانه ٤٥٠
(٤) فى ديوانه ٢/٨١٥ « المعارف : فهى للعذول »
(٥) ديوانه ٨ ، ٢ / ٨١٨ « فمضى »
(٦) ليس فى ديوانه المطبوع .
(٧) ديوانه ١٠٤ وفى م « أن يغنى » وهو تحريف

٨ ـ وقوله أيضاً :

قُلْتُ لِلاَّئِم فِى الْحُبِّ : أَفِقْ   لا تُهَوِّنْ طَعْمَ شَىءٍ لَمْ تَذُقْ[١]

٩ ـ وقوله أيضاً :

أَمَا كانَ فِى تِلكَ الرُّبُوعِ السَّوائلِ   بَيَانٌ لِنَاءٍ أَوْ جَوَابٌ لِسَائِلِ[٢]

١٠ ـ وقوله أيضاً :

أَكْثَرتَ مِنْ لَوْمِ الْمُحِبِّ فأَقْلِلِ   وَأَمَرْتَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَأَجْمِلِ[٣]

١١ ـ وقوله أيضاً :

رُوَيْدَكَ إِنَّ شَأْنَكَ غَيْرُ شَانِى   وَقَصْرَكَ لَسْتُ طَاعَةَ مَنْ نَهَانِى[٤]

١٢ ـ وقوله أيضاً :

يَكادُ عاذِلُنَا فِى الْحُبِّ يُغْرِينَا   فَما لَجَاجُكَ فى لَوْمِ الْمُحِبِّينَا[٥]

١٣ ـ وقوله أيضاً :

عَذِيرِى فِيكِ مِنْ لاحٍ إِذَا مَـــا   شَكَوْتُ الْحُبَّ حَرَّقَنى مَلامَا[٦]

١٤ ـ وقوله أيضاً :

طَفِقَتْ تَلومُ وَلَاتَ حِينَ مَلامِهِ   لاَ عِنْدَ كَرَّتِهِ وَلا إِحْجَامِهِ[٧]

ولا خفاء بفضل البحترى على أبى تمام فى هذا الباب .

وقد مضت الموازنة بين الابتداءات بذكر الديار والآثار ، وأما الان فأذكر ما جاء عنهما من ذلك فى وسط الكلام .

---

(١) ديوانه ٣٢١ ، ٣/١٤٧١   (٢) ليس فى ديوانه المطبوع

(٣) ديوانه ١٨٧ ، ٣ / ١٧٩٩ « فى لوم » وكذلك فى ط

(٤) ديوانه ١٤٤

(٥) ليس فى ديوانه المطبوع . فى ديوانه ٤/٢٢٠٠ المعارف

(٦) ديوانه ٢٩ وفى ط « قطعنى ملاما »   (٧) ديوانه ٤٣١

ما قالا فى أوصاف الديار والبكاء عليها

قال أبو تمام :

طَلَلَ الْجَمِيعِ لقدْ عفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا[١]

دِمَنٌ كأَنَّ الْبَيْنَ أصْبحَ طَالباً دِمَنًا لَدَى آرَامِها وحُقُودَا[٢]

قرَّبْتَ نَازحَةَ الْقلوبِ مِنَ الْجَوَى وَتَرَكْتَ شَأوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدَا

خَضِلاً إذَا الْعَبَرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا وَطَنًا سَرَى قَلِقَ الْمَحلِّ طَرِيدَا

وقوله : « وكفى على رزئى بذاك[٣] شهيدا » ليس بالجيد ، وقد ذكرت معناه [فيما تقدم من ذكر معانيه] فى باب الابتداءات عند ذكر البيت[٤] .

وقوله : « قَرّبتَ نازحة القلوب من الجوى » يريد القلوب التى بَعُد عهدها بمرض الحب فأدنيتها من ذاك[٥] عند الوقوف عليك، يخاطب [الطلل أو] الدمن .

وقوله : « وتركت شأْو الدمع فيك بعيدًا » أى دائماً طويلا . وقوله :

خضِلاً إذا العبراتُ لم تبرح لها وطناً سرى قَلِق المحل طريدَا

أى : مَنْ كان إنما يبكى فى وطنه على الحوادث التى تحدُث عليه[٦] فيه، سَرَى هذا الدمعُ قلق المحل طريدا ، أى اعتسف[٧] المسير لطوله حتى حلّ بهذه الدِّمن . وهذا نحو من قوله :

---

(١) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزى ١ /٤١٠

(٢) ط « دينا لدى » وهو تحريف قال التبريزى : « والدمن الأولى : جمع دمنة ، وهى آثار القوم فى الديار . والدمن الثانية : جمع دمنة أيضاً ، وهى الحقد ويقينه فى القلب . وعنى بالآرام : النساء ، شبهها بالظباء البيض »

(٣) م « رزئى نداله » وهو تحريف

(٤) راجع ص ٢١٧ و ٤٤٦

(٥) ط « فأريتها من ذلك » وهو تحريف لأن الشاعر قال « قربت » ولم يقل : أريت !

(٦) م « تحدث فيه »

(٧) ط « إذا عسف . . . حتى يحل » وهو تحريف

فَمَا وَجدْتُ عَلَى الأَحْشَاء أَبْرَدَ مِنْ ... دَمْعٍ على وَطَنٍ لى فى سِوَى وَطنِى[١]

فقوله : «على وطن لى» يعنى الرسوم والطلول التى يقف عليها .

وهذا من جيد ألفاظه وصحيح معانيه ، وغرضُه فيما وصف من الدمع غرضٌ حسن[٢] ، وأحسن منه [وألطف] وأغرب قوله :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا ... فَلاَ تَكُفُّنَّ عَنْ شأْنَيْكَ أَوْ يَكِفَا[٣]

لاَ عُذْرَ للصَّبِّ أَنْ يَقْنِى السُّلوَّ وَلا ... للدَّمْعِ بَعْدَ مُضِىِّ الحَىِّ أَنْ يَقِفَا[٤]

حَتَّى يَظلَّ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ ... فى الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدْ رَعَفَا[٥]

وهذا المعنى ليس له ، وإنما أخذه من قول أبى وَجْزَة [السَّعْدى] :

عُيُونٌ تَرَامى بالرُّعَافِ كأَنَّهـــا ... مِنَ الشَّوْقِ صِرْدَانٌ تَدِفُّ وتَلْمَعُ[٦]

قيل فى تفسيره : شبه الدمع وقد عَصْفَره الدم بالرُّعَاف ، وشَبَّه العيون ـ وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى ـ بالصِّردان تَنْتَفض تارة وتظهر قريباً[٧] من الأرض تارة .

وبيت أبى تمام أجود لفظاً ونظماً .

ولا أعلم[٨] البحترى ذهب إلى مثل هذا المعنى ، ولا للمعنى الذى قبله

---

(١) فى ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٨ «أو قد من دمع»

(٢) ط «غرض صحيح»

(٣) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ /٣٥٩ وقد سبق فى البكاء على الديار

(٤) يقنى السلو : يدخره ويمسكه . ويروى «يقنى الحياء»

(٥) قال التبريزى «تقديره : حتى يظل هذا الصب يحسب قد رعف من عينيه بماء سافح ودم ، لاختلاط الدمع بالدم»

(٦) ط «صردان تدب» وهو تحريف والصردان : جمع صرد ، وهو طائر ، والدفيف : أن يدف الطائر على وجه الأرض يحرك جناحيه ورجلاه بالأرض وهو يطير ، ثم يستقل . ويقال لمع الطائر بجناحيه يلمع وألمع بهما : حركهما فى طيرانه وخفق بهما»

(٧) ط «وتظهر عرضا» وهو تحريف

(٨) ط «ولا أظن»

[فى وصف الدمع] . ولكنهُ يعتذرُ مرةً بقِلّة دمعه ، ومرة يذكر كثرته ويفتخر بِغَزْرِه ، وفى كل ذلك يُحْسِنُ ويجيد .

فمن اعتذاره قوله فى قصيدته التى أولها :

فِيمَ ابْتِدَارُكُمُ الْمَلامَ وَلُوعَا أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا[١]

يَا دَارُ غَيَّرها الزَّمَانُ وَفرَقَتْ عنها الْحَوَادِثُ شَملَهَا المجْمُوعا[٢]

لَوْ كانَ لِى دَمْعٌ يُحَسِّنُ لَوْعَتِى خَلَّيْتُه فى عَرْصَتَيْكِ خَلِيعا[٣]

لا تخطُّئِ دَمْعِى إلىَّ فَلَمْ يَدَعْ فى مُقْلَتَىَّ جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعا

فقوله فى ابتداء القصيدة : « أَبَكَيْتُ إلا دمنةً وربوعا » قد أخبر أنه بكى ثم قال : « لو كان لى دمع يحسن لوعتى » أى : لو كان لى دمع غزير يليق بلَوْعَتى ويبين[٤] عنها .

وكذلك قوله : « فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعاً » أى : دموعاً كافيةً أرضاها ، أو دموعاً تسعفنى[٥] : لأنه استقلَّ دَمعه واسْتَنْزره ، أو أن يكون انقطع دمعه .

ولله در كُثَيِّر إذ يقول :

وَقَضَّيْنَ مَا قضَّيْنَ ثُمَّ تَرَكْنَنِى بفَيْفا خُرَيْمٍ وَاقِفاً أَتَلَدَّدُ[٦]

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَنَّتْ بمَائِها عَلَىَّ ولا مِثْلِى عَلى الدَّمْعِ يُحْسَدُ[٧]

---

(١) ديوانه ٢٥٧ ، ٢/١٢٥٣ وقد سبق هذا البيت فى صفحة ٨ و ٤٦٧

(٢) ط « أيدى الحوادث »

(٣) فى الديوان « خلفته » وفيه ٢ / ١٢٥٣ « لتركته »

(٤) ط « وينى »

(٥) ط « تسعنى » و م « تسعنينى »

(٦) ديوانه ١ / ١١٤ « وأمن بينا عاجلا وتركننى » وقد سبق البيت فى الوقوف على الديار

(٧) ديوانه ١ / ١١٨

وقال أبو تمام :

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَراكَ دَرِيسا ... تَقْرى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسا[1]

وَلئن حُبِسْتُ عَلى الْبِلى لَقَدِ اغْتَدَى ... دَمْعِي عَلَيْكَ إلى المماتِ حَبِيسَا[2]

وأَرَى رُسُومَكَ مُوحِشاتٍ بَعْدَ مَا ... قَدْ كُنْتَ مَأْلوفَ المحَلِّ أَنِيسَا[3]

وَبَلاقِعاً حَتَّى كأَنَّ قَطِينَهَا ... حَلَفُوا يَمِيناً أَخْلَفَنْكَ غَمُوسَا[4]

وهذا كلام رَصِينٌ ، وقوله : « حلفوا يميناً أخلفنك » أى : كأنهم حلفوا يميناً أن يعود إليك فأخلفك ذلك .

ومن حلو معانيه وجيد ألفاظه فى البكاء على الديار . قولُه :

دِمَنٌ لَوَتْ عزمَ الفُؤادِ وَمُزِّقَتْ ... فِيها دُمُوعُ الْعَيْنِ كلَّ مُمَزَّقِ[5]

وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبَلُ الْعِهَادِ ... وَرُوِّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِى[6]

نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الْعيْنِ إِنِّى ... رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ[7]

وهذا البيت فى غاية الجودة لفظه ومعناه إلا أنه وَصله بكل تخليط[8] ،

---

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزى ٢/٢٦٢ وقد سبق البيت الأول فيما تهيجه الديار . . . وفى م « وقرى » وهما روايتان .

(٢) ويروى « لبما اغتدى » قال التبريزى : « أى صرت »

(٣) ويروى : « وأرى ربوعك »

(٤) ط « أخلفتك » وفى شرح التبريزى عن المعرى : « هذا مبنى على الحديث المروى ، وهو قولهم : « الأعيان الكاذبة تترك الديار بلاقع » . يقول : كأن أهل هذا الربع حلفوا يمينا كاذبة فتركت ديارهم بلاقع . والغموس : التى تغمس فى الإثم »

(٥) ديوانه ٢١١ وفى شرح التبريزى ٢/٤٠٦ « لوت : أى ثنت ، أى كان فى الفؤاد تعديها والاستمرار على السير ، فلما انتهينا إليها ثنت هذا العزم وردته حتى تركنا السير ووقفنا عليها . ويروى : أى ممزق »

(٦) ديوانه ٧٨ وشرح التبريزى ١/٣٧٢ وقد سبق البيت الأول فى الادعاء للدار بالسقيا

(٧) ويروى « لما رأيت » وفى م « ركى العهد » وهو تحريف

(٨) ط « وصله بكلام غليظ »

فقال :

فَيَا حُسْنَ الرُّسُوم وَما تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فى صُوَرِ البِعَادِ[١]

وهذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة [لفظه] ومعناه [يريد] : فيا حسن الرسوم ولم يمش إليها الدهرُ : أى لم يُصبها الدهرُ ببعد أهلها عنها ، فأخرجه[٢] هذا المخرج القبيح المستهجن .

ومن إحسان **البحترى** المشهور فى هذا ، قولُه :

أَمَحِلَّتَيْ سَلْمى بِكاظِمَةَ اسْلَما وَتَعَلَّما أَنَّ الجوَى مَا هِجْتُمَا[٣]

هَلْ تُرْوِيَان مِنَ الأَحِبَّةِ هائِماً أَوْ تُسْعِدَانِ عَلى الصَّبابَةِ مُغْرَمَا

أَبْكِيكُمَا دَمْعاً وَلَوْ أَنِّى عَلى قَدْرِ الْجَوى أَبْكِي بَكَيْتُكُمَا دَمَا

ومن جيد أشعار[٤] أبى تمام فى هذا الباب أيضاً ، قوله :

أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كلِّ رِيم لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بِالأُنس الْقَدِيم[٥]

أَدَارَ الْبُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصَابِى إِلَىَّ فَصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ

لَئِنْ أَصْبَحْتِ مَيْدَانَ السَّوَافِى لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَيْدَانَ الْهُمُومِ[٦]

وَمِمَّا ضَرَّمَ الْبُرَحَاءَ أَنِّى شكَوْتُ فَمَا شكَوْتُ إلى رَحِيم

أَظُنُّ الدَّمْعَ فِى خدِّى سَيُبْقِى رُسُوماً مِنْ بُكائِى فى الرُّسُومِ

---

(١) م « الدهر وصور » وهو تحريف

(٢) م « فأخرجه بهذا اللفظ »

(٣) ديوانه ٢٢٨ ، ٣/١٩٥٨ وفى ط « ان الهوى » وقد سبق هذا البيت فى التسليم على الديار . ص ٤٤٢

(٤) ط « شعر »

(٥) ديوانه ٢٨٧ وشرح التبريزى ٣/١٦٠ وفى م « الأنس المقيم » وقد سبق البيت صفحة ٤٦٠ .

(٦) فى شرح التبريزى « السوافى : جمع سافية ، وهى الريح التى تسفى التراب »

وهذا من أسهل كلامه[١] وأسلس نظمه ، ومن أبعد قولٍ من التكلف والتعسف ، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة .

وقوله : « فصرتِ جنات النعيم » معنًى حسنٌ . ولكن فيه إسراف أن يجعل دارًا خلتْ من أهلها ـ دارَ بؤس وهو باكٍ فيها ـ جناتِ النعيم .

وقد أتى البحتريُّ بهذا المعنى متبعاً فيه أبا تمام ، ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال ، وتجنب الإفراط[٢] ، فقال :

يا مَغانِى الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا ... وَغدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُومَا[٣]

أَلِفَ الْبُوسُ عَرْصَتَيْكِ وَقدْ كُنْـ ... ـتِ بِعَيْنَىَّ جَنَّـــةً ونعِيمَا

فقال : « ألف البؤس عرصتيك » ثم قال : « وقد كنت بعينى جنة ونعيما » فجعلها جنةً ونعيما فيما مضى . ومع هذا فإنى أقول : إن بيت أبى تمام أحسنُ ، وهو فى سائر أبياته أشعر .

وقال البحترى :

لعَمْرُ الرسُوم الدَّارِساتِ لقَدْ غدَتْ ... برَيًّا سُعَادٍ وَهْى طَيِّبَةُ الْعَرْفِ[٤]

بَكَيْنَـــا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَازِجُهُ دَمٌ ... هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفِ

وهذا حسن جدًّا ، وإنما أخذ قوله : « بريًّا سعاد وهى طيبة العَرْفِ » من قول الآخر[٥] ، أنشده الأخفش عن المبرد :

وَاسْتُودِعَتْ نَشْرَها الدِّيَارُ فمَا ... تزْدَادُ إلَّا طِيباً عَلى الْقِدَمِ

---

(١) ط « أسهل الكلام »

(٢) ط « واجتنب إفراطه »

(٣) ديوانه ٢٧٣

(٤) ديوانه ٤٤١ ، ٣ / ١٣٩٨ وفى ط « لعمرك إن الدارسات » .

(٥) م « قول آخر وأنشده الأخنس » وهو تحريف .

وهذا أجود من بيت البحترى ؛ لما فيه من الزيادة الحسنة ، وهو قوله : « فما تزداد إلا طيباً على القدم » .

وقال البحترى :

تُرَى اللَّيْلَ يَقْضِى عُقْبَةً مِنْ هَزِيعهِ ... أو الصُّبْحُ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيعِهِ[1]

أَو الْمَنْزِلُ العَافِى يَرُدُّ أَنِيسَهُ ... بكاءً عَلَى أَطْلالِهِ وَرُبُوعِهِ

إذا ارْتَفَقَ الْمُشْتَاقُ كَانَ سُهادُهُ ... أَحَقَّ بِجفْنَىْ عَيْنِه مِنْ هُجُوعِهِ[2]

وهذا لفظ[3] فَحْلٌ ، ومعان فى غاية الصحة والاستقامة .

وللبحترى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهبٌ آخر ، وهو [حسن جدًّا . ومن ذلك] قوله :

أَبُكَاءً فِى الدّارِ بَعْدَ الدَّارِ ... وَسُلُوًّا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ[4]

لا هناكَ الشُّغْلُ الْجَدِيدُ بِحُزْوَى ... عَنْ رُسُوم برامَتَيْنِ قِفَارِ

ما ظَنَنْتُ الأَهْوَاء قَبْلَكَ تُمْحَى ... مِنْ صُدُورِ العُشّاقِ مَحْوَ الدِّيارِ[5]

دِمْنَةٌ رَدَّتِ الهَوَى الشَّرْقَ غَرْباً ... وَأَمالَتْ نَهْجَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِى[6]

وهذا غرض حلو ، ومعنى لطيف .

---

(١) ديوانه ٣٧٢ « أم الصبح » ، ٢ / ١٢٧٥ وقد قال الشيخ محيى الدين « العقبة : بضم العين وسكون القاف — الشدة ويقولون : لقيت من فلان عقبة الضبع ، يريدون : لقيت منه شدة . . . ويقال للصبح صديع من الصدع الذى هو الشق ؛ لأن الظلام ينشق عنه »

ولست أرى رأيه فى تفسيره العقبة بالشدة ، لأن هذا يحيل معنى البيت . والمراد من العقبة هنا : آخر الهزيع لأن عقبة كل شيء آخره . والصديع : انصداع الصبح وهو انشقاقه ، لأن الليل ينشق عنه

(٢) م « إذا اتفق . . كان شهوده » وهو تحريف

(٣) ط « وهذا معنى »

(٤) ديوانه ٤٤٤ ، ٢ / ٩٨٦ وانظر ص ٤٥٣

(٥) سقط هذا البيت من ديوانه وهو ثابت فى طبعة مصر ٢ /٢٤

(٦) فى ديوانه و ط « نظرة ردت »

ومثله قوله ولكن ليس فيه ذكر البكاء :

أَبيتُ بأَعْلى الحَزْنِ والرمْلُ دُونَهُ مَغَانٍ لَهَا مَجْفُوَّةٌ وَطُلُولُ[١]

وَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى الرِّيحَ غَرْباً مهبُّها فَقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الرِّيحَ وَهْيَ قَبُولُ[٢]

قال[٣] ذلك : لأَن القَبول هي الصبا ، ومهبُّها من مطلع الشمس .

ونحوه قوله :

كَلَّفَتْنى أَرْيَحِيَّاتُ الصِّبا طَلَقاً فِى الشَّوْقِ مُمْتَدَّ السَّنَنْ[٤]

نَقَلَتْنى فى هَوًى بَعْدَ هَوًى وَابْتَغَتْ لى سَكَناً بَعْدَ سَكَنْ

وقولُه :

مَا ظَنَنْتُ الأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى مِنْ صُدُور العُشَّاق مَحْوَ الدِّيار[٥]

معنى حسنٌ ، وإنما أخذه منْ قول أَبى تمام :

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفا الغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْها طُلُولٌ باللِّوَى وَرُسُومُ[٦]

وبيت البحترى أحلى وأبدع .

وقال البحترى فى وجه آخر ، وهو أيضاً حَسَن لطيف :

فِى كُلِّ يَوْمٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ تُقْوِى وَرَبْعٌ بَعْدَهُمْ يَتَأَبَّدُ[٧]

أَوَ مَا كَفانَا أَنْ بَكَيْنا غُرُباً حَتَّى شَجَانا بالْمَنَازِلِ تُهْمَدُ[٨]

---

(١) ديوانه ٣٤٣ « والرمل عنده »

(٢) ط « أرجو الريح » وفى الديوان « غربا مآبها »

(٣) ط « وذلك »

(٤) ديوانه ٦١٣ « فى الحب ممتد الرسن » ، ٢١٥٣/٤ المعارف

(٥) مضى آنفا صفحة ٤٨٠ .

(٦) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٢٨٩/٣

(٧) ديوانه ٦٨٩

(٨) ط « غردا حتى شجتنا »

ومثله :

هُوَ الدَّمْعُ مَوْقُوفاً عَلَى كلِّ دِمْنَةٍ تُعَرِّجُ فِيها أَوْ خَلِيطٍ تُزَايِلُه[١]

تَرَادَفَهُم خَفْضُ الزَّمَانِ وَلِينُهُ وَجَادَهُمُ طَلُّ الرَّبِيعِ وَوَابِلُهْ[٢]

وإنما حَذا البحترى هذا المعنى على حَذْوِ قول كُثَيِّر :

وكُنْتُ امرأً بالغَوْرِ مِنِّى ضَمانَةٌ وأخْرَى بِنَجْدٍ . ما تُعِيدُ وما تُبْدِى[٣]

فَطَوْرًا أَكُرُّ الطَّرْفَ نَحْوَ تِهَامَةٍ وطَوْرًا أَكُرُّ الطَّرْفَ كَرًّا إِلى نَجْدِ

وَأَبْكِي إذَا فَارَقْتُ هِنْدًا صَبابَةً وَأَبْكِي إذا فارَقْتُ دَعْدًا عَلى دَعدِ[٤]

وهذا مالا مزيد فيه على حسنه وحلاوته[٥] . ومثله قولُ جرير :

أَخَالِدُ قَدْ عَلِقْتُكِ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيَّبَنِى الْخَوَالِدُ والهُنُودُ[٦]

هَوَى بِتِهامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ فَبَلَّتْنِى التَّهَـائِمُ والنُّجُودُ[٧]

[وقال جرير فى نحو المعنى :

إلى الله أشكو أنَّ بالغَور حاجةً وأخرى إذا أبصرتُ نجداً بَدَا لِيَار[٨]

ومثْله قوله أيضاً] :

أُحبُّ ثَرَى نَجْدٍ وبالْغَوْرِ حَاجَةٌ فَغَارَ الْهَوَى يا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدَا[٩]

---

(١) ديوانه ٥١ « موقوف » ، ٣ / ١٦١١

(٢) فى الديوان « حفض النعيم »

(٣) ط « منى صريمة . . . ما يعنيك ما تبلى » وهو تحريف

(٤) م « إلى دعد »

(٥) ط « وطلاوته »

(٦) اللسان ٤/٤٥٠ وسيبويه ٢/٩٨ وفى ديوانه ١٦٠ « فبلتنى » وبين هذا البيت والذى يليه ثلاثة أبيات .

(٧) ط « فقتلنى »

(٨) ديوانه ٦٠٢

(٩) ديوانه ١٨٥

وهذا باب فى وصف أطلال الديار وآثارها

قال أبو تمام :

قِفُوا نُعْطِ الْمَنَازِلَ مِنْ عُيُونٍ ... لَهَا فِى الشَّوْقِ أَحْساءٌ غِزَارُ[١]

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ وَأَىُّ رَبْــعٍ ... يَكُونُ لَهُ عَلى الزَّمَنِ الخِيارُ[٢]

أَثَافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً ... وَنُؤْىٌ مِثْلُ مَا انْفَصَم السِّوَارُ

قوله : « أحساء » جمع حِسْىٍ ، وهو الماء يغيض فى الرمل ، فإذا وصل إلى الصلابة وقف فيُحْفَر عنه ويشرب .

[وقد قال فى موضع آخر :

* وَدَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَجْتَلِبْ ماءه الوَجْدُ[٣] *

وقوله : « أثاف كالخدود لطمن حزناً » من قول المَرَّارُ الفَقْعَسِى :

أثَرُ الوقود على جوانبها ... بخدودهن كأنه لَطْمُ] [٤]

وقال البحترى :

عِوَضٌ مِنْهُمُ خَسِيسٌ – وَقَدْ حَلُّوا اللِّوى – مَنْزِلٌ بِوَجْرَةَ عَافِى[٥]

لَمْ تَدعْ مِنهُ مُبْلِياتُ اللَّيالِى ... غَيْرَ نُؤْىٍ تَسْفِى عَليهِ السَّوافِى[٦]

---

(١) شرح التبريزى ٢/١٥٢ وفى الديوان ١٤٠ « أنواء غزار »

(٢) فى شرح التبريزى ٢/١٥٣ « لأن الزمان لا يجىء على اختياره ، بل يبليه ويخلقه »

(٣) صدره : « تجرع أسى قد أقفر الجزع الفرد » وهو مطلع قصيدة فى الديوان ١٢٠ وشرح التبريزى ٢/٨٠

(٤) سبق ص ٦٨

(٥) ديوانه ٣٦٧ « عرض منهم » ، ٣/١٣٨٥

(٦) فى ديوانه « فيه »

وَأَثَافٍ أَتَتْ لَهَا حِجَجٌ دُو نَ لَظَى النَّارِ مُثَّلٌ كالأَثَافِى

قوله : «مُثَّل» [أى] قائمة ثابتة «كالأثافى» . يريد الكواكبَ التى عند الفرقدين وهى ثلاثة ، قيل لها أثاف لشبهها بالأثافى ، فشبه البحترى الأثافىَّ بها لثباتها(١) وأنها مُثَّلٌ على مرِّ الدهر .

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتابه كتاب(٢) الأنواء : إن تثليثها طولًا ، ولو شبهها البحترى بالنَّسر الواقع — لأنه أشهر وأظهر وأقرب شبهاً — لكان ذلك أحسن [وأليق] وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشىء إنما استعير له اسمها ، وليس يعرفه كل أحد ، ولكنه جاء [به] من أجل القافية .

وقال البحترى :

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الدَّخُولِ فَتُوضِحِ ... مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّمِ تَسْفَحِ(٣)

عَفَا غَيْرَ نؤْىٍ دَارِسٍ فِى فِنَائِهِ ... ثَلاثُ أَثَافٍ كالحَمَائِمِ جُثَّحِ

وهذا جيِّدٌ حسن وعلى مَنْهج الشعراء ، وأظنه أخذه من قول عَدِىٍّ بن زيد :

وثلاث كالْحَمَـامَاتِ بِهَا ... بَيْنَ مَجْثاهُنَّ تَوْشِيمُ الْحُمَمْ(٤)

وابن الأعرابى قال : لا يكون «مجثاهن» ، إنما هو «مجراهن» .

---

(١) ط «ثبوتها»

(٢) ط «فى كتابه فى الأنواء»

(٣) ديوانه ٦٣١

(٤) أورده أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى ٢/ ٤٠ وعقب عليه بقوله : «ويروى «توشيم العجم» والتوشيم أراد به آثار الوقود ، قد صار فيها كالوشم ، والثلاث : يعنى الأثافى التى تنصب عليها القدر» وفى م «بهاتين» وهو تحريف

أو من قول أبى نُوَاس :

كما اقتربتْ عند المبيت حمائمٌ بعيداتُ تُمْسِى مَالَهُنّ وُكُونُ[١]

وهذا أجود من بيت عدى ومن بيت البحترى .

وقد شبه الأثافى بالحمائم غيرُ واحدٍ من الشعراء ، والبديع[٢] النادر فى وصف الأثافى قول كُثَيِّر :

أَمِنْ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلوحُ قَدِيمُ[٣]

لَعِبَ الرياحُ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَّهُ جُونٌ عَوَاكِفُ فى الرَّمَادِ جُثُومُ[٤]

سُفْعُ الْخُدُودِ كأنَّهُنَّ ، وَقَدْ مَضَتْ حِجَجٌ ، عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

قوله : « فأَجدَّه جُونٌ عَوَاكف » يعنى الأثافى ؛ لأن الريح لما كشفت عنها فظهرت سوداء [كانت كأنها هى أجدّت الرسم][٥] ، شبّهها بالعوائد.

والجَوْن : الأسود . والجَوْن : الأبيض . وهو من الأسماء المتضادة . قال الأصمعى : ويقال : غابَتِ الجونة ، وطلعت الغزالة ، يعنى مَغيبَ الشمس وطلوعها . وهما اسمان من أسماء الشمس ، وإنما سميت الشمس جونة عند المغيب لما يعرض فيها من تغير اللون إلى السواد .

---

(١) ديوانه ٣٣٧ « كما اقترنت . . حمائم غريبات » وفى طبعة الحلبى ٣٢١ « كما اقتربت . . . غريبات » وفى م « تمسى » وفى ط « عند المبر حمائم عبيرات تمسى بينهن وكون » ! ! ! وهو تحريف يفسد المعنى ، ولست أدرى كيف يكون الحمائم « عبيرات » ، ولا أدرك معنى هذا الوصف !

(٢) ط « والبالغ النادر »

(٣) ديوانه ١/٢٥٣ وأمالى المرتضى ٢/٣٣

(٤) ط « لعب الزمان »

(٥) نقل الشريف المرتضى هذا التفسير فى أماليه ٢ / ٣٣ من غير عزو ثم قال : « ويحتمل وجه آخر ، وهو أن يكون معنى « أجدت » أنها حمت الرماد الذى أحاطت به ، عن لعب الرياح ، فبقى بحاله يستدل به المترسم ، فكأن الرياح درست الربع ومحته ، إلا ما أجدته هذه الأثافى من الرماد ، ومنعت الريح منه »

وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

على أنَّ سُحْقاً مِنْ رَمَادٍ كأنَّه   حَصَى إثْمِدٍ بَيْنَ الصَّلاءِ سَحِيقُ[1]

وقال أبو سعيد المَخْزُومِي :

يبكى ثلاثاً كالحَمَام رُكَّدًا   تَسْفِي بها الرِّيحُ رَمَادًا أَرْمَدَا[2]

كأنَّما يَطْحَنَّ فيها إثْمِدَا

وقال بشَّار بن بُرْد :

ومسجدُ شيخٍ كنتَ فى زمن الصِّبا   تُحَيِّيه أحياناً وفيه نُكُوبُ[3]

غَدَا بثلاثٍ ما يَنَامُ رَقِيبُها   وأَبْقَى ثلاثاً ما لَهُنَّ رَقِيبُ

غدًا : يريد الشيخ غدا بثلاث ، أى بثلاث نسوة ما ينام رقيبها ، يعنى الشيخ أنه ما ينام عن رقيبها . وأبقى ثلاثاً ، يعنى الأثافى .

وأخذا أبو تمام قوله : «ونُؤْى مثل ما انْفَصَم السِّوَارُ» من قول آخر :

ونُؤْىٌ كما نَقَصَ الهلالَ مَحاقُه   أو مثلُ ما فَصَمَ السِّوارَ المِعْصَمُ[4]

وهذا العجز ما لحسنه نهاية .

وقال كُثَيِّر :

عرفتُ لسُعدى بعد عشرين حِجَّةً   بها دَرْسَ نُؤْيٍ فى المحلَّةِ مُنْحَنِ[5]

قَدِيمٌ كَوَقْفِ العَاجِ ثُبِّتَ حوْلَهُ   مَغَارِزُ أوتادٍ بِرَخْمٍ مُوَضَّن

---

(١) الذى فى ديوانه ٣٤ «فغادرن مسود الرماد كأنه» . والإثمد : حجر الكحل . والصلاء ، والصلاية : كل حجر عريض يدق عليه العطر ونحوه

(٢) ق : «رمددا»

(٣) م «أحييه» وهما فى ديوانه ١ /١٨١ – ١٨٢

(٤) نقله المرتضى فى أماليه ٢/٣٤ . وقد تقدم ص ٩٢

(٥) ديوانه ٢ / ٥٨ وأمالى المرتضى ٢/٣٤

قوله : « منحن » : مستدير. والوَقْفُ : السِّوار من الذَّبْل[1] ومن العاج .
والرَّخْمُ : صخور عظام . والرَّخْم أيضاً : هضاب صغار. والمُوَضَّنْ :
هو الذى بعضه فوق بعض . يقول : ضربت الأوتاد بحجارة الرّخمة .

وما أحسن قول بشار :

ونُؤْىٌ كخَلْخَالِ الفتاةِ وصَائِمٌ أَشَجُّ على رَيبِ الزمان رَقُوبُ[2]

قوله : الصَّائِم الأَشجّ : يعنى الوتد . والصائم : القائم الثابت ؛ قال النابغة :

خيلٌ صِيَامٌ و[خيلٌ] غيرصائمةٍ يوم العَجَاجِ وخيلٌ تَعْلُكَ اللُّجُمَا[3]

فجعله رَقُوبا لانفراده على الاستعارة .

والمرأة الرَّقُوب ، والشيخ الرَّقُوب : الذى لا يعيش له ولد ، والذى لا ولد له فهو ينتظره . والمستعمل فى الرّقبة أن يقال : رقيب ورَاقِب . وأظنّه ذهب إلى توكيد الفعل . مثل قولهم : ضارب ، فإذا وكدوا قالوا : ضَروب ، كذلك ، شارب وشَرُوب ، وآكل وأَكُول : أى كثير الأكل والشّرب .

وقال أبو تمام :

والنُّؤْىُ أَهْمِدَ شَطْرُهُ فكأنَّهُ تَحْتَ الحوادِثِ حاجبٌ مَقْرونُ[4]

وهذا أيضاً فى وصف النؤى حسنٌ .

---

(١) فى اللسان ١٣/ ٢٧٢ « الذبل : شىء كالعاج ، وهو : ظهر السلحفاة البرية يتخذ منه السوار »

(٢) ديوانه ١ / ١٨١ وأمالى المرتضى ٢ / ٣٥

(٣) ديوانه ٩٥ وفى اللسان ١٥ / ٢٤٤ « تحت العجاج » . وقد تقدم ص ٢٤٣ .

(٤) ديوانه ٣٢٨ وأمالى المرتضى ٢/ ٣٥ وفى شرح التبريزى ٣ / ٣٢٤ « الحوادث : السحاب والأمطار »

ولست أعرف للبحترى فى مثل هذا شيئاً ، إلا ما يشتبه[١] فيه ، وهو قوله :

آثار نُؤْيٍ بالفِنَاء مُثَــلَّمٍ وزِمَامُ أشعَثَ بالعراءِ مُشَجَّج[٢]

وهذا على مذاهب الناس . وقال النَّابغة :

رمادٌ ككُحْلِ العينِ ما إنْ تُبِينُه ونُؤْىٌ كجِذْمِ الْحَوضِ أثْلمُ خاشِعُ[٣]

ووصل البحترى بيته بأن قال :

دِمَنٌ كمثلِ طَرَائقِ الوَشْيِ انْجلَتْ لمَعَاتُهُنَّ عن الرِّداء المُنْهَج[٤]

يَضْعُفْن عَن إذْ كارِنَا عَهْدَ الصِّبَا أو أنْ يُهِجْنَ صبابةً لم تَهْتَجِ

ولرُبَّ عيشٍ قد تبسَّم ضَاحكًا عن طُرَّتَىْ زمنٍ بِهِنَّ مُدَبَّجِ[٥]

وهذا كله على مذاهب الناس .

ونحو قوله : « كمثل طرائق الوشى » قولُ النابغة :

على العُصُرِ الخالى كأنَّ رُسُومَهَا بتهنيّة الركنين وَشْىٌ مرجَّعُ[٦]

مرجع بعضه على بعض فى النساجة .

وقال كُثَيِّر :

مَغَانِى ديارٍ لا تزالُ كأنَّها بأصعدة الشُّطَّار رَيْطٌ مُضَلَّعُ

وقال كُثَيِّر أيضاً :

غَشِىَ الركبُ رَبْعَها فَعجِبْنَا مِنْ بِلَاهُ وما المَدَى بِقَديمِ

---

(١) ق « ما لا تشبيه »

(٢) ديوانه ٢ / ٤٢٨

(٣) فى ديوانه (٧١ : ط الهلال) : « . . لأيا أبينه . . »

(٤) ديوانه « من الرداء » . ١/٤٠٠ معارف

(٥) م « عن طريق زمن »

(٦) ديوانه ١ / ٢٧

كحواشِى الرِّداء قد مَحَّ مِنْهُ   بَعْدَ حُسْنٍ عصائبُ التَّسْهِيمِ

وهذا حسن جدًّا .

وقول البحترى : « يضعفن عن إذْكارِنَا عهد الصِّبا » يعنى لطول عهدهنّ ودُرُوسِهِنَّ .

وقد تصرّف شعراءُ الجاهلية والإسلام فى وصف آثار الديار أحسن تصرّف ، وأتوا فيه بكل تشبيه مستحسن ، ومعنى مستغرب فمنه قول طرَفَة :

* تَلُوحُ كبَاقِى الوَشْمِ فى ظاهر اليدِ[1] *

الوشم : أثر الحِنَّاء ، وخصّ ظاهر اليد : لأن دُرُوسَه أسْرَع .

وقال لَبِيد :

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلولِ كأَنَّها   زُبَرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أقلامُها[2]

وهذا ما زلت أسمع العلماء تعجب من حسنه ولطافة معناه . وكان الفرزدق إذا أنشده يسجد ويقول : إنا نعرف مكان السجود فى الشعر كما تعرفونه فى القرآن[3] .

وقال آخر ، وأنشده إسحاق بن إبراهيم :

تمتع بكرٍّ الطرف فى رسم منزلٍ   تحمّل عنه قَاطِنُوه فأَقْفَرا[4]

ترى فيه آثارًا وإنْ كان دَاثِرًا   بذكْرِك الشوقَ القديمَ فتَذْكُرَا

(١) صدره : « لخولة أطلال ببرقة ثهمد » وهو مطلع معلقته ، كما فى ديوانه ٢١ وشرح القصائد العشر ٩٦ تقريبا

(٢) شرح القصائد العشر ١٥٨ تقريبا والوساطة ١٨٧ واللسان ٥ / ٤٠٣

(٣) الخبر فى الأغانى ١٤ / ٩٨

(٤) م « فافتقرا »

قوله : فتذكرا ، ليس بالجيد ، ووجهه الرفع ، ولكنه جاء به على إرادة النون[١] ، وقد جاء مثله فى أشعارهم قال جَذِيمَةُ الأَبْرَش :

رُبَّما أَوْفيْتُ فى عَلَم ... تَرْفَعَنْ ثَوْبِى شَمالاتُ[٢]

وقال الجَعْدِىّ :

وأَقْبل على مجدى ومَجْدِكَ نَبْتَحِثْ ... مَسَاعِيَنَا حتى ترى كيف تَفْعَلا[٣]

ومثله قليل .

وأحسن من هذا ومن كل حسن قول محمد بن عبيد الأَزْدِى[٤] :

فلم تَدَعِ الأَرْوَاحُ والماءُ والبِلَى ... من الدار إلا مَا يَشُوقُ ويَشْعَفُ

وأنشد إسحاق ، ووجدته فى التَّعْليقَات لِيَعْلى الطَّائى :

لَبِسْنَ البلى حتى كأَنَّ رُسُومَها ... طَعِمْنَ الهوى أَوْذُقْنَ هَجْرَ الحبائبِ[٥]

وقال ابن وهب فى مثله يذكر منزلين :

لَبِسا البلى فكأَنَّما وجَدا ... بَعْدَ الأَحِبَّةِ مثلَ ما أَجِدُ[٦]

وقال البحترى مثل هذا :

صبٌّ يخاطب مُفْحَماتِ طُلُول ... مِن سائلٍ باكٍ ومِن مَسْئولِ[٧]

---

(١) م « النوى » والتصويب من ق

(٢) اللسان : ٣٨٩/١٣ وفى م « فى عمل ترقعن » وهو خطأ . وهو لجذيمة الأبرش ، كما فى نوادر أبى زيد ٢١٠

(٣) م « يفعلا »

(٤) ذكره الصولى فى معجم الشعراء ٤١٧

(٥) م « أودفين »

(٦) الأغانى ١٤٧/١٨ والعمدة ٤١/٢ والصناعتين ٤٥٥ وعيار الشعر ١١٤ وفى م « لبسنا » وهو تحريف

(٧) ديوانه ٦١٠ ، ١٦٦/١٣ وسبق ص ٤٥٦ « بال »

حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أعباءَ البِلى حتى كأَنَّ نحولَهن نُحُولِى(١)

وأنشدنى غير واحد من الشيوخ :

ما غَيَّرَ الدَّارَ [بَعْدَ] بَيْنِهم ريحٌ عفَتْ آيُها ولامطرُ (٢)

كأَنَّهـــا جَرْعةٌ يَمانِيَةٌ قد نُشِّرَتْ فى عِرَاصها الحِبَرُ

وقال آخر وأنشده حمَّاد :

قد وقفْنـــا لِكُلْثُم بطـــلول وأَرْسُمِ (٣)

لائحـــات كأَنَّها برْدُ وشيٍ مُنَمْنَم

وسأَلنـــا فأَفْحِمَتْ عن جـــوابِ المكلِّم

وهذا كله أحلى وألطف معانى ، وألوط بالنفس من كل ما قال الطَّائيَّان .

---

(١) م « أعيا البلى »

(٢) مكان الزيادة مطموس فى م

(٣) م « وقفنا لا لثم »

محو الرياح للديار

قال أبو تمام :

قِفْ بالطلول الدَّارسات عُلاثَا أَضْحَتْ حِبالُ قَطِينهِنَّ رِثَاثَا[١]

قَسَمَ الزَّمانُ رُبُوعَها بيْن الصَّبَا وقَبُولهَـا ودَبُورِها أَثْلاَثا

وهذا غلط منه ؛ لأن الصَّبا هى القَبول . ولو قال : بين الصَّبا وشمالها وجنوبها أثلاثاً ، كان قولا مستقيماً ؛ لأن هذه الرياح الثلاث أكثر هبوباً من الدَّبُور . ولو اقتصر على ريحين كان ذلك أيضاً صواباً ، كما قال امرؤ القيس :

* لِما نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ[٢] *

وكما قال الأَعْشَى :

دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَها الصَّيْـ ـفُ بريحين مِن صَباً ، وشَمالِ[٣]

ولكنه جعلها ثلاثاً من أجل القافية لا غير .

وقد حكى عن النَّضْر بن شُمَيْل أنه قال:القَبُول : ريح بين الصَّبا والجنوب .

وهذا إن كان النَّضْر قاله فليس بمعروف ولا معول عليه ؛ لأن الناس جميعاً على خلافه فى أن القبول هى : الصَّبا .

وقال ابن الأعرابى : القبول : كل ريح لينة طيبة المس ، تقبلها النفس. وهذا لاحجة فيه لبيت أبى تمام . وقد استقصيت القول فى هذا فيما مضى عند ذكر أغاليطه من هذا الكتاب[٤].

---

(١) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزى ١٧/٣١٤ وانظر ص ١٠٥٨ .

(٢) ديوانه ١٢٤ وصدره : « فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها » وهو من معلقته

(٣) ديوانه ٣ واللسان ٦/٢٩٨

(٤) راجع ص ١٥٨ – ١٩٤

وقال البحترى ، فذكر[1] الرياح الأربع :

مَتْروكَةٌ للرِّيح بَيْنَ شَمالِهَا ... وجَنُوبِهـا ودَبُورِها وقَبُولها[2]

وأحسن من هذا ومن كلّ ما قيل فى هذا المعنى قولُه أيضاً :

بَيْنَ الشَّقِيقةِ فاللِّوَى فالأَجْرَعِ ... دِمنٌ حُبِسْنَ عَلى الرِّياح الأَرْبَعِ

وقد تقدم ذكره[3] .

قال أبو تمام :

أَوَ مَا رَأَيْتَ مَنازِلَ ابنة وَائلٍ ... رَسَمَتْ له كيف الزَّفيرُ رُسُومُها[4]

آثارُهَا وطُلُولُهـا ونجـادُها ... ووِهادُها وحديثُها وقديمُها

تغـدو الرياح سواقياً وعوافياً ... فتضيم مغناها وليس تَضِيمُها[5]

قوله : « رسمت له كيف الزفير » لفظة غير لائقة بالمعنى ؛ وإنما جاء بها ليجانس بينها وبين قوله : « رسومها » .

وقوله فى البيت الثانى : « وحديثها وقديمها » ، حشو لم يفد به فائدة .

وقوله : « فتضيم مغناها » ؛ يعنى الرِّياح إنما تَضِيمُ المَغْنى وليس يَضِيمُها ، وهذا أيضاً معنى ليست له حلاوة ، ولا يقود إلى فائدة ؛ لأن المعلوم أن الأرض لا تَضِيمُ الرِّيح .

وقال أيضاً فى وصف ربع :

مَلَّكَتْهُ الصَّبا الوَلُوع فأَلْـ ... ـهَتْهُ قَعُودَ البِلى وسُوْرَ الخُطُوبِ[6]

---

(١) ق « يذكر » .

(٢) ديوانه ٣٤٥ وقد تقدم ص ١٦٠

(٣) راجع تعفية الرياح للديار

(٤) ديوانه ٣١٠ وشرح التبريزى ٣٧٣/٣ « ابنة مالك » وق « وائل » وم « أبيت »

(٥) م « وليس نعيمها » وهو تحريف

(٦) ديوانه ٣٦ وشرح التبريزى ١٢٣/١

قوله : « الصَّبَا الوَلوع » . وإنما أراد المُولَعة بالهُبُوب ؛ لأنها أكثر الرياح هبوباً . ولا أعلمه يقال : ولع بالشيء يولع فهو ولوع ، ولكن قد سمعت : وَلِعَ يَلِعُ ، مثل وَزَعَ يَزِع، ووَلِعَ يَلَعُ ، مثل وَسِع يَسَعُ . حكاهما أبو زيد[١].

والوَلُوعُ : هو المصدر ، وما أُراه يقال : هو وَلُوع بكذا ، والقياس هو ولع بكذا ، مثل وزعم به[٢] ، ووالع مثل واسع . واللغة المعروفة : أُولِعْتُ بالشيء فأنا مُوْلَعٌ به . والمصدر الوَلُوع .

وقوله : « أَلْفَتْهُ » ، ليس هذا موضع ألفته ؛ لأن معنى ألفته : صادفته ، وإذا كانت الريح هي التي فعلت بالربع ، فَوَجْه الكلام : «جعلته » ، لو استوى له ، لا « ألفته » ، وإذا لم يستقم له « جعلته » ، ولا ما هو في معناها – نقض البيت بأسره ، وبناه بألفاظ أُخَر . وكأنه أراد أن يقول : قعود البلى وهدفاً للخطوب ، أو غَرَضاً للخطوب ، أى تقع به أبدًا وتصيبه ؛ فلم ينتظم له الوزن . وكأنه أراد أن يقول : وهدفاً للخطوب أو غرضاً للخطوب ، أى تقع به أبدًا [وتصيبه][٣] فقال : سور ؛ لأن السور جعل يَقَعُ[٤] به كل قَارِعَة دون ما وراءه ، فهو هدف وغَرَضٌ لكل رام . فهذا الذى أراده ، والله أعلم .

وليس قول من يقول : سُوْرُ الخطوب ، أى أن هذا الربع محيط. بالخطوب فهو كالحارس لها ، فهي لا تبرحه ولا تريمه – بشيء ؛ لأن الأشبه والأَوْلى في

---

(١) نوادر أبي زيد ٢٣٩ وفيه بعد ذلك : « قال أبو الحسن : وكذلك يقال : ولع يلع ، مثل وضع يضع ، وولع يلع على الأصل ، وإنما انفتحت الأولى من أجل العين لأنها من حروف الحلق . ولست أنكر ولع ، ولكن الذى أحفظ ما ذكرت لك »

(٢) كذا بالأصل ولعله : مثل هو زعم به . وإن كان لم يرد إلا « زعيم »

(٣) الزيادة من ق (٤) ق « لتقع » .

هذا أن تجعل الخطوبُ هى التى أحاطت به من كل وجه حتى عفته وأبلته وأخلته من أهله ، لا [أ] نه أحاط بها .

وقد قيل : سُؤْر الخطوب [بالهمز : بقية ما أبقته الخطوب] [1] كسؤر السبع إذا وَلَغَ فى الشىء ، ثم أسْأَرَ منه . وليس هذا ببعيد من المعنى ، بل هو وجه جيد[2] .

وقال البحترى :

مَغَانِى سُلَيْمَى بالعَقِيق ودُورُها أَجَدَّ الشَّجَا إخلاقُها ودُثُورُها[3]
ومـا خِلْتُها مأخوذةً بصَبَابَتِى صحائِفَ تُمْحَى بالرِّياحِ سُطورُها

وهذا من أحسن معنى وأبرعه .

وقوله : «وما خلتها مأخوذة بصبابتى» ، مما يسأل عنه فيقال : كيف تُؤْخذ الصحائف — وهى عرصات الدار — بصبابته ؟ فمعنى مأخوذة بصبابتى : أى ملزمة صَبابتى ، كما يقال : قد أُخِذَ فلانٌ بأن يفعل كذا وكذا : أى أُلزِمَه ، كما يقال للرجل : أفعل كذا وكذا ، فيقول : من أَخَذَنِى بهذا ، أى من أَلْزَمَنِيه ؟ ومن نَاطَهُ بِى[4] وعلَّقه علىّ . وكما يقال كذا وكذا وما أَخَذَ ما أَخْذَه ، أى وما اتَّصل به ، وتعلَّق عليه ، ولزم طريقتَه .

ولا أعرف لأبى تمام معنى جيدًا فى ذكر الرياح إلا قوله :

يا مَنْزِلًا أَعْطَى الحوادثَ حُكْمَهَا لا مَطْلَ فى عِدةٍ ولا تَسْويفَا[5]

---

(١) الزيادة من ق

(٢) وفى شرح التبريزى ١/١٢٣ عن أبى العلاء المعرى : «وسؤر الخطوب : بقيتها ، ومن عرف مذهب الطائى لم يعدل عن هذه الرواية»

(٣) ديوانه ٦٠٤ ، ٢/٩٩٨

(٤) م «ومن ناظرنى وعلقه»

(٥) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزى ٢/٢٧٦

أَرَبَّى بناديكَ النَّدَى وتنفَّستْ ... نفَساً بعَقْوَتِكَ الرِّياحُ ضعِيفَا

وإنما قال ضَعِيفاً : لأن الرياح إذا اشتد هبوبها عفت آثارَ الديار وطَمَسَتْ مَعَالِمَها . ولذلك قال البحترى :

وإذا هبَّت الرياحُ نَسِيماً ... فَعَلى رَبْعٍ دَارِهَا والجَنَاب[1]

وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يستحسنون بيت أبى تمام هذا ، وهو لعمرى حسن ، ولكنه أخذ المعنى من قول آخر ـ وأنشده إسحاق بن إبراهيم الموصلى ولم يأت به فى ذكر الدار :

يا حَبَّذَا ريحُ الجَنُوبِ إذا سَرَتْ ... بالليل وهى ضَعيفَةُ الأَنْفَاسِ
قد ضُمِّنَتْ بَرْدَ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ ... عَبَقًا من الجَنْجَاثِ والبَسْبَاسِ[2]

وأجود من هذا وذاك فى وصف طيب الريح ، قول أبى الصنى[3] الأسدى :

إذا أَصْعَدَ الرُّكْبَانُ وَاستقبلتهم ... جنوبٌ كَمَسِّ الرَّازقِيِّ هُبُوبُهَا

الرَّازقىّ : الرقيق من الكتان الأبيض[4] ، والريح وإن كانت قد تسفى التراب على رسم الدار فتغطيه وتعفوه ، فإنها أيضاً قد تنسِفُه[5] عنه فتكشفه وتُجدُّه ، ألا ترى إلى قول جرير :

تُحْيِى الروامسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ ... بَعْدَ البِلى وتُمِيتُه الأَمْطارُ[6]

فهى تفعل فعلين مختلفين ، وربما نَسفَت تراب أرض فطرحته على أرض أخرى ، وبينهما سَيْرُ أيام ، فتكشف عن معالم تلك الأرض ، وتُغَطِّى على

---

(١) ديوانه ٥٦٣ « فعلى رسم »
(٢) سبقا ص ١٠٧
(٣) ق « إبى الصفر »
(٤) اللسان ٤٠٦/١١
(٥) م « تنشفه »
(٦) ديوانه ٢٠١

معالم هذه . وربما غشيت وجهَ الأَرض كله بتراب الأَرض الأخرى ، وفى ذلك يقول ذو الرُّمَّة :

ضَهُول كَسَاهَا تُرْبَ أَرْضٍ غَرِيبةٍ   سوى أَرضها منها الهَبَاءُ المُغَرْبَلُ[1]

ضَهُول : وصف للريح ، وذكرها فى بيت قبل هذا . والهاء فى كساها راجعة إلى رسوم الدار التى وصفها . وضهول ماؤها : يَجىءُ قليلا قليلا . وضَهُول كلِّ شىء : رجوعه . وبئر ضَهُول : يجىء ماؤُها قليلا قليلا . ويروى : «جَفُول» . أى سريعة ذاهبة . فهذا فى ريح واحدة .

فأَما الريحان المختلفان ، فإن إحداهما تنسف عن الأَرض التراب ، والأخرى تَردُّه إليها على ما قال امرؤُ القيس :

. . . . . لم يعف رسمها   لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ[2]

فلعل الطائيين فيما شرطاه إنما أَشْفَقَا من أَحد فِعْلى الريح ، وهو طُمُوسُها للرسم .

وقال البحترى :

أَسْنِدْ صُدُورَ اليَعْمَلاَتِ بِوَقْفَةٍ   فى المَاثِلاَتِ كَأَنَّهنَّ المُسْنَدُ[3]

دِمَنٌ تَتَاضَاهُنَّ إِعْلاَنَ البِلى   هُوجُ الرِّياحِ البادِياتِ العُوَّدِ[4]

حتى فَنِينَ وما البَقَاءُ لِوَاقِفٍ   والدَّهْرُ فى أَطْرَافِهِ يَتَرَدَّدُ

وهذا معنى عجيب ، وغرض حسن ، والمُسْنَدُ : الدهر ، أراد أَن طلول الدار والماثلات ثابتة فيه كثبات الدهر ودَوامِهِ . وإنما قال : أَسْنِد ، من أَجل قوله : المُسْنَد .

---

(١) ديوانه ٤٥٨ « جفول »

(٢) سبق ص ٤٩٢

(٣) ديوانه ٦٨٩

(٤) فى ديوانه « إعلام البلى »

وأجود منه وأحلى قوله :

عَسَتْ دِمَنٌ بالأَبْرَقَيْنِ خَوَالِ ... تَرُدُّ سَلامِى أو تُجِيبُ سُؤَالِى[١]

إذا ما تَـأَيَّا الرَّكْبُ فيها تَبَيَّنُوا ... ضَمَانَةَ مَتْبُولٍ وصِحَّةَ بَالِ[٢]

خليلَىَّ ما لِلرَّامِسَاتِ ومَا لَهَا ... وما لِشُجُونِى المُبْرِحَاتِ ومَالِى[٣]

ومما لا مزيد عليه ، ولا غاية لحسنه وبراعته ، ولطف معناه ــ قولُه :

أَصَبَا الأَصَائِلِ إنَّ بُرْقَةَ مُنْشِدِ ... تَشْكُو ٱخْتِلَافَكِ بالهُبُوبِ السَّرْمَدِ[٤]

لا تُتْعِبِى عَرَصَاتِها إنَّ الهَوَى ... مُلْقًى على تلك الرسوم الهُمَّدِ

دِمَنٌ مَوَاثِلُ كَالنُّجومِ فإنْ عَفَتْ ... فَبِـأَىِّ نَجْمٍ فى الصَّبَابَةِ تَهْتَدِى[٥]

وقد قرأت شعرًا كثيرًا ، فى وصف الرياح وتعفيتها للدار ، لشعراء الجاهلية والإسلام . فما سمعت بـأحسن من هذا ، ولا أعرف ولا أبدع .

---

(١) ديوانه ٧٨٣ ، ٣/١٧٠

(٢) فى الديوان « تأبى » وهو تحريف . والتأيى : التلبث والتنظر والتؤدة

(٣) فى الديوان « ما للراسيات . . وما للشجون »

(٤) ديوانه ٤٥٨

(٥) فى الديوان « نهتدى »

ماقالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً

قال أَبو تمام :

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا   فَصَوابٌ مِنْ مُقْلَةٍ أَنْ تَصُوبَا[١]

فاسْأَلْنَها واجعل بُكَاكَ جَواباً   تَجِدِ الشَّوقَ سَائِلاً ومُجِيبَا[٢]

وقد ذكرت هذا الابتداء في الابتداءات[٣] .

وقوله : « فاسأَلنها واجعل بكاك جواباً » ، لأَنه قال[٤] : من سَجاياها أَلا تجيب ، فليكن بكاؤك الجواب ؛ لأَنها لو أَجابت : أَجابت بما يبكيك ، أَو لأَنها لَمَّا لَمْ تجب علمت أَن من كان يجيب قد رحل عنها ، فأَوجب ذلك بكاءك .

وقوله : « تجد الشوق سائلا ومجيباً » ، أَى أَنك إنما وقفت على الدار وسأَلتها لشدَّة شوقك إلى من كان بها ، ثم بكيت شوقاً أَيضاً إليهم ، فكان الشوقُ سبباً للسؤال ، وسبباً للبكاء .

وهذه فلسفة حسنة ، ومذهب من مذاهب أَبي تمام ، ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقتهم . ومثله قوله :

تَجَرَّعْ أَسًى قد أَقْفَرَ الجَرَعُ الفَرْدُ   ودَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ ماءَهُ الوَجْدُ[٥]

---

(١) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزى ١/١٦٤

(٢) م « بكاك عليها »

(٣) راجع ص ١٠ و ٤٥٦ .

(٤) م « لأنه من قال »

(٥) ديوانه ١٢٠ وشرح التبريزى ٢/٨٠ وفى م « الجوع » وهو تحريف

إذا انْصَرَفَ المَحْزُونُ قَدْ فَلَّ صَبْرَهُ　　سؤالُ المَغَانِي فالبكاءُ لَهُ رَدُّ[١]

فالجَرَعُ : الموضع من الأَرض له ارتفاع . يقال : هو حَزْن ، ويقال : هو سَهْل يُشْبِهُ الرمل ، والجمع : أَجْرَاع .

وقوله : « فالبكاءُ له رَدّ » : أى للسؤال ، على معنى قوله :

* تَجِد الشَّوقَ سائِلا ومُجيبا *

ولم يسلك البحترى هذه الطريق ، بل جرى فى هذا الباب على مذاهب الناس فقال :

وقفْنَا على ذاتِ النَّخِيلةِ فانْبَرَتْ　　سَوَاكِبُ قَدْ كانَتْ بها العَيْنُ تَبْخَلُ[٢]

على دَارِسِ الآياتِ عافٍ تَعَاقَبَتْ　　عليه صَباً مَا تَسْتَفِيقُ وشَمْأَلُ

فَلَمْ يَدْرِ رَسْمُ الدَّارِ كيفَ يُجِيبُنَا　　ولا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ البُكَا كَيْفَ نَسْأَلُ[٣]

وقول أَبى تمام وإن كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أولى بالجودة ، وأَحلى فى النفس ، وأَلْوَطُ بالقلب ، وأَشبه بمذاهب الشعراء .

ومثله فى الحسن والجودة والحلاوة قوله :

خُلِّفْتُ بَعْــدَهمُ أُلاحِظُ نِيَّةً　　قُذفاً وأَنْشُدُ دَارساً مُتَرَسِّمَا[٤]

طَلَلًا أُكَفْكِفُ فيه دَمْعاً معْرباً　　بِجَوًى وأَقْرأُ فيه خَطًّا أَعْجَمَا[٥]

تَـأْبَى رُبَاهُ أَنْ تُجِيبَ ولَمْ يَكُنْ　　مُسْتَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حتَّى يَفْهَمَا

---

(١) م « قد قل » . ويروى « رد » بكسر الراء ، أى معين ، من قولك : هو رد عليك ، أى إذا لم تجبه المغانى . فذهب صبره ، فليس له معين إلا البكاء

(٢) ديوانه ٥٨٥ ، ١٧٩٢/٣ « على دار البخيلة »

(٣) فى الديوان « الجوى كيف »

(٤) ديوانه ٢٢٩ وفى م « الاحظب نية »

(٥) م « وافراً منه »

وقال أبو تمام :

قد مَرَرْنَا بالدار وهْيَ خَلاءٌ فَبَكَيْنَا طُلُولَها والرُّسُومَا [١]

وسَأَلْنَا رُبُوعَهــا فانْصَرَفْنَا بِشِفَاءٍ وما سَأَلْنَــا حَكِيمَا

وهذه معنى حسن حلو ، ومذهب صحيح قد تقدم الناسَ فيه .

وقال البحترى فى مثله أو قريب منه :

يا دَارُ لازَالَتْ رُبَاكِ مَجُودَةً مِنْ كُلِّ غاديةٍ تَعَلُّ وَتَنْهَلُ [٢]

فَهّمْتِنَا دُوَلَ الزَّمانِ وَصَرْفَه وأَرَيْتِنَا كيفَ الخُطُوبُ النُّزَّلُ [٣]

أراد تعلّ الربى وتنهل من كل غَادِيَة .

وقوله : « فهمتنا دول الزمان وصرفه » مع تمام البيت ، قريب من قول أبى تمام : « فانصرفنا بشفاء » . وإن كان أبو تمام إنما انصرف بشفاء من العلم بـأهل الدار أنها منهم مقفرة .

والبحترى قد دل على هذا إلا أنه جاء فى بيت بـأسْرِه . ومعنى أبى تمام جاء به فى حكمة واحدة ، وأتى بزيادة فى غاية الحلاوة والصّحة ، وهو قوله : «وَمَا سَأَلْنَا حَكِيما » .

* * *

فأبو تمام فى هذا عندى أشعر من البحترى .

* * *

ومما يشبه قولَ أبى تمام : « فانصرفنا بشفاء » ، أو يقاربه ــ قوله :

---

(١) ديوانه ٢٩١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٢٢

(٢) ديوان البحترى ٢٥ وفى ٣ / ١٧٥٤ « سارية تعل » وفى م « غادية تغل »

(٣) فى ديوانه « أذكرتنا دول » م « دون الزمان . . . والنزل »

وأَبِى المنازلِ إنها لَشُجُونُ وعلى العُجُومَةِ إنَّها لَتَبِينُ[١]

وهذا بيت حسن . وقد ذكرته فى الابتداءات[٢] .

وقد قال مُسْلِم بن الوَلِيد :

وَقَفْتُ على أَطلالٍ لهم فكأَنَّها تَفَهَّمُ إلا أَنَّها لم تُحاوِرِ

وقال أبو تمام :

هَلْ أَثَرٌ مِنْ دِيَارِهِمْ دَعْسُ حيثُ تَلاقَى الأَجْرَاعُ والوَعْسُ[٣]

مُخَبِّرُ السائلِ الرَّذِيَّةَ فى الْـ أَطْلَالِ أَيْنَ الجآذِرُ اللُّعْسُ؟[٤]

لا تَسْأَلَنْهَا فَلَيْسَ يَسْمَعُ جَرْسَ الـ قَوْلِ إلاَّ شَخْصٌ لَهُ جَرْسُ[٥]

وهذه أبيات مُتَعَسِّفة ، ولفظ غير جيد ، ومعنى غير حسن .

وقوله : الأَجْرَاع والوَعْس ، فالأَجْرَاعُ : جمع جرع ، مثل جَبَلٍ وأَجْبَال ، وهو : المكان من الأرض الذى فيه حُزُونَة . ويقال : بل هى سهلة غير أنها مرتفعة قليلا ، تُشْبِه الرملَ فى سهولتها . ويقال أيضاً : أَجْرُع وأَجَارِع وجَرْعَاء وجَرْعَاوَات وجَرَع وأَجْرَاع .

---

(١) ديوان أبى تمام ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣/٣٢٨

(٢) راجع سؤال الديار

(٣) ديوانه ١٦٦ وفى شرح التبريزى ٢/ ٢٢٣ « يقال : أثر دعس ، أى واضح متين ، وكأنه الذى وطىء وطئاً كثيراً »

(٤) ويروى : مخبر ا السائر » وتقديره : هل أثر يخبر الذى يسير إبلا قد أعيت وكلت : أين الجآذر ؟ فيعنى بالسائر الرذية : نفسه ، وبالجآذر : النساء التى فارقته . وقال أبو العلاء المعرى : الرذية أصلها فى المطية التى قد هزلها السير ولم يبق فيها حركة . واستعاره ههنا للسائل ، لأنه شبه بهذه فى تخلفه وعجزه عن السير . واللعس : جمع ألعس ولعساء ، واللعس : سمرة فى الشفة شديدة . وقيل : يحتمل أن يكون أراد بالرذية ههنا : الدار ، وجعلها رذية لما أتى عليها من الدهر . راجع شرح التبريزى ٢ / ٢٢٤

(٥) فى شرح التبريزى « المعرى : الجرس والجرس : الصوت ، وعنى بقوله : « إلا شخص له جرس ، إنساناً يتكلم . يقول : الديار لا تسمع جرس قولك ، وإنما ينبغى أن تخاطب إنساناً مثلك على أن الجرس قد يسمعه الحيوان غير الناطق كما يسمعه الناطقون »

والوَعْسُ : جمع وَعْسَاء ، مثل حَمْرَاء وحُمْر ، وهى : الرملة التى تغوص فيها الرجل ، وإذا ذَكَّرُوا قالوا : أَوْعَس .

وقد تصرف البحترى فى هذا الباب تصرفاً كثيرًا حسناً فقال فى قصيدته التى أولها : « هَجَرَتْ وطيفُ خَيالِها لم يَهْجُرِ » — :

مُسْتَهْتَرٌ بالظَّاعِنِينَ وفيهمُ ... صدٌّ يُضَرِّمُ لَوْعَةَ المُسْتَهْتَرِ[1]

يَسَلُ المنازلَ عنهمُ وعلى اللِّوَى ... دِمَنٌ دَوَارِسُ إن تُسَلْ لا تُخْبِرِ[2]

وَمِنَ السَّفاهَةِ أن تَظَلَّ مُكَفْكِفاً ... دَمْعاً على طَلَلٍ تَأَبَّدَ مُقْفِرِ

وهذا كلام فحل ، ومعان جيدة صحيحة مستقيمة .

ومثل هذا فى الجودة والبراعة قوله :

هُوَيْنَاكَ مِنْ لَوْمٍ عَلى حُبٍّ تَكَتَّمَا ... وقَصْرَكَ نَسْتَخْبِرْ رُبُوعاً وأَرْسُمَا[3]

تَحَمَّلَ مِنها مُنْجِدٌ من خَلِيطِهِمْ ... أَطَاعَ الهَوَى حتَّى تَحَوَّلَ مُتْهِمَا[4]

وما فى سُؤَالِ الدَّارِ إِدْرَاكُ حاجةٍ ... إذا اَسْتَعجمَتْ آياتُها أَنْ تَكَلَّمَا

قوله : هُوَيْنَاك ، تصغير هَوْنَك . والهَوْن : المَهَل . يقال : سِرْ على مَهَل ، وتكلم على مَهَل . ويقال للمتكلم : هوناً ، أى مَهْلا . وهَوْنَكَ : أى مهلك ، أى الزم مَهْلَكَ ولا تَعْجَل .

وأراد البحترى ارفق واكفف من لَوْمِك ، ألا تراه وكّد ذلك بقوله : « وقَصْرَكَ نستخبر » ، أى أقصر .

ووجدت بعضهم يستهجن هذه اللفظة ، كأنه كره أن يكون مُبْتَدأ

---

(١) ديوانه ١٢٠ ، ٢/٨٦٠ المعارف

(٢) فى الديوان : « نسل »

(٣) ديوانه ٣٥٥ « بحب » وانظر ص ٢٢٢

(٤) فى الديوان « عنها منجد »

بها ، وليست عندى بمكروهة ولا مستهجنة . وهو ابتداء إن لم يكن من جيد ابتداءاته ونادرها ، فليس هذا من رديئها .

ووصل هذا بأن قال :

نَصَرْتُ لها الشوقَ اللَّجُوجَ بأَدْمُعٍ تلاحَقْنَ فى أعقاب وَصْلٍ تَصَرَّمَا
وَتَيَّمَنِى أَنَّ الجَوَى غيرُ مُقْصِرٍ وأَنَّ الحِمَى وَصْفٌ لِمَنْ حَلَّ بالحِمَى

فقوله : « نصرت لها الشوق اللَّجُوجَ بأَدمع » ، يعنى الدار ، بعد قوله : « وما فى سُؤَالِ الدَّار إِدْرَاكُ حَاجَةٍ » لأنه لما لم يجد فى سؤالها إدراك حاجة .

وهذا قريب من قول أبى تمام :

فاسْأَلَنْهَا واجْعَلْ بُكَاكَ جَواباً تَجِدِ الشَّوقَ سائلاً ومُجيبَا[١]

وقوله : « وأَنَّ الحِمَى وَصْفٌ لمن حلَّ بالحِمَى » ، غير جيد ، وهو من تَوْلِيدَاتِ المتأَخرين ، وأَصْلٌ من أُصول أبى تمام التى يَعْمَلُ عليها .

وقوله : « نَصَرْتُ لها الشَّوقَ اللَّجُوجَ بأَدْمُعٍ » ، خطأ اتبع فيه أبا تمام فى قوله :

دَعَا شَوْقُهُ يانَاصِرَ الشَّوقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى ووَابِلُهْ[٢]

وقد شرحت المعنى فيما تقدم[٣] .

* * *

وقال البحترى :

وبِذِى الأَرَاكَةِ مِن مَصِيفٍ لاَبِسٍ نَسْجَ الرِّياحِ ومَربعٍ مَهْضُوبِ[٤]

(١) سبق ص ٤٩٨
(٢) ديوانه ٢٣٠ وشرح التبريزى ٣/ ٢٢
(٣) راجع ص ٢٢١
(٤) ديوانه ١٧٦ ، ١/ ٢٤٥ — ٢٤٦ معارف

دِمَنٌ لزينبَ قَبْلَ تَشْرِيدِ النَّوَى مِنْ ذِى الأَرَاكِ بِزَيْنَبٍ ولَعُوبِ
تَأْبَى المنازلُ أن تُجِيبَ ومِنْ جَوًى يومَ الدِّيارِ دَعَوْتُ غَيْرَ مُجِيبِ

وهذا من جيد شعره ، وبارع ألفاظه ، ومُتْقَن معانيه .

وقال أيضاً :

إذا شِئْتُ أَجْرَتْ أَدْمُعِى مِنْ شُؤُونِهَا رُبُوعٌ لها بالأَبْرَقَيْنِ وأَرْسُمُ[1]
وَقَفْتُ بها والرَّكْبُ شَتَّى سَبِيلُهمْ يفيضُونَ مِنْهمْ عاذِرُونَ ولُوَّمُ
هِىَ الـدَّارُ إلا أَنَّها لا تُكَلِّمُ عَفَا مَعْلَم منها وأَقْفَرَ مَعْلَمُ
تُقَيِّضُ لى مِنْ حيثُ لا أَعْلَم النَّوَى ويَسْرِى إِلَىَّ الشوقُ من حيث أَعْلَمُ[2]

وهذه أبيات جياد .

وقوله : « عفا معلم منها » ، أى انمحى وذهب . « وأقفر معلم » ، أى خلا من أهله . وفى هذا سؤال ، وهو أن يقال : المَعْلَمُ الذى عَفَا هو أيضاً مُقْفِر ؛ لأن المقفر : الخالى ، فما وجه هذا التقسيم ؟

والجواب : أن العَافِى : هو الذى قد ذهب وفنى وعدم ، فلا ينسب إلى أنه مُقْفِر ؛ لأن المُقْفِر : الخالى ، والخالى لا يكون معدوماً . فأراد البحترى : أن مَعْلَماً منها عَفَا ، أى عدم . ومَعْلَماً بقى مُقْفِرًا ، أى خالياً من أهله ، كما يقول القائل فى الرجلين : مات أحدهما وأعدم الآخر ، فالميت لا يقال له معدم .

وقال البحترى :

أَرُسُومُ دارٍ أَمْ سُطُورُ كِتابِ درسَتْ بَشَاشَتُها على الأَحقابِ[3]

---

(١) ديوانه ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٧
(٢) م « يفيض لى »
(٣) ديوانه ٣٤٠ « مع الأحقاب » ، ١ / ٢٩٤ معارف

يَجْتَازُ زَائِرُها بغير لُبانَةٍ ويُردُّ سائلُها بغير جَوَابِ

قوله : «أرُسُوم دارٍ» من ابتداءاته العجيبة لفظاً ومعنى ، وقد ذكرته في بابه من الابتداءات[1] .

وقوله : «يَجْتازُ زائرُها بغير لُبانةٍ» أى إذَا عَرَّجَ عليها زائرها فى اجتيازه بها فإنه يجتاز ، أى يَجُوزُها ويمضى بغير حاجة قضِيت له . وأراد : ينصرف عنها زائرها بغير لبانة ، فجعل فى موضع «ينصرف» ، «يجتاز» .

وقال البحترى أيضاً :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أنتَ قائِلُهُ وأبدى الجوابَ الرّبعُ عمَّا تُسائلُه[2]

أفى ذاك بُرْءٌ من جَوًى ألهب الحَشَا تَوَقُّدُهُ واسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائلُهْ[3]

وهذا معنى حلو ، ومذهب حسن إلا أنه كرر معنى صدر البيت فى عجزه ، وهذا قبيح من مثله . وجعل البيت الثانى معلقاً بالأول ، والعُذْرُ له أن يقال : إنه جعل الدار غير الربع .

وقال أبو تمام فى قصيدته التى أولها :

* أىُّ مَرْعَى عَيْنٍ ووادى نَسِيبِ *

فَعَلَيْهِ السَّلامُ لا أُشْرِكُ الأَطْ لالَ فى لَوْعَتِى ، ولا فى نَحِيبِى[4]

فَسَوَاءٌ إجَابَتِى غَيْرَ دَاعٍ أمْ دُعَائى بالقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ[5]

---

(١) سبق فى تعفية الدهور للديار .

(٢) ديوانه ٥١ ، ٣ /١٦١٠ وفى م «ردت ربع» . وقد سبق ص ٤٥٨

(٣) م «ذاك يوم ألهب . . . واستعمد العين حافله»

(٤) ديوانه ٣٦ وشرح التبريزى ١/١٢٥

(٥) فيهما : «ودعائى»

أخذه البحترى فقال :

أَصَبابَةً بِرُسُــومِ رَامَةَ بَعْدَمَا عَرَفَتْ مَعالِمَها الصَّبا والشَّمْأَلُ[١]

وَسَأَلْتُ من لا يَسْتَجِيبُ فكُنْتُ فى اسْـ تِخْبارِهِ كَمُجِيبِ مَنْ لا يَسْأَلُ[٢]

وبيت أبى تمام أجود .

قال أبو تمام :

لَهُمْ مَنْزِلٌ قد كان بالبِيضِ كالدُّمى فَصِيحَ المغانى ثُمَّ أَصْبَحَ أَعْجَمَا[٣]

وردَّ عُيُونَ النَّاظِرين مُهَــانَةً وَقَدْ كانَ مِمَّا يَرْجِعُ الطَّرْفَ مُكْرَمَا[٤]

وهذا فى غاية الحسن والحلاوة .

وقال البحترى :

مَنازِلُ ما تُجِيبُ الصَّبَّ من خَرَسٍ ولا تُرِيغُ إلى شَكْوَاهُ مِنْ صمَمِ[٥]

أَقَامَ يَنْشُدُ شَمْلًا غَيْرَ مُتَّفِقٍ من آلِ ليلَى وشعباً غَيْرَ مُلْتَئِمِ

قوله : « ما تُجِيبُ الصبَّ من فَرَسٍ » ، أى ما تجيب الصبَّ لِخَرَسِها ، ولا تُرِيغُ إلى شكواه من صمم ، أى لِصَمَمِها .

وهذه ــ أيضاً ــ أبيات حلوة ، حسنة الغرض .

* * *

---

(١) ديوانه ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤

(٢) فى م « وكنت » وسبق البيت ص ٣٢٤

(٣) ديوانه ٢٩٤ وفى شرح التبريزى ٣ / ٢٣٢ « أى كان مزيناً بمن فيه ، ثم خلت فأعجمت على الناظر فلا يرى فيها أحداً »

(٤) قال التبريزى فى شرحه : « أى تغير فصار الطرف يرد عنهم لسوء المنظر ، وقد كان فى الدهر الأول يرد الطرف مكرما ، كأنه يكرمه بما يرى فيه من الحسن والبهجة والمهابة ، ويجب أن تكون مفعلة ، من الهوان ، لأن الإهانة ضد الإكرام »

(٥) ديوانه ٦٥٣ « لا تجيب . . . ولا تزيغ » وفى م « ولا تريغ » ومعنى لا تريغ : لا تميل .

فهذا ما وجدته لهما فى هذا الباب ، وهما عندى فيه متكافئان . وأجود من كل ما قالاه من ذلك قول جَمِيل :

أصبح الرَّبعُ من بثينةَ فَيًّا زَادَهُ طُولُ ما تَأَبَّدَ عِيًّا
وإن ما يُبِينُ رَجْعَ سُؤالٍ ولقد يَسمعُ السؤالَ الخَفِيَّا

وقال المَخَبَّل :

وكأنما أَثَرُ النِّعاج بجَوِّها بِمَدَافِعِ الرُّكْنَين وَدْعُ جَوَارِ
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياءَ جافية عن الإخبار

وهذا كلام حلو جدًّا ؟

وقال عَوْفُ بن عَطِيّة بن الخَرِع :

وقفت بها ما تبين الكلا م لسائلها القولَ إلَّا سِرَارَ[1]

أى إنا قد فهمنا عنها وإن لم تُجب ؛ فجعل ذاك سِرارًا .

وقال ذو الرُّمَّة :

وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فردَّتْ تَحِيَّتَنَا علينا ولم تَرْجعْ جَوَابَ المُخَاطِبِ[2]

الأصمعى : يقول : من سرورنا بها رأينا أنها قد ردت علينا التحية وأجابتنا .

وقال غيره : ردت تحية ، أى لم تقبلها منا .

---

(١) روايته فى المفضليات ٤١٣ « بها أصلا ما تبين لسائلها »

(٢) ديوانه ٤ « تحية »

باب آخر من وصف الديار وساكنيها

وليس تكاد فى القطعة التى تشتمل على عدة أبيات ، أن تكون سائر أبياتها موافقة فى معانيها لسائر أبيات القطعة الأُخرى . وإنما يوازن بين بيت وبيت إذا ٱتَّفَقَا ، أو بين غرض وغرض إذا تَقَارَبا . وأغراض هذا الباب هى من جنس واحد وإن اختلفت المعانى .

* * *

قال أبو تمام :

قد عَهِدْنا الرُّسُومَ وهىَ عُكَاظٌ ‏ ‏ للصِّبَا تَزْدَهِيكَ حُسْناً وطِيبَا[1]

أكثر الأَرضِ زائرًا ومَزُورًا ‏ ‏ وصَعُودًا من الهوى وصَبُوبا[2]

وكَعَاباً كأَنَّما أَلبَسَتْهــا ‏ ‏ غَفَلاتُ الشباب بُرْدًا قَشِيبَا

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها ، قَلَّمَا تَعْـ ‏ ‏ ـرِفُ فَقْدًا للشَّمسِ حتَّى تَغِيبَا

قوله : « قد عَهِدْنا الرُّسومَ وهى عُكَاظٌ » معنى ليس بالجيد ؛ لأنه إنما أراد : قد عهدنا الرسوم وهى معدن للصبا أو مألف أو موطن ، فقال : عكاظ ، أى سوق للصبا يجلب إليها . ولو قال : « سوق » لكان أجود من قوله « عكاظ » . وإنما ذهب إلى أن عكاظ من أعظم الأَسواق التى تجتمع إليها العرب . وقد كان يكفيه أن يقول : سوق ، فيأتى باللفظة المستعملة المعتادة . وإن السوق قد تكون عظيمة آهلة ، وعكاظ أيضاً سوق . فما وجه التخصيص فى موضع العموم ، والعموم أجود وأليق ؟

وقد يجوز أن يكون احتذاه على مثال ، والرَّدِىءُ لا يُعْتَبر به ، وعلى أن الوزن لم يمكِّنه من سُوق .

---

(١) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزى ١ /١٦٥

(٢) أراد بالصعود الكؤود من الهوى، وبالصبوب : اللين المطاع

وقال البحترى :

رَحَلَ الظَّاعِنُونَ عَنْكَ وأَبْقَوا　　فى حَوَاشِى الأَحشاءِ حُزْناً مُقيما[١]

أَيْنَ تِلْكَ الظّباءُ أَشبهن فى الْحُسْـ　　نِ بُدُورًا وفى البِعَـادِ نُجُومَا

قد وَجَدْنَ السُّلوَّ بَرْدًا سَلاماً　　إذ وجدنا الهَوَى عذاباً أَلِيما[٢]

وهذا كلام حلو ، وغرض حسن .

وقوله : « أَشْبَهْنَ فى الحُسْن بُدُورًا وفى البِعَادِ نُجُوما » أَجود وأَلطف من قول أَبى تمام : « قلَّما تَعْرِفُ فَقْدًا للشمس حتى تَغِيبَا » لأَنه جمع البدر والنجوم فى بيت ، وجعل التشبيه بمعنين مختلفين . وأَيضاً فإن أَبا تمام لم يصف المرأة فى بيته بالحسن ، والبيت من أَوصاف النساء ، ولا يقول مثلَه عاشق ، وإنما يوصف بمثله صديق أَو حميم ، فيقال : قد بَانَ علىَّ فَقْدُه لما غاب ؛ أَو يكون وصفاً للملك أَو سيد فيقال : غاب فغاب عنا فَضْلُه ونائلُه ، وبعد فبعد عنا خيرُه ومعروفُه ، كما يبعد ضوء الشمس والانتفاعُ بها إذا غابت . أَلا تراه لو كان مدْحاً لرجل حتى يقول :

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَه قَلَّما تَعْـ　　رِفُ فَقْدًا للشَّمس حتى تغيبا

ولو كان من أَقبح الناس صورة ، بَعْدَ أَن يكون كريماً جوادًا ، أَو شجاعاً مُحَامِياً — أَنَّ ذلك كان يكون حسناً جميلا ، ومدحاً صحيحاً مستقيماً ؟!

وقد قال يرثى إسحاق بن أَبى ربْعِى :

رَاحَتْ وفُودُ الأَرض عَنْ قَبْرِهِ　　فارِغَةَ الأَيدى ومَلأَى القُلُوبْ[٣]

قد عَلِمَتْ مَا رُزِئَتْ إنَّمــا　　يُعْرَفُ فَقْدُ الشمسِ بعد الغروبْ[٤]

---

(١) ديوانه ٢٧٣ « وألفو فى حواشى »

(٢) فى الديوان « سلاماً ووجداناً »

(٣) ديوانه ٣٥٤

(٤) فى الديوان « عند المغيب »

فههنا موضع هذا المعنى لا هناك .

ويقال فى قول البحترى : «أَشْبَهْنَ فى الحُسْنِ بُدُورًا وفى البِعَادِ نُجُومَا» : إن البدر[1] أيضاً لا يوصل إليه ، فهو بعيد المنال كَبُعْد النَّجم . فَلِمَ خصَّ النجومَ بالبعَاد ؟

فالجواب : أن العادة لم تجر بأن يقال : أبعَدُ من البدر ، وإنما يقال : أبعد من النَّجم . فجعلهن فى الحسن كالبدور ، وفى بعد منالهن كالنجوم . وهذا معنى لا مَزِيدَ على حُسْنه وصحته .

وإن حملت المعنى على أن البدر ليس ببعيد منا كبُعْد سائر النجوم ، لأن بينه وبينها فى البعد مسافة بعيدة — كان ذلك مذهباً صحيحاً وقد استهجن ابن المعتز قوله : «فى حَوَاشِى الأَحْشَاءِ» وهو تَجْنِيسٌ إن لم يكن حُلْوًا لائقاً فليس بالهَجِين ولا الرَّدىء القبيح .

* * *

وقال ابو تمام :

لا أَنْتَ أَنْتَ ولا الدِّيارُ دِيَارُ ... [خَفَّ الهَوَى وَتَوَلَّتِ الأَوْطَارُ][2]

كانت مُجَاوَرَةُ الطُّلُولِ وأَهْلِها ... زَمَناً عِذَابَ الورْدِ فهى بِحَارُ[3]

أَيَّامَ تُدْمِى عَيْنَه تِلْكَ الدُّمى ... فيهـا وتَقْمُرُ لُبَّهُ الأَقْمَارُ[4]

إِذْ لا صَدُوفَ ولا كَنُودَ أَسْماهُمَا ... كالمَعْنِيَيْنِ ولا نَوَارُ نَوَارُ[5]

---

(١) م «البدور»

(٢) الزيادة من ديوانه ١٤٤ وشرح التبريزى ٢/١٦٦

(٣) قال الصولى : «أى كانت عذاباً لنا بحضورهم فلما رحلوا عنها صارت مجاورة الطلول بعدهم بحار الورد ، أى ملاحه»

(٤) تقمر لبه : تذهب به

(٥) قال التبريزى فى شرحه ١٦٧ «يقول : صدوف وكنود ونوار : كن من أهل ودى ووصالى وكانت أفعالهن مخالفة لأسمائهن ، لأن "صدوف" من صدف أى أعرض ؛ و "كنود" من كند إذا عق ، وقيل كفر ؛ و "نوار" من نار ينور : إذا نفر» وفى م «أخلا صدوف» وهو تحريف .

بِيضٌ فهُنَّ إذا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُوَرٌ وَهُنَّ إذا رَمَقْنَ صِوَارُ[1]
فى حَيْثُ يُمْتَهَنُ الحديثُ لِذِى الصِّبَا وتُحَصَّن الأَسْرَارُ والأَسْرَارُ[2]

قوله : «لا أَنْتَ أَنْتَ» لفظ من ألفاظ أهل الحضر ، مُسْتَهْجَنٌ وليس بجيد . لكن قوله : «ولا الدِّيارُ دِيارُ» كلام معروف من كلام العرب ، مستعمل حسن أى ليست الديارُ ديارًا كما عهدت ، مثل ما يقال فى الإيجاب:

* إذِ النَّاسُ ناسٌ والزمانُ زَمانُ [3] *

أى كما عهدت . قال جَرِير :

وكُنَّا عَهِدْنَا الدَّارَ والدَّارُ مَرَّةً هى الدَّارُ إذْ حَلَّتْ بها أُمُّ يَعْمُرا[4]

وكما قال ابن حِطَّان فى النَّفْى :

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ من قد كُنْتُ أَعْرِفُهُ ما الناس بعدكَ يامِرْدَاسُ بالنَّاسِ[5]

فبنى أبو تمام على هذا قوله : «لا أَنْتَ أَنْتَ» أى لست أنت الذى كنت تَعْهَدُ مُحِبًّا وَامِقاً ، ذا مقة . أى[6] قد تغيرْتَ وتغيرت الديار .

وقوله : «فهى بحار» ؛ والبحر : الماءُ والمِلْحُ ، ويقال : قد أَبْحَرَ الماءُ ، إذا صار مِلْحاً .

وقوله : «وتحصَّن الأَسْرَارُ والأَسْرَارُ» الأول جمع سِرّ[7] ، يعنى النكاح ، والثانى يريد الحديث ، أى هو محفوظ .

---

(١) يقول : إذا رآهن الناظر فكأنهن صور من حسنهن . وقوله : «وهن إذا رمقن صوار» أى عيونهن تشبه عيون بقر الوحش إذا نظرت

(٢) قال المعرى : «جعل الحديث يمتهن ، لأن الامتهان ضد التحصين» وفى م «ويحصن الأسوار» وهو تحريف

(٣) صدره : «بلاد بها كنا وكنا نحبها» . والبيت لأخى عاد ، كما فى رسائل الهمذانى

(٤) ديوانه ٢٤٠

(٥) الكامل ٣/٨٩٦ ، ٩٩٩

(٦) م «وامقا ذا مين إنى قد»

(٧) م «وتحصن الأسوار . . . جمع أسر يعنى»

وقوله : « إذْ لا صَدوفَ ولا كَنُود اسماهُمَا كالمَعْنَيَيْنِ » أى لا تَصْدفُ هذه ، ولا تكْنُدُ تِلْكَ ، أى لا تَقْطع .

« ولا نَوَارُ نَوَارُ » أى ولا نوار نَافِر ، أى هى آنسة غير نَفُور من الحديث والأُنس . وإنما قال فى موضع آخر :

* نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كمَا نَفَرَ السِّرْبُ[1] *

لأنه أراد نفورهن من السوء ، وهو : الريبة .

* * *

وقال البحترى :

هذا العَقِيقُ وفيه مَرْأى مُوْنِقٌ ... للعَيْنِ لَوْ كان العقيقُ عَقيقَا[2]

أَشَقِيقَةَ العَلَميْنِ هَلْ مِنْ نَظْرَةٍ ... فَتَبُلَّ قلْباً للغليل شَقيقَا[3]

وسَمَتْكِ أوديةُ السماءِ بديمةٍ ... تُحْيِى رجاءً أو تردُّ عَشِيقَا[4]

ولئن تَنَاوَل مِنْ بَشَاشَتِكِ الرَّدَى ... طَرَفاً وَأَوْحَشَ أُنْسَكِ المَوْمُوقَا[5]

فَلرُبَّ يَوْمٍ قد غَنِينَا نَجْتَلى ... مَغْنَاكِ بالرَّشَإِ الأَنيقِ أَنِيقَا

عَلَّ البخيلةَ أَن تَجُودَ بها النَّوَى ... والدارَ تَجْمَعُ شائقاً ومَشُوقَا[6]

قوله : « لو كانَ العقيق عَقِيقَا » كما عَهِدْتُ . وهذا مِثْل قول أَبى تمام .

« ولا الدِّيار دِيَارُ » .

وبيت البحترى أَجود ، لأَن صدره أَحسن معنى من قول أَبى تمام : « لا أَنْتَ أَنْتَ » .

---

(١) صدره كما فى ديوانه ٣٠ « سواكن فى بر كما سكن الدمى »

(٢) ديوانه ٧٢٢ ، ٣/١٤٥٠ وفى م « موفق للعين »

(٣) م « فتيل قلبا » وهو تحريف

(٤) فى الديوان « أردية السماء »

(٥) فى الديوان : « بشاشتك البلى » م « طرقا »

(٦) م « على البخيلة »

وأَوْدِيةُ السماء : يريد المُدُودَ التى تَجْرِى ، والسماء : السحاب . والدِّيمَةُ : المطر يدوم أياماً لا يُقْلِع .

وقوله : « تحْى رَجاءً » أى تُخْصِب الموضع ، فيعود إليه الظاعِنُون عنه . وإنما ذهب إلى قول جَرير :

أَلا أَيُّهَا الوَادِى الذى ضَمَّ سيلُهُ إلينا نَوَى ظَمْيَاءَ حُيِّيتَ وَادِيَا[١]

وهذا من حُر الشعر ، ورَصِين المعانى .

* * *

وقال أبو تمام :

وَعَهْدِى بها إذ نَاقِضُ العَهدِ بَدْرُها مَرَاحُ الهَوَى فيها ومَسْرَحُهُ الخِصْبُ[٢]

مُؤَزَّرَةً مِنْ صَنْعَة الوَبْلِ والنَّدَى بِوَشْيٍ ولا وَشْيٌ وعَصْبٍ ولا عَصْبُ[٣]

تَحَيَّرَ فى آرَامِها الحُسْنُ فاغْتَدَتْ قَرَارَةَ مَنْ يُصْبِى ونُجعَةَ مَنْ يَصْبُو[٤]

سَوَاكِنُ فى بِرٍّ كمَا سَكَنَ الدُّمى نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كمَا نَفَر السِّرْبُ

كَوَاعِبُ أترابٌ لِغَيْدَاءَ أَصْبَحَتْ وليس لها فى الحُسْن شِكْلٌ ولا تِرْبُ

لها مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّواظِرِ لَمْ يَزَلْ يَرُوحُ ويَغدُو فى خَفَارَتِه الحُبُّ[٥]

---

(١) ديوانه ٦٠١ والوساطة ٢٩

(٢) ديوانه ٣٠ وفى شرح التبريزى ١/١٨٤ قال المرزوق : « يقول : عهدى بهذه الدار حين كان حبيبى الناقص لعهدى فيها يضيئها وينورها فكأنه بدر لها ، وهى مظنة الهوى لأنها مأوى الحسان » وفى م « مزاج الهوى » وهو خطأ

(٣) قال المعرى : « أى لها إزار من الروض وضروب من النبات . ويرى ابن المستوفى أن مؤزرة مأخوذة من قولهم : تأزر النبت إذا التف واشتد »

(٤) يرى المعرى أن معنى « تحير » فى هذا الموضع : أقام . والمراد بالآرام هنا النساء . أى فأصبحت مجمع المصبيات من النساء ، ونجعة الصابين من الفتيان وطلاب الغزل

(٥) م « قيد النوازل » !

يَظَلُّ سَرَاةُ القومِ مَثْنَى ومَوْحَدًا   نَشَاوَى بِعَيْنَيْها كأَنَّهُمُ شَربُ[1]

قوله : «مَرَاحُ الهوى فيها ومَسْرَحُهُ الخِصْبُ» أى الهوى مُخْصِبٌ فيها لكثرة الحسن بها فى مَرَاحه ومَسْرحه .

وقد يكون أراد خِصْبَ النبات لأنه قال بعده : «مُوَزَّرَةٌ من صَنْعَةِ الوَبْلِ والنَّدَى» .

والمعنى الأول أجود وألطف ، ولا يكون هذا البيت متعلقاً بما قبله .

وقوله :

تَحيَّر فى آرَامِها الحسنُ فاغْتَدَتْ   قرارةَ من يُصْبِى ونُجْعَةَ من يَصْبو

فإنه من حُلْو الكلام .

وقوله : «سَوَاكنُ فى بِرٍّ كما سَكَنَ الدُّمى» فالدُّمى : الصُّوَر ، جمع دُمية . أى هن سواكن فى بِرٍّ ، أى فى صلاح . كما سكن الصُّوَر ؛ لأن الصُّوَر سَوَاكِن بلا حركة ، كأنه ينسبهن إلى الوقار وقِلَّة الأَشر . وهذه صفة العَفَائِف من النساء .

وقوله : «نَوَافِرُ من سُوءٍ كما نفرَ السِّرْبُ» فالسِّرْبُ : الجماعة من الظباء والقطا ، ومن بقر الوحش أيضاً إلا أن المستعمل فى بقر الوحش ، والمستعمل فيه الرَّبْرَب[2] .

وقوله : «أتراب الغيداء» أى أتراب لها فى سنيها ، وليس لها فى الحسن تِرْبُ .

وقوله : «يَرُوحُ ويَغْدُو فى خَفَارِتِه الحُبُّ» أى لا يلحق الحبَّ معه آفة من ثَلْمٍ ولا نقص ولا تغيّر ولا ضعف . وهذه كلها معانٍ حسنة متقنة ، وألفاظ.

---

(١) سراة القوم : خيارهم وأماثلهم . والشرب : جمع شارب ، كركب وراكب

(٢) م «الربوب»

بارعة فصيحة ، إلا البيتين الأوّلين ، فإن فيهما اضطراباً . والبدْرُ أيضاً ليس هذا موضعه ، وإنما يحسن ذكر البدر فى مثل هذا إذا كان فى الكلام ذكر لِسَمَاءِ أو نجوم أو ليل .

ولو قال : « إذ ناقض العهد ريمُها » كان أشبه وأليق .

وقد قال البحترى فى مثل هذا ، ولكنه فيه أعذر من أبى تمام ، وذلك قوله :

رَبْعٌ خَلا من بَدْرِه مَغنَاهُ   رَبِحَتْ به عِيْنُ المَهَى الأَشْبَاهُ

أراد أن ربع المرأة خلا منها ، وخلفتها العين التى هى أشباه يشبه بعضها بعضاً . وباعد المرأة من شبهها فجعلها بدرًا ، أى أخْلى الربعَ من هو كالبدر ، وخلفته العِين ، كأنه يخسس أمرها ، كما يقال : انظروا من بقى ومن مضى . فاحتاج البحترى إلى ذكر البدر [أكثر][1] من حاجة أبى تمام إليه فى قوله : « وعَهْدِى بها إذْ نَاقَض العَهْدَ بَدْرُها » .

وأحسن من هذا وأجود لفظا ومعنى قول البحترى [أيضاً][1] :

وعَهْدِى بها مِنْ قَبْلِ أن يَحْكُمَ النَّوَى   على عِينِهَا أَلَّا تُذَمَّ عُهودُها[2]

بَعيدَةُ مَا بَيْنَ المحبِّين والجَوَى   ومجموعةٌ غِيدُ اللَّيالى وغِيدُها[3]

قوله : ومَجْموعَةٌ غِيدُ اللَّيالى وغِيدُهَا » لفظ ومعنى ما لحسنهما نهاية .

وإنما أخذ المعنى من قول أبى تمام :

كَوَاعِبُ زَارَتْ فى لَيَالٍ قَصِيرَةٍ   يُخَيَّلْنَ لِى مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبَا[4]

---

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوانه ٤٦٥ « ألا تدوم »

(٣) ديوانه « عند الليالى »

(٤) ديوانه ١٦ وشرح التبريزى ١/١٤٦

وبيت البحترى أجود لفظا ، وأحلى سَبْكاً .

* * *

وقال أبو تَمّام :

أزَعَمْتَ أنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيِّمُ والدَّمْعَ فى دِمَنٍ عَفَتْ لا يَسْجُمُ[١]

يا مَوْسِمَ اللَّذَّاتِ غَالَتْكَ النَّوَى بَعْدِى فَرَبْعُكَ للصَّبابَةِ مَوْاسِمُ

ولَقَدْ أرَاكَ مِنَ الكَوَاعِب كاسِبًا فاليومَ أنْتَ من الكَوَاعِبِ مُحْرِمُ

لَحَظَتْ بَشَاشَتَكَ الحوادِثُ لَحْظَةً مازلتُ أعْلَمُ أنَّها لاتَسْلَمُ

وهذا كلّه جيد . ويأتى بعد هذه الأبيات ماهو جيد نادر ، وردىء ساقط . وقد ذكرتُ ذلك فى باب العَزَاء فى أوصاف النساء .

وقوله : « أزَعَمْتَ أنَّ الدَّمْع لَيْسَ يُتَيِّم » معنى حسن . وقد أورده البحترى أحسن من هذا الإيراد[٢] وألطف ، فقال – وهو من إحسانه المشهور – :

لقينا المغــانى باللوى فكأنما لقينا الغوانى الآنساتِ عَواطلاَ[٣]

وقَتْلُ المُحِبِّين العيونُ ولم أكُنْ أظُنُّ الرّسومَ الدارساتِ قَوَاتِلَا

هواجِر شَوْقٍ لو تشاءُ يَدُ النَّوَى لجادَتْ بِمَنْ تَهْوَى فعادتْ أصَائِلا[٤]

ومَذهَب حُبٍّ لم أجِدْ عنه مذْهباً وشَاغِلُ بَثٍّ لم أجِدْ عنه شاغلا

وهذا الذى طلبته الشعراء ، فأعجزها إدراكه .

* * *

وقال أبو تمام :

طَلَلٌ وَقَفْتُ عليه أسْألُهُ إلَى أنْ كاد يُصبِحُ رَبْعُه لِي مَسْجِدَا[٥]

(١) ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزى ٣/٢١٢
(٢) م « وأحسن من هذه الأبواب »
(٣) ديوانه ٧٠٩ « الغوانى اللابسات »
(٤) ف م « تهوى »
(٥) ديوانه ١٢٥ وشرح التبريزى ٢/١٠١ « طلل عكفت »

وَظَلِلْتُ أُنْشِدُهُ وأَنْشُدُ أَهْلَهُ والحُزْنُ خِدْنِى ناشِدًا أَوْ مُنْشِدا[1]

سَقْيًا لِمَعْهَدِكَ الذى لوْ لمْ يَكُنْ ما كانَ قَلْبِى للصَّبابة مَعْهَدَا

قوله : « إلى أنْ كادَ يُصْبِحُ رَبْعُه لِىَ مَسْجدًا » كأنه أراد أن يؤكد طولَ وقوفه فى الرَّبع ، كما يقف المُصَلِّى فى المسجد ، وربما أطال الوقوف .

وقوله : « وظَلِلْتُ أُنْشِدُهُ » أى أعرفه أصحابى ، وأقول : هذا هو الربع أو الطلل ، يقال : أَنْشَدْتُ الضَّالَّة بالألف : إذا عرَّفتها ، ونشدتها : إذا طلبتها . فقوله : « أنشد أهله » أى أَطلبهم كما يطلب النَّاشِد ضالَّته . والحزن خِدْنى ، أى صاحبى فى الحالين .

وهذه أبيات لا حلاوة لها ، ولا طلاوة عليها . ولكن الحلو العذب — على هذا الوزن — قول البحترى :

عَهْدِى بِربْعِكَ لِلْغَوَانِى مَعْهَدًا نَضَبتْ بَشَاشَةُ أُنسِهِ فَتَأَبَّدَا[2]

بخِلَت جُفُونٌ لم تُعِركَ دُمُوعَها وَقَسَا فُؤَادٌ لمْ يَبِتْ بِكَ مُقْصَدَا

ماهَاجَ لى نَوْحُ الحمَام ومَا دَعا مِنْ صَبْوَتى وصَبابتِى إذْ غَرَّدَا

* * *

وقال أبو تمام :

ولَقَدْ سَلَوْتَ لَوَانَّ دارًا لمْ تَلُحْ وحَلُمْتَ لوأَنَّ الهَوَى لمْ يَجْهَلِ[3]

ولَطَالَمَا أَمْسى فُؤادُكَ مَنْزِلاً ومَحِلَّةً لِظِبَاءِ ذَاكَ المَنْزِلِ[4]

إذْ فيهِ مِثْلُ المُطْفِلِ الظَّمْآى الحَشَا رَعَتِ الخَرِيفَ وما القَتُولُ بِمُطْفِلِ[5]

---

(١) م « والحزن حزنى » وهو تحريف (٢) لم ترد فى ديوانه وو ردت فى القول الفائق ٣٣ظ

(٣) ديوانه ٢٣٣ وشرح التبريزى ٣/٣٢

(٤) وقيل إن رواية الآمدى فى غير هذا الكتاب « آسى فؤادك » راجع هامش التبريزى ٣/٣٢

(٥) فى شرح التبريزى ٣/٣٣ « المطفل : الوحشية التى معها ولدها . وأراد بالظمآى الحشا : الخميصة البطن . فالمعنى أن هذه الموصوفة كأنها وحشية مطفل وليست هى بذات طفل ، لأن المرأة إذا لم تلد كان أفضل لها فى النعت »

وقال أبو تمام يصف المنزل أيضاً :

ولَئِنْ نَوَى بكَ مُلْقِيًا أَجْـرَامَهُ ضَيْفُ الْخُطوبِ لَقَدْ أَصاب مُضِيفا[١]
وَهِيَ الْفَجَائعُ لمْ تَزَلْ نَكَباتُها يَأْلَفْنَ رَبْعَ المَنْزِلِ المأْلُوفَا
خَلَفَتْ بِعَقْوتِكَ السِّنونَ وطَالَما كانَتْ بناتُ الدَّهْرِ عنكَ خُلُوفَا
أيَّام لا تَسْطُو بِأَهْلِكَ نَكْبَةٌ إلاَّ تَراجَعَ صَرْفُهَا مَصْرُوفا[٢]
وإذَا رَمَتْكَ الْحادِثَاتُ بلَحْظِها ردَّتْ ظِبَاؤُكَ طَرْفَها مَطْرُوفَا

وقال أبو تمام أيضاً :

سَلِّمْ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَى بِذِى سلَمٍ عليه وَسْمٌ مِنَ الأَيَّامِ والقِدَم[٣]
ما دَامَ عَيْشٌ لَبِسْناهُ لِساكنه لَدْناً ولوْ أَنَّ عَيْشاً دام لمْ يدُمِ[٤]
يا منزلاً أَعْنَقَتْ فِيهِ الجَنُوبُ عَلَى رَسْمٍ مُحِيلٍ وشِعْبٍ غير مُلْتَئِمِ
هَرِمْتَ بَعْدِىَ والرَّبعُ الذى أَفَلَتْ منهُ بُدُورَكَ مَعْذُورٌ على الهَرَم
عَهْدِى بِمَغْنَاكَ حُسَّانَ المعالِمِ مِن حُسَّانَةِ الوَرْدِ والبَرْدِىِّ والعَنَم[٥]
بَيْضَاءُ كان لها منْ غَيْرِنَا حَرَمٌ فلَمْ نَكُنْ نَسْتَحِل الصَّيْدَ فى الحَرمِ
كانتْ لَنَا صَنَماً نَحنُوا علَيهِ ولَمْ نَسْجُدْ كما سَجَد الأَفْشِينُ للصَّنم

قوله : « لوْ أَنَّ عَيْشاً دامَ لمْ يَدُمِ » أى لو دام مدّة منَ المدد أو دهرًا من الدهور — لم يدم ، أى لا نقطع ونفد ، ولم يكن بد من أن يتصَرَّم . وقوله :

(١) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزى ٢/ ٣٧٨ « يقال : ألقى أجرامه بالمكان ، إذا أقام . والأجرام : جمع جرم »
(٢) فى الديوان وشرحه « بلحظة »
(٣) ديوانه ٢٦٧ وشرح التبريزى ٣/ ١٨٤
(٤) فى الديوان وشرحه « بساكنه »
(٥) ويروى : « حسانة الجيد » قال التبريزى ٣/ ١٨٥ : « حسان : مثل حسن إلا أنه أشد مبالغة منه ، والأنثى حسانة »

« هرِمْت بغْدِى » كَلام رَذْلٌ سخيف ، قد عابه الناس فيما عابوه من ألفاظه .

وقوله : « حُسَّانَة الوَرِدِ » . يريد : الخَدَّ .

والبَردى : يريد الساق ، وإنما يعنى أُصُولَ البَرْدِىّ ، وهو أبيض غض أمْلَس . يُشبَّه به الساق . والعَنَمُ : نبت له أغصان دِقاق ، تشبه بها الأصابع .

وقوله : « بيضاءُ كان لها من غيرنا حَرَمٌ » فالحرمُ : هو المكان الذى قد حرم أن يُصَادَ فيه صَيد ، فهو حِرْزٌ له ومَلْجَأ. يريد به زَوْجَ المرأة ، أى كان لها حَرَمٌ من غيرنا ، ولم نكن نحن حَرَمها .

ويروى : « كان لنا من غيرها حرم » يريد : كانت لنا زوجة هى حَرَمُنا ، فلم نكن نَسْتَحِلّ معها غيرها أَوْ لم نكن نَسْتَجِيزُ خيانتها ، كما قالت لَيلَى الأَخْيَلية :

لَنَا صَاحِبٌ مَا نَبْتَغِى أَن نَخُونَهُ   وأَنْتَ لِأُخْرى صاحِبٌ وخَلِيلُ[1]

وقوله : « كانَتْ لَنَا صَنَماً » أراد أن يقول : نَعْكُفُ عليه ، فلم يستقم له ، فقال : نحْنُوا عليه ، وهى لفظة غير مستعملة فى هذا الموضع ، وإن كان لها اقتراب من « نعكف » ومُشَارَكَة .

وقوله : « ولم نَسْجُدْ » معنى ردِىءٌ لا يليق بالمكان . وإنما كان يجب أن يقول : ولو جاز السجود لسجدنا ، حتى يكون قد وَفَّى الحبَّ حقَّه ، واستعمل المعنى المعتاد فى مثل هذا . وإلا فأَىُّ فائدة فى أن يقول القائل فى شعره : قد أَحببتُ ولكن لم أَجعل محبوبى ربًّا أعبده ، وهَوِيتُ ولكن لم أجن جنون قَيس بن مُعَاذ العَامِرِى ؟ لأن من شأْن العاشق أن يشكو ما يمر به ويقاسيه ،

(١) فى الأمالى ١/ ٨٨ « لا ينبغى . . . وحليل » والبيت فى الأغانى ١٠/ ٦٨

ويكذب فى أكثر أحواله تقرباً إلى محبوبه . فأمَّا أن يركب مثل هذا المعنى فلا . وقد يجوز أن يقوله قائل : إذا أراد عذل محب آخر ليقصر .

وإنما قصد أبو تمام ذكر الأُفْشِين ، فخرج فى المعنى عن العادة وجاء بما لا فائدة فيه .

* * *

وقال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبُعُ الحِلاَّتِ للأَرْبَعِ المُلْدِ   لِكُلِّ هَضِيم الكَشْحِ مُغْرِبةِ القَدِّ[1]

لِسَلْمَى سَلاَمَانٍ وعَمْرَةِ عَامِرٍ   وهِنْدِ بَنِى هِنْدٍ وسُعْدَى بنى سعْدِ[2]

دِيارٌ أَرَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ شَحِيحَةٍ   وأَوْطَأَتِ الأَحْزَانَ كلَّ حَشاً صَلْدِ[3]

فلا تَسْأَلاَنِى عَنْ هَوًى قَدْ طَعِمْتُما   جَوَاهُ فَلَيْسَ الوجْدُ إلاَمِنَ الوَجْدِ[4]

قوله : « أَرْبُعُ الحِلاَّت » يريد جمع حِلَّة ، وهى المنزل الذى يَحُلُّونه[5] .

وقوله : « للأَرْبَعِ المُلْدِ » أى للأَرْبَع من النساء المُلْد ، وهُنَّ الغَضَّات النَّوَاعِم . ومنه قولهم : غُصْنٌ أُمْلُود : إذ كان كذلك . وهذا لفظ لا حلاوة له . وقد مضى التفسير عند ذكر هذا البيت فى الابتداءات[6] .

---

(١) ديوانه ١٣٠ وشرح التبريزى ٢ / ١١٨ وفى م « الخلات » وفى الديوان وشرحه « لجدولة القد »

(٢) فى شرح التبريزى قال أبو العلاء المعرى : « لم يسم قبيلة فى هذا البيت إلا وفى العرب قبائل تعرف باسمها ، فنى طى سلامان ، وكذلك فى قضاعة ، وفى الأزد سلامان بن مفرج ، وعامر بن صعصعة وعامر بن لؤى ، وعامر الأجدار فى كلب وغيرهم . وبنو هند فى كندة وفى سواها . وكذلك بنو سعد ، قال طرفة :

رأيت سعودا من سعــود كثيرة   فلم أر سعــداً مثل سعد بن مالك

(٣) فى الديوان وشرحه : « هراقت » ويروى « حشا جلد »

(٤) م « ظعنتما جواه » وهو تحريف . قال التبريزى : « أى لاتسألانى عن شىء أنتما به خبيران فالوجد كله فن واحد »

(٥) م « الخلات . . . خلة . . . يخلونه » وهو تحريف

(٦) راجع تعفية الرياح للديار

وقوله : فَلَيْسَ الوَجْدُ إلاَّ مِنَ الوَجْدِ » أى من الوجد الذى تعرفانه .

* * *

ومن جيد هذا الباب ونادره ، قول البحترى :

نَعَمْ قَدْ تَشاكَيْنَا على الشِّعْب سَاعَةً ⁂ ومن دُونِهِ شِعْبٌ لِلَيْلَى مُفرِّقُ[1]

عَلَى دِمْنَةٍ فيهــا لِأُدْمَانَةِ النَّقَا ⁂ محَاسِنُ أَيَّامٍ تُحَبُّ وتُعْشَقُ[2]

وَقَفْتُ وأَوْقَفْتُ الجوى مَوْقِفَ الهوَى ⁂ لَيالِيَ عُودُ الدَّهْر فَيْنَانُ مُورِقُ[3]

فَحرَّكَ بَثِّى رَبْعُها وَهْو سَاكِنٌ ⁂ وَجَدَّدَ وَجْدِى رَسْمُهَا وهْو مُخْلَقُ[4]

قوله : « فحرَّكَ بَثِّى رَبْعُها وهو ساكن وَجَدَّدَ . . . » معنى مَقُول ، أخَذَه من قول المَوْبِذ فى كِسْرَى عند وفاته : حرَّكَنَا بِسكونه . ويقال : قيلت للإسكندر . وأخذه أبو العَتَاهِية ، فقال :

قَدْ لَعَمْرِى حَكَيْتَ لِى غُصَصَ المَوْ ⁂ تِ وحَرَّكْتَنِى لها وسَكَنْتَا[5]

* * *

وقال أبو تمام :

لوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوَابِ ⁂ أَو كَفَّ مِنْ شَأْوَيْهِ طَولُ عِتَابِ[6]

لَعَذَلْتُــهُ فى دِمْنَتَيْن بـأَمْرِهِ ⁂ مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ ورَبَابِ[7]

---

(١) ديوانه ٥١٧ « قد تباكينا . . . ومن خلفه »

(٢) الأدم من الظباء : ظباء بيض يعلوها جدد فيها غبرة ، يقال : ظبية أدماء وأدمانة ، وأنكر الأصمعى أدمانة ؛ لأن أدمانا جمع مثل حمران وسودان ولا تدخله الهاء . . راجع اللسان ١٤/ ٢٧٧

(٣) فى ق والديوان « موضع الهوى » و انظر عبث الوليد ص ١٥٣

(٤) سبق ص ٣٤١

(٥) ديوانه ٣٣٩

(٦) ديوانه ١٨ وشرح التبريزى ١/ ٨٠

(٧) يروى : « بأمرة » قال أبو العلاء المعرى : كأنه اسم موضع ، ويروى : « برامة » ورامة أكثر تردداً فى الشعر ، ومن روى « بأمره » فله معنى صحيح ، وتكون الهاء عائدة على الدهر ، كأنه يجعل له أمراً مقبولا . وهو حسن من الوجه الأول . وهذا كله مستعار »

ثِنْتَيْن كالْقَمَرينِ حُفَّ سَنَاهُمَا بِكَواعِبٍ مِثْلِ الدُّمَى أتْراب[1]

مِنْ كُلِّ رِيمٍ لَمْ تَرُمْ سُوءًا ولَمْ تَخْلِطْ صبا أَيَّامِهَا بِتَصَابِ

قوله : « لَعَذَلْتُهُ فى دِمْنَتَيْن » معنى سخيف ، وإبداع غير حسن ولا جميل.

وقد اعتذر أَبو نواس إلى الرَّبْع[2] : بأَنه لم يَقدِر على دفع ضرر البِلَى والدُّرُوس عنه ، وأَنَّه لا يدرى ما يقول فى ذلك لِسُعَاد ؛ فجاءنا بآبِدَةٍ أُخرى ظريفة عجيبة . وقد رأَيتُ غير واحد من الشيوخ يستحسنه لغرابة معناه . وذلك قوله :

أَرَبْعَ البلى إنَّ الخُشُوعَ لَبَادِى عَلَيْكَ وإنّى لَمْ أَخُنْكَ وِدَادِى[3]

فَمَعْذِرَةً مِنِّى إليكَ بأَن ترى رَهِينَةَ أَرْمَاسٍ وصَوْنَ عَوَادِ[4]

ولَمْ أَدْرِ إِنِ الضَّرَّاءَ عَنْكَ بحِيلَةٍ فَمَا أنا مِنْهـا قَائِلٌ لِسُعَادِ

وهذا ليس على طريقة العرب ولا مذاهبهم . وإذا اعْتَمَدَ الشاعرُ الإِبداعَ فَمِنْ سَبيله أَلَّا يخرج عن سَنَنِ القوم . فإنه لم يخطر [فيه][5] عليه مُستَغْربُ المعانى ومُستظرفُها .

وما أَحسن المعنى الصحيح إذا أَتى به الطبع النقىّ ، وكان قائله مُخْبرًا بالأَمر على ما هو ، وذلك نحو قول البحترى :

وما أَعْرِفُ الأَطْلالَ مِنْ بَطْنِ تُوضَحٍ لِطُولِ تَعَفِّيها ولَكِنْ إخَالُهَا[6]

---

(١) فى الديوان : « ثنتان » وكلاهما صحيح

(٢) م ، ق « إلى الربيع » وهو خطأ

(٣) ديوان أبى نواس ٦١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى البرمكى

(٤) م « عواد » وفى الديوان : « رهينة ألواح »

(٥) الزيادة من ق

(٦) ديوانه طبع مصر ٢ / ١٧٩ وفى طبعة بيروت ٢٢٢ « فى جنب توضح » وكذلك ٣ / ١٦٩٠

إذا قُلْتُ : أَنْسَى دارَ لَيلى على البِلى تَصَوَّرَ فى أَقْصَى ضَميرى مِثالُهَا[١]

وكُنتُ أُرَجِّى وَصْلها عِندهَجْرِهَا فقدْ بان مِنى هَجْرُهَا وَوِصَالُهَا

فلا عَهْد إلَّا أَن يُعَاوِدَ ذِكْرُهَـا ولا وَصْلَ إلا أن يُطِيفَ خيَالُهَا[٢]

وهذا هو الشعر الذى لم تشِنْ وجهَه الاستعارةُ البعيدة ، ولا المعنى المُتَمَحَّل.

وقال الحارث بن خالد المخزومى فى ضد قول البحترى : «وما أعرف الأَطلال» ، وأحسن كل الإحسان ، وأبدع وأغرب . وذلك قوله :

عَفَتِ الدِّيارُ فَمَا بِهَا أَهْلُ أَجْرَاعُها ودِمَاثُها السَّهْلُ[٣]

إِنِّى ومَا نَحرُوا غَـداة مِنَّى عِنْدَ الجِمَارِ تَؤُودُها العُقْلُ

لو بُدِّلَتْ أَعْلى مَنَازِلَهَـا سُفْلاً وأَصْبَح سُفْلُهَـا يَعْلُو

لعَرَفْتُ مَغْنَاها بمَا ٱحْتَمَلَتْ مِنِّى الضلوعُ لأَهْلِهَـا قَبْلُ

ويَكادُ يعْرِفُها الخَبيرُ بها فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ والْمَحْلُ[٤]

* * *

وأقول الآن فى الموازنة بينهما : إن أَهل الصّنعة يفضّلون كل ما قاله أبوتمام على أكثر ما قاله البحترى فى هذا الباب ، ويقولون : إن أبا تمام استقصى الوصفَ فى نُعوت النساء ، وأحسن وأجاد .

وقد كان ذاك [لعمرى][٥] مع ما فيه من الإساءات والألفاظ الرديئة التى ذكرتها .

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى طبعة بيروت . وفى م « كان ليلى » وهو تحريف .

(٢) فى ديوانه طبعة بيروت ٢٢٣ « فلا قرب إلا »

(٣) الأغانى ٣/٣١٣ طبعة دار الكتب . والبيت الثانى والثالث والرابع فى حماسة أبى تمام ٣/١٢٨٢

(٤) م « فيرده الأنواء »

(٥) الزيادة من ق

والمطبُوعُون وأهلُ البلاغة لا يكونُ الفضلُ عندهم من جهة استقصاء المعانى والإغراق فى الوصف ؛ وإنما يكون الفضلُ عندهم فى الإلمام بالمعانى ، وأَخْذِ العَفْو منها ، كما كانت الأَوائِلُ تفعلُ ، مع جَوْدَة السَّبْك ، وقرب المَأْتَى.

والقول فى هذا قولهم ، وإليه أذهب . إلا أنِّى أَجعلهما فى هذا الباب متكافئَيْن ، لكثرة إحسان أبى تمام فيه .

الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات

قال أبو تمام :

سقَى رَبْعَهم لا بَلْ سُقَى مُنْتَوَاهُمُ ... من الأَرضِ أَخْلافُ السّحَاب الحَوَاشِكُ[1]

وأَلْبَسهُمْ عَصْبَ الرَّبيع ووَشْيَهُ ... ويُمْنَتَهُ نَبْتُ الثَّرى المُتَلاحِكُ[2]

إذا غَازَلَ الرَّوْضُ الغَزَالَةَ نشَّرَتْ ... زَرَابيُّ فى أَكْنَاحِهِمْ ودرانِكُ[3]

إذَا الغَيْثُ غَادَى نَسْجَهُ خِلْتَ أَنَّهُ ... مَضَتْ حقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وهْوَ حَائِكُ[4]

قوله : « حَوَاشك » جمع حَاشِكَة ، وهى : النَّاقة التى قد اجتمع لبنها فى خَلْفها شبَّه السحابَ بها . والحَشَكُ : اسم الدَّرة[5] المجتمعة .

والمُتَلاحِكُ : الذى قد تكَاثَفَ وتَدَاخَلَ بعضُه فى بعض . من المُلاحَكَة فى البناءِ ونحوه .

وقوله : « حقْبَةٌ حَرْسٌ » فى غاية الرداة ؛ لأَن الحَقْبَة ، السَّنة : وجمعها حقَب .

والحرس : الدَّهر : وذكْرُ السنة مع الدهر جهلٌ بموضوعات الكلام ، وخروج عن العادات . ومتى سمع أَحدًا يقول : ما رأَيته مذ سنة دهرًا ، وقد مضى له سنة دهر ما يكلمنا ؟

فأَما جعله الغيث كأَنه كان حائكًا ، فمن مَضَاحِيكِ معانيه وأَلفاظه .

---

(١) ديوانه ٢٢٤ وشرح التبريزى ٢/٤٥٧ وفى م « أخلاق » وهو تحريف . والمنتوى : الموضع الذى ينتوون إليه ، أى ينوونه و يرحلون إليه

(٢) م « غيب الربيع ووشيه وتلنته بنت النوى » وفى شرح التبريزى « بنت الندى »

(٣) الزرابى : الطنافس ، والدرانك : نحو من الطنفسة والبساط

(٤) قال التبريزى : « أى إذا أصاب الغيث ندى هذه الأرض وجاده وزينه بالأنوار والزهر - حسبت أنه كان يحوكها و يصنعها زماناً من الدهر »

(٥) م « اسم الأرض » والتصويب من ق

وقال البحترى :

أَسْقَى دِيارَك — والسُّقْيا يَقِلُّ لَهَا — إِغْزَارُ كُلِّ مُلِثٍّ الوَدْقِ ثَجّاجِ[1]

يُلْقِى عَلى الأَرْضِ مِنْ حَلْيٍ ومن حُلَلٍ ما يمتعُ العينَ من حُسْنٍ وإِبْهَاجِ

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنَ تِبْرٍ ومِنْ وَرِقٍ وحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشْيٍ ودِيبَاجِ

فصوغ الغيث [النبت][2] وحَوْكُهُ للنبات ليس باستعارة . بل هو حقيقة ، ولكن لا يقال : هو صائغ ، ولا كأنه صائغ . وكذلك لا يقال : حائك . وعلى أن لفظة حائك خاصة فى غاية الركاكة إذا خرجت على ما جاء به أبو تمام .

وقال البحترى :

فَسَقَاهُمْ وإِنْ أَطَالَتْ نَوَاهُمْ خِلْفَةَ الدَّهرِ ليلُهُ ونَهارُهْ[3]

كُلُّ جَوْنٍ إِذا ٱرْتَقَى البَرْقُ فِيهِ أُوقِدَتْ لِلْعُيونِ بالماءِ نَارُهْ

إِنْ أَقامَ ٱرْتَوَى الظَّماءُ وإِنْ سَا رَ أَقَامَتْ أَنِيقَةً آثَارُهْ

باتِّفاقٍ مِنْ خُضْرةِ الرَّوْضِ نَضْرٍ وٱخْتِــلافٍ يُجِدُّهُ نُوَّارُهْ

كَسُفُورِ الفتاةِ عَنْ حُسْنِ خَدٍّ يَتَكافَا ابْيِضاضُهُ وٱحْمِرَارُهْ[4]

وهذا كله جيد ، حسن لفظه ومعناه .

وقوله : « يتكافى ابيضاضه واحمراره » ما لحسنه نهاية .

وقال أيضاً يصف آثار الغيث . وليس بدعاء للدار بالسقيا[5] :

---

(١) ديوانه ٣٨٧ ويقال : آلث المطر إلثاثاً : أى دام أياماً لا يقلع ، وألثت السحابة : دامت أياماً فلم تقلع . والودق : المطر . والثجاج : المصبوب بشدة

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوانه ٥٣٤ ، ٢/٩١٧ .

(٤) م « بتكافى انتضاضه » وفى الديوان « واحوراره » وفيه ٢/٩١٨ « عن مروجه »

(٥) م « والسقيا » .

دِمَنٌ تَنَاهَبَ رَسْمُها حتى عَفَا ... مِنْها تَعَاقُبُ رَائِحٍ بِقِطَارِهِ[١]
بَاتَتْ وبَاتَ البَرْقُ يَمْرِى عُوذَهُ ... فيها ويُنْتِجُ مُثْقَلاتِ عِشَارِهِ
فالأَرضُ من نَسْجِ النباتِ مُجِدَّةٌ ... أثوابَها والرَّوضُ من نُوَّارِهِ[٢]

وهذا أيضاً حلو ، حسن لفظه ومعناه .

وقوله : « وبَاتَ البَرْقُ يَمْرى » : أى يَسْتَخرجُ ماءها . والعُوذُ : الحديثات النِّتاج ، شبَّه السحائب بها .

والعِشَار : التى قد أتى لحملها عشرة أشهر ، وإذا وضَعَت فهى أيضاً عِشار ، لا يزول عنها هذا الاسم .

* * *

وقال أبو تمام يصف آثار الغَيْث :

دَوَارِسُ لَمْ يَجْفُ الرَّبيعُ رُبُوعَهَا ... ولا مَرَّ فى أَغْفَالِهَا وهْوَ غَافِلُ[٣]
فَقَدْ سَحَبَتْ فيها السَّحَابُ ذُيُولَها ... وقَدْ أُخْمِلَتْ بالنَّوْرِ منها الخَمَائلُ[٤]

* * *

وقال البحترى :

يادِمْنَةً جَاذَبَتْها الرِّيحُ بَهْجَتَها ... تَبِيتُ تَنْشُرُها عَنْها وتَطْوِيهَا[٥]
لاَ زِلْتِ فى حُلَلٍ لِلْغَيْثِ ضَافيَةٍ ... يُنِيرُها البرقُ أَحياناً ويُسْدِيها[٦]
تَرُوحُ بالوَابِلِ الدَّانِى رَوَائحُها ... على رُبُوعِكِ أَو تَغْدُو غَوَادِيها

رَوائحها : يعنى السَّحاب . وهذا أيضاً جيِّدٌ بالغ .

---

(١) ديوانه ٢٤٠ ، ٨٦٦/٢ المعارف وفى م « تناهت »
(٢) فى الديوان « فالأرض فى عمم النبات . . . والروض فى » وفى م « والأرض من نواره »
(٣) ديوانه ٢٥٥ وشرح التبريزى ١١٣/٣
(٤) ويروى : « السحائب ذيلها »
(٥) ديوانه ٢٧ « تنشرها طوراً »
(٦) فى الديوان « حلل للخير »

وقال أبو تمام :

لاَ مَرَّ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلَّا وَفِي ... أَحْشَائِهِ لِمَحَلَّتَيْكَ غَمَامُ[1]
حتَّى تَعَمَّمَ صُلْعُ هَاماتِ الرُّبا ... مِنْ نُورِهِ وتَأَزَّرَ الأَهْضَامُ[2]

فالأَهضَام : ما انخفض من الأَرض . جمع هضْم .

وقوله : «حتى تَعَمَّمَ صُلْعُ هَاماتِ الرُّبا» أَخذه من قول الراجز ـ وأَنشده يعقوب بن السكيت وغيره ـ :

قد أَصْبَحَتِ العُقْدَةُ صَلْعَاءَ اللِّمَمْ ... وأَصْبَحَ الأَسْوَدُ مَخْضُوباً بِدَمْ[3]

فالعقدة : موضع ذو شجر لا يَنْتَفِى فيذهب .

واللِّمَمُ ، وهى الجِمَامُ[4] جمع لمَّة ، فجعله مثلا لرُءوس النَّبت إذا أَكلته الإِبل فصارت لِمَمُه صُلْعا .

والأَسود : الحيَّة تَطَؤه الإِبل فتقتله .

* * *

وقال البحترى :

إِذَا الغَمَامُ حَدَاهُ البارِقُ السَّارِى ... وَانْهَلَّ فى دِيْمَةٍ وَطْفَاءَ مِدْرَارِ[5]
وَخِيلَ إِشْرَاقُهُ طَوْرًا وظُلْمَتُهُ ... ما حَاكَ من نَمَطَىْ رَوْضٍ ونُوَّارِ[6]
فَجَادَ أَرْضَكَ فى غَرْبِ السَّماوَةِ مِنْ ... أَرْضٍ ودَارَكِ بالعلياء مِنْ دارِ[7]

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣/١٥١

(٢) قال التبريزى : «أى لا زالت الغمام تسقيك حتى يصير النبات كالعمائم على الربى الصلع التى لا نبات بها ، وتأزر : أى يكون لها كالإزار»

(٣) سبق ص ١١١

(٤) م ، ق «الحمام»

(٥) ديوانه ١١٨

(٦) فى الديوان : «وأنوار»

(٧) فى الديوان : «من غرب»

وهذا معنى فى غاية اللَّطافة والحسن ، وكَثْرةِ الماء .

وقال البحترى :

قَسَم الصَّبَابَة فرْقَتَيْنِ فَشَوْقُهُ ... للظَّاعِنِين ودمعُـه للنزَل[١]

مُتَقَسِّمُ الأَحْشَاء يَنْدُبُ أَربُعاً ... مُتَقَسِّمات للصَّبا والشَّمْأَلِ[٢]

حَطَّتْ على تلك الأَجَارعِ والرُّبَى ... مِنْهُنَّ أَعْبَاءُ السَّحَابِ المُثْقَلِ[٣]

وَغَدَا الرَّبيعُ لها يُنَمْنِمُ رَوْضَهُ ... ضَرْبَيْنِ بَيْنَ مُعَمَّدٍ ومُهَلَّلِ[٤]

مُعَمَّدٍ : مثل العمَدِ ، ومُهَلَّل : مثل الأَهِلَّة .

* * *

وقال أَبو تمام :

أَسْقَى دِيارَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ ... وغَدَتْ عليهمْ نضْرةٌ ونَعِيمُ[٥]

جَادتْ مَعَاهِدَهُمْ عِهَادُ سَحَابَةٍ ... مَا عَهْدُها عِنْدَ الدِّيارِ ذَمِيمُ

ولأَبى تمام فى الدعاء للديار بالسقيا ، أبيات كثيرة فى قصيدته التى أولها :

* إِنَّ بُكَاء فى الدِّيار مِنْ أَرَبهْ[٦] *

تفاصح فيها وتبادى ، وهى كَزَّةٌ قليلة الحلاوة ، لم أكتب منها شيئاً .

* * *

وقال البحترى :

وإذا تَحَمَّلَ مِنْ تِهَامَةَ بَارِقٌ ... لَجِبٌ يَسيرُ مَعَ الجَنُوبِ زُحُوفُهُ[٧]

(١) فى الديوان ٧٨١ ، ٣/١٧٩٩ : « للمنزل »

(٢) فى الديوان : « ينشد أربعا . . فى الصب » . وفى طبعة المعارف . « بالصبا »

(٣) فى الديوان : « أعباء الغمام »

(٤) فى الديوان : « وسرى الربيع »

(٥) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٣/٢٨٩ « أسقى طلولهم » وهما روايتان . وتقدم فى الدعاء للدار بالسقيا

(٦) ديوانه ٥١ وشرح التبريزى ١/٢٦٩ وعجزه : « فشايعا مغرماً على طربه »

(٧) فى ديوانه ٦٥ « فإذا تحمل . . . تسير » ، وفى م « وإذا الجمل »

صَخِبُ الرَّوَاحِ إذا تَصَوَّبَ مُزْنُهُ ... ذَعَرَ الأَجَادلَ فى السماء حَفِيفُهُ

فَسقَى اللِّوَى ،لا بلْ سقَى عَهْدَ اللِّوَى ... أَيَّامَ نَرْتَبِعُ اللِّوى وَنَصِيفُهُ[1]

الأَجَادِل : الصُّقُور .

وهذا جيد ، بالغٌ لفظه وسبكه ومعناه .

وقال البحترى أيضاً :

إِلْمَامَةٌ بالدار [إنَّ] مُتَيَّماً ... يَكْفِيه أكثر شَوْقِه إلمامُهُ[2]

أَمْسَى يُضَرِّمُ فى جَوانحِهِ الجَوَى ... بَرْقٌ يَشِبُّ مع العَشِىِّ ضِرَامُهُ

سَقَى اللوى حوذَانُهُ وعَرَارُهُ ... وسِيَالُهُ وأَراكُهُ وبَشَامُهُ[3]

فَلَرُبَّ عَيْشٍ باللِّوَى لم تَسْتَزِدْ ... حُسْناً لَيالِيه ولا أَيَّامُهُ

وهذا لا مزيد على براعة لفظه ، وجودة سَبْكِه ، وكثرة مائِه .

وقال أيضاً :

أَدارَهُمُ الأولى بِدارةِ جُلْجُلٍ ... سقاكِ الحَيَا رَوْحاتُهُ وبَوَاكِرُهْ

وجاءَكِ يحكِى يوسُفَ بنَ محمدٍ ... فَرَوَّتْكِ رَيَّاهُ وجادَكِ ماطِرُهْ[4]

وهذا أحسن ما يكون من المدح . ويُسَمَّى[5] الأَسْتِطْرَاد ، وقد ذكرَ أبا سعيد محمد بن يوسف فى غير موضع ، على هذا المعنى ونحوه . يتسبب [إلى مدحه][6] فى مدائح غيره .

---

(١) م « تربيع اللوى وتصيفه »

(٢) الزيادة من ق . والأبيات لم ترد فى ديوانه طبع بيروت

(٣) م « جوذانه وغزاره » والحوذان والعرار نبتان كما فى اللسان ٥/٢١ ، ٦/٢٣٥

(٤) البيتان فى ديوانه ص ٢٠٥

(٥) فى م « ويبقى » والتصويب من ق

(٦) الزيادة من ق

وقال أيضاً :

أَوَدُّ لها سُقْيَا السَّحابِ ومَحْوَهَا بسُقْيَا السَّحابِ حِينَ يَصْدُقُ خَالُها[١]
مَحَلَّتَنـــا والعيشُ غَضٌّ نباتُهُ وأَفْنِيَةُ الأَيَّامِ خُضْرٌ ظِلالُهـــا

وهذا معنى حسن صحيح .

وقال أيضاً :

يَا عَارِضاً مُتَلَفِّعاً بِــبُرُودِهِ يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ ورُعُودِهِ[٢]
لَوْ شِئْتَ عُدْتَ بِلادَ نَجْدٍ عَوْدَةً فَنَزَلْتَ بَيْنَ عَقِيقِهِ وزَرُودِهِ
لِتَجُودَ فى رَبْعٍ بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى قَفْرٍ تَبَدَّلَ وَحْشُهُ مِنْ غِيدِهِ

وقال أيضاً :

سأَلْتُ الغَوَادِى مُلْحِفاً فى سُؤَالِهَا ونَاشَدْتُها فى سَقْى بُرْقَةِ ثَهْمَدِ
مَنَازِلُ ما أَبْقَى البِلَى مِنْ عِرَاصِهَا سِوَى أَرْسُمٍ مَعْفُوَّةِ الآىِ هُمَّدِ[٣]
مَعَاهِدُ مِنْ خَوْدٍ تَنَاصَرَ حُسْنُهَا تَنَاصُرَ ضَوءِ الكَوْكَبِ المُتَوَقِّدِ[٤]
تَثَنَّى على لَحْظِ العُيونِ إذا مَشَتْ تَثَنِّىَ غُصْنِ البَانَةِ المُتَأَوِّدِ[٥]

وهذا كله جيد لفظاً ومعنى .

وقال أيضاً :

أُنَاشِدُ الغَيْثَ كَىْ تَهْمِى غَوَادِيهِ على العَقِيقِ وإنْ أَقْوَتْ مَغَانِيهِ[٦]
على مَحَلٍّ أَرَى الأَيَّامَ تَضْحَكُ عن أَيَّامِهِ واللَيــالى عن لَيَالِيهِ

---

(١) ديوانه ٢٢٢ ، ٣ / ١٦٩٠

(٢) ديوانه ٦٥٨ وفى م « بار عارضا »

(٣) م « من عراضها »

(٤) م « الكواكب »

(٥) لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه طبع بيروت

(٦) ديوانه ١٧٤ وفى م « غواريه » وفى الديوان : « وإن أقوت »

عهْد من اللَّهْوِ لم تُذْمَمْ عَوائِدُهُ ... يوماً فَيُنْسَى ولم تَقْدُمْ بَوَادِيهِ[1]

وقال أيضاً :

خَلَفَتْكُمُ الأَنْوَاءُ فى أَوْطَانِكُمْ ... فَسَقتْ صَوَادِىَ أَرْبُعٍ وطُلُولِ[2]

وإذا السَّحابُ تَرَجَّحَتْ هَضَبَاتُهُ ... فَعَلَى مَحَــلٌ بالعَقِيقِ مَحِيلِ

حتى تَبُلَّ منازلاً لو أنهــا ... كَثَبٌ لَرُحْتُ على جَوًى مَبْلُولِ[3]

* * *

وقال أبو تمام :

أَيُّها البَرقُ بِتْ بـأَعْلى البرَاقِ ... وَاغْدُ فيها بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ[4]

دِمَنٌ طَالَمَا التقَتْ أَدْمُعُ الغَيْـ ... ـثِ عليها وأَدمعُ العشاقِ[5]

وقال أبو تمام أيضاً ـ وهذا من أحسن معانى هذا الباب ، وهو [من] إحسانه المشهور :

يا مَنْزِلاً أَعْطى الحَوَادِث حُكْمَهَا ... لا مَطلَ فى عِدَةٍ ولا تَسْوِيفَا[6]

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وتَنَفَّسَتْ ... نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّياحُ ضعِيفا[7]

شُغِفَ الغَمَامُ بِسَاحَتَيْكَ فَرُبَّما ... رَوَّتْ رُبَاكَ الهَائِمَ المَشْغُوفَا

وقوله : « وتَنَفَّسَتْ نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرياحُ ضَعِيفَا » مما استحسنه الناس ، وقد ذكرْتُه فى باب مَحْوِ الرِّياحِ للديار ، ومن أين أخذ المعنى[8].

وقوله : « شُغِفَ الغمامُ بِسَاحتَيْكَ » يدعو له بالسُّقْيا على سبيل الجزاء ، بما روّته رباه من أحبابه فيه .

---

(١) فى م : « اللوى » ! ! وفى الديوان « ولم تفقد بواديه »

(٢) ديوانه ١٧٨ ، ٣ / ١٨٣٩

(٣) فى الديوان « منازل » وم « مناولا »

(٤) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزى ٢/٤٤٧ والغيداق : الكثير الماء والجرى

(٥) فى الديوان « أدمع المزن »

(٦) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزى ٢/٣٧٦

(٧) ويروى « نفسا بعرصتك »

(٨) راجع ص ١٠٧ ، و ١٦٢ و ٣٣٩ وانظر ص ٥١٨

ما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وغيرها

قال أبو تمام يخاطب الربع :

قد كُنْتَ مَعْهُودًا بأَحسنِ ساكنٍ ثَاوٍ فأَحْسَنِ دِمْنَةٍ ورُسُومِ[1]

أَيَّامَ للأَيَّامِ فيكَ غَضَارَةٌ والدهرُ فِىَّ وفيكَ غيْرُ مُلِيمِ

وظِبَاءُ أُنْسِكَ لم تَبَدَّلْ مِنهمُ بظباءِ وَحْشِكَ ظاعناً بِمُقِيمِ

من كُلِّ رِيمٍ لَوْ تَبَذَّلَ قَطَّعَتْ أَلْحَاظُ مُقْلَتِهِ فُؤَادَ الرِّيمِ

قوله : «ثَاوٍ بأَحسن دمنة ورسوم» غلط ؛ لأَن رُسومَ الدار لا تسمى رسوماً إذا كان أَهلها ثَاوِينَ فيها ، بل إنما تُسمَّى رسوماً : إذا فارقها ساكنُوها وارتحلُوا عنها ؛ لأَن الرَّسْمَ هو الأَثَرُ الباقى بعدهم .

والصحيح المستقيم قول البحترى :

يا مَغَانِى الأَحْبَاب صِرْتِ رُسُومَا وَغَدَا الدهرُ فيكِ عنْدِى مَلُومَا[2]

وليس أبو تمام ممن يذهب هذا عليه ، ولكنه يسامح نفسه فى أَلفاظه ، فيقع الغلط عليه عِنْدَ كَلالِ خاطره . أَلا تراه قال :

قالُوا : أَتَبْكِى على رَسمٍ ؟فقلتُ لهمْ : من فاتَهُ العَيْنُ هَدَّى شَوْقَهُ الأَثَرُ[3]

فجاء بالرسم فى موضعه . وقد ذكرت هذا فيما تقدم[4] .

وقوله : «من كلِّ رِيمٍ لو تَبَذَّلَ» لفظٌ غير لائق بالمعنى ، ولا ملتئم معه ؛ لأَنه يريد بالرِّيم : المرأَةَ ؛ وتَبذُّلُها لا يقطع فؤاد الرِّيم . فإن كان

(١) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣ / ٢٦١ وفى الديوان «ساكن منا وأحسن»

(٢) ديوانه ٢٧٣

(٣) ديوانه ١٤٩ وشرح التبريزى ٢ / ١٨٦

(٤) وسيأتى ص ٥٤٩

أراد بالتبذلّ ظهورها للرِّيم ، فإن ظهورها للرِّيم ليس بِتَبَذُّل ، ولا هي محجوبة ولا مَصُونةٌ عن الرِّيم . وإنما كان المعنى يصح وينتظم لو قال : «من كل ريم لوعرف الريم كنْه جماله ، ثم رآه أو واجهه » . فأمّا التبذل فقد يقع منها وربما لا يراها[1] .

ويروى : « من كلِّ ريم لو تَبدَّى » أي لو ظهر ، وليس بشيء ؛ لأنها ليست محجوبة عن الرِّيم .

وقال :

أأَطْلاَلَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِن هِنْدِ	أَقَايَضْتِ حُورَ العِينِ بالعُون والرُّبْدِ[2]
إذَا شِئْنَ بالأَلْوَانِ كُنَّ عِصَابَةً	مِنَ الهِنْدِ والآذَانِ كُنَّ مِنَ الصُّغْدِ[3]
أَعُجْنَا عَلَيْكِ العِيس بَعْدَ مَعَاجِهَـا	على البِيضِ أَتْرَاباً على النُّؤْى والوَدِّ[4]
فَلاَ دَمْعَ أَوْ يَعْفُو على إثْرِهِ دَمٌ	ولا وجْدَ مَالَمْ تَعْىَ عَنْ صِفَةِ الوجْدِ[5]

قوله : « حُورُ العِين » يريد النساء .

وقوله : « بالعِين » يريد بقر الوحش ، وقيل لها عِين : لِعِظَم أعينها . والرُّبْدُ : النَّعَام ، جعلها رُبْدًا في ألوانها .

وقوله : « كُنَّ عِصابَةً مِنَ الهِنْدِ » لأن الهند سُمْرٌ إلى الصُّفرَة الكَدِرَة وتلك هي الرُّبْدَة .

---

(١) م « منهما ربما ولا يراها »

(٢) ديوانه ١١٤ وشرح التبريزى ٢/ ٥٩ وفى هامش م « فى نسخة عبد السلام البصرى : بالعين والربد . والمعروف بالعون . وهو جمع عانة » وفى شرح التبريزى : « العين : جمع عيناء وهى الحسنة العينين الواسعتهما . والعون يحتمل أن تكون جمع عانة ، وهى جماعة من حمير الوحش . كما يقال : ساحة وسوح » . وانظر سؤال الديار

(٣) م « من السعد »

(٤) ويروى « لعجنا » والود : لغة من الوتد

(٥) ويروى « ما لم يجر فى إثره دم »

والصغد : إذ أنهم صغار جدًّا ، وربما وُجِد فيهم من لا يكون له أُذن ظاهرة ، لصغرها ولُصُوقِها برأسه . قال ذلك: لأن النعام لا آذان لها ، فقال : إذا شئن ، من أجل ألوانهن ، كن من الهند ، أو من أجل أنهن لا آذان لهن ، من الصغد .

وقوله : «أو يَعْفُو على إثره دم » أي يكثر ، يقال : عفا شعره : إذا كثر . وهو من الأضداد[١] ، وهذه طريقة لا حلاوة لها .

والبيت الأول والأخير جيِّدان .

وقوله « أَعُجْنَا عَليكَ العِيسَ » بيت مضطرب النظم[٢] ، ردىء اللفظ ؛ لأنه يخاطب الأطلال ، فكأنه أراد أن يقول : أَعُجْنَا العيسَ منك على النُّؤْى والوَدِّ ، بعد مَعاجِها على البِيضِ أتراباً . فجعل « عليك » فى موضع « منك » .

* * *

وقال أيضاً :

تَبدَّلَ غَاشِــيهِ بِرِيمٍ مُسَلِّم ... تَرَدَّى رِدَاءَ الحُسنِ طَيفاً مُسَلِّمَا[٣]

ومن وَشْى خَدٍّ لم يُنَمْنَمْ فِرِنْدُه ... مَعَالِمُ يُذْكِرْنَ الكِتابَ المُنَمْنَمَا[٤]

وبالحُــلِْي إن قامت تَرَنَّمَ فَوْقَهَا ... حمَــاماً إذا لَاقَى حمَاماً تَرَنَّمَا

وبالخَدْلَةِ السَّاقِ المُخَدَّمَةِ الشَّوَى ... قَلَائِصَ يَتْلون العَبَنَّى المُخَدَّمَا[٥]

قوله : «تَبَدَّلَ غاشِيهِ بِرِيمٍ مُسَلِّمٍ» يعنى المرأة .

« طَيفاً مُسلِّما » يعنى خيالها ، ولم يرد أن من يغشى هذا المنزل ينام فيه حتى يرى الطيف فى منامه ، وإنما أراد : أن يتصور له خيال من كان يهواه فيه فسماه طيفاً . وهذا غير مُنْكَر .

---

(١) راجع الأضداد لابن الأنبارى ٧١

(٢) م « النظر »

(٣) ديوانه ٢٩٤ وشرح التبريزى ٣/٢٣٢

(٤) م « من رشى »

(٥) فى الديوان : [illegible] يتبعن [illegible] روايتان

وقوله : «ومن وَشْى خَدّ لم يُنَمْنَمْ فِرِنْدُه» فَفِرِنْدُه : ماؤُه ورَوْنَقُه .

لم يُنَمْنَم : لم يُنْقَش كما تُنْقَش الخُدُودُ إذا زُيِّنت ، لاستغنائه عن ذلك بحسنه . وجعله وَشْياً ، والوَشْىُ : ما كان ألواناً مختلفة كألوان الزهر فى الرِّياض . فجعل بياض الخد وتلوُّنه بالأحمر وَشْياً . أى يدل غاشى الربع من ذلك معالم يذكرنَ الكتاب المُنَمْنَم ، أو المَكْتُوب ، وبالحلى إن قامت ترنم فوقها حماماً يترنم .

وقوله : «وبالخَدلَّة السَّاق» أى الممتلئة ، يعنى المرأة .

والمُخَدَّمَةِ الشَّوَى : التى فى رجلها خَدَمَةٌ ، وهى الخَلْخَال .

والشَّوَى : الأَطْرَاف .

والقَلائِصُ من الإبل : جمع قَلُوص ، وهى الفَتيَّة السِّنّ .

من يقف على الربع يتلون العَبَنَّى ، وهو الفَحْلُ الغليظ .

والمُخَدَّم : الذى فى رجله خَدَمَةٌ ، وهى سير غليظ مُحْكم ، يُشَدُّ مثل الحلقة فى رُسْغِ البعير ، ثم يشد إليه شرائح نَعْله ، وسَمَّوا الخَلْخَال خدمة .

ثم قال بعد هذا :

سَوَارٍ إذا قَابلْنَ مُمْتَنِعَ الفَلَا جَعَلْنَ الشِّعَارَيْن : الجَدِيلَ وشَدْقَما[1]

وهما فحلان . يقول : إذا قابلت هذه الإبل سير الفلاة رجعت إلى أنها من نتاج هذين الفحلين الكريمين ، فتقوى على قطع الفلا . فجعل ذلك شعارًا لها .

---

(١) فى شرح التبريزى : «إذا قاتلن» وقال فى شرحه : «قد جرت العادة ممن يقاتل أن يكون له شعار يتميز به من العدو ، وهو شىء يدعو به فى الحرب ، مثل أن يقول : يال كلاب، أويال نمير ، أو غير ذلك من الكلام الذى يصطلح عليه . . . فكأن هذه الرواحل قد جعلت شعارها فى قطع الفلاة ، أنها تنسب إلى "جديل وشدقم" كما يذكر المحارب جده الأكبر وقبيلته»

وقال : سوار – رفع – وهو وصف القلائص[1] والعَبَنّى ، وهى منصوبة . وهذا تحمّل إذا اعتمد بالكلام الاستئناف .

والمعنى أيضاً ليس بالجيد ؛ لأنه جعل الإبل التى ذكر أنها مجتازة بهذا المنزل وغير مقيمة لقوله : سوار – أُسْوَةَ معالمه التى قد دَرَسَت ، وحمائمَه التى تألفه وتَقْطُنه . ولو كان هذا المنزل عامرًا بأهله ، لَمَا خَلَوْا من إبلٍ مَقْطُورةٍ تَجْتَازُ بهم ، لِقَوْمٍ مُسَالِمِين من العشائر أو مخالفين أو متاجرينَ ، أو إبلٍ لهم أنفسهم يَقْطُرُونَها لبعض مَسِيرهم ومآرِبهم .

ولعل منزلهم كان يألف من هذا الجنس من الإبل وهو عامر ، أكثر مما يجتاز به وهو خَراب .

* * *

وقال البحترى :

ويزيدُه شجوًا تَقارُضُ وحشِها ... وَصْلَيْن وصْلَ أَحبةٍ وحبائبِ[2]

تَرْعَى السُّهُولَةَ والحُزُون يَقِينَها ... حدَّيْنِ حَد أظَافرٍ ومَخَالِبِ[3]

لم يَمْشِ واشٍ بَيْنَهُنَّ ولا دَعَـا ... بيْنًا لَهُنَّ صَدَى الغُرَابِ النَّاعبِ

ما كان أَحْسنَ هذه من وَقْفَةٍ ... لوكان ذاك السِّرْبُ سِرْبَ كَوَاعِبِ

وقوله : « وصْلَين » يريد وصلَ الذّكور للإناث ، ووصل الإناث للذكور. والأَحبّة : الذّكُور .

والحبائِب : الإناث ؛ جمع حبيبة .

وقوله : « تَرْعَى السُّهُولَةَ والحُزُونُ يَقِينَهَا » يريد بالحُزُون : المواضع التى

---

(١) م « القلانص »

(٢) ديوانه ٦٩٦ « وحشا . . . وصلين بين أحبة »

(٣) فى الديوان « خدين خد » ١٥٩/١ المعارف

يُعْتَصَمُ بها ، ويُسْتَتَرُ فيها من جوارح الطير والسباع .

وقوله : « صَدَى الغُرَاب » يعنى صوته . والصَّدَى : هو ما يسمع بعْد الصّوتِ من جبال أو نحوه ، وهو حكاية الصوت سواء . فجعل صوت الغراب صدى ، ولعل له أصلا .

وقال البحترى :

أَأَنْتِ دِيارُ الحَىِّ أَيَّتُهَا الرُّبَى الـ ... لأَنِيقةُ أَمْ دَارُ المَهَى والنَّعَائِم[1]

وسِرْبُ ظِبَاءِ الوَحْشِ هَذَا الذى أَرَى ... أَمامَكِ ؟ أَمْ سِرْبُ الظِّبَاءِ النَّوَاعِمِ

وأَدْمُعِىَ اللَّاتِى عَفَاكِ انْسِجَامُهَا ... وأَبْلاكِ؟أَمْ صَوْبُ الغُيُوثِ السَّوَاجِمِ[2]

وأَيّامُنَا فِيكِ اللواتِى تَصَرَّمَت ... مَعَ الوَصْلِ؟أَم أَضْغَاثُ أَحْلَامِ حَالِمِ[3]

وهذا كأنه فى مذهب أبى تمام فى استقصاء المعانى ؛ وليس هو بوصف جيد.

وقوله أيضاً : إن الدموع السِّجَام هى التى عفَت الديَارَ وأَبْلتها أم الغيوث ؛ إسراف ومبالغة غير حسنة ولا جميلة .

* * *

وأَجود من هذا ومن جميع ما قاله الطائيان فى هذا الباب ، وأَبرع لفظاً وأَلطف معنى — ما أَنشده إبراهيم الموصلى :

وما يَسْتَفِيقُ القلبُ إلا انْبَرَى لَه ... تَوَهُّمُ صَيْفٍ مِنْ سُعَادَ ومَرْبَعِ[4]

(١) ديوانه ٤٤٧ ، ٣ / ١٩٦٩ – ١٩٧٠ وفى م « أليت ديار »

(٢) فى الديوان « وأدمعنا اللاتى » وفى م « عفا لى »

(٣) فى م « أمن أضغاث » وفى الديوان «أحلام نائم »

(٤) الأبيات لابن الدمينة ، كما فى ديوانه ٢٥ وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٣/٢٠٢ وغير منسوبة فى شرح المرزوقى ٣/١٢٢٣ والبيت الأخير ليس فيهما . والبيت الأول والثانى فى زهر الآداب ٢/٢٤٠ ليحيى بن منصور الذهلى ، وكذلك نسبهما فى جمع الجواهر ١٧٩ ، والرواية « يستفيق أما » وفى م « وما نسعين » .

أُخَادِعُ عَنْ عِرْفَانِها العَيْنَ إنَّهُ ... متى تَعْرِفِ الأطلالَ عَينِى تَدْمَعِ[1]

عَهِدْتُ بها وَحْشاً عليها بَرَاقِعٌ ... وهَذِى وحُوشٌ أَصْبَحَتْ لم تبَرْقَعِ

تَشَابَهُ فى أَجْيادِها وعُيونِهـــا ... ولم يتفق أَشْبـــاهُ سُوقٍ وأَذْرُعِ

وأخذ بشار – فيما أظن – قولَ هذا الشاعر :

* مَتَى تَعْرِف الأَطلالَ عينى تَدْمَعِ *

فقال :

متَى تَعْرِفِ الدارَ التى بَانَ أَهْلُها ... بِسُعْدَى فإِنَّ الدَّمعَ مِنْكَ قَرِيبُ[2]

فأساء إساءة بينة ، لأنه جعل الدمع قريباً ولم يجعله جارياً . وقد كان يمكنه أن يقول : فدمع المقلتين سكوب ، أو جرى المقلتين غروب ، أو نحو هذا . ولكنه وصله ببيت فى غاية الحسن ، فقال :

تَذَكَّرُ مَنْ أَحْبَبْتَ إذْ أَنْتَ يَافِعٌ ... غَلَامٌ ، فَمَغْنَاهُ إِلَيْكَ حَبِيبُ[3]

ومن ههنا أخذ ابنُ الرُّومى قولَه :

وحبَّبَ أَوْطانَ الرجال إليهمُ ... مآرِبُ قَضَّاها الشبابُ هُنَالِكَا[4]

---

(١) فى الحماسة « عن أطلالها »

(٢) ديوان بشار ١ / ١٨٤ وفى زهر الآداب ٢ / ٦٨٤ « فإن العهد »

(٣) فى زهر الآداب : « تذكرك الأهواء إذ أنت يافع لديها »

(٤) راجع زهر الآداب ٢ / ٦٨٤

ماقالاه فى الوقوف على الديار وفى تعنيف الأصحاب إياهما على ذلك

قال أبو تمام :

فَاعْقِلْ بِنِضْو الدَّارِ نِضْوَكَ يَقْتَسِمْ فَرْطَ الصَّبابَةِ مُسْعِدٌ وحَزِينُ[(١)]

لا تَمْنَعَنِّى وقْفَةً أَشْفِى بها داءَ الفراقِ فإِنَّها ماعُونُ

واسق الأَثَافِى من دُموعِكَ رِيَّها إن الضَّنين بِدمْعِهِ لَضَنينُ

استعار للدار اسم « النِّضْو » لِدُروسها ، من أجل قوله : « نِضْوكَ » ، يريد بعيره ، وذلك رسمُه ومذهبُه فى الاستعارة .

وقوله : « يَقْتسمْ فَرْطَ الصبابةِ مُسْعدٌ وحزينُ » فإن المُسعد ليس عنده من الصبابة ما عند الحزين ؛ لأن الصبابة رقَّة الشوق . فما فى المسعد من الاشتياق ؟ وكيف فرط الاشتياق ؟

والقريب من الصواب قولُ البحترى :

هل مُغرمٌ يُعطى الهَوى حقَّ الجَوَى مِنكم فَينْفِدَ دمعهُ ، أو مُسْعدُ[(٢)]

أى هل مغرم منكم يبكى لغرامه كما أَبْكى أو مُسعِد ؟ لأن المسعد قد يبكى لبكاء صاحبه وإن لم تك هناك صبابة ، أو أن يكون أراد بالمسعد من يقف معه يتألم له ولا يعنفه .

وقول أبى تمام يتجاوز فى مثله : لأن الهائم الصب إذا وجد من يرقُّ له ويرحمه ويظهر الاغتمام بأمره ، يخيل إليه أن من شأنه أن يحزن كحزنه ، ويبكى كبكائه وقد قال البحترى فى مثل هذا :

---

(١) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزى ٣/٣٢٣

(٢) ديوانه ٦٨٩ وفى م ، ق « الجوى حق الجوى »

هَلَّا بَكَيْتِ وقَدْ رأيتِ بُكَاءَهُ ودَنِفْتِ حينَ سمِعْتِ شَكْوَى المُدْنَفِ
فَلَأجْرِيَنَّ الدمع إذْ لَمْ تُجْرِهِ ولَأعْرِفَنَّ الوَجْدَ إذ لَمْ تَعْرِفِ
وأنا المُعَنَّفُ فى الصَّبَابَةِ والصِّبَى وعليهما إنْ كُنْتَ غَيْرَ مُعَنَّفِ[1]

فأراد من صاحبه أن يَدْنَفَ كَدَنَفِهِ ، كما أراد أبو تمام من صاحبه أن يُقاسِمَه فَرْطَ الصَّبابَة .

وقد قال كُثَيِّر :

خَلِيلَيَّ هــذا رَسْمُ عَزَّةَ فَاعْقِلاَ قَلُوصَيْكُما ثُمَّ ٱبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ[2]

فأراد هذا أيضاً من خليله أن يبكيا على رَسْمِ عَزَّة .

وقال أبو تمام – فجرى على المنهج المستقيم فى مخاطبة الأصحاب – :

مَا فِى وُقُوفِكَ ساعةً مِنْ باسِ نَقْضِى ذِمَامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ[3]
فَلَعلَّ عَيْنَكَ أنْ تَجُودَ بمَائِها والدَّمعُ منه خَاذِلٌ ومُوَاسِى[4]
لا يُسْعِدُ المشْتَاقَ وَسْنَانُ الهَوَى يَبِسُ المَدَامِعِ باردُ الأَنْفاسِ[5]

فقال : «وسنان الهوى»[6] أى نائم الهوى ، أى من لا هوى له ، فهو يَبِسُ المدامع بارد[7] الأنفاس ، فلا يكون منه إسعاد .

ومن كان فى قلبه هوى فأنفاسه حارّة لحرارة قلبه . فأتاك ههنا بعين الصواب ، وحقيقة أمر الصاحب . فأحسن وأجاد .

---

(١) ديوانه ٦٧٦ : « إذ كنت » والصناعتين ٤١٢
(٢) ديوانه ١/٣٦
(٣) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢/٢٤٢ . وانظر ص ٢١٠ و ٤٣٠ و ٤٣٥
(٤) م « فلعل عندى » وفى الديوان « أن تمين »
(٥) م « رشفان الهوى »
(٦) م « أى »
(٧) م « بارك »

ومثله قول البحترى :

يَأْبَى الخَلِىُّ بُكاءَ المَنْزِلِ الخَالِى والنَّوْحَ فى دِمَنٍ أَقْوَتْ وأَطْلَالِ[1]

وذُو الصَّبَابَةِ ما يَنفَكُّ ينْصِبُهُ وجْد تأَبُّدُ آىِ الدِّمنَةِ الخَالِى[2]

قوله : « تأَبُّدُ » أى صار فيها أَوابِدُ الوحش . ويقال : تأَبَّدَ المنزلُ : إِذا طال عليه الأَبد .

ونحو هذا قول أَبى تمام أَيضاً :

أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ البَيْنِ لم يُضِفْ رَسِيسَ الهَوَى بينَ الحَشَاوالتَّرَائِبِ[3]

أَعِنِّى أُفَرِّقْ شَمْلَ دَمْعِى فإِنَّنِى أَرَى الشَّمْلَ منْهم ليسَ بالمُتَقَارِبِ

ومَا صارَ يَوْمَ الدَّارِ عَذْلُك كُلُّهُ عَدُوِّىَ حَتَّى صار جَهْلُكَ صَاحِبِى[4]

ومَا بِك إِرْكَابى مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَباً أَلاَ إِنَّما حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّكَائِبِ

فَكِلْنِى إِلى شَوْقِى وسِرْ يَسِرِ الهَوى إِلى حُرُقَاتى بالدُّمُوعِ السَّوَارِبِ

قوله : « أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ البَيْنِ » أى التمست المعونة والمساعدة فى الوقوف على الدار معى مِمَّنْ لَمْ يَذُق مُفارَقَة الأحباب ولم يعرف الهوى ؛ كأَنه ينكر ذاك على نفسه .

والقُرْحَان : هو الذى لم يخرج به الجُدَرِىّ . وليس به آثارُه ولا آثارَ غيرِه من القرح . وقيل له قُرْحَان ، على العكس ، كما قيل للأَسود : أَبو البَيْضَاء ، والمَهْلَكة : مفَازَة ، ونحوهذا . فجعل أَبو تمام من لم يعشق ولم يفارق الأَحباب قُرْحَاناً ، على التشبيه . كما قال جرير :

---

(١) لم يرد البيتان فى ديوانه طبع بيروت . وهما فى طبعة المعارف ٢/١٧٢٠ وفيهما « فى أرسم أقوت »

(٢) فى م « وجد »

(٣) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزى ١/٢٠٦

(٤) م « جهلك ما حبى »

* لَوْ كُنْتُ مِنْ زَفَرَاتِ الحبِّ قُرْحَانَا[1] *

ثم قال :

وما صَارَ يَوْمُ الدارِ عَذْلُكَ كلُّهُ عَدُوًّا حتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي

فأراد أنه قد عَذَلَه على الوقوف والبكاء وأنه كره عَذْله وشق عليه ، فصار عَذْلُه عَدُوًّا له . وإنما أراد عداوته فى نفسه . ثم قال : «حتى صار جهلُك صَاحِبِي» ، أى إنما استفرغت عَذْلَك وأنهيت فيه حتى انطلقتُ معك فصار جهلُك صاحبى ، وإنما أراد حتى اصْطَحَبْتُكَ على جهلك بحالى وأنك غير مُجَانِسى ولا على سَجيّتى وطباعى فى الهوى وتجربته .

ثم قال : «وَمَا بِكَ إِرْكابِى مِنَ الرُّشْدِ مرْكَباً» أى لم تقصد بعذلك إياى قَصْدَ من يريد رُشْدى وصَرْفى عن الهوى وتسليتى ؛ وإنما حاولت رشد الركائب ، يعنى الإبل ، وهى جمع رُكُوبَة ، لئلا يطول وقوفها فى الدار وتردُّدها واحتباسها ، فيتضاعف كَلاَلُها ويشقُّ ذلك عليها .

ثم قال : «فَكلْنِى إلى شَوْقِى وسِرْ يَسِر الهَوَى إلى حُرَقَاتِى» .

فإما أن يكون قال له هذا قبل أن ينطلق معه أى سِرْ أَنْتَ ودعنى ؛ أو يكون قال هذا وهو سائر معه لَمَّا علم أنه لا يقف عليه ، وأنه ماض وتاركه ، كما يقول المُكْرَه : والله ما أريد التوجه ، وهو متوجه .

وهذا من معانى أبى تمام التى يسأَل الناسُ عنها ، وليس له إن شاء الله وجه غير ما ذكرتُه .

وهذه العَوِيصات فى الشعر هى شَرُّ مذاهبه ، وأرداها وأقلها حلاوة .

ومن ردىء ما جاء به فى هذا الباب ، قولُه :

---

(١) ديوانه ٥٩٤ وصدره : «وكاد يوم لوا حواء يقتلنى»

ما عهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ المَشُوقِ كيفَ والدَّمعُ آيةُ المَعْشُوقِ(١)

كأنه يقول لنفسه : ما عهدنا كذا نحِيبَ المَشُوق ؛ أو أن يكون حكى قول أصحابه . وأراد أن يقول : بكيتُ فانتحبتُ ، فقالوا : ما عهدنا كذا نَحيبَ المَشُوق . وأراد أن يقول : فقلت لهم : كيف والدمع ، فاقتصر على حكاية كلامهم وجوابه ، وأسقط قالوا ، وفقلت . وكان الأجود أن يَقُولَ : آية العاشق ، لأن من علامات المحب البكاء . وقال : آية المعشوق ، أى أن دمعي علامة لمن أحبه فى أنى عاشقه . وهذا لا يكون جواباً صحيحاً عما أنكروه عليه من شدة نحيبه . لأنه لم يبك ليعلمها أنه عاشق . وإنما بكى من شدة وجده . وإنما كان يصح أن يكون جواباً عنه أن لو كان صدر البيت :

* حَسِبْتَنِي فى الحبِّ غير صدُوقِ *

فيقول :

* كيفَ والدمعُ آيةُ المَعْشُوقِ *

أى كيف لا أكون صدوقاً فى حبي ودمعي آية لك يشهد بأنى محب .

فهذا كان وجه هذا .

وعلى أن آية العاشق ههنا أيضاً أجود .

والدليل على أن قوله :

* مَا عَهِدْنا كذا نَحِيبَ المَشُوقِ(٢) *

إنما هو حكاية كلام من عنفه على النحيب – أنه وصله بأن قال :

فَأَقِلاَّ التَّعْنيفَ إنَّ غَرَاماً أَنْ يكونَ الرفيقُ غيرَ رَفيق

---

(١) ديوانه ٢١٥ وشرح التبريزى ٢/٤٣٠ ويروى : « كذا بكاء المشوق » وقد نقل التبريزى عن أبي العلاء المعرى أنه قال فى شرحه : « أنكر على نفسه النحيب ، ثم قال : كيف ، وكأنه مريد للقاء أى فكيف لا أنتحب والمعشوق قد بكى ؟ ! » وهذا خطأ منه عجيب

(٢) م « المعشوق »

وَاسْتَمِيحَا الجُفُونَ دِرَّةَ دَمْعٍ   فى دموعِ الفراقِ غَيْرِ لَصِيقِ
إنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعو   نٌ ومَنْ عَقَّ مَنْزِلاً بالعَقِيقِ
وَقِفَا العِيسَ مُلْقِياتِ المَثَانِى   فى مَحَلِّ الأَنيقِ مَغْنَى الأَنِيقِ[1]

قوله : «أَنْ يَكُونَ الرفيقُ غير رَفِيق» أى أن يكون جافياً عَسُوفاً غير رفيق بمن يصاحبه .

وقوله : «فى دموع الفراق غير لَصِيق» أى ابكيا بدمعٍ لا يشبه دمع مَنْ فارق أَحبابَه ، أَى ابكيا وإن لم يكن وراءَ البكاء حرقة ، ولا لاعِجُ هوى ، أَى على وجه الإِسعاد . فأَورده بهذا اللفظ الردىء .

وقوله : «إنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْه لَمَلْعُونٌ» البيت ــ من أَحمق المعانى وأَسخفها وأَقبحها . وقد زاد فى الحمق بهذا المعنى على معنى البيت الذى قبله ، وطَمَّ عليه وعلى كل جهالاته فى معانيه ؛ لأَنه لم يقنع بأَن يبعث صاحبيه على الوقوف معه والوقوف على المنزل ، والبكاء حتى جعل كل من يقف ويعرج كائناً من كان من الناس : من خاص وعام ، وباد وحاضر ، ومجتاز وغير مجتاز ، ومفارق لأَحبابه وغير مفارق ــ مَلْعُوناً إذا لم يقف على المنزل بالعَقيق ؛ لأَن ظاهر المعنى العموم ، وما المستحق والله للعن[2] غيره ، إذ رضى لنفسه بمثل هذا السخف .

وقوله : «فى محل الأَنيق مغنى الأَنِيقِ» قول مَالِبرْدِ[3] معناه ولفظه نهاية.

* * *

---

(١) فى شرح التبريزى «أى منحلات الأنساع ، والمثانى الحال ، أى قفاها فى محل حبيبى ، ومغنى الأنيق : منزل المحبوب»

(٢) م «للعين»

(٣) م «ما أبرد معناه»

وقال أيضاً :

نُحِرَتْ رِكابُ القَوْمَ حتى يَغْبُرُوا رَجْلى . لقدْ عَنُفُوا عَلَىَّ ولاَمُوا[١]

وَقَفُوا عَلَىَّ اللَّومَ حتى خَيَّلوا أَنَّ الوُقُوفَ عَلَى الدِّيارِ حَرَام

وهذا معنى جيد حسن صحيح .

وقال أيضاً :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إدْمَانِى على الدِّمَنِ وحمْلِىَ الشَّوْقَ مِنْ بادٍ ومُكْتَمِنِ[٢]

لا تُكْثِرَنَّ ملاَمِى إنْ عَكَفْتُ عَلَى رَبْعِ الحَبِيبِ فلم أَعْكُفْ على وَثَنِ

سَلَوْتُ إنْ كُنْتُ أَدْرِى ما تَقُولُ إذًا جعلت أَنْمُلَةَ الأَحْزَانِ فى أُذُنِى[٣]

وهذا أيضاً معنى حسن ولفظ جيد .

وقوله : «أنملة الأحزان» أى يشغلنى حُزْنى عن أن أفهمَ ما تقول .

وقال أيضاً :

أَجَلْ أَيُّها الرَّبْعُ الذى حَفَّ آهِلُهْ لقد أَدْرَكَتْ فيكَ النَّوَى ما تُحاوِلُهْ[٤]

وَقَفْتُ وأَحْشائِى مَنازِلُ لِلأَسَى به وهْوَ قَفْرٌ قد تَعفَّتْ مَنازِلُهْ

أُسَائِلكُمْ ما بالهُ حَكَمَ البِلَى عليـه ، وإلاَّ فاترُكونِى أُسائِلُهْ

وهذ المعنى فيه اضطراب ؛ لأنه قال : أسائلكم[٥] ما باله حكم البلى عليه وإلا فاتركونى أسائله . فما هذه المساءلة منه أو للربع فى أن حكَمَ البلى عليه وهو قد قدَّمَ السببَ الذِى من أجله بكى ، وشرحه فى البيت الأوَّل بقوله :

---

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣/١٥٠ « يغبروا : يبقوا ، رجلى : جمع راجل . وإنما دعا عليهم بنحر ركابهم ليتلبثوا فى الديار فيقضى وطره من التسليم ، ويكون نحرها جزاء لهم على لومهم إياه »

(٢) ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣/٣٣٧ وفى م « وجهلى الشوق »

(٣) ويروى : « إذن مجت مقالتها فى وجهها أذنى » .

(٤) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٣/٢١

(٥) م « أسائله »

خَفَّ آهِلُه ، ويقول : « لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله » . وهذا هو الذى أبلاه ؛ لأنه إذا فارق أهله ، وتَعَفَّت منازله ــ فقد خرب وبلى .

وقال أيضاً :

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ لم يُبْقِ لى طَلَلاً إلاَّ وفيه أَسًى تَرْشِيحُهُ الذِّكَرُ[1]

قالوا : أَتَبْكِى عَلَى رسْمٍ ؟ فقلت لهم : من فاتَهُ العَيْنُ هدَّى شَوْقَهُ الأَثَرُ[2]

قوله : «لم يُبْق لى طَلَلاً» ، والطلَلُ : ما شخص من آثار الديار ، والطلل : شَخْصُ الإنسان وقامته . يقال : ما أحسن طَلَلَه . وإنما يريد طلل الدار . أى لم يبق لى طللاً فى ديارى ومواطنى التى فارقتها ، وأخليتها ، وعكفت عليه ــ إلا وفيه أَسًى أى حزن من أهلى الذِين فارقتهم علَىَّ . تَرْشِيحُه الذكر : أى تنميته ، وتربيته الذكر . أى ذكرهم لى[3] يرشح الحزن على أن يمسكه ، ويحفظه ، ويقوم عليه حتى يبقى ولا يذهب .

* * *

ولا يجوز أن يريد بالطلل جملة شخصه وقامته ؛ لأن ذلك يكون مثل قولك : ما لزيد جسد إلا وفيه أثر ، وما له رأس إلا وَفيه شَجَّة . وهذا خطأ ؛ إذ ليس له إلا رأس واحد ، وجسد واحد . والبيت الثانى جيد بالغ .

* * *

وقال البحترى :

لَعَمْرُ المَغَانِى يَوْمَ صَحراءِ أَرْثَدِ لقد هَيَّجَتْ وَجْدًا عَلَى ذى تَوَجُّدِ[4]

---

(١) ديوانه ١٤٩ وشرح التبريزى ٢/١٨٥

(٢) سبق ص ٥٣٤ وغيرها

(٣) م « لى لم يرشح »

(٤) ديوانه ٢٣٠ ، ٢/٧٧١ « أربد » وسبق البيت ص ٤٦٢

مَنَازِلُ أَضْحَتْ للرياح مَنَازِلًا   تَرَدَّدُ منها بَيْنَ نُؤْىٍ ورِمْدَدِ[1]
شَجَتْ صاحِبِى أطلالُها فتَهَلَّلَتْ   مدامعُه فيها وما قُلْتُ : أَسْعِدِ

وهذا لعمرى صاحب حَسَنُ الصحبة ، ولعله كان له شَجَن وهوى ، فلمّا وقف على الديار تذكَّر أَحبابَه فبكى .

وقال أيضاً :

خُذَا مِنْ بُكَاءٍ فى المنازل أَودَعَا   ورُوحَا عَلى لَوْمِى بِهِنَّ ، أو ارْبَعَا[2]
فما أنا بالمُشْتَاقِ إن قُلْتُ : أَسْعِدَا   لِنَنْدُبَ مَغْنًى مِنْ سُعَادَ ومَرْبَعَا
وَلِى لَوْعَةٌ تَسْتَغْرِقُ الهجْرَ والنَّوَى   جَمِيعاً وَدَمْعٌ يُنْفِدُ الحبَّ أَجْمَعَا[3]

وهذا معنى آخر ذهب إليه فى الإسعاد حسن جدًّا .

ونحو هذا قوله :

فالدارُ تَعْلَمُ أَنَّ دَمْعِى لم يَغِضْ   فأَروحَ حَامِلَ مِنَّةٍ مِنْ مُسْعِدِ[4]
ما كان لى جَلَدٌ فَيُودى إنَّما   أَوْدَى غَدَاةَ الظَّاعِنِينَ تَجَلُّدِى

وقال أيضاً على السبيل التى سلكها أبو تمام :

يا أخا الأَزْدِ ما حَفِظْتَ الإِخاءَ   لِمُحِبٍّ ، ولا رَعَيْتَ الوَفَاءَ[5]
عَذَلًا يَتْرُكُ الحنينَ أنيناً   فى هَوًى يَتْرُكُ الدُّموع دِمَاءَ
لا تَلُمْنى على البكاءِ فإنِّى   نِضْوُ شَجْوٍ ما لُمْتُ فيه البكاءَ
كيف أَغْدُو منَ الصَّبَابةِ خِلْوًا   بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيارُ خَلاَءَ

---

(١) ٢ / ٧٧١ المعارف كذا فى م ، ق وفى الديوان « رمدد » يقال : رماد رمدد : أى كثير دقيق جداً .

(٢) ديوانه ٧٠٢ ، ٢ / ١٢٦٣ وسبق ص ٤٦٨

(٣) كذا فى م ، ق وفى الديوان « وحب ينفد الدمع »

(٤) ديوانه ٤٥٩ .

(٥) ديوانه ٧١٢ « ولا ذكرت الوفاء » وفى م « ياذا الأزل »

قف بهـــا وقفة تُرَدِّدْ عليها أَدْمُعاً رَدَّها الجَوَى أَنْضَاء[١]

قوله : «نِضْو شَجْو ما لُمْت فيه البُكاء» — من المقلوب ، وكان يجب أن يقول : ما لمته فى البكاء ؛ فقال : ما لمت البكاء فيه .

ومثل هذا فى الشعر كثير . وإنما كان يصدر عن العرب على سبيل السَّهو ، ولا يسوّغه متـأخر . ومنه ما هو حسن ، وقد جاء مثله فى القرآن .

فإن قيل : إن لفظ البيت مستقيم ، وهو[٢] مستغن بمعناه ولفظه عن أن يُتَـأَوَّل فيه القلب . وذلك أن البكاء ليس هو شيئاً غير سكب الدموع ، وجريها على الخدود . فكما تلوم العين على بكاها ، وتلوم الدمع على انحداره مجازًا — فكذلك تلوم البكاء مجازًا .

قيل : هذا عدول عن القياس وصحيح التمثيل ، وإنما كان ينبغى أن يقول : فكما تلوم انحدار الدمع الذى هو البكاء . فكذلك تلوم البكاء . هذا وجه المعارضة . فإن كنت تلوم انحدار الدمع فقد صح اعتراضك ، وإن كنت لا تلومه ، وهو البكاء ، فلم تلوم البكاء .

ومع هذا فقد جرت العادة بلوم العين على البكاء ، ولوم الدمع على الانحدار ، ولَوْمِها أيضاً على الامتناع ، وقالت الشعراء فى ذلك ما هو معروف مشهور . ومنه قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَة يبكى أخاه مَالِكاً :

عذرتك يا عينى الصحيحة فى البكا فما أَنْتِ يا عَوْرَاءُ والهَمَلَانِ[٣]

---

(١) كذا فى ق وفـ م « تودد » وفى الديوان : « ترد »

(٢) م « وما هو »

(٣) البيت غير منسوب فى أمالى اليزيدى ١٤٩ وقبله :

بكيت بعين لم تخنها ضمانة وأخرى بها ريب من الحدثان

فعذر [عَيْناً] (١) ولام أُخرى .

وقال بعض المتأخرين (٢) :

لا جَزَى اللهُ دَمْعَ عيْنِيَ خَيْرًا   وجزَى الله كلَّ خيرٍ لِسَانِي

كنتُ مثلَ الكتابِ أَخْفَاهُ طَيٌّ   فاستدلُّوا عليــه بالعُنْوانِ

فلام هذا دمعه ؛ لأنه فضحه ، كما لام ذلك عينه . وما علمنا أحدًا لام البكاء . ومعنى ذلك مفهوم ؛ لأن البكاء قد جعل فعلاً للعين على المجاز ، والسيلان فعل الدمع ، فيقال : بكت عيني ، وسال دمعي . فإذا لُمْنا العين على بكاها ، ولُمْنَا الدمع على انحداره – كان ذلك حسناً جميلًا ؛ لأنا إنما لُمْنَا فاعلًا على فعله ، كما نَلُومُ الفاعل الذى فعله حقيقة على فعله ، ولكن لا نَلُوم فِعْلَه ؛ لأنا إذا لُمْنَا الباكى على أن فَعَلَ البكاء ، فنلوم البكاء على أن فَعَلَ ماذا ؟

فإن قيل : على أن كثر واتصل منه .

قيل : فهل سمعت أحدًا قط قال : يا بكاء – لم كثرت ، ولم اتصلت ؟ كما يقال يا عين لم بكيت ؟ فإني ما أظن أن أحدًا يقدر أن يقول : إنه سمع بهذا . وذلك أن الإكثار والاتصال إنما هما حركات الفاعل بالفعل ، فالباكى هو الذى أكثر البكاء وواصله ، لا أن البكاء فَعَل ذلك بنفسه . فالمجاز لا يتسع لأن نلوم البكاء كما نلوم العين ، ولا لأن نلومَ انحدار الدمع كما نلوم الدمع ، ولا تنتهى الاستعارة إلى هذا الموضع .

ولو حملنا البكاء الذى هو فِعْلُ الفاعل على المجاز فلمْنَاه كما نلوم الباكى ، لَحسُنَ أيضاً أن نلوم الجزع كما نلوم الجازع ، ونلوم الغضب

---

(١) الزيادة من ق

(٢) هو العباس ، بن الأحنف ، كما فى ديوانه ٢٨٢

كما نلوم الغضبان ، ونلوم الضحك الذى هو ضد البكاء كما نلوم البكاء .

وما أكثر ما تُحْمَلُ الأشياء على أضدادها ، وما علمت مثل هذا جرى فى توسع ولا مجاز : لأن « لمت » ليس هذا موضعها ، وإنما هو موضع أحمدت ، وذممت [وكرهت][1] وأنكرت ، وأشباهها . وهذه حقائق[2] . وليس كل شىء يحْمَلُ على المجازات .

فإن استجزنا أن نلوم البكاء فينبغى أن نلوم أيضاً الضرب ، والقتل ، والقيام ، والقعود ، والركوب ، والنزول ، والأكل ، والشرب ، وسائر أفعال الفاعلين ، ونعذلها أيضاً ، ونوبخها ؛ لأن العَذْل والتوبيخ فى معنى اللوم . ونلوم أيضاً النَّحِيب ، والشهيق ، والزَّفير ، والتَّشيج كما نلوم البكاء .

وإذا لمنا أيضاً اليد على أن لم يشتد قبضها على الشىء مجازًا ـ لُمْنَا القبض أيضاً مجازًا ، وكذلك الرِّجْل إن لمناها على أن عجزت عن المشى ، لُمنَا المشىَ أيضاً ، وعنَّفناه ، وركَّبْنَا مجازًا على مجاز ، وتوسُّعاً على توسُّع . وهذا ما لم يُسْمَع بمثله فى لغة من اللغات .

فعلى كل الأحوال حَمْلُ بيت البحترى على القَلْب الذى قد استعملته العرب فى مجازاتها ، ونطق به القرآن بوجه منه حسن ، وسطَّره أهل العلم بكلام العرب فى كتبهم ـ أوْلَى من حمله على وجه غير مستعمل ، ولا معروف، ولا سائغ .

وقد قال المبرد : إن العرب كانت تستعمل القلب لاختصار الكلام ، وإقامة الأوزان ، وإصلاح القوافى[3] . وأنشد لِلْفَرَزْدَق يصف ذئباً :

---

(١) الزيادة من ق

(٢) م « وهذه حقاق »

(٣) م « القول »

وأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبا رَفَعْتُ لِنَارِى مَوْهِناً فَأَتَانِى[١]

وقال[٢] : أراد رفعت له نارى . فقَلَبَ[٣] . فهذا الآن يقول : إن الوجه من القلب الذى ذكر بعض أهل اللغة أنه جاء فى كلامهم على سبيل السهو والغلط - أنهم كانوا يفعلونه اعتمادًا . وإذا اعتمدت العربُ الشىء ضرورة لم يكن ذاك لمتأخر .

وههنا مع هذا وجهان قويان جيدان يحتملهما بيت البحترى ، ويجرى على تأليف لفظه ، لا على القَلْب :

أحدهما : أن يكون أراد : لا تلمنى على البكاء فإنى ذو حزن ما لمت فيه على البكاء . فأسقط « على » كعادة العرب الجارية فى حذف حروف الصفات للإيجاز والاختصار فوصل الفعل إلى البكاء فنصبه . وهذا معنى قريب جدًّا . ومثل قولهم : جزيتك إحسانَك ، أى على إحسانك ، وعن إحسانك . وقولهم نزلْتُكَ ، بمعنى نزلت عليك ، ونزلت[٤] بك . وهذا من أفصح اللغات وأبلغها ، وهو مسطور فى كتبهم . وكذلك شغبتك بمعنى شغبت عليك[٥] حكاها أبو زيد .

ومما هو جائز [وجار][٦] فى كلامهم - كلام أهل البدو والحضر - قولهم : بكَيْتُ فلاناً ، بمعنى بكيت عليه .

وأنشدنا « أبو الحسن الأخفش » قِرَاءةً عليه فى الكتاب الكامل عن المبرد لأعرابى :

---

(١) الكامل ٣٢٠/١

(٢) الكامل ٣٢٢/١

(٣) م « فقلت »

(٤) م « ونزله بك »

(٥) م « شغب عليك »

(٦) الزيادة من ق

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فإنِّى وناقَتِى ... بِحَجْرٍ إلى أَهْلِ الحِمَى غَرِضَانِ[١]

تَحِنُّ فَتُبْدِى ما بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ ... وأُخْفِى الذى لَوْلَا الأُسَى لقَضَانِى

أراد لقضى على . قال المبرد : فأخرجه لفصاحته ، وعلمه بجواهر الكلام أحسن مُخْرَج[٢].

وقال عَنْتَرَة :

ولَقَدْ أَبِيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّهُ ... حتى أنالَ به كريمَ المأْكَلِ[٣]

أى أظل عليه .

قال : ومثله قول الله تعالى : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سبْعِينَ رَجُلاً﴾[٤] أى من قومه .

وقول الشاعر :

أَمرْتُكَ الخيرَ فافعل ما أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تركتُكَ ذا مَال وذَا نَشَبِ[٥]

أى أمرتك بالخير .

وقول الفَرَزْدق :

ومِنَّا الذى اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً ... وجُودًا إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ[٦]

أى من الرجال . وأشباه لهذا كثيرة .

---

(١) الكامل ١/٣١ وبعده فيه :

هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى ... وإنى وإياها لمختلفان

وفى م « الحمى غير صاف »

(٢) الكامل ١/٣٢

(٣) ديوانه ١٠٠

(٤) سورة الأعراف : ١٥٥

(٥) البيت لأعشى طرود ، واسمه إياس بن عامر ، كما فى الكامل ١/٣٢

(٦) ديوانه ١/٥١١ والكامل ١/٣٢

وأنشد أبو مِسْحل :

سقَى اللهُ مَنْ يَسْقِى حَمَامَةَ دارِهَا على فُرْضَةٍ من ماء شُرْبٍ يَقُومُها[١]

أراد يقوم عليها . وقال : يقال : قام فلان اليوم الماء بين القوم . إذا قسمه بينهم . ومعناه ؛ قام على الماء . فلما حذف « على » نصب .

فكذلك قول البحترى : ما لمت فيه البكاء ، أى على البكاء .

والوجه الآخر : أن يكون أراد : لا تلمنى على البكاء فإنى ذو حزن مالمت فيه ذوى البكاء ، وأهل البكاء . فأسقط المضاف فوصل الفعل إلى البكاء فنصبه . وذلك على عادة العرب المستمرة فى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَه ﴾[٢] أى أهل ناديه . ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾[٣] أى أهل القرية . وقول مُهلهل :

* واسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ[٤] *

أى أهل المجلس . وقول الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴾[٥] أى برّ من آمن بالله . وقوله تعالى جَده : ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾[٦] أى ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات .

وأوكد من ذلك كله قول الله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فى قُلُوبِهِمُ العِجْلَ ﴾[٧] . أى حب العجل .

وكذلك أراد البحترى : لا تلمنى على البكاء ؛فإنى ما لُمْتُ فى هذا الحزن ذا بُكَاء ، أو أهل البكاء . وأسْقَطَ « أهل » ، وأقام البكاء مقامه .

---

(١) الفرضة : المشرعة التى يستقى منها

(٢) سورة العلق : ١٧

(٣) سورة يوسف : ٨٢

(٤) صدره : « نبئت أن النار بعدك أوقدت »

(٥) سورة : البقرة ١٧٧

(٦) سورة : الإسراء ٧٥

(٧) سورة : البقرة ٩٣

وهذا يستوى فيه القدماء والمتأخرون جميعاً ؛ لأنه خارج عن الضرورة .

فهذان وجهان فى غاية القوة والصحة . والمعنى : لا تلمنى على البكاء ؛ فإنى ما لمت فى هذا الشجو باكياً . لأنه يحق فى مثله البكاء ؛ لعظم تأثيره فى النفس ، وتَخَوُّنِهِ (١) للجَلَد ، وذهابه بالصبر ، ونحو هذا .

وقوله بعده :

كيف أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خِلْوًا	بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيارُ خَلاَءَ

أى لا تلمنى على البكاء ؛ فإنى [إن] (٢) لم أبك وقد خلت الديار من أهلها فلست ذا صبابة . يقول : إنه يكون إن لم يبك والخلِي الذى ليس فى قلبه هوى ، بمنزلة واحدة . وإذا خَفَّف البكاءُ من صبابته فقد قضى حقَّ المحبة على كل حال .

* * *

وقال البحترى أيضاً :

أَحْرَى الخُطُوبِ بِأَنْ يكُونَ عَظِيماً	قَوْلُ الجهولِ : أَلاَ تَكُون حَلِيمَا (٣)
قَبَّحْتَ مِنْ جَزَعِ الشَّجِيِّ مُحَسَّنًا	ومَدَحْتَ مِنْ صَبْرِ الخَلِيِّ ذَمِيمَا

وقال أيضاً :

مَاذَا علَيْكَ مِنَ انْتِظَارِ مُتَيَّمٍ	بَلْ ما تَضُرُّكَ وَقْفَةٌ فى مَنْزِلِ (٤)
إِنْ ـِيلَ عَىٌّ عنِ الجَوَاب فلم يُطِقْ	رَجْعاً فكيفَ يكونُ إِنْ لَمْ يُسْأَلِ
لا تَكْلِفَنَّ لَىَ الدُّمُوعَ فإن لى	دَمْعاً يَتِمُّ علىَّ إِنْ لَمْ يَفْضُلِ (٥)

(١) م ، ق « وتخوده » والتخون : التنقص

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوانه ٢٨٦/١ ، ١٩٦٤/٣ وفى م « ألا أن يكون » . وقد سبق الأول ص ٤٦٨

(٤) ديوانه ٧٣١ ، ١٧٤٣/٣

(٥) م « فى الدموع » وفى الديوان « يتم عليه »

قوله : «يتم على إن لم يفضل» مثل قوله :

* ودمع ينفد الحب أجمعا[1] *

ومثل قوله أيضاً :

سارت مُقَدِّمةُ الدُّموعِ وخلَّفَتْ حُرَقاً – تَوَقَّدُ فى الحشا ما تَرْحَلُ[2]

إنَّ الفراقَ كما عَلِمْتَ فَخَلَّنِي ومَدامِعاً تَسَعُ الفِراقَ وتَفْضُلُ

قال : «سارت مقدمة الدموع وخلَّفت حرقاً» . ثم قال : «فخلَّنى ومدامعاً تسع الفراق وتفضل» ومقدّمة الشىء ليس هو الشىء بأسره . إنما مقدمة الجيش : ما يتقدمه من جملته ، ويبقى سائره متأخرًا . فقال : «رحلت مقدمة الدموع» . يعنى يوم المفارقة . ثم قال : «فخلنى ومدامعاً» يريد جملة الدمع المتأخر الذى هو مَقْرُون بالحُرَقِ المقيمة التى ذكرها .

وقال فى نحوه أيضاً :

خَلِّيَاهُ وَوَقْفَةً فى الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ الْمَكْتُومِ[3]

وَدَعَاهُ لاَ تُسْعِدَاهُ بِدَمْعٍ حَسْبُهُ فَيْضُ دَمْعِهِ المَسْجُومِ

سفَهٌ منكما وإفراطُ لُـؤْمٍ أَنْ تلُومَا فى الحبِّ غيرَ مُلِيمِ

وقال فى نحوه أيضاً :

إن تِلكَ الطُّلُولَ مِنْ وَهَبِيْنَـا أَحْزَنَتْ خالياً ، وزادتْ حَزِينَا[4]

فاتركانى فمـا أُطِيعُ عَذُولاً وَاخْذُلاَنِى فما أُرِيدُ مُعِينَا

وقال أيضاً :

ومن الجهـالة أَنْ تُعَنِّفَ بَاكياً وقَفَ الغليلُ به على مَجْهولِهَا[5]

(١) سبق ص ٥٤٩

(٢) ديوانه ٢٥ . وفيه ٣/١٧٥٣ «سالت»

(٣) ديوانه ٥٩٤

(٤) ديوانه ٢٤٥ . ٤ /٢١٦٢ المعارف

(٥) ديوانه ٣٤٥ وفى ٣ /١٧٧١ «وقف الغرام» وفى م «ومن الجهال»

إن الدموعَ هى الصّبابةُ فاَطّرِحْ بعضَ الصّبابةِ تَسْتَرِحْ بِهُمُولِهَا

وهذا معنى حسن معروف . والدموع ليست الصبابة ؛ لأن الصبابة ؛ رقّة الشوق ، وإنما يبكى الباكى من شدّة صبابته . ولمّا كانت الصبابة تخِفُّ بالبكاء ، وتذهب بذهاب الدمع – قال : إن الدموع هى الصبابة . أى إنها تذهب بذهابه . وتمضى بمضيه . أى فدعنى أبكى ؛ فإنى أستريح بِهُمُولِ الدّمع .

وقال أيضاً :

وما اَنْفَكَّ رَسْمُ الدارِ حتّى تَهَلَّلتْ دُمُوعِى وحتّى أكْثَرَ اللومَ صَاحِبِى[1]

وَقَفْنَا فلا الأطلالُ ردّت إجابةً ولا العذْلُ أجْدَى فى المَشُوقِ المُخَاطِبِ

تَمَادَتْ عَقَابِيلُ الهَوَى وتَطَاوَلَت لَجَاجَةُ مَعْتُوبٍ عليه وعاتبِ

وهذا معنى حسن ، ولفظ له ماء ورونق ، وهو أجود وأسلم من قول أبى تمام :

وما صَارَ يومَ الدَّارِ عذْلُك كلُّه عَدُوَّىَ حتى صارَ جهلُك صَاحِبِى[2]

* * *

وقال أيضاً :

فى غير شَأْنِك بُكْرَتى وأَصِيلِى وسوى سبيلكَ فى السُّلو سبيلى[3]

بخلتْ جفونُك أن تكونَ مُسَاعِدِى وعلمْتَ ما كَلَفِى فَصِرْتَ عَذُولِى[4]

جارَ الهوى يوم اَسْتَخَفَّ صَبابَتِى لِخَلِيِّ ما تَحْتَ الضلوعِ مَلُولِ

أى جار الهوى علىّ لِخَلِيّ ما تحت الضلوع . أى لخلىّ من الهوى . أى جار علىَّ له .

---

(١) ديوانه ١٥٣ ، ١ /١٠٨ معارف فائق ٤٧ ظ

(٢) سبق ص ٥٤٤

(٣) ديوانه ٥١٥ ، ٣ /١٨٣٨

(٤) فى الديوان : « فكنت عذولى »

وقال أيضاً :

ما أنتَ لِلْكَلِفِ المَشُوقِ بصَاحِب فاذْهَب على مَهْلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ[١]

عرفَ الدِّيارَ وقَدْ سَئِمْن من البِلى ومَلِلْنَ من صوْبِ السَّحاب الصَّائِبِ[٢]

فأَرَاكَ جَهْلَ الشَّوْقِ بَيْنَ مَعالِمٍ منها وَجِدَّ الدَّمْعِ بين مَلاعِبِ

قوله : «على مهل» لست أراه مفيدًا شيئاً ، وما أظنها إلا حشوًا . وهذا [من مواضع][٣] قولهم : فامض لشأنك ، وامض لسبيلك .

وقال أيضاً :

بَعضَ هذا العِتَابِ والتَّفْنِيـــدِ لَيْسَ ذَمُّ الوفاء بالمَحْمُود[٤]

ما بَكَينا على زَرُودَ ولَكِنْ نَا بَكَينَا أيَّامَنا فى زَرُودِ

ودُمُوعُ المُحِبِّ إنْ عَصَتِ العُذْ ذَالَ كانت طوْعَ النَّوَى والصُّدُودِ[٥]

وهذا من إحسانه المشهور [٦].

وقال أيضاً :

فيم ابْتدَارُكُمُ المَلَامَ وَلُوعَا أَبْكَيتَ إلَّا دِمْنَةً ورُبُوعَا[٧]

عَذَلُوا فَمَا عدَلُوا بِقلْبِكَ عَنْ هَوًى ونَهَوْا فَمَا وَجَدُوا الشَّجِىَّ سَمِيعَا[٨]

---

(١) ديوانه ٦٩٦ . ١ /١٥٨ معارف

(٢) فى الديوان : «من سقيا السحاب»

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوانه ٦٩١ . وسبق ص ٤٦٩

(٥) م «كانت طلوع»

(٦) م «المشهورة»

(٧) ديوانه ٢٥٧ وانظر ص ٩ و ٤٦٧ و ٤٧٦

(٨) فى الديوان «بقلبي . . ودعوا فما»

وقال أيضاً :

يا وَهْبُ هَبْ لأَخِيكَ وَقْفَةَ مُسْعِدٍ   يُعْطى الأَسَى مِنْ دَمْعِهِ المَبْذُولِ[١]

أَوَ مَا تَرَى الدِّمَنَ المُحِيلَةَ تَشْتَكى   غَدَرات عَهْدٍ للزَّمانِ مُحِيلِ

إنْ كُنْتَ تُنْكِرُها فَقَدْ عَرَفَ البِلى   قِدَماً مَعارِفَ رَسْمِها المَجْهُولِ[٢]

وقال أيضاً :

وَقَفْنَا فَحَيَّيْنا لِأَهْلِك باللِّوَى   رُبُوعَ دِيارٍ دَارِسَاتِ المَعَالِمِ[٣]

ذَكَرْنَا الهَوَى العُذْرِيَّ فيها فأُنْسِيَتْ   عَزَاها مَشُوقاتُ القُلوبِ الهَوائِمِ

خَلعنَا بها عُذْرَ الدُّمُوعِ فأَقْبَلَتْ   تَلومُ وتَلْحِى كلَّ لاحٍ ولائم

وهذا كله على اختلاف معانيه ، جيد بالغٌ ، وحلو نادر .

وقال أيضاً :

ذَاكَ وادِى الأَرَاكِ فاحْبِسْ قَليلَا   مُقْصِرًا مِنْ صَبابَةٍ أَوْ مُطيلَا[٤]

قِفْ مَشُوقاً أَوْ مُسْعِدًا ، أو حَزيناً   أَوْ مُعيناً ، أَوْ عاذرًا ، أَوْ عَذُولَا

قد وسَّع البحترى على هذا الصاحب كل السَّعة . أى قف على أية حال كنت عليها من هذه الأَحوال ، ولو أَنْ تَعْذِل بعد أن تَتلَوَّم علىَّ ، ولا تنصرف عنى فإنى أحتمل عذلك . وهذه غاية النَّصفة . ثم أتبع هذا بأَن قال :

إنَّ بَيْنَ الكَثيبِ فَالجِزْعِ فَالآ   رَامِ رَسْماً لآلِ هنْدَ مُحيلاَ[٥]

أَبْلَت الريحُ والرَّوائحُ ، والأَيْـ   ـيَام منه مَعَالماً ، وطُلُولَا[٦]

---

(١) ديوانه ٦١٠ ، ٣/١٦٦٢ وسبق الأول ص ٤٣٥

(٢) فى الديوان « عرف الهوى » وفيه ص ١٦٦٢ « معارف ربعها »

(٣) ديوانه ٤٤٧ . وفى م « وقفنا محيينا لأهلك بالنوى »

(٤) ديوانه ٦٨٦ ، ٣/١٧٦٦

(٥) فى الديوان « ربعا »

(٦) م « أنلت الريح »

وخِلافُ الجميلِ قولُك لِلذَّا كِرِ عَهْدَ الأَحبابِ :صبرًا جَميلاَ

لا تَلُمْهُ على مُوَاصلَةِ الدَّمْـــــع فَلوْمٌ لَوْمُ الخَلِيلِ الخَليلاَ

عَلَّ مَاءَ الدُّمُوعِ يُخْمِدُ نارًا مِنْ جَوَى الحُبِّ ، أَو يَبُلُّ غَليلاَ

وبُكاءُ الدِّيارِ مِمَّا يُرَدُّ الشَّوْ قَ ذِكْرًا ،والحُبَّ نِضْوًا ضَئيلاَ

لمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَويلاً بِنُعْما نَ ولكِنْ كَانَ البُكاءُ طويلا

قوله : « أَبْلَتِ الرِّيحُ والرَّوائحُ » فالروائح : السحائب التى تمطر النهار بـأسره ، وتَرُوحُ عشيا .

وقوله : « مما يرد الشوق ذكرًا » أى يُخَفِّفه حتى يصير تذكرًا لا يُقلِق ، ولا يُزعج كإقلاق الشوق .

« والحُبَّ نِضْوًا » أى يردُّ الحبّ نِضْوًا . أى يخفف الهوى ، ويصغِّره ؛ لأنه يرى الدار ، وخُلوَّها من أهلها ، وييأس فيبكى ويستريح . فذلك هو تَصْغيرُ الحب .

وقوله : « لَمْ يَكُنْ يَوْمُنا طويلا بنعمان » ينبغى أن يكون هذا اليوم كان يومَ توديع لم يكن طويلاً ، لأن يوم مشاهدتهم ورؤيتهم لا يستطيله بل يستقصره . قال : « ولكنْ كانَ البُكاءُ طويلاً » .

وهذا خلاف قول أبى تمام :

* يَوْمَ الفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَويلاً[1] *

وأنا أستقصى الكلام فى هذا عند ذكر بيت أبى تمام فى « باب الفراق ».

* * *

---

(١) ديوان ٢٤٢ وشرح التبريزى ٣/٦٦

ومن جيد هذا الباب قول البحترى :

عَرِّجُوا فالدُّموعُ إنْ أَبْكِ فى الرَّبـ ـع دُمُوعِى ، والاكْتِئَابُ اكْتِئَابِى[١]
وكَمِثْلِ الأَحْبَابِ - لَوْ يَعْلَمُ العا ذِلُ - عندى منَازِلُ الأَحْبَابِ

وهذا نحو قول امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعاً .

ولا تَزِيدُ زيادةٌ فى لَوْمِ الأَصحاب على حُسْنِ قَوْلِ كُثَيِّر :

يقولُ خَلِيلِى : سِرْ بنا أَىَّ مَوْقِفٍ وقفت ، وجهل بالحليم المعَمَّم
تَلُومُ ولم تَعْلَم بأَسْرَارِ خُـلَّةٍ فتعذر إلاَّ عن حديث مُرَجَّمِ
فإن كنتُ لم أَجْهَلْ فَقَدْ لُمْتَ ظَالماً وإن كنتُ قد أَزْرَى بى الجَهْلُ فاَحْلَمِ[٢]

أراد أىّ موقف هذا الذى وقفته . يقول لى الأَحباب : سر أى موقف . كأَنه يحكى إنكار صاحبه عليه الوقوف .

* * *

(١) ديوانه ٥٦٣
(٢) م « لمت ظلما »

ما جاء عنهما فى ترك البكاء على الديار والنهى عنه

قال أبو تمام :

إنْ كَانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلاَلَهُمْ سبَلَ الشُّئُونِ فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودِ [1]
ظَعَنُوا فكانَ بُكَاىَ حَوْلاً بَعْدَهُمْ ثُمّ ارْعَوَيْتُ ، وذاكَ حُكْمُ لَبِيدِ
أَجْدِرْ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إطْفَـاؤُهَا بالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وُقُود

قوله : إن كان مسعود . يعنى مسعودًا أخا ذى الرُّمَّة ، ولا يعرف له بيت واحد بكى فيه على الديار . وهذا من معانى أبى تمام الغامضة التى يُسْأَلُ عنها . وما زلت أرى الناس قديماً يَخْبِطُونَ فيه . وإنما ذكر مسعودًا : لأنه كان ينهى ذا الرّمة عن البكاء على الديار . وذلك قول ذى الرُّمَّة :

عَشِيَّةَ مَسْعُود يقولُ وقد جَرى على لِحْيَتِي مِنْ وَاكِفِ الدَّمعِ قَاطِرُ [2]
أَفِى الدَّارِ تبكى إذْ بكَيْتَ صَبابَةً وأنت امروٌ قد حَلَّمتْكَ المَعاشِرُ

فأراد أبو تمام إن كان مسعود الذى أنكر على ذى الرُّمة البكاء ونهاه عنه . – قد رأى أن البكاء أحسن بعد أن كان عنده غير حسن – فَلَسْتُ منه . وذلك كقول القائل : إن كان حاتم قد شَحَّ فلست منه . أى إن كان بعد كرمه وجوده قد رأى أن البخل حسن – فَلَسْتُ مقتدياً به .

وكأن هذا عند أبى تمام أبلغ من أن يقول : إن كان غَيْلَان سقى أطلالهم – يعنى ذا الرمة – فلست منه .

---

(١) ديوانه ٨٢ وشرح التبريزى ١ /٣٩٠

(٢) ديوانه ٢٤٠ « من عبرة العين »

وهذا أيضاً من استقصاء أبي تمام ، ومبالغته فى المعانى التى يخرجها إلى التَّعْمِيةِ والانغلاق .

وقوله : «وذاك حُكْمُ لَبيدِ» يريد قول لَبيد :

إلىَ الحَوْلِ ثُمَّ ٱسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا   وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَد ٱعْتَذَرْ[1]

وقوله :

أَجْدِرْ بِجمْرَةِ لَوْعَةٍ إطْفَاؤُهَا   بالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وُقُود

— غلط بَيِّن ؛ لأنه أتى فيه بما يخالف مذهب أهل الجاهلية والإسلام ، والأمم كلها ؛ لأنهم مُجْمِعُون على أن فى البكاء راحةً من الكَرْب ، وتبريداً لحرارة الحزن ، وتَخْفيفاً من لاعِجِ المصيبة . و «طول خمود» أَوْلى بالصواب من «طول وقود» لو كان بنى المعنى عليه . وقد ذكرت هذا فى أغاليطه[2] .

وقال أبو تمام :

فعَلَيْهِ السَّلامُ لا أُشْرِكُ الأَطْ   لالَ فى لَوْعَتِى ، ولا فى نَحِيبِى

فسوَاءٌ إجابَتِى غَيْرَ دَاعٍ   ودُعَائِى بالقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ

قوله : «لا أُشْرِكُ الأَطلالَ فى لَوْعَتِى» أى أجعل ذلك خالصاً لأحبتى ، أى لا أقول كما قال امرؤ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فاستوقف ليبكى على الحبيب والمنزل معاً .

وقوله : «فسواء إجابتى» معنى لطيف . وقد ذكرته فى «باب استعجام الديار عن الجواب» ، وبَيْتَ البحترى الذى حذا على حذوه[3] .

---

(١) خزانة الأدب ٢ /٢١٧ ومجاز القرآن ١٦ وتفسير غريب القرآن ٧
(٢) راجع ص ٢٠٩
(٣) راجع ص ٣٢٤

قال البحترى :

يَسَلُ المنازلَ عنهمُ وعلى اللِّوَى دِمَنٌ دوَارِسُ إنْ تُسَلْ لا تُخْبِرِ[1]
ومن السَّفَاهَةِ أَنْ تَظَلَّ مُكَفْكِفاً دَمْعاً على طَلَلٍ تَأَبَّدَ مُقْفِرِ

وقال البحترى :

ما بكَيْنَا عَلَى زَرُودَ ولٰ كِنَّا بَكَيْنَا أَيَّامَنَا فى زَرُودِ[2]

وهذا حسن . وأحسن منه وأحلى وأعذب ـ قول كثير :

وَمَا بِرِبَاعِ الدَّارِ يا أُمَّ مَالِكٍ ولا بالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ أَهِيم
هى الدّارُ وحْشاً غير أنْ قَدْ يَحُلُّها ويَغْنَى بِها شَخْصٌ علىَّ كَرِيمُ

* * *

وقال البحترى :

لا تَقِفْ بِى عَلَى الدِّيارِ فإنِّى لَسْتُ مِنْ أَرْبُعٍ ورَسْمٍ مجِيلِ[3]
فى بكاء على الأَحبَّـــة شُغْلٌ لأَخِى الحُبِّ عن بُكاء الطُّلُولِ

وهذا مذهب قد تقدم الناس أيضاً فيه ، إلا أن البكاء على الديار هو المذهب الأقدم ، والأعم الأشهر . قال امرؤ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعاً . والرواة تزعم أن هذا البيت أحسن ابتداءات العرب وأبرعها وأجمعها لعدة معان فى لفظ قليل . واتبعته الشعراء على هذا ، وأكثروا فيه القول .

---

(١) ديوانه ١٢٠
(٢) ديوانه ص ٦٩١
(٣) ديوانه ٦٠٣ ، ٣/١٦٧٨ وفى م « لا تقف على . . . أربع فى رسم »

وعلى هذا المعنى حذا البحترى قوله :

عرِّجُوا فالدُّموعُ إنْ أبْكِ فى الرَّبْـ ـعِ دُمُوعِى والاكتئاب اكْتِئابِى [١]
وكَمِثْلِ الأَحْبَابِ لو يَعلمُ العا ذِلُ عِندى مَنازِلُ الأَحْبابِ

وكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة وكرم العهد ؛ ولذلك قال أبوتمام :

أمَوَاقِفَ الفِتْيانِ تَطْوِى لَمْ تَزُرْ شرَفاً ، ولم تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدَا [٢]
أذْكَرْتِنا المَلِكَ المُضَلَّلَ فى الهَوَى والأَعْشَيَيْنِ وطَرْفَةً ولَبِيدَا [٣]
حَلُّوا بِهَا عُقَدَ النَّسِيبِ ونَمْنَمُوا مِنْ وَشْيِها رَجَزًا بها وقَصِيدَا [٤]

قوله : «لم تَزُر شَرَفاً» يريد ارتفاعاً ، «ولم تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدًا» أراد انخفاضاً وهبوطاً فلم يستقم له ذاك فقال : «صعيدا» لأن الصعيد التراب . وهو يكون فى أَغْوَاطِ الأَرض ، وما اطمأن منها ـ أكثر منه فيما علا وارتفع .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى وأوله :
« ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين »

---

(١) ديوانه ٥٦٣ وقد سبقا ص ٥٦٢
(٢) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزى ٤١٢/١
(٣) الملك المضلل : امرؤ القيس . والأعشيان : أعشى قيس بن ثعلبة ، وأعشى باهلة ، ويروى « جرولا ولبيداً » وجرول هو : الحطيئة
(٤) نمنموا : زخرفوا . ويروى : «من وشيها حللا لها وقصيداً» و «نثراً لنا» و «نتفا لها» .

فهرس موضوعات الجزء الأول

الصفحة

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع		١٩٩٢ / ٧٦٩٤
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3790 - 6	ISBN

١ / ٩٢ / ١٠٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)